



﴿ تصنيف أبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى ﴾
(المتوفى سنة ٣٩٥ هجرية)

تنبيه — كل جملة مكتنفة بقوسين (هكذا) فهى من زوائد بعض النسخ المعارض بهم الأصل المطبوع عليه . . . علق عليه وفسر غريب ألفاظه محمد أمين الخانجى

(الطبعة الثانية)

« الملتزم »



صاحب المكتبة الجديدة بأول شارع الصنادقية بمصر

(طبع بمطبعة محمد على صبيح بالازهر الشريف بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولى كل نعمة . وصلواته على نبيه الهادى من كل ضلالة . وعلى آله المنتجبين الاخيار . وعترته المصطفين الابرار

(قال . أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل رحمه الله لبعض إخوانه أعلم علمك الله الخير وذلك عليه وقيضه لك وجعلك من أهله) إن أحق العلوم بالتعلم، وأولاها بالتحفظ . بعد المعرفة بالله جل ثناؤه علم البلاغة . ومعرفة الفصاحة . الذى به يعرف اعجاز كتاب الله تعالى . الناطق بالحق . الهادى الى سبيل الرشد . المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة . التى رفعت أعلام الحق.وأقامت منار الدين . وأزالت شبه الكفر ببراهينها . وهتكت حجب الشك بيقينها .

(وقد علمنا) ان الانسان اذا أغفل علم البلاغة . وأخل بمعرفة الفصاحة .لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ماخصه الله به من حسن التأليف.وبراعة التركيب. وما شحنه به من الايجاز البديع . والاختصار اللطيف . وضمنه من الحلاوة . وجلله من رونق الطلاوة . مع سهولة كلمه وجزالتها . وعذوبتها وسلاستها . الى غير ذلك . من محاسنه التى عجز الخلق عنها . وتحيرت عقولهم فيها . وإنما يعرف اعجازه من جهة عجز العرب عنه . وقصورهم عن بلوغ غايته.فى حسنه وبراعته . وسلاسته ونصاعته (١) . وكمال معانيه . وصفاء ألفاظه .وقبيح لعمرى بالفقيه المؤتم به . والقارىء المهتدى بهديه . والمتكلم المشار اليه فى حسن مناظرته . وتمام آلته فى مجادلته . وشدة شكيمته (٢) فى حجاجه . وبالعربى الصليب .

---

(١) النصاعة ـ هنا بمعنى الوضوح والابانة كما فى أقرب الموارد والناصع فى فى الاصل الخالص من كل شىء

(٢) الشكيمة ـ الانفة والانتصار

والقرشي الصريح (١) ان لا يعرف اعجاز كتاب الله تعالى الا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي (٢) والنبطي (٣) وان يستدل عليه بما استدل به الجاهل الغبي .

فينبغي من هذه الجهة ان يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله تعالى ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعيده على ما ذكرنا اذ كانت المعرفة بصحة النبوة تتلو المعرفة بالله جل اسمه ولهذا العلم بعد ذلك فضايل مشهورة . ومناقب معروفة (منها) ان صاحب العربية اذا أخل بطلبه . وفرط في التماسه . ففاتته فضيلته . وعلقت به رذيلة فوته . عفى على جميع محاسنه . وعمى سائر فضايله . لانه اذا لم يفرق بين كلام جيد . وآخر رديء . ولفظ حسن . وآخر قبيح . وشعر نادر . وآخر بارد . بان جهله . وظهر نقصه . (وهو أيضاً) اذا أراد ان يصنع قصيدة . أو ينشيء رسالة . وقد فاته هذا العلم . مزج الصفو بالكدر . وخلط الغرر بالعرر . واستعمل الوحشي العكر . فجعل نفسه مهزأة للجاهل . وعبرة للعاقل . كما فعل ابن جحدر . في قوله

خلفتُ بما ارقلتْ حوله همرْجلةٌ خلقها شيظم (٤)

---

(١) العربي الصليب ـ الخالص النسب (ومثله) القرشي الصريح

(٢) الزنجي بفتح الزاي واحد الزنوج بضمها جيل من السودان حكاه في القاموس وقال في المصباح بكسر الزاي والفتح لغة وفي المختار قال الفتح والكسر سواء ونقله في أقرب الموارد

(٣) النبطي ـ واحد النبط بفتحتين جيل من العجم كانوا ينزلون البطائح بين العراقين قيل سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء وسمى اولاد شيث انباطا لانهم نزلوا هنالك هذا أصله ثم استعمل في اخلاط الناس وعوامهم

(٤) ارقلت . اسرعت . والهمرجلة . الناقة النجيبة حكاه في أقرب الموارد وذكر الثعالبي في فقه اللغة بأنها السريعة . والشيظم . الطويل الجسيم الفتى من الابل والخيل والناس

وما شبرقتْ من تنوفيةٍ بها من وحي الجن زيزيزمُ (١)

وانشده ابن الاعرابي . فقال ان كنت كاذبا فالله حسيبك : وكما ترجم بعضهم كتابه الى بعض الرؤساء . مكركسة تربوتا ومحبوسة بسّريتا . (٢) فدل على سخافة عقله . واستحكام جهله . وضره الغريب الذى اتقنه ولم ينفعه . وحطه ولم يرفعه . لما فاته هذا العلم . وتخلف عن هذا الفن . (واذا) أراد أيضاً تصنيف كلام منثور . او تأليف شعر منظوم . وتخطى هذا العلم . ساء اختياره له . وقبحت آثاره فيه . فأخذ الردئ المرذول . وترك الجيد المقبول . فدل على قصور فهمه . وتأخر معرفته وعلمه . (وقد قيل) اختيار الرجل قطعة من عقله . كما أن شعره قطعة من علمه . وما أكثر من وقع من علماء العربية فى هذه الرذيلة منهم الأصمعى . فى اختياره قصيدة المرقش

هل بالدّيار ان تجيب صممَ لو أنّ حيّا ناطقاً كلم

ولا اعرف على أى وجه صرف اختياره اليها وما هى بمستقيمة الوزن . ولا مونقة (٤) الروى . ولا سلسلة اللفظ . ولا جيدة السبك . ولا متلائمة النسج .

---

(١) شبرقت . الشبرقة كما فى القاموس عدو الدابة وخدا . والتنوفية . المفازة والارض الواسعة البعيدة الاطراف او الفلاة لاماء بها ولا أنيس . وزيزيزم . هكذا فى اصح النسخ وفى بعضها ـ زيزيزم ـ ولم أجد فيما تتبعته من كتب اللغة معنى لذلك وأقرب ما وجدته زى زى حكاية اصوات الجن

(٢) لم يصح لنا معنى هذه الجملة لاختلاف رسمها فى النسخ التى اطلعنا عليها ففى نسخة هكذا . مكركسة بربويا ومحبوسه مبرينا . وفى ثانية . مكركسة تربوتا ومحبوسة بترينا . وفى ثالثة . مكركسة بربونا ومحيوسة سرينا . وقد سئلت صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى ذلك فاجابنى حفظه الله بأن جميع ذلك غلط من تحريف النساخ فاثبت ما وجدته بعينه ليختار المطالع ما يصح له معناه

(٤) ـ ولا مونقة ـ أى ولا محكمة والاصل تأنق فيه عمله بالاتقان والحكمة

وكان المفضل يختار من الشعر مايقل تداول الرواة له ويكثر الغريب فيه وهذا خطاء من الاختيار لان الغريب لم يكثر فى كلام الا افسده وفيه دلالة الاستكراه والتكلف : وقال بعض الاوايل : تلخيص المعانى رفق . والتشادق من غير اهله بغض . والنظر فى وجوه الناس عى . ومس اللحية هلل (١) والاستعانة بالغريب عجز . والخروج عما بنى عليه الكلام إسهاب . : وكان كثير من علماء العربية يقولون ماسمعنا بأحسن ولا افصح من قول ذى الرمة .

رمتنى مى بالهوى رمى ممضغ　　من الوحش لوط لم تدقه الاوالس (٢)

بعينين نجلاوين لم يجر فيهما　　ضمان وجيد حلي الدر شامس (٣)

وهذا كما ترى كلام فج غليظ . ووخم ثقيل . لاحظ له من الاختيار :وحكى العتبي . عن الأصمعى انه كان يستحسن قول الشاعر

ولو أرسلت من حبـ　　ـك مهبوتا من الصين (٤)

لو افيتك قبل الصبـ　　ـح . أو حين تصلين

وهما على ما تراها من دناءة اللفظ وخساسته . وخلوقة المعرض وقباحته : وذكر العتبي أيضاً ان قول جرير .

إن العيون التى فى طرفها مرض　　قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به　　وهن أضعف خلق الله أركانا

وقوله :

(١) — الهلل — بفتحتين الفرق والاحجام يقال هلك فلان هللا واحجم هللا (٢) — اللوط — مصدر يوصف به الشيء اللازق والرجل الخفيف المتصرف — والاوالس — من ولوس الناقة تلس في سيرها اى تعنق — الشامس — (٣) ضرب من القلائد (٤) — المهبوت — السائر على غير هداية . وجاء فى بعض النسخ — مبهوتا — بتقديم الباء أى مذهوشا من بهت كعلم أى دهش وتحير كما فى المختار

إن الذين غدوا بلبك غادروا　　وشلا بعينيك لا يزال معينا (١)
غيضن من عبراتهن وقلن لي　　ماذا لقيت من الهوى ولقينا (٢)

من الشعر الذى يستحسن لجودة لفظه وليس له كبير معنى وأنا لا أعلم معنى أجود ولا أحسن من معنى هذا الشعر

(فلما) رأيت تخليط هؤلاء الاعلام . فيما راموه من اختيار الكلام . ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل . ومكانه من الشرف والنبل . ووجدت الحاجة اليه ماسة . والكتب المصنفة فيه قليلة . وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . (وهو) لعمرى كثير الفوائد. جم المنافع . لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة . والفقر اللطيفة . والخطب الرائعة . والاخبار البارعة . وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء . وما نبه عليه من مقاديرهم فى البلاغة والخطابة . وغير ذلك من فنونه المختارة . ونعوته المستحسنة . الا أن الابانة عن حدود البلاغة . وأقسام البيان والفصاحة . مبثوثة فى تضاعيفه . ومنتشرة فى اثنائه . فهى ضالة بين الامثلة . لا توجد إلا بالتأمل الطويل . والتصفح الكثير . فرأيت أن أعمل كتابى هذا مشتملا على جميع ما يحتاج اليه فى صنعة الكلام نثره ونظمه . ويستعمل فى محلوله ومعقوده . من غير تقصير واخلال . واسهاب واهذار . وأجعله عشرة ابواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلا

الباب الاول — فى الابانة عن موضوع البلاغة فى أصل اللغة وما يجرى معه من تصرف لفظها وذكر حدودها وشرح وجوهها وضرب الأمثلة فى كل نوع منها وتفسير ما جاء عن العلماء فيها (ثلاثة فصول)

الباب الثانى — فى تمييز الكلام جيده من رديه ومحموده من مذمومه (فصلان)

---

(١) غادروا — تركوا — والوشل — محركة القليل من الدمع والكثير منه فهو ضد

(٢) غيضن — نقصن دمعهن وحبسنه

الباب الثالث — فى معرفة صنعة الكلام (فصلان)
الباب الرابع — فى البيان عن حسن السبك وجودة الوصف (فصل واحد)
الباب الخامس — فى ذكر الايجاز والاطناب (فصلان)
الباب السادس — فى حسن الأخذ وقبحه وجودته ورداءته (فصلان)
الباب السابع — القول فى التشبيه (فصلان)
الباب الثامن — فى ذكر السجع والازدواج (فصلان)
الباب التاسع — فى شرح البديع والابانة عن وجوهه وحصر أبوابه وفنونه (خمسة وثلاثون فصلا)
الباب العاشر — فى ذكر مقاطع الكلام ومباديه والقول فى الاساءة فى ذلك والاحسان فيه (ثلاثة فصول)

وأرجو أن يعين الله على المراد من ذلك والمقصود فيما نحونا اليه ويقرنه بالتوفيق ويشفعه بالتسديد إنه سميع مجيب

الباب الاول

الفصل الأول

فى الابانة عن موضوع البلاغة فى اللغة وما يجرى معه من تصرف لفظها والقول فى الفصاحة وما يتشعب منه

البلاغة من قولهم بلغت الغاية اذا انتهيت اليها وبلغتها غيرى ومبلغ الشىء منتهاه والمبالغة فى الشىء الانتهاء الى غايته فسميت البلاغة بلاغة لانها تنهى المعنى الى قلب السامع فيفهمه وسميت البلغة بلغة لانك تتبلغ بها فتنتهى بك الى ما فوقها وهى البلاغ أيضاً ويقال الدنيا بلاغ لانها تؤديك الى الآخرة والبلاغ

أيضاً التبليغ في قول الله عز وجل (هذا بلاغ للناس) أي تبليغ ويقال بلغ الرجل بلاغة اذا صار بليغاً كما يقال نبل نبالة اذا صار نبيلا وكلام بليغ وبلغ بالفتح كما يقال وجيز ووجز ورجل بلغ بالكسر يبلغ ما يريد وفي مثلهم ـا حمق بلغ ـ ويقال ابلغت في الكلام اذا أتيت بالبلاغة فيه كما تقول ابرحت اذا أتيت بالبرحاء وهو الأمر الجسيم والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم

(فلهذا) لا يجوز أن يسمى الله جل وعز بأنه بليغ إذ لا يجوز أن يوصف بصفة كان موضوعها الكلام . وتسميتنا المتكلم بانه بليغ توسع وحقيقته أن كلامه بليغ كما تقول فلان رجل محكم وتعني أن أفعاله محكمة قال الله تعالى (حكمة بالغة) فجعل البلاغة من صفة الحكمة ولم يجعلها من صفة الحكيم الا أن كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بانه بليغ كالحقيقة كما أنها جعلت تسمية المزادة راوية كالحقيقة وكان الراوية حامل المزادة وهو البعير وما يجري مجراه (ولهذا) سمي حامل الشعر راوية وكما صار تسمية البغي المكتسبة بالفجور القحبة حقيقة وانما القحاب السعال وكانوا إذا أرادوا الكناية عن زنت وتكسبت بالفجور قالوا قحبت أي سعلت ومن ذلك النجو لأن الرجل كان اذا أراد قضاء الحاجة استتر بنجوة والنجوة الارتفاع من الارض فسمي ذلك الشيء نجوا مجازا ثم كثر استعمالهم له فصار كالحقيقة وصرفوه فقالوا ذهب ينجو كما يقال ذهب يتغوط اذا صار إلى الغائط وهو البطن من الارض لقضاء الحاجة وسموا الشيء الغائط وصار كالحقيقة حين كثر استعمالهم له وقالوا اذا غسل ذلك الموضع من النجو يستنجي ومثل هذا كثير ليس هذا موضع استيعابه

(فأما) الفصاحة فقد قال قوم انها من قولهم افصح فلان عما في نفسه اذا أظهره والشاهد (على انها هي الاظهار) قول العرب افصح الصبح اذا أضاء وأفصح اللبن اذا انجلت عنه رغوته فظهر وفصح ايضاً وأفصح الأعجمي اذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين وفصح اللحان اذا عبر عما في نفسه وأظهره على جهة الصواب دون الخطاء

(واذا) كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجمان الى معنى واحد وان اختلف اصلاهما لان كل واحد منهما انما هو الابانة عن المعنى والاظهار له : وقال بعض علمائنا : الفصاحة تمام آلة البيان فلهذا لايجوز ان يسمى الله تعالى فصيحاً إذ كانت الفصاحة تتضمن معنى الآلة ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة ويوصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان والدليل على ذلك ان الالثغ والتمتام لا يسميان فصيحين لنقصان آلتهما عن اقامة الحروف وقيل زياد الأعجم * لنقصان آلة نطقه عن اقامة الحروف وكان يعبر عن الحمار بالهمار فهو أعجم وشعره فصيح لتمام بيانه (فعلى) هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين وذلك ان الفصاحة تمام آلة البيان فهى مقصورة على اللفظ لان الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى والبلاغة انما هى انهاء المعنى الى القلب فكأنها مقصورة على المعنى

ومن الدليل على ان الفصاحة تتضمن اللفظ والبلاغة تتناول المعنى ان الببغاء (١) يسمى فصيحاً ولا يسمى بليغاً اذ هو مقيم الحروف وليس له قصد الى المعنى الذى يؤديه (وقد) يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً اذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره فج ولا متكلف وخم ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف (وشهدت) قوما يذهبون الى ان الكلام لا يسمى فصيحا حتى يجمع مع هذه النعوت فخامة وشدة جزالة فيكون مثل قول النبي ﷺ (الا ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) ومثل كلام الحسين بن علي رضى الله عنهما ان الناس عبيد الاموال والدين لغو على ألسنتهم يحوطونه مادرت به معايشهم فاذا محصوا بالابتلاء قل الديانون : ومثل المنظوم قول الشاعر

---

(١) الببغاء ـ طائر معروف وقد تشدد الباء الثانية والتأنيث للفظ لا للمسمى كالهاء فى حمامة ويقع على الذكر والانثى والجمع ببغاوات مثل صحراء وصحراوات

ترى غاية الخطيّ فوق رؤسهم   كما أشرقت فوق الصوار قرونها(١)

(قالوا) واذا كان الكلام يجمع نعوت الجودة ولم يكن فيه فخامة وفضل جزالة سمي بليغا ولم يسم فصيحا : كقول بعضهم وقد سئل عن حاله عند الوفاة فقال : ماحال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد . ويقدم على ملك عادل بغير حجة . ويسكن قبرا موحشا بلا أنيس : وقول آخر لأخ له : مددت الى المودة يداً فشكرناك . وشفعت ذلك بشيء من الجفا فعذرناك . والرجوع الى محمود الود . اولى بك من المقام على مكروه الصد : وانشدنا أبو احمد . عن ابى بكر الصولى . لابراهيم بن العباس .

تمر الصبا صفحا بساكنة الغضا   ويصدع قلبي ان يهب هبوبها

قريبة عهد بالحبيب وإنما   هوى كل نفس حيث حل حبيبها

فالبيت الاول فصيح وبليغ والبيت الثانى بليغ و ليس بفصيح (واستدلوا) على صحة هذا المذهب بقول العاص . بن عدى : الشجاعة قلب ركين . والفصاحة لسان رزين . واللسان هاهنا الكلام والرزين الذى فيه فخامة وجزالة

و ليس الغرض فى هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وانما قصدت فيه مقصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب فلهذا لم اطل الكلام فى هذا الفصل

---

(١) الخطى ـ هنا الرماح نسبت الى الخط مرفاء السفن بالبحرين لانها تباع به لا انه منبتها . وهو بفتح الخاء ويكسر عند ارادة الاسمية كما استدركه شارح القاموس ـ والصوار ـ بالضم ويكسر . القطيع من البقر . وأعالى الجبال ونقل شارح القاموس عن الصاغانى انه رأسه ـ والقرون ـ معلومة اذا فسر الصوار بقطيع البقر واذا أريد منه الثانى فتكون القرون هنا أشعة الشمس كما فى القاموس وهذا المعنى يفهم من قوله اشرقت ويناسب التشبيه

الفصل الثانى

فى الابانة عن حد البلاغة

(فنقول) البلاغة كل ماتبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه فى نفسه لتمكنه فى نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن (وانما) جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا فى البلاغة لان الكلام اذا كانت عبارته رثة ومعرضه خلقا لم يسم بليغا وان كان مفهوم المعنى . مكشوف المغزى . الا ترى الى معنى الكاتب الذى كتب الى بعض معامليه : قد تأخر الامر فيما وعدت حمله ضحوة النهار . والقوم غير مقيمين . وليس لهم صبرى . وهم فى الخروج آنفا . فان رأيت فى إزاحة العلة مع الجهبذ (١) فعلت انشاء الله : فمعناه مفهوم : ومغزاه معلوم . وليس كلامه ببليغ (فهذا) يدل على ان من شرط البلاغة ان يكون المعنى مفهوما واللفظ مقبولا على ماقدمناه : ومن قال ان البلاغة انما هى إفهام المعنى فقط فقد جعل الفصاحة واللكنة . والخطاء . والصواب . والاغلاق . والابانة . سواء : وأيضاً فلو كان الكلام الواضح السهل والقريب السلس الحلو بليغا وماخالفه من الكلام المستبهم المستغلق والمتكلف المتعقد أيضا بليغاً لكان كل ذلك محموداً وممدوحاً مقبولا لان البلاغة اسم يمدح به الكلام .

(فلما) رأينا احدهما مستحسنا . والآخر مستهجنا . علمنا أن الذى يستحسن البليغ . والذى يستهجن ليس ببليغ : وقال العتابى . كل من افهمك حاجته فهو بليغ : وانما عنى أن افهمك حاجته بالالفاظ الحسنة . والعبارة النيرة فهو بليغ

(ولو) حملنا هذا الكلام على ظاهره للزم أن يكون الألكن بليغا لانه يفهمنا حاجته بل ويلزم أن يكون كل الناس بلغاء حتى الاطفال لان كل أحد لايعدم أن يدل على غرضه بعجمته أو لكنته أو إيمائه أو اشارته بل لزم أن يكون

---

(١) الجهبذ ــ الناقد العارف بتمييز الجيد من الردى وهو معرب كهبذ بالفارسية

السنور بليغا لانا نستدل بضغائه (١) على كثير من ارادته (وهذا)ظاهر الاحالة. ونحن نفهم رطانة (٢) السوق . وجمجمة (٣) الأعجمى للعادة التى جرت لنا فى سماعها ... لالأن تلك بلاغة ألا ترى ان الاعرابى ان سمع ذلك لم يفهمه اذ لا عادة له بسماعه : وارادرجل ان يسأل بعض الاعراب عن اهله فقال كيف أهلك بالكسر فقال له الاعرابى صلبا إذ لم يشك انه انما يسأله عن السبب الذى يهلك به : وقال الوليد بن عبد الملك لاعرابى شكا اليه ختناً له فقال من ختنك ففتح النون فقال معذر فى الحى اذ لم يشك فى أنه انما يسأله عن خاتنه : وقال رجل لاعرابى القى عليك بيتاً .. فقال ألق على نفسك : وسمع اعرابى قصيدة أبى تمام

(طَالَ الجميع لَقَدْ عفَوْتَ حَمِيدا)

فقال ان فى هذه القصيدة أشياء أفهمها . وأشياء لاافهمها . فاما أن يكون قائلها اشعر من جميع الناس . واما أن يكون جميع الناس أشعر منه : ونحن نفهم معانى هـذه القصيدة باسرها لعادتنا بسماع مثلها لالأنا اعرف بالكلام من الاعراب .

(ومما) يؤيد ماقلنا من أن البلاغة انما هى ايضاح المعنى وتحسين اللفظ : قول بعض الحكماء : البلاغة تصحيح الاقسام . واختيار الكلام . الى غير ذلك مما سنذكره ونفسره فى هذا الباب ان شاء الله : وقال محمد بن الحنيفة رضى الله عنه : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه باسهل العبارة، فقوله تضطر العقول الى فهمه عبارة عن ايضاح المعنى ، وقوله باسهل العبارة ، تنبيه على تسهيل اللفظ وترك تنقيحه : ومثل ذلك من النثر . . . . قول بعضهم لأخ له :

---

(١) — الضغاء — من السنور أى الهر صياحه ذكره فى القاموس وقاله الثعالبى فى فقه اللغة الضغاء للكلب اذا جاع

(٢) — الرطانة — بفتح الراء وكسرها الكلام بالاعجمية

(٣) — الجمجمة — عدم التبيين فيما يخبر به

ابتدأتنى بلطف من غير خبرة . ثم اعقبتنى جفا من غير هفوة . فاطمعنى أولك فى إخائك . وأيأسنى آخرك من وفائك . فسبحان من لو شاء كشف إيضاح الرأى فى أمرك . عن عزيمة الشك فى حالك . فاقمنا على ائتلاف . او افترقنا على اختلاف : وقول الآخر : لم يدع انقباضك عن الوفا . وانجذابك مع سوءالرأى فى ملاحظة الهجر . والاستمرار على العذر . محركا من القلب عليك .ولا خاطراً يومى الى حسن الظن بك . هيهات انقضت مدة الانخداع لك . حين اخلفتعدة الامانى فيك . وما وجدنا ساترا من تأنيب النصحاء . فى الميل اليك . والتوفر عليك . الا الاقرار بطاعة الهوى . والاعتراف بسوء الاختيار : وكتب بعض الكتاب الى أخ له : تأخرت عنى كتبك تأخراً ساء له ظنى. اشفاقا من الحوادث عليك . لاتوهما للجفاء منك . اذ كنت أثق من مودتك . بما يغنينى عن معاتبتك ومما هو فى هذه الطريقة وهو أجزل مما تقدم مااخبرنا به أبو احمد عن أبى بكر بن دريد . عن عبد الرحمن . عن عمه . قال وقف علينا اعرابى ونحن برملة اللوى فقال رحم الله امرأ لم تمج اذناه كلامى . وقدم معاذه من سوء مقامى . فان البلاد مجدبة . والحال مسغبة (١) . والحياء زاجر يمنع من كلامكم . والفقر عاذر يدعو الى اخباركم . والدعاء إحدى الصدقتين . فرحم الله امرءاً أمر بمير. أو دعا بخير : وقول بعضهم يمدح رجلا : كان والله بعيد مسافة الرأى . يرمى بهمته حيث اشار الكرم . يصافح عن صاحبه نوب الزمان . ويتحسى مرارة الاخوان . ويسيغهم العذب . ويعطفهم منه على ماجد ندب

(١) — المسغبة — الجوع وقيل لا يكون الا مع التعب .. وفى نسخة — والحال متشعبة — أى متفرقة



الفصل الثالث

وهو القول فى تفسير ما جاء عن الحكماء والعلماء فى حدود البلاغة

(لحقيقة) البلاغة هى ماذكرته . . وقد جاء عن الحكماء فيه ضروب أنا ذاكرها ومفسرها لتكمل فائدة الكتاب ان شاء الله : قال اسحق بن حسان . لم يفسر أحد البلاغة تفسير ابن المقفع اذ قال : البلاغة اسم لمعان تجرى فى وجوه كثيرة . منها مايكون فى السكوت ومنها مايكون فى الاستماع . ومنها ما يكون شعراً . ومنها مايكون سجعاً . ومنها ما يكون خطباً . وربما كانت رسائل: فعامة مايكون من هذه الابواب فالوحى فيها والاشارة الى المعنى أبلغ . والايجاز هو البلاغة : فقوله منها مايكون فى السكوت فالسكوت ؟ يسمى بلاغة مجازا وهو فى حالة لاينجع فيها القول ولا ينفع فيها إقامة الحجج . أما عند جاهل لايفهم الخطاب . أو عند وضيع لايرهب الجواب . أو ظالم سليط يحكم بالهوى . ولا يرتدع بكلمة التقوى : واذا كان الكلام يعرى من الخير . او يجلب الشر فالسكوت اولى كما قال ابو العتاهية .

ما كل نطقٍ له جوابٌ جواب مايكره السكوت

وقال معاوية . رضى الله عنه لابن أوس . ابغ لى محدثا . . قال اوتحتاج معى الى محدث . . قال استريح منه اليك . ومنك اليه . وربما كان صمتك فى حال . أوفق من كلامك (وله) وجه آخر : وهو قولهم كل صامت ناطق من جهة الدلالة وذلك ان دلايل الصنعة فى جميع الاشياء واضحة . والموعظة فيها قائمة : وقد قال الرقاشى . : سل الأرض . من شق انهارك . وغرس اشجارك . وجنى ثمارك . فان لم تجبك حواراً (١) . اجابتك اعتبارا : ولما مات الاسكندر . وقف عليه بعض اليونانيين فقال قد طالما وعظنا هذا الشخص بكلامه .وهو اليوم لنا بسكوته

---

(١) الحوار ــ بالفتح وبكسر المجاوبة ومراجعة الكلام

اوعظ . فنظم هذا الكلام ابو العتاهية فى قوله

وكانت في حياتك لى عظاتٌ وانت اليوم اوعظ منك حيّا

واحسن من هذا (الكلام) كله وابلغ قول الله عز وجل (وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقوله تعالى (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة) معناه يدل على الله بصنعته فيه فكأنه يسجد وان لم يسجد ولم يقر بذلك وقوله تعالى (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والاصال) وقوله سبحانه (يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) اى لا تفهمونه من جهة السمع وان كنتم تفهمونه من جهة العقل : وقد قال بعض الهند . : جماع البلاغة البصر بالحجة . والمعرفة بمواقع الفرصة . : ومن البصر بالحجة . ان يدع الافصاح (بها) الى الكناية (عنها) اذا كان طريق الافصاح وعراً . وكانت الكناية أحصر نفعاً . وذلك مثل ما أخبرنا به أبو احمد عن أبيه . عن عسل بن ذكوان . قال دخل عبيد الله بن ذياد بن ظبيان . على عبد الملك بن مروان . وأراد ان يقعد معه على سريره فقال له عبد الملك ما بال العرب تزعم انك لا تشبه اباك قال والله لأنا اشبه بابى من الليل بالليل والغراب بالغراب ولكن ان شيئت خبرتك عمن لا يشبه أباه . . قال من ذاك . . قال من لم تنضجه الارحام . ولم يولد لتمام . ولم يشبه الاخوال والاعمام . قال ومن ذاك قال سويد بن منجوف . قال عبد الملك أكذاك أنت يا سويد . . قال نعم فلما خرجا قال عبد الله لسويد وريت بك زنادى والله ما يسرنى بحلمك عنى حمر النعم قال سويد وانا والله ما يسرنى انك نقصته حرفاً وان لى سود النعم (١) . .

---

(١) ــ النعم ــ فى قوله . . حمر النعم . . وسود النعم . . المال الراعى واكثر ما يطلق على الابل . وهو جمع لا واحد له منه حكاه فى المصباح . والحمر . خيار الابل . قال فى اللسان . العرب تقول خير الابل حمرها . والسود بالاضافة الى الابل الجنس الاسود منها

(وانما) كان عرض بعبد الملك وكان ولد لسبعة اشهر : وربما كانت البلاغة سبباً للحرمان. واسباب الامور طريفة (١) . والاتفاقات عجيبة : اخبرنا ابو احمد عن ابيه عن عسل بن ذكوان . . قال كتب بعضهم الى المنصور كتابا حسنا بليغا يستمنحه فيه . . فكتب اليه المنصور البلاغة والغنى اذا اجتمعا لامرىء ابطراه وامير المؤمنين مشفق عليك من البطر فاكتف باحدهما : . وقوله ربما كانت البلاغة فى الاستماع . فان المخاطب اذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدى اليه الخطاب : والاستماع لحسن عون للبليغ على افهام المعنى : وقال ابراهيم الامام حسبك من حظ البلاغة ان لا يؤتى السامع . من سؤ إفهام الناطق . ولا يؤتى الناطق . من سؤ فهم السامع : وقال الهندى ايضا : البلاغة وضوح الدلالة . وانتهاز الفرصة . وحسن الاشارة : وقول عبيد الله بن عتبة . البلاغة دنو المأخذ وقرع الحجة . وقليل من كثير . . (فاما) البصر بالحجة فمثل ما اخبرنا به ابو احمد عن ابيه عن عسل قال قال الهيثم بن عدى . انبأنى عطاء بن مصعب . قال كان ابو الاسود . شيعة لعلى بن ابى طالب . رضى الله عنه وكان جيرانه عثمانية فرموه يوما . . فقال اترمونني . . قالوا بل الله يرميك . . قال كذبتم انكم تخطئون وان الله لو رماني لما أخطأ : وقال بعضهم لابى على محمد بن عبد الوهاب. ما الدليل على أن القرآن مخلوق قال : ان الله قادر على مثله : فما أحار السائل جوابا . . (ومثل) ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب . رضى الله عنه وهو يومئذ خليفة وكان على المنبر يخطب فى يوم جمعة فدخل عثمان بن عفان . رضى الله عنه عليه. . فقال عمر ما بال اقوام يسمعون الأذان ويتأخرون . . فقال عثمان والله ما تأخرت الا ريثما توضأت . . فقال عمر وهذا ايضا اما سمعت ان رسول الله ﷺ قال (من اتى الجمعة فليغتسل) (٢) (ومثله) قول أبى يوسف . بعرفة وقد صلى خلف الرشيد

(١) طريفة — اى مستحدثة . او مستملحة

(٢) الحديث خرجه السيوطى فى الجامع الكبير من رواية ابن ابى شيبة وابى داود الطيالسى والامام احمد والترمذى وابن ماجة وابن حبان عن أنس

فلما سلم فى الركعتين . . قال يا أهل مكة اتموا صلاتكم فأنا قوم سفر . . فقال بعض أهل مكة من عندنا خرج العلم اليكم . . فقال أبو يوسف لو كنت فقيها لما تكلمت فى الصلاة : وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان . . قال أقام شاعر بباب معن ابن زائدة . حولا لا يصل اليه فكتب اليه رقعة ودفعها اليه

اذا كان الجوادُ له حجاب   فما فضلُ الجواد على البخيل

فكتب معن فيها

اذا كان الجوادُ قليلَ مال   ولم يُعذر تعلل بالحجاب

فانصرف الرجل بائساً .. ثم حمل اليه معن عشرة آلاف درهم (ومن ذلك) ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان : قال بلغ على . بن الحسين رضى الله عنهما ان عروة بن الزبير . وابن شهاب الزهرى . يتناولان عليا ويعبثان به فأرسل الى عروة .. فقال أما أنت فقد كان ينبغى ان يكون فى نكوص أبيك يوم الجمل وفراره مايحجزك عن ذكر أمير المؤمنين والله لئن كان على على باطل لقد رجع أبوك عنه ولئن كان على حق لقد فر أبوك منه (وأرسل) الى ابن شهاب .. فقال واما أنت يابن شهاب فما أراك تدعنى حتى اعرفك موضع كير (١) أبيك

(ومن) وضوع الدلالة وقرع الحجة قول الله سبحانه (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم قل يحيها الذى أنشاها أول مرة وهو بكل خلق عليم) فهذه دلالة واضحة على ان الله تعالى قادر على اعادة الخلق مستغنية بنفسها عن الزيادة فيها لان الاعادة ليست بأصعب فى العقول من الابتداء ثم قال تعالى (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون) فزادها شرحا وقوة لان من يخرج النار من اجزآء الماء وهما ضدان ليس بمنكر (عليه) ان يعيد ما أفناه ثم قال تعالى (أو ليس الذى خلق السموات

(١) الكير . بالكسر زق ينفخ فيه الحداد . والمبنى من طين فهو كور

والارض بقادر على ان يخلق مثلهم فقواها أيضاً وزاد فى شرحها وبلغ بها غاية الايضاح والتوكيد لان اعادة الخلق ليست بأصعب فى العقول من خلق السموات والارض ابتداءاً : وحضر أبو الهذيل . جنازة فلما دفن الميت .. قال رجل يا أبا الهذيل الايمان برجوع هذا صعب .. فقال أبو الهذيل يعيده الذى انشاءه أول مرة انه على رجعه لقادر .

(وأما) انتهاز الفرصة فمثاله أيضاً : قول أبى يوسف مع أ كثر ماجرى فى هذا الفصل . . (ومنه ما أخبرنى به أبو أحمد قال اخبرنى (الجلودى) الحلوانى. قال حدثنى محمد بن زكريا . قال حدثنا محمد بن عبدالله الجشمى . عن المدائنى . قال دخل عمرو بن العاص . على معاوية وهو يتغدى : فقال له هلم ياعمر .. فقال هنيئا يا أمير المؤمنين أكلت آنفاً .. فقال أما علمت ياعمر ان من شراهة المرء ان لايدع فى بطنه مستزاداً لمستزيد : فقال قد فعلت يا أمير المؤمنين : فقال ويحك لمن بقيته ألمن هو أوجب حقا من أمير المؤمنين : قال لا ولكن لمن لا يعذرعذر أمير المؤمنين . . قال فلا أراك الا ضيعت حقا لحق لعلك لاتدركه : فقال عمرو ما لقيت منك يامعاوية ثم دنا فأكل : وقال أبو العيناء . لابن ثوابة . : بلغنى ما خاطبت به أبا الصقر . وما منعه من استقصاء الجواب . الا أنه لم يرعرضاً فيمضغه . ولا مجدا . فيهدمه . وبعد فانه عاف لحمك ان يأكله . وسهك (١) دمك ان يسفكه : فقال ما انت والكلام يامكدى : فقال لاينكر على ابن ثمانين سنة . قد ذهب بصره . وجفاه سلطانه . ان يعول على اخوانه . فيأخذ من أموالهم . ولكن أشد من هذا ان تستنزل ماء أصلاب الرجال فتستفرغه فى حقيبتك .. فقال ابن ثوابة الساعة أمر أحد غلمانى بك ٩٠ فقال أيهما .. الذى اذا خلوت ركب . أم الذى إذا ركبت خلا : فقال ابن ثوابة ما تساب اثنان الاغلب الا مهما ..قال أبو العيناء بهاغلبت أبا الصقر (فانظر) الى انتهاز الفرصة

(١) سهك . أى كره سفك دمه استعارة من السهك وهى ريح كريهة تجدها من الانسان اذا عرق

فى قوله بها غلبت أبا الصقر (ومنه) ان بعض الكتاب لقى أبا العيناء فى السحر فجعل يتعجب من بكوره ٠٠ فقال أتشاركنى فى الفعل وتنفرد بالتعجب ٠٠ (وقالت) له قينة هب لى خاتمك أذكرك به ٠٠ قال اذكرينى بالمنع : وقيل له لاتعجل فان العجل من عمل الشيطان : فقال لو كانت من عمل الشيطان لما قال موسى عليه السلام (وعجلت اليك رب لترضى) وقال عبيدالله بن سليمان ٠ ان الاخبار المذكورة فى السخاء وكثرة العطاء من تصنيف الوراقين وأكاذيبهم : فقال أبو العيناء ولم لايكذبون على الوزير أيده الله ٠٠ وأما الاشارة فسنذكرها فى موضعها ان شاء الله ٠

(وقال) حكيم الهند : أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة : وذلك ان يكون الخطيب رابط الجأش . ساكن الجوارح . متخير اللفظ . لايكلم سيد الامة بكلام الامة . ولا الملوك بكلام السوقة . ويكون فى قواه التصرف فى كل طبقة . ولا يدقق المعانى كل التدقيق . ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح . ويصفيها كل التصفية . ويهذبها كل التهذيب . ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما . وفيلسوفا عظيما . ومن تعود حذف فضول الكلام . واسقاط مشتركات الالفاظ . ونظر فى صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة فيها . لا على جهة الاستطراف . والتطرف لها: (قال) واعلم ان حق المعنى ان يكون الاسم له طبقاً . وتلك الحال له وفقاً . ولا يكون الاسم فاضلا . ولا مقصرا . ولا مشتركا . ولا مضمنا . ويكون تصفحه لمصادر كلامه . بقدر تصفحه لموارده . ويكون لفظه مونقاً . ومعناه نيراً واضحاً . ومدار الأمر على افهام كل قوم بقدر طاقتهم . والحمل عليهم على قدر منازلهم . وان تواتيه آلته . وتتصرف معه اداته . ويكون فى التهمة لنفسه معتدلا . وفى حسن الظن بها مقتصدا . فانه ان تجاوز الحق . فى مقدار حسن الظن . اودعها تهاون الآمنين. وان تجاوز بها مقدار الحق فى التهمة . ظلمها . واودعها ذل المظلومين . ولكل ذلك مقدار من الشغل . ولكل شغل مقدار من الوهن . ولكل وهن مقدار من الجهل

فقوله فأول البلاغة اجتماع آلة البلاغة . وأول آلات البلاغة جودة القريحة وطلاقة اللسان .. وذلك من فعل الله تعالى لايقدر العبد على اكتسابه لنفسه واجتلابه لها : ومن الناس من اذا خلا بنفسه واعمل فكره أتى بالبيان العجيب . والكلام البديع المصيب . واستخرج المعنى الرائق . وجاء باللفظ الرايع . واذا حاور أو ناظر . قصر وتأخر . فحق هذا ان لا يتعرض لارتجال الخطب . ولايجارى أصحاب البداية فى ميدان القريض . ويكتفى بنتائج فكره .. والناس فى صناعة الكلام على طبقات . (منهم) من اذا حاور وناظر . أبلغ وأجاد . واذا كتب وأملى . أخل وتخلف . (ومنهم) من اذا أملى برز . واذا حاور أو كتب قصر . (ومنهم) من اذا كتب أحسن . واذا حاور وأملى أساء . (ومنهم) من يحسن فى جميع هذه الحالات . (ومنهم) من يسىء فيها كلها : فأحسن حالات المسىء الامساك . وأحسن حالات المحسن التوسط . فان الاكثار يورث الاملال . وقل ماينجو صاحبه من الزلل . والعيب والخطل (١) . : وليس ينبغى للمحسن فى أحد هذه الفنون . المسىء فى غيرها . ان يتجاوز ماهو محسن فيه . الى ماهو مسىء فيه . فان اضطر فى بعض الاحوال الى تجاوزه . فخير سبله فيه قصد الاختصار . وتجنب الاكثار والاهذار . ليقل السقط فى كلامه . ولا يكثر العيب فى منطقه .. (وقيل) لابن المقفع لم لا تطيل القصايد : قال لو اطلتها عرف صاحبها .. (يريد) ان المحدث يتشبه بالقديم فى القليل من الكلام . فاذا اطال اختل فعرف انه كلام مولد .. على ان السابق فى ميادين البلاغة اذا أكثر سقط . فكيف المقصر عن غايتها . والمتخلف عن أمدها : ومن تمام آلات البلاغة . التوسع فى معرفة العربية . ووجوه الاستعمال لها . والعلم بفاخر الالفاظ وساقطها . ومتخيرها . ورديها . ومعرفة المقامات . ومايصلح فى كل واحد منها من الكلام الى غير ذلك مما سنذكره فى الباب الثانى عند ذكر صنعة الكلام ان شاء الله

وقوله وهو ان يكون الخطيب رابط الجأش ساكن النفس . جداً لان الحيرة

---

(١) الخطل • الخطأ قال فى المصباح خطل فى منطقه ورأيه من باب تعب اخطأ

والدهش . يورثان الحبسة والحصر . وهما سبب الارتاج (١) والاُجبال . وقد بلغك ماأصاب عثمان بن عفان رضى الله عنهأول ماصعد المنبر فارتج عليه . فقال ان الذين كانا قبلى . كانا يعدان لهذا المقام مقالا . وانتم الى امام عادل . أحوج منكم الى امام قائل . وستأتيكم الخطبة على وجهها . ثم نزل . وصعد بعض العرب منبرا بخراسان فارتج عليه . فقال حين نزل

لَئِنْ لَمْ اكُنْ فِيكُمْ خطيباً فأنني بسيفي اذا جدّ الوَغى لخطيب

ومن حسن الاعتذار عند الارتاج . ماأخبر نابه أبوأحمد قال أخبرنا الشطنى قال أخبرنا الغلابى . قال أخبرنا العتبى عن أبيه . : قال خطب داود بن على . فحمد الله جل وعز وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ فلماقال اما بعد امتنع عليه الكلام ثم قال امابعد فقد يجد المعسر . ويعسر الموسر . ويفل الحديد . ويقطع الكليل . وانما الكلام . بعد الافحام . كالاشراق بعد الاظلام . وقد يعزب البيان . ويعتقم الصواب . وانما اللسان . مضغة من الانسان . يفتر بفتوره (٢) اذا نكل . ويثوب بانبساطه اذا ارتجل . ألاوانا لانتطق بطرا . ولا نسكت حصرا . بل نسكت معتبرين وننطق مرشدين . ونحن بعد امراء القول . فينا وشجت اعراقه . وعلينا عطفت أغصانه . ولنا تهدلت ثمرته . فنتخير منه ماأحلولى وعذب . ونطرح منه ماأملولح وخبث . ومن بعد مقامنا هـذا مقام . وبعد أيامنا أيام . يعرف فيها فضل البيان . وفصل الخطاب . والله أفضل مستعان . ثم نزل

وعلامة سكون نفس الخطيب ورباطة جأشه هدوءه فى كلامه . وتمهله فى منطقه (وقال) ثمامة . كان جعفر بن يحى . أنطق الناس قد جمع الهدو . والتمهل . والجزالة والحلاوة . ولو كان فى الارض ناطق يستغنى عن الاشارة لكانه

---

(١) الارتاج . الاغلاق على المتكلم من قولهم . رتج المتكلم أى استغلق عليه الكلام . والاجبال . صعوبة القول عليه

(٢) وفى نسخة . يعثر بعثوره

وقوله متخير الالفاظ . فمدار البلاغة على تخير اللفظ وتخيره أصعب من جمعه وتأليفه وسنشبع الكلام فى هذا ان شاء الله

وقوله يكون فى قواه فضل التصرف فى كل طبقة . . وهو أن يكون صائغ الكلام قادراً على جميع ضروبه . متمكناً من جميع فنونه . لا يعتاص عليه قسم من جميع أقسامة . فان كان شاعراً تصرف فى وجوه الشعر مديحه وهجائه ومراثيه وصفاته ومفاخره وغير ذلك من أصنافه . . ولاختلاف قوى الناس فى الشعر وفنونه ما قيل كان امرؤ القيس . أشعر الناس إذا ركب . والنابغة . إذا رهب . وزهير . إذا رغب . والأعشى . اذا طرب . . وكذلك الكاتب ربما تقدم فى ضرب من الكتابة وتأخر فى غيره وسهل عليه نوع منها وعسر نوع آخر : وأخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر الصولى . قال حدثنا القاسم بن اسماعيل . قال حدثنا ابراهيم بن العباس قال سمعت احمد بن يوسف . يقول أمرنى المأمون . أن اكتب الى النواحى فى الاستكثار من القناديل فى المساجد فى شهر رمضان . فبت لا أدرى كيف أحتذى . فأتانى آت فى منامى فقال قل . فان فى ذلك عمارة للمساجد . وأنساً للسابلة . وإضاءة للمتهجدين . ونفياً لمكامن الريب . وتنزيهاً لبيوت الله جل وعز عن وحشة الظلم . فانتبهت وقد انفتح لى ما أريد فابتدأت بهذا وأتممت عليه

والمقدم فى صنعة الكلام هو المستولى عليه من جميع جهاته المتمكن من جميع انواعه : وبهذا فضلوا جريراً على الفرزدق . وقالوا كان له فى الشعر ضروب لا يعرفها الفرزدق وماتت امرأته النوار فناح عليها بشعر جرير

لَوْلاَ الحياءُ لَهاجَنِى اسْتِعْبَارُ ... ولَزُرتُ قَبركِ والحبيبُ يُزارُ

وكان البحترى . يفضل الفرزدق على جرير .. ويزعم انه يتصرف من المعانى فيما لا يتصرف فيه جرير ويورد منه فى شعره فى كل قصيدة خلاف مايورده فى الاخرى : قال وجرير يكرر فى هجاء الفرزدق . ذكر الزبير . وجعثن . والنوار . وانه قين مجاشع . لايذكر شيئاً غير هذا .. وسئل بعضهم عن أبى نواس . ومسلم فذكر أن أبا نواس اشعر . لتصرفه فى اشياء من وجوه الشعر وكثرة مذاهبه

فيه : قال ومسلم جار على وتيرة واحدة لا يتغير عنها

وابلغ من هذه المنزلة . أن يكون فى قوة صائغ الكلام . أن يأتى مرة بالجزل . وأخرى بالسهل فيلين اذا شاء ويشتد اذا أراد . ومن هذا الوجه . فضلوا جريرا على الفرزدق . وأبا نواس على مسلم . . قال جرير

طَرقتكَ صائدة القلوب وليس ذا ... وَقت الزيارةِ فارْجِعى بسَلام

تجرْ السّواكَ عَلى أغرّ كأنهُ ... بَردٌ تحدر من مُتون غَمام

فانظر إلى رقة هذا الكلام .. (وقال) ايضا

وابنُ اللَبون اذا مَالزّ فى قرنٍ ... لم يستطع صولة البزل القناعيس [1]

فانظر الى صلابة هذا الكلام .. والفرزدق يجرى على طريقة واحدة . والتصرف فى الوجوه ابلغ .. وقال أبو نواس

قُلْ لِذى الوَجْهِ الطريرِ ... وَلِذِى الرّدف الوَثيرِ

وَلِمِغْلاق همومي ... ولمفتاح سُروري

يا قليلاً فى التلاقى ... وكثيرا فى الضّمير

فانظر الى سلاسة هذا الكلام وسهولته . (وقال)

مَا هوًى الاّ له سَببُ ... يَبتدِى منْه وَينشعبُ

فَتَنتْ قلبي محجبّة ... برداء الحسْن تَنتقبُ

خُليتْ والحُسْنَ تأخذُه ... تَنتقِى منه وتَنتخبُ

---

(١) ابن اللبون . ولد الناقة اذا طعن فى الثالثة . ولز . شد والصق . والقرن بفتحتين لغة فى الحبل .. وقال الثعالبى لا يقال للحبل قرن حتى يقرن فيه بعيران والبزل . واحدة بازل البعير الذى قطر نابه بدخوله فى السنة التاسعة . والقناعيس جمع قنعاس بالكسر العظيم من الابل

فانتقت منه طرائفه ۞ واستزادت فضل ما تهب

صار جدا ما مزحت به ۞ رب جد جره اللعب

فهذا اجزل من الاول قليلا . . وقال فى صفة الكلب (١)

انعت كلبا جال في رباطه ۞ جول مصاب فر من اسماطه (٢)

(عند طبيب خاف من سياطه) ۞ هجنا به وهاج من نشاطه

كالكوكب الدرى فى انحطاطه ۞ عند تهاوي الشد وانبساطه (٣)

يقحم الهايد فى حطاطه ۞ وقده البيداء فى اغتباطه (٤)

---

(١) اختلف نسخ الاصل فى هذا الرجز بين المقتصر على بعضه والمثبت لكله مع التقديم والتأخير وكذا فى كثير من مفردات الفاظه فتحريت من مجموعها الاصح معنى مع مراعات اتفاق اكثر النسخ عليه فاثبته ثم راجعت ديوان شعره الذى جمعه حمزة بن الحسن الاصبهانى فوجدت فيه زيادة فالحقتها بالاصل بين هلالين تتميما للفائدة

(٢) الاسماط . من اسعط الدواء ادخله انفه

(٣) الانحطاط . الانحدار من علو .. وفى احدى نسخ الاصل كما فى الديوان الانخراط .

(٤) الحطاط . كالانحطاط . والقد . من قد المسافر الفلاة خرقها أى قطعها . وفى أكثر النسخ بالفاء .. من فد يفد فدا . وهو شدة الوطء على الارض من اشر أو مرح كما فى المخصص عن ابن دريد . والاغتباط . بالغين المعجمة هكذا فى جميع نسخ الاصل . وهو فى التبجج على حسن حال ومسرة . أو السير الدائم من قولهم سير مغبط ومغمط أى دائم لا يستريح كما فى اللسان . وفى الديوان الاعتباط . بالعين المهملة من قولهم اعتبطت الريح وجه الارض قشرته .. ونسب ذلك الى الكلب مبالغة فى شدة عدوه وجاء فى نسخة الاختباط

لمّا رأى العلهبَ في أقواطه ❊ سابحه ومرّ في التباطه[1]

كالبرق يقري المرو بالقاطه ❊ مثل قُلّي طار في انفاطه[2]

وانصاع يتلوه على قطاطه ❊ أغضف لا ييأس من خلاطه[3]

يصيد بعد البعد وانبساطه ❊ ان لم يبتّ القلب من نياطه[4]

فلم يزل يأخذ في لعاطه ❊ كالصقر ينقضّ على غطاطه[5]

يقشر جلد الارض من بلاطه ❊ باربع يذهب في افراطه

لشدّة الجري ولاستحطاطه ❊ ماأن يمسّ الارض في أشواطه

قد خدشت رجلاه في آباطه ❊ وخرّق لاذنين بانتشاطه[6]

---

(١) العلهب . التيس الطويل القرنين . والثور الوحشي . والاقواط . جمع قوط وهو في الاصل القطع اليسير من الغنم . وفي نسخة ـ افراطه ـ بدل اقواطه وقوله ـ سابحه ـ اى ابعد منه في السير ـ والالتباط ـ العدو في وثب

(٢) يقري . من قرى الارض يقري قروا وقريا وهو التتبع . قال ابن سيده قروت الارض وكروتها . تتبعتها . وفي نسخة بالفاء من فرى الشيء فريا قطعه وشقه . وفي الديوان . يذري . من ذرى الشيء اذا اطاره في الهواء . والانفاط من نفطت القدر تنفط اذا غلت وتبجست . وقال بعض الشراح هي الفقاقيع المتناثرة في الهواء من القلي عند شدة غليانه

(٣) انصاع . انفتل راجعا مسرعا . والقطاط بالكسر المثال يحذو عليه الحاذي . والاغضف . المسترخي الاذن من الكلاب . وفي أقرب الموارد . الغضف صفة غالبة على كلاب الصيد

(٤) البت . القطع . والنياط . البعد

(٥) اللطاط . الملازمة والضبط . والغطاط . بالفتح القطا أو نوع خاص منه

(٦) الخدش . معلوم . وفي نسخة الخرش . وهو لغة في الخدش

خلجُ ذراعيه الى ملاطه ... ينقد عند الضيق بانعطاطه [١]

فى هبوات الضيق آوْرياطه) ... فادرك الظبي ولم يباطه [٢]

ولف عشرين الى اشراطه ... فلم تزل تقرن فى رباطه

ويعجل الشاوون من خماطه ... ويطبخ الطابخ من اسقاطه [٣]

حتى علا فى الجو من شياطه

فانظر اليه كيف يتصرف بين الشدة واللين ويضع كل واحد منهما فى موضعه. ويستعمله فى جبينه

وقوله ولا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة . ولا الملوك بكلام السوقة . . لأن ذلك جهل بالمقامات . وما يصلح فى كل واحد منها من الكلام . وأحسن الذى قال . لكل مقام مقال . وربما غلب سؤ الرأى . وقلة العقل . على بعض علماء العربية . فيخاطبون السوقى . والمملوك . والاعجمى بألفاظ أهل نجد . ومعانى أهل السراة . كأبى علقمة . إذ قال لحجامه . اشدد قصب الملازم . وارهف ظباة

(١) الخلج . الجذب والانتزاع . وفى نسخة . الجالح . وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس . والملاط . ككتاب المرفق . وقيل الكتف بالمنكب والعضد والمرفق . والانعطاط . الثنى من غير كسر وفسره شارح الديوان بالانشقاق والبيت فى نسخة الديوان هكذا

خاج ذراعيه الى ملاطه ... ينقد عنه الصيق بانعطاطه

وقال الصيق بكسر الصاد المهمله الغبار الجائل فى الهواء ولم أره فى نسخ الاصل فليحرر

(٢) الهبوات . جمع هبوة بالفتح وهى الغبرة . والرياط . من راط الوحشى بالأكمة يربط أى لاذ هكذا فى اللسان عن أبى زيد

(٣) ويعجل الشاوون من خماطه . هكذا فى نسخ أربعة من الأصل . وفى الديوان ويخمط الخ . من خمط اللحم يخمطه خمطا فهو خميط إذا شواه

المشارط . وأمر المسح . واستنجل الرشح . وخفف الوطء . وعجل النزع . ولا تكرهن أبيا . ولا تمنعن أتيا . . فقال له الحجام ليس لى علم بالحروب (١) . . ورأى الناس قد اجتمعوا عليه .. فقال مالكم تكأكأتم على كأ نكم فدتكأكأتم ذى جنة افرنقعوا (٢) عنى . . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن على بن محمد الاسدى . عن محمد بن ابى المغازل الضبى . عن ابيه . . قال كان لنا جار بالكوفة لا يتكلم إلا بالغريب . فخرج الى ضيعة له على حجر معها مهر فأفلتت . فذهبت ومعها مهرها . فخرج يسأل عنها . فمر بخياط . فقال يا ذا النصاح . وذات السم . الطاعن بها فى غير وغى . لغير عدى . هل رأيت الخيفانة القباء . يتبعها الحاسن المسرهف . كأن غرته القمر الأزهر . ينير فى خضرة كالخلب الأجرد . فقال الخياط اطلبها فى تزلخ (٣) . فقال ويلك وما تقول قبحك الله فما أعلم رطانتك .

---

(١) الملازم . جمع ملزم بكسر الميم وإسكان اللام خشبتان تشدأوساطها بحديدة ونحوها يجعل فى طرفها مفتاح معوج طويل أو خشبة تجعلها تحت أخرى لتحركها تسمى قناحة وفى نسخة بدل الملازم . اللهازم . جمع لهزم وذلك الحاد القاطع من السيوف وغيرها . وأرهف . أى رفق . والظباة . ظبة السيف متنه — والمشارط — مبضع الحجام الذى يشرط به الجلد لاستفراغ الدم — وقوله استنجل الرشح — أى استخرج النز — وقوله بالحروب — أراد به التبكيت وفى نسختان من الاصل بالحروف

(٢) تكأكأ — بالهمز تجمع — وافرنقعوا — إذهبوا

(٣) النصاح — الخيط والسلك — وذات السم — الابرة ذات الثقب — والخيفانة — الفرس الطويلة — والقباء — الدقيقة الخصر الضامرة البطن . والحاسن . من حسن يحسن حسنا فهو حاسن وفى نسخة الحابس بالباء قبل السين . والمسرهف . المنعم . والخلب الأجرد . هكذا فى نسختين من الاصل وفى نسخة الأخزر . فالخلب بضم أوله وإسكان اللام كما بالاصول يطلق على الوشى . والأخزر . الضيق العين . وقوله فى تزلخ . أراد به التهكم والزلخ الزلق

فقال لعن الله أبغضنا لفظا . وأخطأنا منطقا . ومثله ما أخبرنا به ابو أحمد عن أبى بكر الصولى قال حدثنا احمد بن اسماعيل . قال حدثنى سعيد بن حميد . قال نظر رجل إلى أبى علقمة . وتحته بغل مصرى حسن المنظر . فقال إن كان مخبر هذا البغل كمنظره فقد كمل . فقال أبو علقمة والله لقد خرجت عليه من مصر . فتنكبت الطريق . مخافة السراق . وجور السلطان . فبينما أنا أسير فى ليلة ظلماء . قتماء . طخياء . مدلهمة . حندس . داجيــة . فى صحصح أملس . إذ أحس بنبأة . من صوت نغر . او طيران ضوع . او نغص سبد . فحاص عن الطريق متنكبا لعزة نفسه . وفضل قوته . فبعثته باللجام فعسل . وحركته بالركاب فنسل . وانتعل الطريق يغتاله معتزماً . والتحف الليل لايهابه مظلما . فوالله ما شبهته الا بظبية نافرة . تحفزها فتخاء شاغية . . قال الرجل ادع الله وسله ان يحشر هذا البغل معك يوم القيامة . . قال ولم . . قال ليجيزك الصراط بطفرة (١) . . وقال ابو علقمة لطبيب . أجد رسيساً فى أسناخى وأرى وجعاً فيما بين الوابلة الى الاطرة من دايات العنق . . فقال الطبيب هى هى هذا وجع القريشى (٢) . . قال وما يبعدنا منهم يا عدى نفسه . نحن من أرومة واحدة . ونجل واحد . . قال الطبيب كذبت وكلما خرج هذا الكلام من جوفك كان أهون لك . . قال بل لك .

---

(١) الطخياء . الليلة المظلمة . والصحصح . ما استوى من الارض . والنغر البلابل من الطيور وفراخ العصافير وقيل طير كالعصافير حمر المناقير . والضوع بالضاد نوع من الطير قيل طير الليل وقيل غيره وفى نسخة بالصاد المهملة . والنغض التحرك . والسبد . كصرد طائر لين الريش اذا وقع عليه قطرتان من الماء تحرك وعسل . تحرك . والحفز . الدفع من خلف . والفتخاء . العقاب اللينة الجناح والشاغية . وصف لنوع منها فهى كالكواسر . والطفر . وثب فى ارتفاع

(٢) الرسيس . ابتداء الحمى وذلك اذا تمطى المحموم وفتر جسمه . والاسناخ الاصول . والوابلة . طرف الكتف . والاطرة . بفتح فسكون عطف الشىء ودايات العنق . فقارها

الهوان والخسار والحقارة والسباب . اخرج عنى قبحك الله . . وقال لجارية كان يهواها يا خريدة قد كنت أخالك عروبا . فاذا أنت نوار . مالى أمقك . وتشنئينى قالت يا رقيع . ما رأيت أحداً يحب أحداً فيشتمه ،،

وإذا كان موضوع الكلام على الافهام . . فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس . فيخاطب السوقى . بكلام السوقة . والبدوى بكلام البدو . . ولا يتجاوز به عما يعرفه . الى مالا يعرفه . فتذهب فائدة الكلام . وتعدم منفعة الخطاب

وقوله ولا يدقق المعانى كل التدقيق . لان الغاية فى تدقيق المعانى سبيل الى تعميته . وتعمية المعنى لكنه . . (الا) إذا أريد به الالغاز وكان فى تعميته فائدة مثل أبيات المعانى وما يجرى معها من اللحون التى استعملوها وكنوا بها عن المراد لبعض الغرض . . (فاما) من أراد الابانة فى مديح . أو غزل . أو صفة شيء فاتى باغلاق . دل ذلك على عجزه عن الابانة . وقصوره عن الافصاح . . كأبى تمام حيث يقول

خَانَ الصَّفاءَ اخٌ خانَ الزمانُ أخاً   عَنْهُ فلمْ يتَخوَّنْ جِسْمهُ الكَمَدُ[1]

وقوله :

يَوْمٌ افاضَ جوىً اغاضَ تَعزِّياً   خاضَ الهوى بَحْرَيْ حِجاهِ المُزْبِد

وقوله :

وانَّ تَجرِبَةً بانتْ جَأرْتُ لهَا   الى يَدَىْ جَلديْ فاستوْهتَ الجَلَدُ[2]

(١) فى نسخة (خان الزمان أخ كان الزمان له • أخا الخ) وفى ديوانه (خان الصفاء أخ خان الزمان له • أخا فلم الخ

(٢) هكذا البيت فى أصح نسخ الاصل وفى نسخة

وان تجربة نابت صبرت لها   الى ذرى جلدى فاستوهل الجلد

وفى ديوانه (وان تجربة نابت جاءرت لها الخ) — الوهك — الضعف — والوهل — الفزع

وقوله :

جهْميَّة الاوصاف إلا انَّهم قدْ لقبوها جوْهر الاشْياءِ

وقوله ولا تنقح الالفاظ كل التنقيح ،، وتنقيح اللفظ أن يبنى منه بناء لا يكثر فى الاستعمال . كما قال بعضهم لبعض الوزراء . احسن الله ابانتك . . فقال له الوزير . عجل الله اماتتك . . (ويدخل) فى تنقيح اللفظ استعمال وحشيه وترك سلسه وسهله . . وقد أخذ الرواة على زهير قوله

تَقِيٌّ تَقِيٌّ لم يكثِّرْ غنيمة بنهكة ذى القُربَي ولا بحقَلَّدِ

فاستبشعوا الحقلد وهو السيء الخلق . . وقالوا ليس فى لفظ زهير انكر منه وقال يحى * ابن يعمر لرجل حاكمته امرأته اليه . . أأن سألتك ثمن شكرها وشبرك . انشأت تطلها وتضهلها . الشكر الرضاع والشبر النكاح وتطلها تسعى فى بطلان حقها وتضهلها تعطيها الشيء القليل (١)

قال أبو عثمان رأيتهم يديرون فى كتبهم هذا الكلام .. فان كانوا انما رووه ودونوه لانه يدل على فصاحة وبلاغة فقد باعده الله من صفة الفصاحة والبلاغة. وان كانوا فعلوا ذلك لانه غريب فابيات من شعر العجاج . وشعر الطرماح . واشعار هذيل . يأتى لهم مع الرصف الحسن على اكثر من ذلك . ولو خاطب أحد الاصمعى بمثل هذا الكلام لظننت أنه سيجهل بعضه . وهذا خارج عن عادة البلغاء .

قوله ويصفيها كل التصفية ويهذبها كل التهذيب ، فتصفيته تعريته من الوحشى . ونفى الشواغل عنه . . وتهذيبه تبريئته من الردى المرزول . والسوقى

---

(١) وفى نسخة . والضهل الماء القليل .. أقول الحكاية أوردها ابن الانبارى فى طبقات النحاة هكذا (آأن سألتك ثمن شكرها ومرك انشأت تطلها وتضلها) ثم قال فى تفسيرها (الشكر الفرج والسر النكاح ويروى وشبرك والشبر (بتحريك الباء) العطاء

المردود ... (فن) الـكلام المهذب الصـافى . قول بعض الـكتاب . . مثالك أوجب حقا لا يجب عليه . وسمح بحق وجبله . وقبل واضح العذر . واستكثر قليل الشـكر . لا زالت أياديك فوق شكر أوليائك . ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيك . . ومثله قول آخر . . ما انتهى الى غاية من شكرك . الا وجدت وراثها حادثا (١) من برك • فلا زالت أياديك ممدودة بين آمل فيك تبلغه • وأمل فيك يحققه • حتى تتملى من الاعمار أطولها • وتنال من الدرجات أفضلها • وقوله أحمد بن يوسف • يومنا يوم لين الحواشى • وطىء النواحى • وهذه سماء قد تهللت بودقها . وضحكت (بعابس غيمها) ولا مع برقها . وأنت قطب السرور . ونظام الامور . فلا تغب عنا فنقل . ولا تفردنا فنستوحش . فان الحبيب بحبيبه كثير . وبمساعديه جدير

وقوله ولا يفعل ذلك حتى يلتقى حكيما . وفيلسوفا عليما . ومن تعود حذف فصول الـكلام . ومشتركات الالفاظ . ونظر فى المنطق على جهة الصناعة فيها . لاعلى جهة الاستطراف والتطرف لها .

يقول ينبغى ان يتكلم بفاخر الـكلام . ونادره ورصينه ومحكمه . عند من يفهمه عنه . ويقبله منه . ممن عرف المعانى والالفاظ علما شافيا . لنظاره فى اللغة والاعراب والمعانى على جهة الصناعة . لا كمن استطرف شيئاً منها . فنظر فيه نظراً غير كامل . أوأخذ من أطرافه . وتناول من أطراره • فتحلى باسمه • وخلا من وسمه • فاذا سمع لم يفقه • واذا سئل لم ينقه • واذا تكلم عند من هـذه صفته • ذهبت فائدة كلامه • وضاعت منفعة منطقه • (لان) العامى اذا كلمته بكلام العلية سخر منك • وزرى عليك • كما روى عن بعضهم انه قال لبعض العامة • بم كنتم تنتقلون البارحة • يعنى على النبيذ • فقال بالحمالين • ولوقال له أى شىء (٢) كان نقلكم لسلم من سخريته • فينبغى ان يخاطب كل فريق بما يعرفون • ويتجنب مايجهلون

وأما قوله من تعود حذف فضول الـكلام • فحذف فضول الـكلام هو ان

---

(١) وفى نسخة حاديا (٢) نسخة ايش

يسقط من الكلام ما يكون الكلام مع اسقاطه تاماً غير منقوص ولا يكون فى زيادته فائدة. وذلك مثل ماروى عن معاوية انه. قال لصحار العبدى. ما البلاغة. فقال ان تقول فلا تخطىء. وتسرع فلا تبطىء. ثم قال اقلنى هو ان لا تخطىء ولا تبطىء. فالقى اللفظتين. لان فى الذى أبقى غنى عنهما. وعوضاً منهما. (فاما) اذا كان فى زيادة الالفاظ وتكثيرها. وترديدها وتكريرها. زيادة فائدة. فذلك محمود وهو من باب التذييل ونشرحه فى موضعه ان شاء الله :

وقوله ومشتركات الالفاظ. وقول جعفر بن يحى وتخرجه من الشركة. فهو ان يريد الابانة عن معنى فيأتى بالفاظ لا تدل عليه خاصة. بل تشترك معه فيها معان أخر، فلا يعرف السامع أيها أراد وربما استبهم الكلام فى نوع من هذا الجنس حتى لا يوقف على معناه الا بالتوهم. فمن الجنس الاول قول جرير

لو كنت أعلم ان آخر عهدكم … يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

فوجه الاشتراك فى هذا، ان السامع لا يدرى الى أى شىء أشار من أفعاله فى قوله فعلت مالم أفعل. أراد ان يبكى اذا رحلوا. أو يهيم على وجهه من الغم الذى لحقه. أو يتبعهم اذا ساروا. أو يمنعهم من المضى على عزمة الرحيل. أو يأخذ منهم شيئاً يتذكرهم به. أو يدفع اليهم شيئاً يتذكرونه به. أو غير ذلك. مما يجوز ان يفعله العاشق عند فراق أحبته. فلم يبن عن غرضه واحوج السامع الى ان يسئله عما أراد فعله عند رحيلهم. وليس هذا كقولهم — لو رأيت عليا بين الصفين — لان دليل البسالة والنكاية فى هذا الكلام بين. وامارة النقصان فى بيت جرير واضحة. فمن يسمعه وان لم يكن من أهل البلاغة يستبرده ويستغثه. ويسترجع الآخر ويستجيده ومثله قول سعد بن مالك الازدى.

فأنك لو لاقيت سعد بن مالك … للاقيت منه بعض ما كان يفعل

فلم يبن عما أراد بقوله يلقى. أخيراً أراد. أم شراً. الا ان يسمع ما قبله أو ما بعده. فيتبين معناه.. وأما فى نفس البيت فلا يتبين مغزاه.. ومثله قول أبى تمام

وقمنا فقلنا بعد أن أفرد الثرى　　به ما يقال فى السحابة تقلع

فقول الناس فى السحاب اذا اقلع . على وجوه كثيرة . فمنهم من يمدحه . ومنهم من يذمه . ومنهم من كان يحب اقلاعه . ومنهم من يكره اقشاعه . على حسب ما كانت حالاتها عندهم . ومواقعها منهم . فلم يبن بقوله مايقال فى السحابة تقلع . معنى يعتمده السامع . وأبين منه . قول مسلم

فاذهبْ كما ذهبتْ غوادى مُزْنَةٍ　　أثنى عليها السَّهْلُ والأَوْعارُ

على ان المحتج له لو قال ان أكثر العادة فى السحاب . ان يحمد أثره . ويثنى عليه بعده . لما كان مبعداً . . ولم أرد عيب أبى تمام بما قلت .. (وانما) أردت الاخبار عن وجوه الاشتراك . وذكر ما يتشعب منه وما يقرب من بابه وينظر اليه من قريب أو بعيد . ومثل قول ابى تمام .. قول ابن (قيس) الرقيات.

إن تعش لا نزلْ بخيرٍ وإن تهـ　　لكْ نزُلْ مثل ما يزول العماءُ

والعماء السحاب . . بل هـذا أجود من بيت أبى تمام وأبين . . ومن اللفظ المشترك . . قول أبى نواس

وخبن ما يُخبن من آخرٍ　　منـه وللطّابن أمهارُ[(١)]

الامهار ها هنا جمع مهر من قولهم مهر يمهر مهراً . والمصادر لا تجمع . ولا يشك سامع هذا الكلام أنه يريد جمع مهر فيشكل المعنى عليه . وخطب بعض المتكلمين . فقال فى صفة الله تعالى . لا يقاس بالقياس . ولا يدرك بالالماس . أراد جمع لمس . فأصاب السجع وأخطأ المعنى . (وأما) ما يستبهم فلا يعرف معناه إلا بالتوهم . مثل قول أبى تمام

(١) هكذا البيت فى أصح نسخ الاصل وفى نسخة ــ وحذف مايخنم مابعده . منه الخ وفى نسخة الديوان ــ وخبن ما يخبن من بعده . الخ ــ الطابن ــ الفطن ــ والامهار ــ لعله افعال من المهر وهو الحذق هكذا ذكره بعض الشراح

جهمية الأوصاف الا أنهم   قد لقبوها جوهر الاشياء

فوجه الاشتراك فى هذا . ان لجهم مذاهب كثيرة . وآراء مختلفة متشعبة . لم يدل فحوى كلام أبى تمام على شىء منها . يصلح أن يشبه به الخمر وينسب اليه . الا أن يتوهم المتوهم فيقول انما أراد كذا وكذا من مذاهب جهم من غير ان يدل الكلام منه على شىء بعينه ولا يعرف معنى قوله : قد لقبوها جوهر الاشياء . إلا بالتوهم ايضا

ومن الكلام الخالى من الاشتراك (١) . قول بعضهم لأخ له أراد فراقه . لما تصفحت أخلاقك فوجدتها مباينة لمشاكلتى . زايغة عن قصد طريقتى — صبرت عليها — رياضة لنفسى على الصبر لمساوى أخلاق المعاشرين — ولعلمى بكامن العدوان فى جميع العالمين — والذى رجوت من مزمة (٢) خصالك . بما أقابلها به من التجاوز . وأسحب على سؤ آثارها أذيال التغاضى . وأنت مع ذلك دائب لا تقوم اعوجاج مذاهبك . ولا يعطف بك الرأى الى رشدك . فلما فنيت حيلتى فيك . وانقطعت أسباب أملى منك . ورأيت الداء لا يزيد على التعهد بالدواء إلا فساداً . والخرق على الترقيع إلا اتساعاً . قدمت اليأس منك . على الرجاء . فيك . واحتسبت أيامى السالفة . فى استصلاحى لك . .

وقوله وحق المعنى ان يكون له الاسم طبقاً . . أى يكون الاسم طبقا للفظ بقدر المعنى غير زايد عليه . ولا ناقص عنه . . وكان ذلك من قول امرىء القيس

طَبق الأرضِ تحرّى وتدرّ

أى هى على الارض كالطبق على الاناء إلا ينقص منه شىء . . وسنأتى بالكلام على هذا فى فصل الايجاز ان شاء الله .

وقوله ولا يكون الاسم فاضلا ولا مقصراً . . (فهذا) داخل فى الاول من قوله . وحق المعنى ان يكون الاسم له طبقا . ومثال الفاضل من اللفظ عن المعنى قول عروة . بن أذينة

(١) فى نسختين من الاصل . الاشتمال . بدل قوله الاشتراك فليحرر
(٢) نسخة من مرمة خصالك

واسقِ العدوَّ بكأسه واعلم له ... بالغيب ان قد كان قبل سقاكها
واجز الكرامة من ترى ان لوله ... يوماً بذلت كرامة لجزاكها

ومعنى هذا الكلام محصور تحت ثلاث كلمات . اجز كلا بفعله . . وكان السكوت لعروة خيراً منه . . ومن الكلام الفاضل لفظه عن معناه . . قول أبى العيال الهذلى

ذكرتُ اخي فعاودني ... صُداع الرأس والوصبُ

فذكر الرأس مع الصداع فضل . . وقول أوس بن حجر .

وهم لمقلّ المال اولادُ علّةٍ ... وإن كان محضاً في العمومة مخولا

فقوله المال مع المقل فضلة . .

والمقصر من الكلام . مالا ينبيك بمعناه عند سماعك إياه ويحوجك إلى شرح . . كبيت الحارث بن حلزة .

والعيش خيرٌ فى ظلال النُّ ... وك ممّن رام كدّا

وسنذكر وجه العيب فيه بعد هذا . .

وقوله ولا مضمنا : التضمين ان يكون الفصل الاول . مفتقراً الى الفصل الثانى . والبيت الاول محتاجا الى الاخير . . كقول الشاعر

كأنّ القلبَ ليلة قيل يغدي ... بليلى العامريّة او يُراحُ
قطاةٌ غرّها شركٌ فباتت ... تُجاذبه وقد علق الجناحُ

فلم يتم المعنى فى البيت الاول حتى أتمه فى البيت الثانى وهو قبيح . . ومثاله من نثر الكتاب قول بعضهم وجعل سيدنا آخذاً من كل مادعى ويدعى به فى الاعياد . بأجزل الاقسام وأوفر الاعداد . .

وقد تسمى استعارتك الانصاف والابيات من شعرغيرك . وادخالك إياه فى أثناء (أبيات) قصيدتك تضميناً . .وهذا حسن وهو كقول الشاعر

اذا دأبه عزمٌ على الحزم لم يقل   غداً غدها إن لم تَعقْها العوايقُ
ولكنّه ماض على عزم يومه   فيفعل ما يرضاهُ خلقٌ وخالقُ

فقوله ـ غداً غدها ان لم تعقها العوايق ـ من شعر غيره وهو هاهنا مضمن ـ وكقول الآخر

عَوّذَ لمّا بتُ ضيفاً له   اقراصه بُخلاً بياسين
فبتُّ والارضُ فراشي وقدْ   غنّت (قفا نبك) مصاريني

وقول الآخر

ولقدْ سما للخُرَّمِيّ ولمْ يقُلْ   بعد الوغا (لكن تضايقَ مَقْدَمي)

وقول ابن الرومى • فى مغن

مجلسه مأتم اللذاذة وال   قصف وعرس الهموم والسقم
ينشدنا اللهو عند طلعته   (من أوحشته الديار لم يقم)

وكقول جحظة •

أصبحت بين معاشر هجروا الندي   وتقبلوا الأخلاق عن أسلافهم
قوم أحاول نيلهم فكأنما   حاولت نتف الشعر من آنافهم
هات اسقنيها بالكبير وغنني   (ذهب الذين يعاش في أكنافهم)

وباقى كلامه (١) يتضمن صفة المتكلم لا صفة الكلام ... الا قوله . . ويكون تصفحه لموارده . بقدر تصفحه لمصادره . . وسنأتى على الكلام فى هذا ونستقصيه . فى فصل المقاطع والمبادى

وقال بعض الحكماء . البلاغة قول يسير • يشتمل على معنى خطير • وهذا

(١) الضمير عائد على قوله قال واعلم أن حق المعنى أن يكون له الاسم طبقا) الى آخر ما تقدم

مثل قول الآخر البلاغة حكمة تحت قول وجيز • وقول الآخر البلاغة علم كثير . فى قول يسير . . ومثاله قول الاعرابى وقد سئل عن مال يسوقه . لمن هو .. فقال لله فى يدى . فاى شيء لم يدخل تحت هذا الكلام القليل من الفوائد الخطيرة • والحكم البارعة الجسيمة • وقال الله عز وجل اسمه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) قد دخل تحت قوله فهو حسبه من المعانى مايطول شرحه من ايتاء مايرجى • وكفاية مايخشى • • وهذا مثل قوله عز وجل (وفيها ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين) •• وسئل بعض الأوايل ما (كان) سبب موت أخيك قال كونه فأحسن ماشاء • وقد تنازع الناس فى هذا المعنى • اخبرنا أبو احمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشى • قال قيل لاعرابى كيف حالك . فقال ماحال من يفنى ببقائه • ويسقم بسلامته • ويؤتى من مأمنه • وأخبرنا أبو احمد قال حدثنا محمد بن يحيى • قال حدثنا الغلابى قال حدثنا ابن عائشة • قال قلت لابى حدثنى حماد بن سلمة • عن حميد • بن ثابت • عن أنس • والحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (كفى بالسلامة داءً) (١) قال يابنى ولا أراه الا مسنداً فقد قال حميد بن ثور •

اری بصری قد رابنی بعد صحة　　　وحسبك داءً أن تصح وتسلما

وقال آخر

كانت قناتى لا تلين لغامز　　　فالانها الاصباح والامساءُ

ودعوت ربى بالسلامة جاهدا　　　ليصحني فاذا السلامة داءُ

وأول من نطق بهذا المعنى النمر بن تولب . فى الجاهلية

يود الفتى طول السلامة والغنى　　　وكيف يرى طول السلامة تفعل

يرد الفتى بعد اعتدال وصحة　　　ينوء اذا رام القيام ويحمل

(١) الحديث خرجه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عباس

وقال آخر

ما حال من آفته بقاؤه　　نغص عيشى كله فناؤه

وقال ابن الرومى

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة　　اذا زال عن نفس البصير غطاؤها
وكيف بقاء العيش فيها وانما　　ينال بأسباب الفناء بقاؤها

ونقله الى موضع آخر فقال

فان الداء أكثر ما تراه　　من الاشياء يحلو في الحلوق

وقريب من ذلك • قول محمد بن على رضى الله عنهما .. مالك من عيشك . الا لذة تزدلف بك الى حمامك . وتقربك من يومك . فأية أكلة ليس معها غصص وشربة ليس معها شرق . فتأمل امرك . فكأنك قد صرت الحبيب المفقود . او الخيال المخترم .. وقال أبو العتاهية

اسرع في نقص امرىء تمامه

ومن الامثال — كل من أقام شخص . وكل من زاد نقص . ولو كان يميت الناس الداء لاحياهم الدواء .. وقال آخر

اذا تم أمر دنا نقصه　　توقع زوالا اذا قيل تم

وقلت :

(ما خير عيش صفوه يكدره)　　(لابد أن يشكوه من يشكره)
(والمرء ينسى والمنايا تذكره)　　(يميته بقاؤه فيقبره)
(وكسره منه الذى لا يجبره)　　(يطويه من مداه مالا ينشره)
(فى كل مجرى نفس يكرره)　　(يهدم من عمرك مالا تعمره)

وقلت :

قد قرب الأمر بعد بعده وأسعف الالف بعد صده
وبعد بؤس وضيق عيش صرت الى خفضه ورغده
لكنه مالبس معار لا بد من نزعه ورده
وهل يسر الفتى بحظ وجوده علة لفقده

وقال ابن الرومى.. البلاغة حسن الاقتضاب . عند البداهة . والغزارة . عند الاطالة ، الاقتضاب اخذ القليل من الكثير .. وأصله من قولهم اقتضبت الغصن اذا قطعته من شجرته . . وفيه معنى السرعة ايضاً . . فيقول البلاغة اجادة فى اسراع . واقتصار على كفاية

فمن البديهة الحسنة : ماأخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا ابراهيم بن محمد الشطنى قال حدثنى احمد بن يحى ثعلب قال دخل المأمون ديوان الخراج فمر بغلام جميل على اذنه قلم فاعجبه ماراًى من حسنه فقال من أنت ياغلام فقال ياأمير المؤمنين الناشئ فى دولتك . وخريج أدبك . والمتقلب فى نعمتك الحسن بن رجا فقال المأمون : بالاحسان فى البديهة تفاضلت العقول ثم أمر أن يرفع عن مرتبة الديوان ويعطى مائة الف درهم

ومن الاقتضاب الجيد : ماأخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنى أبو احمد الواذارى عن شيخ له * قال قال أبو حاتم * سمعت أبا عبيدة * يقول استفتحت غلامين فى الصبى . فزكنت (١) منهما بلوغ الغاية . فجا آكما زكنت بلغنى أن النظام يتعاطى علم الكلام فمر وهو غلام على حمار يطير به فقلت له ياغلام ماعيب الزجاج فالتفت الى وقال يسرع اليه الكسر . ولا يقبل الجبر — وبلغنى أن أبا نواس يتعاطى قرض الشعر فتلقانى وهو سكران ملتخ (٢) وما طر شاربه بعد فقلت له كيف فلان عندك فقال ثقيل الظل . جامد النسيم فقلت زد

(١) الزكن — التفرس . وقيل ظن بمنزلة اليقين
(٢) ملتخ — أى مختلط لايفهم شيئاً لاختلاط عقله

فقال مظلم الهواء . منتن الفناء فقلت زد فقال غليظ الطبع . بغيض الشكل
فقلت زد فقال وخم الطلعة . عسر القلعة قلت زد قال نابي الجنبات .
بارد الحركات ثم قال زدني سؤالا . ازدك جواباً فقلت كفى من القلادة .
ماحاط بالعنق

ومن جيد البداية : ما اخبرنا به أبو أحمد قال أخبرني أبي عن عسل بن ذكوان
قال قال المأمون ليحي ابن اكثم * صف لي حالي عند الناس فقال يا أمير المؤمنين
قد انقادت لك الامور بازمتها . وملكتك الأمة فضول اعنتها . بالرغبة اليك
والمحبة لك . والرفق منك . والعياذ بك . بعدلك فيهم . ومنك عليهم . حتى
لقد انسيتهم سلفك . وآيستهم خلفك . فالحمد لله الذي جمعنا بك بعد التقاطع .
ورفعنا في دولتك بعد التواضع فقال يا يحي أتحبيراً . أم ارتجالا قال (قلت)
وهل يمتنع فيك وصف . أو يتعذر على مادحك قول . أو يفحم فيك شاعر .
أو يتلجلج فيك خطيب ــ وقدم على المهدي * رجل من أهل خراسان فقال
أطال الله بقاء أمير المؤمنين . انا قوم نأينا عن العرب . وشغلتنا الحروب عن
الخطب . وأمير المؤمنين يعلم طاعتنا . وما فيه مصلحتنا . فيكتفي منا باليسير
عن الكثير . ويقتصر على ما في الضمير دون التفسير فقال المهدي أنت أخطب
من سمعته وأخبرنا أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الكاغذي * قال أخبرنا
أبو بكر العقدي * قال أخبرنا أبو جعفر الخراز * قال أخبرنا المدايني أن اعرابيا
دخل على المنصور . فتكلم . فاعجب بكلامه فقال له سل حاجتك فقال يبقيك
الله . ويزيد في سلطانك فقال سل حاجتك فليس في كل وقت تؤمر بذاك .
قال ولم يا أمير المؤمنين فوالله ما استقصر عمرك . ولا أخاف بخلك . ولا اغتنم
مالك . وان سؤالك لشرف . وان عطائك لزين وما بامرىء بذل وجهه اليك نقص
ولا شين .. اخذ المعنى الاخير من أمية بن الصلت * في عبد الله بن جدعان

عطاؤك زين لامرىء ان حبوته   بسيب وما كل العطاء يزين

وليس بشين لامرء بذل وجهه　　اليك كما بعض السؤال يشين

وقال جعفر بن يحيى البلاغة ان يكون الاسم يحيط بمعناك . ويجلى عن مغزاك . وتخرجه من الشركة . ولا تستعين عليه بطول الفكرة . ويكون سالما من التكلف . بعيداً من سؤ الصنعة . بريا من التعقيد . غنياً عن التأمل .

قوله ان يكون الاسم يحيط بمعناك . فالاسم هاهنا اللفظ . أى يحصر اللفظ جميع المعنى ويشتمل عليه . فلا يشذ منه شيء يحتاج ان يعرف بشرح . أو تفسير فاذا سمعت اللفظ عرفت أقصى المعني . وهذا مثل قول الآخر . البليغ من طبق المفصل . فاغناك عن المفسر

ولا يكون الكلام بليغاً مع ذلك حتى يعرى من العيب . ويتضمن الجزالة والسهولة وجودة الصنعة . كما ذكرنا قبل : ومثال ذلك ما كتب بعضهم الى أخ له . أما بعد فان المرء ليسره درك مالم يكن ليفوته . ويسؤه فوت مالم يكن ليدركه . فليكن سرورك فيما قدمت من خير . وأسفك على مافاتك من بر - وقول اعرابى لابنه يابنى ان الدنيا تسعى على من يسعى لها . فاهرب قبل العطب . فقد أذنتك ببين . وانطوت لك على حين . قال الشاعر

حلال لليلى أن تروع فواده　　بهجر ومغفور لليلى ذنوبها

تطلّع من نفسى لليلى نوازع　　عوارف ان اليأس منك نصيبها

وزالت زوال الشمس عن مستقرها　　فمن مخبرى فى أى أرض غروبها

وقال آخر

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا　　سوى ان يقولوا اننى لك عاشق

أجل صدق الواشون أنت حبيبة　　الى وأن لم تصف منك الخلايق

وقوله ويجلى عن مغزاك . أى يوضح مقصدك . ويبين للسامع مرادك . ينهى عن التعمية والاغلاق . وقوله ويخرجه من الشركة . فقد مضى تفسيره . وقوله

ولا يستعين عليه بطول الفكرة . هذا لان الكلام اذا انقطعت اجزاؤه . ولم تتصل فصوله . ذهب رونقه . وغاض ماؤه . وانما يروق الكلام . اذا جرى جريان السيل . وانصب انصباب القطر . (وقال) ثمامة ما رأيت أحدا اذا تكلم . لا يتحبس . ولا يتوقف . ولا يتلفف . ولا يتلجلج . ولا يتنحنح . ولا يترقب لفظاً استدعاه من بعد . ولا يتلمس التخلص الى معنى قد اعتاص عليه بعد طلبه . الا جعفر بن يحيى .

(فمن) الكلام الجارى مجرى السيل . قول بعض العرب لبعض ملوك بنى أمية . اقطعت فلانا أرضا . وسط محلتنا . وسوآء خطتنا . ومركز رماحنا . ومبرك لقاحنا ومخرج نسائنا . ومنقلب آمائنا . ومسرح شآينا . ومندى بهمنا . ومحل ضيفنا . ومشرق شتائنا . ومصبحنا فى صيفنا . فقال تكفون : وعوضه عنها وردها عليهم . وأخبرنا أبو أحمد قال اخبرنى أبى عن عسل بن ذكوان . (ان) إلحسن بن على رضى الله عنهما خطب فقال . اعلموا ان الحكمة زين . والوقار مروءة . والصلة نعمة . والاكثار صلف . والعجلة سفه . والسفه ضعف . والغلق ورطة . ومجالسة أهل الدناءة شين . ومخالطة أهل الفسوق ريبة . (فهذه) هى البلاغة التامة . والبيان الكامل . (وكما) قال بعضهم . البلاغة صواب . فى سرعة جواب . والعى اكثار فى اهذار . وابطاء . يردفه اخطاء . (وقال) بعضهم لست ممن يتوهم بجهله . ويظن بقلة عقله . ان الديانة . والامانة . والنزاهة . والصيانة ، انما هى فى تشمير ثوبه . واحفاء شاربه . وكشفه عن ساقه . وزهوه باطاره . وانعال خفه . وترقيع ثوبه واظهار سجادته . وتعليق سبحته . وخفض صوته . وخشوع جسمه دون قلبه . واختلاس مشيته . وخفة وطئه بين قومه . ولا يرتشى فى حكمه . ويأخذ على علمه . ويطلب الدنيا بدينه . ولا يرفع طرفه من عظمته وكبريائه . ولا يكلم الناس من تصنعه وريائه . (فهذا) الكلام وأمثاله فى طول النفس . يدل على اقتدار المتكلم . وفضل قوته فى التصرف .

وقوله ويكون سليما من التكلف . فالتكلف طلب الشىء بصعوبة . للجهل

بطرايق طلبه بالسهولة . فالكلام اذا جمع وطلب بتعب وجهد . وتنولت الفاظه من بعد . فهو متكلف .(مثاله) قول بعضهم فى دعائه . اللهم ربنا والهنا . صل على محمد نبينا . ومن أراد بنا سوءاً فاحط ذلك السوء به . وارسخه فيه كرسوخ السجيل . على أصحاب الفيل . وانصرنا على كل باغ وحسود . كما انتصرت لناقة ثمود.

وقوله بريا من سؤ الصنعة . فسؤ الصنعة يتصرف على وجوه . (منها) سؤ التقسيم وفساد التفسير . وقبح الاستعارة والتطبيق . وفساد النسج والسبك . وسنذكر المحمود من هذه الابواب . والمذموم منها (فيما بعد) ان شاء الله . (وروى) انه قال بريا من الصنعة . فالصنعة النقصان عن غاية الجودة . والقصور عن حد الاحسان (وهو) مثل قول العايب . فى هذا الامر ـ بعد عمل ـ معناه انه لم يحكم . (ولما) دخل النابغة يثرب (١) (وغنى بقوله

أمن آل مية رايح أو مغتد

ومن هذه القصيدة

عنم يكاد من اللطافة يعقد

وعرف أنه عيب (٢) . خرج وهو يقول . دخلت يثرب فوجدت فى شعرى

---

(١) يثرب ـ اسم مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) سميت باسم بانيها رجل من العمالقة قاله السهيلى . وقد نص العلما على كراهة اطلاق هـذا الاسم عليها لانه يتناول معنى الثرب أو التثريب

(٢) العيب فى قوله يعقد ـ فان حقه الرفع والرواية فالجر فيكون فى البيت الاقواء وذلك مخالفة القافية برفع بيت وجر آخر . وقلت قصيدة لهم بلا اقواء وما حكاه المصنف من التغنى بقصيدة النابغة فقد أورده ابو الفرج الاصبهانى فى كتابة الاغانى مفصلا . وصدر البيت كما فى ديوانه من رواية الاصمعى (بمخضب رخص كأن بنانه . عنم الخ وقال شارحه الوزير أبو بكر البطليوسى ـ العنم ـ شجر لين الاغصان لطيفه

صنعة . فخرجت منها وأنا أشعر العرب . أى وجدت نقصانا عن غاية التمام . وأخبرنا ابو أحمد عن ابى بكر الصولى . قال كان ابن الاعرابى يأمر بكتب (جميع) ما يجرى فى مجلسه . قال فأنشده رجل يوماً أرجوزة ابى تمام فى وصف السحاب على انها لبعض العرب

سارية لم تكتحل بغمض كدرآء ذات هطلان محض
موقرة من خلةٍ وحمض تمضى وتبقى نعماً لا تمضي
قضتْ بها السماء حق الارض [1]

فقال ابن الاعرابى اكتبوها . (فلما) كتبوها قيل له انها لحبيب بن اوس . فقال خرق خرق لا جرم إن أثر الصنعة فيها بين . وقال الفرزدق . القصائد تصنعاً . أى معايا ومنقصة عن حد الاحسان

وقوله بعيدا عن التعقيد ، والتمقيد . والاغلاق . والتقعير . سواء . وهو استعمال الوحشى . وشدة تعليق الكلام . بعضه ببعض . حتى يستبهم المعنى . وقد ذكرنا أمثلة ذلك فيما تقدم . (ونذكر) ها هنا منها شيئاً

(فمثال) الوحشى . قول بعض الامراء وقد اعتلت أمه فكتب رقاعا وطرحها فى المسجد الجامع بمدينـة السلام . صين إمرؤ ورعى . دعا لامرأة انقحلة (٢) مقسئنة . قد منيت بأكل الطرموق . فأصابها من أجله الاستمصال . ان يمن الله عليها بالاطر غشاش . والابرغشاش . فكل من قرأ رقعته دعا عليها ولعنه ولعن

(١) السارية ـ السحابة تأتى ليلا ـ والخلة ـ بالضم ما فيه حلاوة من النبات ـ والحمض ـ نبات معروف تستطيبه الابل وعليـه قولهم . الخلة خبز الابل . والحمض فاكهتها

(٢) قوله انقحلة ـ هكذا فى نسخ الاصل ولم أقف لها على معنى . وقوله ـ مقسئنة ـ قال الجوهرى اقسأن الرجل اقسئنانا إذا كبر وعسا ـ وقوله منيت ـ أى ابتليت

أمه ـ الطرموق ـ الطين ـ والاستمصال ـ الاسهال ـ واطرغش . وابرغش ـ إذا أبل وبرأ

(ومثال) الشديد ، التعليق بعض الفاظه ببعض حتى يستبهم المعنى . كقول أبى تمام

جارى اليه البين وصل خريدة ماشت اليه المطل مشى الا كبد [1]

يايوم شرّد يوم لهوى لهوه بصباتى وازلّ عزّ تجلدى

يوم افاض جوًى اغاض تعزيا خاض الهوى بحري حجاه المزبد

جعل الحجا مزبداً .(وقوله) أيضا

والمجد لا يرضى بأن ترضي بأن يرضى المعاشر منك الاّ بالرضا [2]

وبلغنا أن إسحاق بن إبراهيم سمعه ينشد هذا وأمثاله عند الحسن بن وهب. فقال يا هذا لقد شددت على نفسك . والكلام إذا كان بهذه المثابة كان مذموماً

وقوله غنيا عن التأمل ، أى هو مستغن لوضوحه عن تأمل معانيه . وترديد النظر فيه . كقول بعضهم لصديق له . وجدت المودة منقطعة . مادامت الحشمة عليها مسلطة . ولا يزال سلطان الحشمة . إلا بملكة المؤانسة . (ومما) يؤيد ما قلناه . قول الجاحظ . من أعاره الله عز وجل من معونته نصيبا . وأفرغ عليه من محبته ذنوبا . حبب اليه المعانى . وسلس له نظام اللفظ . وكان قبل قد أعفى المستمع من كد التلطف . وأراح قارىء الكتاب من علاج التفهم

وقال العربى .. البلاغة التقرب من المعنى البعيد . والتباعد من حشو الكلام . وقرب المأخذ . وإيجاز فى صواب . وقصد الى الحجة . وحسن الاستعارة . . ومثله قول الآخر .. البلاغة تقريب مابعد من الحكمة بأيسر الخطاب ..

---

(١) نسخة ـ ماشت اليه الوصل الخ وما اثبتناه موافق لما فى ديوانه ـ والا كبد ـ الذى يشتكى كبده (٢) البيت فى ديوانه هكذا

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى امرؤ يرجوك إلا بالرضى

والتقرب من المعنى البعيد . وهو ان يعمد الى المعنى اللطيف فيكشفه . وينف الشواغل عنه . فيفهمه السامع من غير فكر فيه . وتدبر له .. مثل قول الاول فى امرأة

لم ندر ما الدنيا وما طيبها وحسنها حتي رأيناها

انك لو ابصرتها ساعةً اجللتها ان تتمناها

وقال بعضهم لملك من الملوك .. أما التعجب من مناقبك . فقد نسخه تواترها . فصارت كالشيء القديم الذى قد كسى به . ـ (أى الف) ـ لا كالشيء البديع الذى يتعجب منه .. (ومن) هذا أخذ أبو تمام قوله

على انها الايام قد صرن كلها عجايب حتي ليس فيها عجائب

وقول آخر لبعض الملوك ايضاً .. اخلاقك تجعل العدو صديقا . واحكامك تصير الصديق عدواً . ويشهد عدم مثلك فيما يكون .. (وقال) بعض القدماء .. لكل جليلة دقيقة ودقيقة الموت الهجر .. وقلت

اسم التفرق بين لكن معناه موت

وجداننا كل شيء اذا تباعدت فوت

والرواية الصحيحة ان العربى قال .. البلاغة التقرب من المعنى البعيد . . ولكن رأيته فى بعض اصولى كما ذكرته قبل . . فاوردته هاهنا وفسرته على مارأيته فى الاصل

وقوله والتباعد من حشو الكلام ، فالحشو على ثلاثة اضرب . . اثنان منها مذمومان . وواحد محمود

فاحد المذمومين هو ادخالك فى الكلام لفظا لو اسقطته لكان الكلام تاما مثل قول الشاعر

انى فتىً لم تذرَّ الشمس طالعة يوماً من الدهر الاَّ ضرّا او نفعا

فقوله يوما من الدهر حشو لايحتاج اليه . لان الشمس لاتطلع ليلا وقول بعض بنى عبس انشدنا أبو احمد عن الصولى عن ثعلب عن ابن الاعرابى

ابعد بنى بكر أومل مقبلا　　من الدهر أو آسي على اثر مدبر

وليس وراء الفوت شيء يرده　　عليك اذاولى سوى الصبر فاصبر

أولاك بنو خير وشر كليهما　　جميعا ومعروف أريد ومنكر

قوله أريد حشو وزيادة .. وقوله كليهما يكاد يكون حشواً وليس به بأس ، وباقى الكلام متوازن الالفاظ والمعانى . لازيادة فيه ولا نقصان .. (وهذا) الجنس كثير فى الكلام

والضرب الآخر . العبارة عن المعنى بكلام طويل لافائدة فى طوله ويمكن أن يعبر عنه باقصر منه . مثل قول النابغة

تبينت آيات لها فعرفتها　　لستة أعوام وذا العام سابع

كان ينبغى أن يقول لسبعة اعوام ويتم البيت بكلام آخر يكون فيه فائدة فعجز عن ذلك فحشا البيت بما لاوجه له

(وأما) الضرب المحمود فكقول كثير

لو ان الباخلين وانت فيهم　　رأوك تعلموا منك المطالا

قوله وانت فيهم حشو الا انه مليح .. وتسمى أهل الصنعة هذا الجنس اعتراض كلام فى كلام .. ومنه قول الآخر (وهو جرير)

ان الثمانين وبلغتها　　قد احوجت سمعى الى ترجمان

وسنأتى على هذا الباب فيما بعد ان شاء الله

ومن الكلام الذى لاحشو فيه .. قول صبرة بن شيمان حين دخل على معاوية مع الوفود فتكلموا فأكثروا .. فقال صبرة .. ياأمير المؤمنين . أنا حى فعال . ولسنا حى مقال . ونحن بادنى فعالنا . عند احسن مقالهم .. فقال معاوية صدقت

ومن هذا قول الشاعر

وتجهل ايدينا ويحلم رأينا   ونشتم بالافعال لا بالتكلم

وكتب رجل الى أخ له .. ثقتى بكرمك . تمنع من اقتضايك. وعلمى بشغلك يحدو على ادكارك .. وقال آخر .. فى الناس طبايع سيئة وحسنة . فارتبط بمن رجحت محاسنه .. وقال الحسن .. نعم الله على العبد اكثر من أن تشكر . الا أن يعان عليها . وذنوبه اكثر من أن يسلم منها . الا أن يعفى له عنها

وأما قرب المأخذ ، فهو أن تأخذ عفو الخاطر . وتتناول صفو الهاجس . ولا تكد فكرك . ولا تتعب نفسك .. (وهذه) صفة المطبوع .. (وروى) أن الرشيد أو غيره قال لندمائه .. وقد طلعت الثريا — أما ترون الثريا — فقال بعضهم — كأنها عقدريا — وقال بعضهم لابى العتاهية — عذب الماء فطابا — فقال أبو العتاهية — حبذا الماء شرابا — .وقال بشار * وقد حبسه يعقوب بن داود على بابه

طال الثواء على رسوم المنزل

فرفع اليه قوله فقال

فاذا تشاء أبا معاذ فارحل

(ومن) قرب المأخذ . ان الجاحظ أوغيره .. قال للجماز * اريدأن انظر الى الشيطان فقال انظر فى المرآة . وقال بعض الولاة لاعرابى . قل الحق والا أوجعتك ضرباً فقال الاعرابى . وأنت ايضاً فاعمل به فوالله لما اوعدك الله به منه. اعظم مما اوعدتنى به منك . ومنه أن المأمون قال لام الفضل بن سهل بعد قتله اياه. أتجزعين ولك ولد مثلى . . قالت وكيف لا أجزع على ولد افادينك . . (وهذا) على حسب ما قال أبو حنيفة * . . إذا أتتك معضلة . فاجعل جوابها منها . . ومن ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد قال حدثنا الجوهرى * قال حدثنا محمد بن زكريا قال حدثنا مهدى * بن سابق قال حدثنا عطاء بن مصعب * عن عاصم * بن الحدثان . . قال

دعا عبد الملك بن مروان يوما بالغدآء وبحضرته رجل فدعاه الى غدائه . . فقال ليس بى غدآء يا أمير المؤمنين قد تغديت . . فقال عبد الملك ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يكون فيه فضل للطعام . . فقال يا أمير المؤمنين فى فضل ولكن اكره أن آكل فاصير الى ما أستقبحه أمير المؤمنين

وقوله ايجاز فى صواب ، فسنذكره فى بابه . والاستعارة فسنضعها فى مواضعها

وأما قوله وقصد الى الحجة ، فقد ذكرنا الكلام فيه . . وقال محمد بن على رضى الله عنهما . . البلاغة قول مفقه فى لطف ، فالمفقه المفهم . واللطيف من الكلام ما تعطف به القلوب النافرة . ويؤنس القلوب (١) المستوحشة . وتلين به العريكة الابية المستصعبة . ويبلغ به الحاجة . وتقام به الحجة . فتخلص نفسك من العيب . ويلزم صاحبك الذنب . من غير أن تهيجه وتقلقه . وتستدعى غضبه وتستثير حفيظته .. كقول بعض الكتاب لأخ له . . أنفذ الى أبو فلان كتابا منك . فيه ذر (٢) من عتاب . كان أحلى عندى من تعريسة الفجر (٣) . وألذ من الزلال العذب . ولك العتبى داعيا مستجابا له . وعاتبا معتذراً اليه . ولو شيئت مع هذا أن أقول أن العتب عليك أوجب . والاعتذار لك ألزم . لفعلت ولكنى أسامحك ولا أشاحك . وأسلم اليك ولا أرادك . لان افعالك عندى مرضية . وشيمك لدى مقبولة . ولولا أن للحجة موقعها . لاعرضت عما أومأت اليه . وما عرضت مما بدأت به وقلت

اذا مرضنا اتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

فانظر كيف خلص نفسه من الجرم . وأوجبه لصاحبه فى ألطف وجه .

(١) نسخة — النفوس

(٢) نسخة — ذرؤ . وفى أخرى ـ ذئر ـ فليحرر

(٣) التعريس — نزول القوم فى السفر آخر الليل يقعون فيه وقعة للاستراحة وينامون نومة خفيفة ثم يثورون مع انفجار الصبح سائرين

وألين مس . . ومن الـكلام الذى يعطف القلوب النافرة . . قول آخر لاخ له . زين الله الفتنا بمعاودة صلتك . واجتماعنا بترادف زيارتك . وأيامنا الموحشـة لغيبتك برؤيتك . توعدتنى بالانتقام على أخلالى بمطالعتك . وحسبى من عقوبتك ما ابتليت به من عدم مشاهدتك

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه..البلاغة ايضاح الملتبسات . وكشف عوار الجهالات . باسهل ما يكون من العبارات.. وقريب منه قول الحسن بن على رضى الله عنهما .. البلاغة تقريب بعيدالحـكمة . باسهل العبارة .. ومثله قول محمد بن على رضى الله عنهما .. البلاغة تفسير عسير الحـكمة . باقرب الالفاظ .. وقد مضى فيما تقدم من كلامنا ما يكون مثالا لهذه الفصول

وأنا أوردها هنا فصلا ينشرح به أبوابها . ويتضح وجوهها .. أخبرنى أبو احمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان .. قال قال المأمون لمرتد عن الاسـلام الى النصرانية أى شىء أوحشك من الاسلام فتركته .. قال أوحشنى ما رأيت من كثرة الاختلاف فيكم .. فقال المـأمون لنا اختلافان (أحدهما) كاختلافنا فى الاذان . وتكبير الجنايز . والاختلاف فى التشهد . وفى صلاة الاعياد . وتكبير التشريق . ووجوه القرا آت . واختلاف وجوه الفتيا . وما أشبه ذلك . وليس هذا باختلاف . . (وانما) ذلك توسعة وتخفيفا من المحنة (والاختلاف الآخر) كنحو اختلافنا فى تأويل الآية من كتابنا . وتأويل الخبر عن نبينا (عليه الصلاة والسلام) مع اجماعنا على أصل التنزيل . واتفاقنا على عين الخبر.. فان كان الذى أوحشك هو هذا حتى أنكرت هذا الـكتاب . . فينبغى أن يكون اللفظ بجميع التوراة والانجيل متفقا على تأويله . كما يكون متفقا على تنزيله . ولا يكون بين النصارى اختلاف فى شىء من التأويلات . . (ولو) شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام انبيائه . وورثة رسله . كلاما لا يحتاج الى التفسير لفعل . . ولـكننا لم نر شيئا من الدين والدنيا دفع الينا على الـكفاية . . (ولو) كان الامر كذلك لسقطت المحنة والبلوى . وذهبت المسابقة والمنافسة . ولم يكن تفاضل . وليس

على هذا بنى الله الدنيا . . فقال المرتد اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد وأن المسيح عبد الله وأن محمدا (ﷺ) صادق وأنك أمير المؤمنين حقا

وقال ابن المقفع . . البلاغة كشف ما أغمض من الحق . وتصوير الحق فى صورة الباطل . . (والذى) قاله أمر صحيح لا يخفى موضع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز والتحصيل . وذلك أن الامر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف ينادى على نفسه بالصحة . ولا يحوج الى التكلف لصحته حتى يوجد المعنى فيه خطيبا . . (وانما) الشأن فى تحسين ما ليس بحسن . وتصحيح ما ليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتحيل . ونوع من العلل والمعاريض والمعاذير . ليخفى موضع الاشارة . ويغمض موقع التقصير . وما اكثرما يحتاج الكاتب الى هذا الجنس . عند اعتذاره من هزيمة . وحاجته الى تغير رسم . أو رفع منزلة دنى . له فيه هوى . أو حط منزلة شريف . استحق ذلك منه . الى غير ذلك من عوارض أموره

فاعلا رتب البلاغة . أن يحتج للمذموم . حتى يخرجه فى معرض المحمود . وللمحمود . حتى يصيره فى صورة المذموم . وقد ذم عبد الملك . بن صالح المشورة وهى ممدوحة بكل لسان . فقال . ما استشرت أحدا إلا تكبر على وتصاغرت له . ودخلته العزة ودخلتنى الذلة . فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل فى العيون . مهيب فى الصدور . وإذا افتقرت الى العقول حقرتك العيون . فتضعضع شأنك . ورجفت بك أركانك . واستحقرك الصغير . واستخف بك الكبير . وما عز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه وآراء نصائحه . وسدح بعضهم الموت فقال

قَدْ قلتُ اذْ مدحوا الحياةَ فَا كثروا ... فِى الموتِ الفُ فضيلةٍ لاتعرفُ
فيه آمانُ لقائه بلقائه ... وفراق كل معاشرٍ لاينصفُ

فالمتمكن من نفسه يضع لسانه حيث يريد . ومثل هذا كثير لا وجه لاستيفائه فى مثل هذا الموضع

ذكرت فى هذا الباب وهو ثلاثة فصول من نعوت البلاغة . ووجوه البيان والفصاحة . ما فيه كفاية . وأتيت من تفسير مشكلها على ما فيه مقنع . ولم يسبقنى الى تفسير هـذه الابواب وشرح وجوهها أحد . وإنما اقتصر من كان قبلى على ذكر تلك النعوت عارية مما هى مفتقرة اليه من إيضاح غامضها . وإنارة مظلمها . فكان المنفعة بها للعالم دون المتعلم . والسابق دون اللاحق . وربما اعترض الشك فيها للعالم المبرز . فسقطت عنه معرفة كثير منها . وأنت أيدك الله تعتمد ما ذكرته من ذلك . وتأتم بما شرحته منه . وتستدل به على ما ألفيته من جنسه إذا عثرت به . لتستغنى عن جميع ما صنف فى البلاغة . وسائر ما ذكر من أصناف البيان والفصاحة . إن شاء الله

الباب الثانى

فى تمييز الكلام جيده من رديه ونادره من بارده والكلام فى المعانى (فصلان)

الفصل الاول

من البب الثانى في تمييز الكلام

الكلام أيدك الله . يحسن بسلاسته . وسهولته . ونصاعته . وتخير لفظه . وإصابة معناه . وجودة مطالعه . ولين مقاطعه . واستواء تقاسيمه . وتعادل أطرافه . وتشبه اعجازه بهواديه . وموافقة مآخيره لمباديه . مع قلة ضروراته . بل عدمها أصلا . حتى لا يكون لها فى الالفاظ أثر . فتجد المنظوم . مثل المنثور . فى سهولة مطلعه . وجودة مقطعه . وحسن رصفه وتأليفه . وكمال صوغه وتركيبه

فاذا كان الكلام كذلك . كان بالقبول حقيقا . وبالتحفظ خليقا . كقول الاول

هُمُ الأولى وهبُوا المجدِ أنفسهم فما يُبالونَ ما نالوا إذا حُمِدُوا

وقول معن بن اوس :

لعمرك ما أهويتُ كفي لريبةٍ ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلمُ أني لمْ تصبني مصيبة من الدهر الا قدْ اصابتْ فتى قبلي
ولستُ بماشٍ ماحييتُ لمنكرٍ من الامر لا يمشي الى مثله مثلي
ولا مؤثرٌ نفسي على ذي قرابةٍ واوثرُ ضيفي ما أقام مع أهلي

وقول الآخر :

ولستُ بنظار الى جانب الغني اذا كانتْ العلياءُ في جانب الفقرِ

وقال الآخر :

ذريني اسيرْ في البلاد لعلني أصيبُ غني فيه لذي الحق محملُ
فانْ نحن لم نسطع دفاعاً لحادثٍ تجيءُ به الايام فالصبر أجملُ
أليس كثيراً ان تلمّ ملمة وليس علينا في الحقوق معقولُ

ومما هو فصيح في لفظه . جيد في رصفه . قول الشنفرى : (١)

اطيل وطالَ الجوع حتى أميته واضرب عنه القلب صفحاً فيذهل
ولولا اجتناب الدار لم يلفَ مشرب يُعاش به الا لدىّ ومأكلُ

---

(١) الابيات من لاميته المشهورة بلامية العرب . وقيل ان هذه اللامية لابي محرز خلف الاحمر بن حيان مولى بلال بن أبي بردة . والابيات في غير هذا الاصل هكذا

أديم مطال الجوع حتى أميته واضرب عنه الذكر صفحا فاذهل
ولولا اجتناب الذام لم يلف مشرب يعاش به إلا لدى ومأكل
ولكن نفسا مرة لا تقيم بي على الذميم إلا ريثما أتحول

ولكنّ نفساً مُرّةً ما تقيمني	على الضيم الاّ ريثما أتحوّلُ

وقول الآخر

اذا انتَ لمْ تشرب مِراراً على القذى	ظمئتَ وأي الناسِ تصفو مشاربه

وقول الآخر

وما انْ قتلناهمْ بأكثرَ منهم	ولكنْ بأوْفى للطعانِ واكرما

وقال دعبل :

وانّ امراءاً أمستْ مساقطُ رحله	باسوان لم يترك له الحزْم معلما (١)

حللتَ محلاً يقصرُ الطرف دونهُ	ويعجز عنه الطيفُ ان يتجشما (٢)

وقول النابغة

ولست بمستبق اخاً لاتلمه	على شعثٍ أيّ الرجال المهذب

وليس لهذا البيت نظير فى كلام العرب . وقال بعضهم نظيره . قول أوس ابن حجر

ولست بخابىءٍ أبداً طعاما	حذارَ غدٍ لكلِ غدٍ طعامُ

وهـذا وان كان نظيره فى التأليف . فانه دونه لما تكرر فيه من لفظ غد . (فاذا) كان الكلام قد جمع العذوبة . والجزالة . والسهولة . والرصانة . مع السلاسة والنصاعة . واشتمل على الرونق والطلاوة . وسلم من حيف (٣) التأليف . وبعد عن سماجة التركيب . وورد على الفهم الثاقب . قبله ولم يرده . وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يمجه . والنفس تقبل اللطيف . وتنبو عن الغليظ . وتقلق من الجاسى (٤)

---

(١) اسوان — بلدة بالصعيد من بلاد مصر . قال فى القاموس بالضم ويفتح

(٢) التجشم — التكلف على مشقة

(٣) نسخة — الجنف وهو الميل والجور فيكون قريباً من معنى الحيف

(٤) الجاسى — الصلب الغليظ

البشع . وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن الى مايوافقه . وتنفر عما يضاده ويخالفه . والعين تألف الحسن . وتقذى بالقبيح . والانف يرتاح للطيب . وينغر (١) للمنتن . والفم يلتذ بالحلو . ويمج المر . والسمع يتشوف للصواب الرايع وينزوى عن الجهير الهايل . واليد تنعم باللين . وتتأذى بالخشن . والفهم يأنس من الكلام بالمعروف . ويسكن الى المألوف . ويصغى الى الصواب . ويهرب من المحال . وينقبض عن الوخم . ويتأخر عن الجافى الغليظ . ولا يقبل الكلام المضطرب . الا الفهم المضطرب . والروية الفاسدة .

وليس الشأن فى ايراد المعانى . (لان) المعانى يعرفها العربى والعجمى والقروى والبدوى . (وانما) هو فى جودة اللفظ وصفائه . وحسنه وبهائه . ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائه . مع صحة السبك والتركيب . والخلو من أود النظم والتأليف . (وليس) يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً . ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التى تقدمت . (الا) ترى الى قول حبيب

مستسلم لله سايس أمةٍ بذوى تجهضمها له استسلام

(فانه) صواب اللفظ وليس هو بحسن ولا مقبول ـ (الجهضمة ، الوثوب والغلبة) ـ وقال أبو داود : رأس الخطابة الطبع . وعمودها الدربة . وجناحها رواية الكلام . وحليها الاعراب . وبهاؤها تخير الالفاظ . والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه . . وأنشد

يرمون بالخطب الطوال وتارةً وَحي الملاحظ خشيةَ الرقباء

ومن الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ . (ان) الخطب الرايعة والاشعار الرايقة . ما عملت لافهام المعانى فقط . لأن الردىء من الالفاظ . يقوم مقام الجيدة منها فى الافهام . (وإنما) يدل حسن الكلام . وأحكام صنعته ورونق ألفاظه . وجودة مطالعه . وحسن مقاطعه . وبديع مباديه . وغريب

---

(١) النغر ـ صوت الخيشوم عند ما يشم الشىء المنتن . وجاء فى نسخة صحيحة ـ ويعلن

مبانيه . على فضل قائله . وفهم منشيه . وأكثر هذه الاوصاف ترجع الى الالفاظ دون المعانى . وتوخى صواب المعنى . أحسن من توخى هذه الامور فى الالفاظ . (ولهذا) تأنق الكاتب فى الرسالة . والخطيب فى الخطبة . والشاعر فى القصيدة . يبالغون فى تجويدها . ويغلون فى ترتيبها . ليدلوا على براعتهم . وحذقهم بصناعتهم . (ولو) كان الامر فى المعانى لطرحوا أكثر ذلك فربحوا كداً كثيراً . وأسقطوا عن أنفسهم تعباً طويلا

ودليل آخر . (إن) الكلام إذا كان لفظه حلواً عذباً . وسلساً سهلا . ومعناه وسطاً . دخل فى جملة الجيد . وجرى مع الرايع (النادر) . كقول الشاعر

وَلَمَّا قضينا مِنْ منى كلّ حاجةٍ ومسح بالاركان مَنْ هوَ ماسحُ

وشدّتْ على حدْب المهارى رحالنا ولم ينظر الغادى الذي هو رائحُ

أخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالتْ باعناقِ المطيّ الاباطحُ

وليس تحت هذه الالفاظ كبير معنى . وهى رايقة معجبه . . (وإنما) هى ولما قضينا الحج ومسحنا الاركان وشدت رحالنا على مهازيل الابل ولم ينتظر بعضنا بعضاً جعلنا نتحدث وتسير بنا الابل فى بطون الأودية

واذا كان المعنى صوابا . واللفظ باردا وفاترا . والفاتر شر من البارد . كان مستهجنا ملفوظا . ومذموما مردوداً . . والبارد من الشعر . . قول عمرو بن معدى يكرب*

قد علمت سلمي وجاراتها ما قطّر الفارسَ الاّ أنا [1]

شككت بالرمح سرابيله والخيل تعدوا زيماً حولنا [2]

وقول الفند الزمانى

أيا تملك يا تملِ وذاتَ الطوقِ والحجلِ

---

(١) قطر ـ اى قتله فانزل دمه

(٢) السرابيل ـ الدروع ـ وقوله زيما ـ أى متفرقة

ذَرِينِي وَذَرِي عَذْلِي   فان العذل كالقتل

وقول النمر

يهينون من حقروا شيبه   وان كان فيهم يفى أو يبر

وقول أبي العتاهية

مات والله سعيد بن وهب   رحم الله سعيد بن وهب

يا أبا عثمان ابكيت عيني   يا أبا عثمان اوجعت قلبي

والبارد في شعر أبي العتاهية كثير .. والشعر كلام منسوخ . ولفظ منظوم واحسنه ماتلائم نسجه ولم يسخف . وحسن لفظه ولم يهجن . ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام . فيكون جلفاً بغيضا . ولا السوقى من الالفاظ فيكون مهلهلا دونا .. فالبغيض كقول أبي تمام (١)

جعل القنا الدرجات للكذجات ذا   ت المسل والحرجات والادحال (٢)

قد كان حزن الخطب في أحزانه   فدعاه داعى الحين للاسهال (٣)

وقوله

يادهر قوم من أخدعيك فقد   اضججت هذا الانام من خرقك

ولا خير في المعانى اذا استكرهت قهراً . والالفاظ اذا اجترت قسراً ولا خير فيما اجيد لفظه اذا سخف معناه . ولا في غرابة المعنى إلا اذا اشرف لفظه مع وضوح المغزى . وظهور المقصد . . (وقد) غلب الجهل على قوم فصاروا

(١) هكذا في الاصل على هذا الترتيب وفي الديوان بتقديم البيت الثانى على الاول وبينهما ابيات

(٢) الكذجات ـ واحدها كذج محركة معرب كده اى المأوى ـ والادحال جمع دحل النقب الضيق الفم المتسع الاسفل

(٣) الحزن ـ بفتح فسكون ضد السهل

يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه إلا بكد . ويستفحصونه اذا وجدوا الفاظه كزة غليظة . وجاسية غريبة . ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلساً عذبا وسهلا حلواً .. (ولم) يعملوا أن السهل امنع جانبا . وأعز مطلبا . وهو احسن موقعا . وأعذب مستمعا .. (ولهذا) قيل أجود الكلام السهل الممتنع . . أخبرنا أبو احمد قال أخبرنا الصولى قال حدثنا أحمد بن اسماعيل قال وصف الفضل * بن سهل عمرو بن مسعدة فقال .. هو ابلغ الناس ومن بلاغته أن كل احد يظن أنه يكتب مثل كتبه فاذا رامها تعذرت عليه . . وأخبرنا أيضاً قال أخبرنا أبو بكر قال حدثنى عبد الله بن الحسين قال حدثنا الحسن بن مخلد قال انشدنا ابراهيم ابن العباس لخاله العباس ابن الاحنف

اليك اشكو ربِّ ماحلَّ بي   من صدِّ هذا التائه المعجبِ
انْ قالَ لم يفعلْ وان سئل لم   يبذلْ وان عوتب لم يعتبِ
صب بعصياني ولوْ قالَ لِي   لاتشرَب الباردَ لم أشربِ

ثم قال هذا والله الشعر الحسن المعنى . السهل اللفظ . العذب المستمع . القليل النظير . العزيز الشبيه . المطمع الممتنع . البعيد مع قربه . الصعب فى سهولته . قال فجعلنا نقول هذا الكلام والله ابلغ من شعره ..وأخبرنا أبو احمد عن الصولى عن الغلابى عن طايع * وهو العباس بن ميمون من غلمان ابن ميثم .. قال قيل للسيد ألا تستعمل الغريب فى شعرك .. فقال ذاك عى فى زمانى . وتكلف منى لو قلته . وقد رزقت طبعاً واتساعاً فى الكلام فانا أقول مايعرفه الصغير والكبير ولا يحتاج الى تفسير .. ثم انشدنى

أيا ربِّ انى لم اردْ بالذي بهِ   مدحت علياً غير وجهك فارحم

فهذا كلام عاقل يضع الشيء موضعه . ويستعمله فى ابانه . ليس كمن قال وهو فى زماننا *

جفخت وهم لايجفخون بها بهم (١)

فاشمت عدوه بنفسه . (ومن الكلام) المطبوع السهل . ماوقع بهعلى بن عيسى . قد بلغتك أقصى طلبتك . وأنلتك غاية بغيتك . وأنت مع ذلك تستقل كثيرى لك . وتستقبح حسنى فيك . فانت كما قال رؤبة .

كالحوت لايكفيه شيء يلهمه — يصبح ظمآن وفى البحر فمه

ومن المنظوم المطمع الممتنع . قول البحترى

ايها العاتب الذي ليس يرضى — نم هنيئاً فلست أطعم غمضا

انّ لى من هوك وجداً قد استم — لك نومى ومضجعا قد أقضا (٢)

فجفونى فى عبرة ليس ترقا — وفؤادى في لوعة ما تقضي

ياقليل الانصاف كم اقتضى عنـ — ـك وعداً انجازه ليس يقضى

أحيني بالوصال ان كان جوداً — واثبنى بالحب ان كان قرضا (٣)

يا أبى شادن تعلق قلبي — بجفون فواتر اللحظ مرضى

لست أنساه اذ بدا من قريب — يتثنى تثنى الغصن غضا (٤)

واعتذارى اليـه حين تجافى — لى عن بعض ما أتيت واغضى

واعتلاقى تفاح خديه تقبيلاً — ولثما طـوراً وشماً وعضا

---

(١) الجفاخ — المفتخر المتكبر .. والشطر للمتنبى

(٢) اقضا ـ من اقض المضجع اذا خشن وتترب . وفى نسخة صبرى بدل قوله نومى

(٣) البيت فى ديوانه هكذا (فاجزنى بالوصل ان كان أجراً واثبنى الخ

(٤) وفى نسخة ـ باديا ـ بدل قوله اذبدا ـ كما فى ديوانه . وأورد قبله

غرنى حبه فاصبحت أبدى — منه بعضاوا كتم الناس بعضا

أيها الراغبُ الذي طلبَ الجود فابلي كوم المطايا وانضى [1]
رِدْ حياض الامام تاقَ نوالاً يسعُ الراغبينَ طولاً وعرضا
(فهناكَ العطاءُ جزْلا لمن رَا مَ جزيل العطاءِ والجودِ محضا)
هوَ أندى من الغمامِ وأوْحي وقعاتٍ من الحسامِ وأمضي
يَتوخي الاحسانَ قولاً وفعلاً ويطيعُ الآله بسطاً وَقبضا
فضل الله جعفراً بخلالٍ جعلت حبه على الناس فرْضا [2]

ومنها يقول فيه

وأرى المجدَ بينَ عارفةٍ منكَ ترجي وعزمةٍ منكَ تمضى

وقوله (٣)

يتأتي منعاً وينعم اسعافاً ويدنوا وصْلاً ويبعد صدّا
اغتدى راضياً وقدبتّ غضبا ن أمسي مولىً واصبحُ عبدّا
رقّ لى من مدامع ليسَ ترقا وأرثْ لى من جوانح ليس تهدا
اتراني مستبدلاً بكَ ماعشتَ بديلاً اوواجداً منك بدا [4]

(١) الكوم ـ جمع أكوام وهى القطعة من الابل والاكوم البعير الضخم السنام ـ وانضى ـ بمعنى أخلق وأبلى

(٢) لم يذكر جامع ديوانه هذا البيت وفى القصيدة طول تركها المصنف وكلها من الشعر المختار

(٣) الابيات مختارة من قصيدته التى مطلعها
لى حبيب قد لج فى الهجر جدا وأعاد الصدود منه وأبدا

(٤) نسخة مستبدلا منك بدل قوله بك ـ ونسخة ندا بدل قوله بدا

حاشَ لله انتَ افتنُ الحا ظاً واجلي شكلاً واحسنُ قداً [1]

خالقَ الله جعفراً قيم الدنيا سداداً وقيم الدين رُشداً

أكرمُ الناس شيمةً وأتم النا س حلما واكثر الناس رفدا

هو بحر السماح والجودِ فازددْ منهُ قربا تزددْ من الفقر بعدا

يا ثمال الدنيا عطاءً وبذلاً وجمال الدنيا ثناءً ومجدا [2]

ابقَ عمر الزمانِ حتى نؤدِّي شكر احسانكَ الذي لا يؤدى

ومما هو أجزل من هذا قليلا وهو من المطبوع . قول ابن وهب .

ما زالَ يلثمني مراشفَه ويعلني الابريقُ والقدحُ

حتى استردّ الليل خلعتهُ ونشا خلالَ سوادِه وضحُ

وبدا الصباح كأنَّ غرّته وجْه الخليفةِ حين يمتدحُ

أنت الذى بك ينتضى فرجا ضيق البلاد لنا وينفسحُ

نشرتْ بك الدنيا محاسنها وتزينت بصفاتك المدحُ

ومن السهل المختار الجيد المطبوع . . قول الآخر

صرفت القلب فانصرفا ولم ترع الذى سلفا

وبنت فلم أذب كمداً عليك ولم أمت أسفا

كلانا واجد فى النا س ممن مله خلفا

وقول الآخر

اما والحاق السود على سالفة الخشف

وحسن الغصن المهتـ ز بين النحر والردف

---

(١) فى نسخة كما فى الديوان ـ افتن الفاظا ـ بدل قوله افتن الحاظا

(٢) نسخة ـ نيلا بدل قوله بذلا . وكمال بدل قوله جمال

لقد اشفقت ان يجر ح فى وجنتها طرف

وقول الآخر

كم من فوأد كانه جبل ازاله من مقره النظر

وما كان لفظه سهلا . ومعناه مكشوفا بينا . فهو من جملة الردىء المردود .. كقول الاخر

يارب قد قل صبرى وضاق بالحب صدرى
واشتد شوقى ووجدى وسيدى ليس يدرى
مغفل عن عذابى وليس يرحم ضرى
ان كان أعطى اصطباراً فلست أملك صبرى
أنا الفدا لغزال دنا فقبل نحرى
وقال لى من قريب ياليت بيتك قبرى

واذا لان الكلام حتى يصير الى هذا الحد فليس فيه خير . لا سيما اذا ارتكب فيه مثل هذه الضرورات

وأما الجزل المختار من الكلام . . فهو الذى تعرفه العامة اذا سمعته . ولا تستعمله فى محاوراتها . . فمن الجيد الجزل المختار قول مسلم

وردن رواق الفضل فضل بن خالد فحط الثناء الجزل نائله الجزل
بكف أبى العباس يستمطر الغنى وتستنزل النعمى ويسترعف النصل
ويستعطف الامر الابى بحزمه اذا الامر لم يعطفه نقض ولا فتل

ومما هو أجزل من هذا قول المرار * الفقعسى

فقال يدير الموت في مرجحنة تسف العوالى وسطها وتشول (١)
وكاين تركنا من كرايم معشر لهن على أيامهن عويل (٢)

---

(١) المرجحنة ـ من الارجحنان وهو الميل والاهتزاز من ثقل . . والعرب تقول رحى مرجحنة أى ثقيلة ـ وقوله وتشول ـ أى تفرق

(٢) كاين ـ بالتخفيف وهى لغة فى كاى اسم مركب من كاف التشبيه وأى المنونة ـ والكرايم ـ واحده كريمة وهى العزيزة

على الجرد يعلكن الشكيم كأنها ... اذ ناقلات بالدارعين وعول [١]

على كل جياش اذا رُدَّ غربه ... يقلبُ نَهدَ المركلين رجيل [٢]

مجنبة قبلُ العيون كأنها ... قسى بأيدى العاطفين عطول [٣]

فللارض من آثارهنّ عججة ... وللفج من تصهالهن صليل [٤]

مَنعت بنجد ما أردت غلبة ... وبالغوْرِ لى عزّ اشمّ طويل [٥]

فهذا وأن لم يكن من كلام العامة فانهم يعرفون الغرض فيه • ويقفون على اكثر معانيه • لحسن ترتيبه • وجودة نسجه • • وقول المرار أيضا

(١) الجرد ـ الخيل • • والشكيم ـ واحده شكيمة وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس من اللجام ـ وقوله ناقلات ـ من المناقلة وهو ضرب من السير • • ومناقلة الفرس أن يضع يده ورجله على غير حجر لحسن نقله ـ والدارعين ـ المتقدمين فى السير ـ والوعول ـ جمع وعل • • قال فى اللسان هو الاروى وقال ابن سيده هو تيس الجبل • • وتشبيه الفرس به لشدة عدوه

(٢) الجياش ـ الفرس الذى اذا حركته بعقبك جاش أى ارتفع وهاج — وغربه ـ حدته ونشاطه ـ والنهد ـ الفرس الضخم القوى ـ والمركلان ـ من الدابة هما موضعا القصريين من الجنبين حيث يركلها الفارس أى يضربها برجله اذا حركها للركض ـ والرجيل ـ الطريق الوعر ... وفى نسخة الرحيل ويأتى بمعنى القوى على الرحلة قاله المبرد

(٣) العطول ـ الفرس التى لا رسن لها

(٤) الفج ـ الطريق الواسع ـ والصليل ـ ترجيع الصوت

(٥) الغلبة ـ بالضم والتشديد بمعنى الغلبة بالفتح والتخفيف كما فى اللسان واستشهد له بهذا البيت والرواية عنده هكذا

أخذت بنجد ما أخذت غلبة ... وبالغور لى عز أشم طويل

لا تسألى القوم عن مالى • كثرته   قد يقترُ المرءُ يوما وهو محمودُ

امضى على سنة من والدى سلفتْ   وفى أرومته ما ننبتُ العودُ

ومن النثر • • قول يحيى * بن خالد • • أعطانا الدهر فاسرف • ثم عطف علينا فعسف • • وقول سعيد بن حميد • • وأنا من لا يحاجك عن نفسه • ولا يغالطك عن جرمه . ولا يلتمس رضاك إلا من جهته . ولا يستدعى برك إلا من طريقته . ولا يستعطفك إلا بالاقرار بالذنب . ولا يستميلك إلا بالاعتراف بالجرم نبت بى عنك غرة الحداثة . وردتنى اليك الحنكة وباعدتنى منك الثقة بالايام وقادتنى (١) اليك الضرورة • فان رأيت أن تستقبل الصنيعة بقبول العذر • وتجدد النعمة باطراح الحقد • فان قديم الحرمة • وحديث التوبة • يمحقان ما بينهما من الاساءة • فان أيام القدرة وإن طالت قصيرة • والمتعة بها وإن كثرت قليلة • فعلت • وفى هذا الكلام وما قبله قوة فى سهولة • ومما هو أجزل من هذا قول الشعبى • للحجاج • وقد أراد قتله لخروجه عليه مع ابن الاشعث • أجدب بنا الجناب (٢) • وأحزن بنا المنزل • واستحلسنا الحذر • واكتحلنا السهر • وأصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء • ولا فجرة أقوياء • فعفى عنه

وأجود الكلام ما يكون جزلا سهلا • لا ينغلق معناه • ولا يستبهم مغزاه • ولا يكون مكدودا مستكرها • ومتوعراً متقعرا • ويكون بريئاً من الغثاثة • عاريا من الرثاثة • والكلام إذا كان لفظه غثا • ومعرضه رثا • كان مردوداً ولو احتوى على أجل معنى وأنبله . وأرفعه وأفضله . كقوله

لما اطعناكم في سخط خالقنا   لاشك سل علينا سيف نقمته

وقول الآخر:

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا   وما أراهم رضوا فى العيش بالدون

---

(١) نسخة ـ وأدنتنى ـ (٢) قوله ـ الجناب ـ هو بالفتح الفناء والناحية وما قرب من محلة القوم . وفى نسخة الزمان بدل الجناب

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما　　استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

لايدخل هذا فى جملة المختار ومعناه كما ترى نبيل فاضل جليل . وأما الجزل الردىء الفج الذى ينبغى ترك استعماله . فمثل قول تأبط شراً .

اذا ما تركت صاحبى لثلاثة　　او اثنين مثلينا فلا أبت آمنا [١]

ولما سمعت العوض تدعو تنفرت　　عصافير رأسي من نوى فعوا اينا [٢]

وحثحثت مشعوف النؤاد فراعني　　أناس بفيفان فمزت القرائنا [٣]

فادبرت لاينجو نجائى نقنقٌ　　يبادر فرخيه شمالا وداجنا [٤]

من الحص هزروف يطير عفاؤه　　اذا استدرج الفيفاء مد المغابنا [٥]

(١) أبت — أى رجعت . والبيت فى جميع نسخ الاصل كما اثبتناه ولا يخفى على القارى مافى قوله — مثلينا — من الاشكال

(٢) العوض — اسم قبيلة من العرب . وفى بعض النسخ بالصاد المهملة كذلك إسم قبيلة — وعصفور الرأس — قطيعة بالتصغير من الدماغ تحت مقدمه تفصل بينهما جليدة — وقوله فعاوينا — هكذا فى نسختين وَيأتى بمعنى الاستضعاف وفى نسخة وتوانيا وهكذا رواية صاحب لسان العرب فى مادة ع و ض

(٣) الفيفان — موضع بالبادية قاله ابن سيدة وقوله — مزت القراينا القرائن جبال معروفة مقترنة قاله فى اللسان .. والبيت فى إحدى النسخ هكذا

وحثحثت مشغوف النجاء وراعنى　　أناس بقيعان فمرت القرائنا

(٤) النقنق — الظليم وهو الذكر من النعام

(٥) الحص — شدة العدو فى سرعه — والهزروف — إسم للظليم — والعفاء — الغبار — والفيفاء — المفازة التى لا ماء فيها مع الاستواء والسعة . وجاء فى نسخة العرا وهو بالقصر الفناء والساحة وبالمد الفضاء لا ستر به — والمغابن — بواطن الانخاذ عند الحوالب

أزجُ زلوجُ هزرفّ زفازفُ   هزف يبُذ الناجيات الصوافنا [1]

فهذا من الجزل البغيض الجلف . الفاسد النسج . القبيح الرصف . الذى ينبغى أن يتجنب مثله . وتمييز الالفاظ شديد .. أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن فضل اليزيدى . عن إسحق الموصلى عن أيوب بن عباية . أن رجلا أنشد ابن هرمة : قوله

بالله ربكَ ان دخلتَ فقل لها   هذا ابن هرمةَ قائما بالباب

فقال ما كذا قلت أ كنت أتصدق . قال فقاعدا . قال كنت أبول. قال فماذا . قال واقفا . ليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى

ولولا كراهة الاطالة وتخوف الاملال . لزدت من هذا النوع . ولكن يكفى من البحر جرعة .. وقالوا خير الكلام ما قل وجل . ودل ولم يُمل . وبالله التوفيق

الفصل الثانى

في التنبيه على خطاء المعانى وصوابها ليتبع من يريد العمل برسمنا مواقع الصواب فيرتسمها . ويقف على مواقف الخطاء فيتجنبها

فنقول أن الكلام الفاظ تشتمل على معان تدل عليها ويعبر عنها فيحتاج صاحب البلاغة الى اصابة المعنى كحاجته الى تحسين اللفظ .. لان المدار بعد على اصابة المعنى .. ولان المعانى تحل من الكلام محل الابدان والالفاظ تجرى معها مجرى الكسوة ومرتبة احداهما على الاخرى معروفة . . ومن عرف ترتيب المعانى

(١) أزج ـ أى مسرع فى مشيته ومثله ـ زلوج ـ والهزراف ـ الخفيف السريع ـ والزفزفة ـ السرعة أيضا ـ والهزف ـ الجافى من الظلمان . وقيل الطويل الريش ـ والبذ السبق

واستعمال الالفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل الى لغة اخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام مثل ماتهيأ له فى الاولى .. ألا ترى أن عبدالحميد الكاتب استخرج امثلة الكتابة التى رسمها لمن بعده من اللسان الفارسى فحولها إلى اللسان العربى .. فلا يكمل لصناعة الكلام الامن يكمل لاصابة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال

والمعانى على ضربين ـ ضرب يبتدعه صاحب الصناعة (١) من غير أن يكون له امام يقتدى به فيه . أو رسوم قائمة فى امثلة مماثلة يعمل عليها .. وهذا الضرب ربما يقع عليه عند الخطوب الحادثة ويتنبه له عند الامور النازلة الطارئة — والآخر ما يحتذيه على مثال تقدم ورسم فرط

وينبغى أن يطلب الاصابة فى جميع ذلك ويتوخى فيه الصورة المقبولة والعبارة المستحسنة ولا يتكل فيما ابتكره على فضيلة ابتكاره اياه ولا يغره ابتداعه له فيساهل نفسه فى تهجين صورته فيذهب حسنه ويطمس نوره ويكون فيه اقرب الى الذم منه الى الحمد

والمعانى بعد ذلك على وجوه .. منها ماهو مستقيم حسن نحو قولك قد رأيت زيداً .. ومنها ماهو مستقيم قبيح نحو قولك قد زيداً رأيت وانما قبيح لانك افسدت النظام بالتقديم والتأخير .. ومنها ماهو مستقيم النظم وهو كذب مثل قولك حملت الجبل وشربت ماء البحر . . ومنها ماهو محال كقولك آتيك امس وأتيتك غداً .. وكل محال فاسد وليس كل فاسد محالا .. ألا ترى أن قولك قام زيد (٢) فاسد وليس بمحال .. والمحال مالايجوز كونه البتة كقولك الدنيا فى بيضة وأما قولك حملت الجبل واشباهه فكذب وليس بمحال أن جاز أن يزيد الله فى

(١) فى نسخة — صاحب البلاغة

(٢) قوله قام زيد فاسد ـ هكذا المثال فى سائر نسخ الاصل ولايخفى أن وجه الفساد غير ظاهر وفى احدى النسخ قد ضبط زيد بالكسر فيكون وجه الفساد ظاهراً لاضافة الفعل وجر الفاعل

قدرتك فتحمله . . ويجوز أن يكون الكلام الواحد كذبا محالا . وهو قولك رأيت قائما قاعدا ومررت بيقظان نائم فتصل كذبا بمحال فصار الذى هو الكذب هو المحال بالجمع بينهما وان كان لكل واحد منهما معنى على حيالة وذلك لما عقد بعضها ببعض حتى صارا كلاما واحدا .. ومنها الغلط وهو أن تقول ضربنى زيد وأنت تريد ضربت زيداً فغلطت فان تعمدت ذلك كان كذبا

وللخطأ صور مختلفة نبهت على اشياء منها فى هذا الفصل وبينت وجوهها وشرحت ابوابها لتقف عليها فتجتنبها كما عرفت مواقع الصواب فتعتمدها وليكون فيما أوردت دلالة على أمثاله مما تركت .. ومن لا يعرف الخطاء كان جديرا بالوقوع فيه .. فمن ذلك قول امرئ القيس

ألم تسأل الربع القديم بعسعسا ... كأني أنادى اذ اكلم أخرسا [1]

هذا من التشبيه فاسد لاجل انه لا يقال كلمت حجرا فلم يجب فكأنه كان حجراً والذى جاء به امرؤ القيس مقلوب .. وتبعه أبو نواس فقال يصف داراً

كأنها اذ خرست جارم ... بين ذوى تفنيده مطرق [2]

والجيد منه قول كثير فى امرأة

فقلت لها يا عزّ كل مصيبة ... اذا وطّنت يوما لها النفس ذلّت

كأنى انادى صخرة حين اعرضت ... من الصم لو تمشى بها العصم زلّت

فشبه المرأة عند السكوت والتغافل بالصخرة .. قالوا ومن ذلك قول المسيب * بن علس

(١) هكذا رواية البيت فى نسخ الكتاب وفى ديوانه هكذا

ألما على الربع القديم بعسعسا ... كأنى انادى أو اكلم اخرساً

قال شارحه أبو بكر البطليوسى — وعسعس — موضع ثم قال وفى كتاب الازمنة أنه أراد انزلا فى ادبار الليل .. لان الاصل فى عسعس الليل أى مضى

(٢) الجارم — مقترف الذنب . . والبيت لم يرويه جامع ديوانه

وكأنَّ غاربها رباوةُ مَخْرَمٍ ... وتُمدُّ ثنى جديلها بشراع (١)

أراد أن يشبه عنقها بالدقل (٢) فشبهها بالشراع وتبعها ابو النجم فقال

كأنَّ اهدامَ النسيلِ المنسلِ ... على يديها والشراع الأطول (٣)

والجيد منه .. قول ذى الرمة

وهادٍ كجذعِ الساج سامٍ يقوده ... معرَّقُ احناءِ الصبيينِ اشدق (٤)

وقال أبو حاتم الشراع العنق يقال للعنق الشراع والتايل والهادى فاذا صحت هذه الرواية فالمعنى صحيح فىقول أبى النجم .. وقال طفيل *

يُرادَى على فاس اللجام كأنما ... يُرادى على مرقاةِ جذعٍ مشذَّبِ (٥)

ومن ذلك .. قول الراعى .

يكسو المفارقَ واللَّباتِ ذا ارجٍ ... من قصبِ مُعتلفِ الكافور درّاج

(١) الغارب — الكاهل — والرباوة — من الارض المرتفع من الاصل — والمخرم — من الجبل انفه — والثنى — حبل من شعر أو صوف — والجديل المجدول وأراد هنا شعرها

(٢) الدقل — خشبة طويلة تشد فى وسط السفينة يمد عليها الشراع

(٣) الاهدام — جمع هدم ثوب خلق من صوف وغيره أوالثوب البالى منه — والنسيل — مايسقط من الصوف عند النسل

(٤) المعرق — العظم الذى عرى عنه اللحم — والاحناء — جمع حنو وهو الجانب والصبيان — على وزن فعيلان طرفا اللحيين — والشدق — سعة الفم .. وجاء فى بعض النسخ هكذا

(معرق أحباء الصريين أشدق)

(٥) يرادى — يراود ويدارى — — وفاس اللجام — حديدته القائمة فى الحنك — والمشذب من الجذع — الذى نزع عنه شوكه وسعفه حتى تبين طوله

أراد المسك فجعله من قصب الظبي والقصب المعى وجعل الظبي يعتلف الكافور فيتولد منه المسك وهذا من طرائف الغلط وقريب منه .. قول زهير

يخرُجن من شربات مأوها طحلٌ — على الجذوع يخفنَ الغمّ و الغرَقا

ظن ان الضفادع يخرجن من الماء مخافة الغرق ومثله ..قول ابن أحمر .

لم تدرِ ما نسجُ اليرندجَ قبلها — ودراُس اعوص دارس متخدّد

ظن ان اليرندج ممايسنج واليرندج جلد أسود تعمل منه الخفاف فارسى معرب وأصله رنده وفسره أبو بكر بن دريد تفسيرا آخر .. وقال انما هـذه حكاية عن المرأة التى يصفها ظنت لقلة تجربتها ان اليرندج شيء منسوج ولم تدارس عويص الكلام والفاظ البيت لا تدل على ماقال ومثله .. قول أوس بن حجر

كأنَ ريقتها بعد الكرى اغتبقت — من ماءِ ادكنَ في الحانوتِ نضاح [1]

ومن مشعشةٍ كالمسكِ يشربها — او من أنابيبِ رُمانٍ وتفاحِ

ظن ان الرمان والتفاح فى أنابيب وقيل ان الانابيب الطرائق التى فى الرمان واذا حمل على هذا الوجه صح المعنى ومن فساد المعنى .. قول المرقش الاصغر

صحى قلبهُ عنها على أنّ ذِكرةً — اذا خطرت دارت به الارض قائما

وكيف صحى عنها من اذا ذكرت له دارت به الارض وليس هذا مثل قولهم ذهب شهر رمضان اذا ذهب أكثره لان الناس لا يعرفون أشد الحب الا ان يكون صاحبه فى الحد الذى ذكره المرقش .. والجيد فى السلو قول أوس

صحى قلبه عن سُكره وتأملا — وكان بذكرى أُمّ عمرو موكلا

فقال ــ وكان بذكرى أم عمرو موكلا ــ ومثل قول المرقش فى الخطاء ..قول امرىء القيس

اغرّكِ منّي أنّ حُبكِ قاتلى — وانك مهما تأمرى القلبَ يفعلِ

---

(١) الدكنة ــ لون بين الحمرة والسواد .. والشيء أدكن لعتقه وأراد به الخمر

واذا لم يغررها هـذه الحال منه فما الذى يغرها وليس للمحتج (١) عنه ان يقول انما عنى بالقتل ههنا التبريح فان الذى يلزمه من الهجنة مع ذكر القتل يلزمه أيضا مع ذكر التبريح ومما أخذ على امرىء القيس .. قوله

فللسوطِ الهوبُ وللساقِ دِرَّةٌ وللزجرِ منهوقعُ اخرجَ مهذبِ [٢]

فلو وصف أخس حمار وأضعفه مازاد على ذلك والجيد .. قوله

على سابحٍ يعطيك قبلَ سؤالهِ أفانينَ جرىٍ غيرِ كزٍّ ولاوان [٣]

وما سمعنا أجود ولا أبلغ من قوله أفانين جرى . وقول علقمة .

فادركهنَّ ثانياً من عنانه يمر كمرّ الرائح المتحلب [٤]

---

(١) قوله وليس للمحتج عنه ـ أراد به الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسى أحد شراح ديوانه

(٢) الالهاب والالهوب ـ شدة الجرى ـ والدرة ـ الرفعة واسم لمادر من اللبن وغيره ـ والاخرج ـ الظليم ـ والمهذب ـ الشديد العدو .. وجاء فى نسخة (احرج مهرب) ولعله تصحيف وفى نسخة ديوانه هكذا

فللساق الهوب وللسوط درة وللزجر منه وَقع أهوج منعب

قال شارحه الاهوج الاحمق والهوجاء السريعة من النوق والمنعب الذى يستعين بنعقه ثم قال وقد قسم جرى الفرس فى هذا البيت .. فقال اذا مسه بساقه الهب واذا ضربه بالسوط درجريه واذا زجر وقع الزجر منه موقعه من الاهوج أى يخرج الزجز منه أشد الجرى

(٣) الافانين ـ الضروب ـ والكز ـ المنقبض وأراد بانقباضه تقارب خطاه فى السير

(٤) المتحلب ـ طالب الحلبة بفتح فسكون وهى الدفعة من الخيل فى الرهان خاصة .وعجز البيت فى ديوانه هكذا

(يمر كمر رائح متحلب)

فأدرك طريدته وهو ثان من عنانه ولم يضربه بسوط ولم يمره بساق ولم يزجره بصوت ومما يعاب . قول الاعشى

ويأمر لليحموم كل عشيةٍ بقتٍ وتعليق فقد كان يسنق [(١)]

يعنى باليحموم فرس الملك يقول انه يأمر لفرسه كل عشية بقت وتعليق وهذا مما لا يمدح به الملوك بل ولا رجل من خساس الجند وقريب منه . قول الاخطل

وقد جعل الله الخلافة منهم لأبلجَ لا عارى الخوانِ ولا جدب

يقوله فى عبد الملك .. ومثل هذا لا يمدح به الملوك وأطرف منه .. قول كثير

وإن أمير المؤمنين برفقه غزا كامنات الود منى فنالها

فجعل أمير المؤمنين يتودد اليه . وقوله لعبد العزيز . بن مروان

وما زالت رقاك تسل ضغنى وتخرج من مكامنها ضبابى

ويرقينى لك الراقون حتى أجابت حيـة تحت التراب

وإنما تمدح الملوك بمثل . قول الشاعر

له همم لا منتهى لـكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر

ومثل . قول النابغة

فانك كالليـل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع (٢)

وقوله

ألم ترَ أنّ الله اعطاكَ سورةً ترى كل ملكٍ دونها يتذبذبُ

بانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكبُ

ومن غفلته أيضا قوله يعنى كثيرا

---

(١) السنق ـ البشم وذلك للحيوان كالتخمة للانسان

(٢) المنتأى ـ البعد . . وقد عيب عليه فى هذا البيت بتخصيص الليل لأن النهار يدركه كما يدركه الليل وللادباء عنه مدافعات مستوفاة فى شرح ديوانه

الا ليتنا يا عزّ من غير ريبة ... بعيران نرعي في خلاءٍ ونعزبُ
كلانا به عرٌّ فمن يرنا يقل ... على حسنها جرباء تعدي واجربُ
نكون لذي مال كثير مغفَّلٍ ... فلا هو يرعانا ولا نحن نطلبُ
اذا ما وردنا منهلا هاج أهله ... الينا فلا ننفك نُرمي ونضربُ

فقالت له عزة لقد أردت بى الشقاء الطويل . ومن المنى ما هو أوطىء من هذه الحال . فهذا من التمنى المذموم . ومن ذلك أيضا قول الآخر

سلامَ ليتَ لسانا تنطقينَ به ... قبلَ الذى نالني من خبله قطعا(١)

فدعا عليها بقطع لسانها . ومثله قول عبد بنى الحسحاس .

وراهنّ ربى مثل مافد وريتنى ... واحمي على اكبادهنّ المكاويا

ومن ذلك قول جنادة :

من حبها اتمنى انْ يلاقيني ... من نحوِ بلدتها ناعٍ فينعاها
لكي يكونَ فراق لالقاءَ لهُ ... وتضمر النفس يأساً ثم تسلاها

فاذا تمنى المحب لحبيبته الموت فما عسى أن يتمنى المبغض لبغيضته وشتان بين هذا وبين من يقول

الاّ ليتنا عشنا جميعا وكان بى ... من الداء مالا يعرف الناس مابيا

فهذا أقرب الى الصواب . ولو أن جنادة كان يتمنى وصلها ولقائها . لكان

---

(١) الخبل — بالتسكين الفساد .. وهنا بمعنى فساد قلبه بحبها .. والبيت أورده قدامة بن جعفر فى كتابه نقد الشعر هكذا

سلام ليت لسانا تنطقين به ... قبل الذى ناله من صوته قطعا

ثم قال : فما رأيت أغلظ ممن يدعو على محبوبته بقطع لسانها حيث أجادت فى غنائها له

فقد قضى وطراً من المنى ولم تلزمه الهجنة . كما قال العباس بن الاحنف

فان تبخلوا عني ببذل نوالكم ... وبالوصل منكم كي اصبّ وأجزنا

فاني بلذات المنى ونعيمها ... اعيشُ الى أن يجمعَ اللهُ بيننا

ومن المختار فى ذكر المنى . . قول الآخر

مني ان تكن حقاً تكنْ احسنَ المنى ... والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

أمانيّ منْ لَيلى حسانٌ كأنما ... سقتكَ بها ليلى على ظماءٍ بردا

وقول الآخر

ولما نزلنا منزلا طله الندى ... أنيقا وبستانا من النور حاليا

اجدّ لنا طيبُ المكان وحسنهُ ... منى فتمنينا فكنت الامانيا

وقال الآخر

فسوّغيني المنى كيما اعيش به ... ثمَّ امسكى المنعَ ما طاقتْ آمالى

على أن عنترة * ذم جميع المنى حيث . . يقول

ألا قاتلَ اللهُ الطلولَ البواليا ... وقاتل ذكراكِ السنين الخواليا

وقولك للشيء الذى لا تنالهُ ... اذا هويته النفسُ ياليتَ داليا

وقيل أيضا

انّ ليتاً وانّ لوّ اعناء

ومن الفاسد . . قول النابغة

ألكني يا عيين اليكَ قولاً ... ستحملهُ الرواة اليك عنى

وليس من الصواب أن يقال أرسلنى (١) الى نفسك . ثم قال ستحمله الرواة اليك عنى . . ومن خطل الوصف . . قول أبى ذؤيب

قصر الصبوحُ لها فشرح لحمها بالنىّ فهي تثوخ فيها الاصبعُ

تأبى بدرّتها اذا ما استكرهتْ الا الحميم فانهُ يتبضعُ

قال الاصمعى هذه الفرس لا تساوى درهمين لانه جعلها كثيرة اللحم . رخوة تدخل فيها الاصبع . . وانما يوصف بهذا شاء يضحى . . وجعلها حرونا اذا حركت قامت . الا العرق فانه يسيل (٢) . . والجيد قول أبى النجم

جرْدا تعادى كالقداح ذبلهْ نطي اللحم واسنا نهزلهْ

---

(١) قوله أرسلنى ـ تفسير لقول النابغة الـكنى . . قال فى اللسان نقلا عن الجوهرى . . وقول الشعراء ألـكنى الى فلان يريدون كن رسولى وتحمل رسالتى اليه . . ثم قال نقلا عن ابن برى والـكنى من آلك اذا أرسل واصله أألـكنى ثم أخرت الهمزة بعد اللام فصار ألئكنى ثم خففت الهمزة بان نقلت حركتها على اللام وحذفت انتهى . . قلت وعجز بيت النابغة المذكور كما فى ديوانه من رواية الوزير أبو بكر البطليوسى هكذا (سأهديه اليك اليك عنى)

(٢) فسر كثرة لحمها ورخاوته . . من قوله — فشرج لحمها بالنى ـ أى الشحم قال فى الجمهرة ـ فشرج — أى عولى بعضه على بعض . . وانها تدخل فيها الاصبع من قوله ـ تثوخ ـ أى تغيب وفى الجمهرة تتوخ بتائين وهما بمعنى واحد . . وانها حرون . . من قوله ـ تأبى بدرتهـا ـ أى بجريها ـ والحميم ـ هو العرق . . وسيلانه . . من قوله ـ ويتبضع ـ بالضاد أو بالصاد على اختلاف النسخ وهما سواء قال فى الجمهرة أى يجرى قليلا قليلا وحينئذ لا يكون سيلانا . . وقال فى الجمهرة أيضا وقوله ـ قصر الصبوح ـ أى اقتصر لها باللبن عن الماء . . والبيتين من مرثيته المشهورة ومطلعها

امن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

نطويه والطىْ الدقيق يجدلهْ ... طىّ التجار العصب اذ يتجله

حتى اذا اللحمُ بدا تذبلهْ ... وانضمّ عنْ كل جوادٍ رهلهْ

راح ورُحْنا بشديدٍ زجلهْ (١)

وقال غيلان * الربعى (٢)

يمتاحُ عصريها قرون مايها ... متح السباع الحسي من يطحائها

حتي اعتصرنا البدن من اعفائها ... بعد انتشار اللحم واستعصائها

تجريدك القناة منْ لحائها ... مكرمة لاعيب فى احتذائها

وقد قال غيلان أيضاً

قد صار منها اللحم فوق الاضا ... مثل جلاميد الصفاة الأصلغا (٣)

وقال أيضاً

(١) القداح ـ بالكسر واحدة قدح السهم قبل أن يراش ـ ونطى بالتخفيف للوزن وأصله بالتشديد من نطت المرأة غزلها تنطوه والغزل منطوى ونطى أى مسدى حكاه فى اللسان . . وهنا بمعنى ماىي ليس بالمهزول ـ والعصب ـ بالتسكين نوع من برود اليمن ـ والرهل ـ استرخاء اللحم واضطرابه وأراد بعد أن ضمرت ذهب رهلها واشتد لحمها ـ والزجل ـ الرمى والدفع ورفع الصوت وجاء فى نسخة بدل ـ الدقيق ـ الرقيق

(٢) المتح ـ كالنزع ـ والقرون ـ العرق أو الذى يعرق سريعا . . والعرب تقول اعصرنا الفرس قرنا أو قرنين ـ والحسى ـ بالكسر وسكون السين وجمعه أحساء وهى حفيرة قريبة القعر وقيل انها لا تكون الا فى أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل فاذا أمطرت نشفه الرمل فاذا انتهى الى الحجارة أمسكته

(٣) الصفاة ـ بالفتح جانب الشيء والصلغة السفينة الكبيرة وجاء فى نسخة (مثل جلاميد صفاة صلغا)

فوق الهوادي ذا بلات الأكشح   يشقين أشوان المزادي النزح [1]

وقال أيضاً

حتى اذا ما آض عبلاً جرشما   قد تم كالفالج لابل اضلما [2]

هجنا به نطويه حتى استوكما   قد اعتصرن البدن منه اجما [3]

ثم انقا بالذى ان يدفما   وآض أعلا اللحم منه صومعا [4]

فوصفه بعظم الجسم . وصلابة اللحم .. وما وصف احد الفرس بترك الانبعاث اذا حرك غير أبى ذؤيب .. وانما توصف بالسرعة فى جميع حالاتها .. اذا حركت وان لم تحرك . . فتشبه بالكوكب . والبرق . والحريق . والريح . والغيث . والسيل . وانفجار الماء فى الحوض . والدلو ينقطع رشاؤها . ويد السابح . وغليان المرجل (٥) . والقمقم .. وبانواع الطير كالبازى . والسوذنيق (٦) . والاجدل . والقطامى . والعقاب . والقطا . والحمام . والجراد .. وأنواع الوحش .. كالوعل .

---

(١) اشوال المزاد ـ بقيته من قولهم شولت المزادة اذا نقى فيها جزعة من الماء والمراد من الجزعة البقية

(٢) آض — رجع — والعبل ـ الضخم من كل شىء ـ والجرشع ـ العظيم الصدر .. وقيل الطويل وخصه الجوهرى بانه من الابل وزاد المنفتح الجنبين ـ والفالج ـ مكيال ضخم معروف ـ والاضلع ـ الشديد الغليظ أو الاشد

(٣) استوكع ـ غلظ وسمن

(٤) صومعا ـ أى دقيقا . . وجاء فى نسختين ـ موضعا ـ بضم الميم وكسر الضاد أى مسرعا

(٥) غليان المرجل ـ ازيزه وارتفاعه لشدة الغليان والمرجل بالكسر الاناء الذى يغلى فيه

(٦) السوذنيق ـ الصقر وقيل الشاهين ـ والاجدل ـ نوع من الطير

والظبي . والذئب . والتتفل (١) ويشبه بالخذروف (٢) . ولمعان الثوب . وبالسهم وبالمريخ (٣) وبالحسى . . قال اعرابى . . وقد سئل عن حضر فرسه . . يحضر ماوجد أرضاً . . وقال آخر . . همها امامها . وسوطها عنانها . . اخذه بعض المحدثين فقال

فكانَ لها سوْطاً الى ضحوة الغدِ

واخذه ابن المعتز فلم يستوفه قوله

أضيعُ شيءٍ سوْطهُ اذ يضربهُ

فذكر . اذ يضربه . وقال فى أخرى

صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارَتْ بها ايدٍ سراعٌ وَآرْجلِ

وقيل لامرأة صفى لنا الناقة النجيبة .. فقالت .. عقاب اذا هوت(٤)وحية اذا التوت . تطوى الفلاة وما انطوت .. وكتب ابن القرية * عن الحجاج . الى عبد الملك . . بعثت بفرس حسن المنظر . محمود المخبر . جيد القد . اسيل الخد يسبق الطرف . ويستغرق الوصف . . وأجود ماقيل فى العدو . . قول عبدة بن الطبيب

يخفى التراب باظلافٍ ثمانيةٍ فى أربعٍ مسهن الارضَ تحليلُ

والتحليل من تحلة اليمين . . وهو أن يقول ان شاء الله . . فقول الحالف ان شاء الله لا يكون الا موصولا باليمين .. يقول أن مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الحلف بالتحلة يمينه من غير تراخ . . أخذه المحدث فقال

(١) التتفل . الثعلب وقيل جروه والتاء زائدة

(٢) الخذروف . السريع المشى وقيل السريع فى جريه

(٣) هكذا فى بعض النسخ . بالمريخ . وفى بعضها بالريح

(٤) نسخة .. عقرب اذا هزت . نسخة يخفى

كأنما يرفعن مالم يوضع

وقال ابو النجم

جاء كلمع البرق جاش ماطره　　يسبح اولاه ويطفو آخره

فما يمس الارض منه حافره

وأخذ على أبى النجم قوله · يسبح أولاه ويطفو آخره · أنشده الاصمعى فقال حمار الكساح اسرع من هذا لان اطراب ماءخره قبيح . . وقد احسن فى قوله · ويطفو آخره · وقوله · فما يمس الارض منه حافره · جيد · ·

وقال أبو نواس

ما ان يقعن الارض الا فرطا　　كأنما يعجلن شيئاً انشطا

وقال:

فانصاع كالكوكب فى انحداره　　لفت المسير موهناً بناره

وقال ذوالرمة

كأنه كوكب فى اثر عفرية

أخذه ابن الرومي . . فقال

خذها تبوعاً لمن ولى مسومة　　كأنها كوكب فى اثر عفريت[1]

وقال ابن المعتز . . فى كلبة

وكلبة زهراء كالشهاب　　تحسبها فى ساعة الذهاب

نجما منيرا لاح في انصباب　　خفيفة الوطىء على التراب

وقال خلف بن الاحمر *

كالكوكب الدري منصلتا　　شدايفوت الطرف أسراعه

---

(١) تبوعا — بفتح التاء أى متابعة لمن هرب — والمسومة — هنا المرسلة

وكأنما جهدت أليته ان لا تمس الارض اربعه

أخذه من . . قول الاعشى

بجلالة أجد مداخلة ما أن تكاد خفافها تقع[1]

وقال أبو النواس

أرسله كالسهم اذ غلا به يسبق طرف العين في التهابه

يكاد أن ينسل من اهابه كلمعان البرق في سحابه

مأخوذ من . . قول ذى الرمة

لا يدخران من الايغال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأهب[2]

وقال كثير

اذا جرى معتمداً لأمه يكاد يفري جلده عن لحمه

وقال أعرابى

غاية مجد رفعت فمن لها نحن حويناها وكنا أهلها

لو ارسل الريح لجئنا قبلها

وقال أبو النجم

كأن فى المرو حريقا يشعله أو لمع برق خافق مسلسله[3]

ومما عيب على طرفة* قوله

---

(١) الجلالة — العظيمة من الابل — والاجد — الناقة القوية الموثقة الخلق المتصلة فقار الظهر . . وهو لفظ خاص بالاناث

(٢) الايغال — من أوغل أى أبعد فى ذهابه أو بالغ فى سيره

(٣) المرو — بالفتح حجارة بيض رقاق براقة تقدح منها النار

وإذا تلسنني ألسنها انني لستُ بموهونٍ فقر[1]

والعاشق يلاطف من يحبه ولا يحاجه . ويلاينه ولا يلاجه . . وقد قال بعض المحدثين (٢)

بنى الحب على الجور فلو انصف العاشقُ فيه لسمج

ليس يستحسنُ فى وصف الهوى عاشقٌ يعرفُ تأليفَ الحجج

ومن خطاء المعانى . . قول الاعشى

وما رابها من ريبة غير أنها رأت لمتى شابت وشابت لداتيا

وأى ريبة عند امرأة أعظم من الشيب . . ومثله قوله

وانكرتنى وما كانَ الذى نكرتْ من الحوادثِ الاَّ الشيبَ والصلعا

وأعجب منه قوله أيضا

صدَّتْ هريرة عنا ما تكلمنا جهلاً بامِّ خليدٍ حبلَ من تصلُ

أانْ رأتْ رجلا اعشى اضرَّ به ريبُ الزمانِ ودهرٌ خاتل خبلُ

وأى شىء ابغض عند النساء من العشا والضر يتبينه فى الرجل . . وأعجب ما فى هذا الكلام انه قال . . حبل من تصل هذه المرأة بعدى وأنا بهذه الصفة من العشا والفقر والشيب . . فلا ترى كلاما أحمق من هذا . . ومن اضطراب المعنى . . قول امرىء القيس

أراهنَّ لايحببن من قلَّ مالهُ ولا من رأينَ الشيبَ فيه وقوسا

---

(١) فقر — الرجل بفتح الفاء وكسر القاف فقرا بفتحهما . . اشتكى فقاره من كسر أو مرض . . وفى نسخة غمر . . بضم الغين والميم كما هى رواية صاحب مختارات شعراء العرب

(٢) ذكر فى هامش احدى نسخ الاصل . . أن الشعر لعلية بنت المهدى

وهن يبغضنه من قبل التقويس فما معنى ذكر التقويس . . فاما بغضهن لمن قوس فجدير وليس ببديع . ومن الجيد فى هذا الباب . . قول بعض المتأخرين

لقد ابغضتُ نفسي فى مشيبي ... فكيف تحبنى الجودُ الكعابُ

وقلت.

فلا تعجبا ان يعبن المشيبَ ... فما عبنَ من ذاكَ لامعيبا

اذا كان شيبي بغيضا الىْ ... فكيفَ يكونُ اليها حبيبا

ومن فساد المعنى .. قول النابغة

تحيد عن استنٍ سودٍ أسافلهُ ... مشى الاماءِ الغوادى تحمل الحزَما

وانما تحمل الآماء حزم الحطب عند رواحهن .. فاما غدوهن الى الصحراء فانهن مخفات .. والجيد قول التغلبى.

يظل بها ربذ النعام كأنها ... إماءٍ تزجّي بالعشى حواطبُ[1]

وقد روى مثل الاماء .. واذا صحت هذه الرواية سلم المعنى – والاستن – شجر بشع المنظر تسميه العرب رؤس الشياطين وجاء فى بعض التفسير فى قوله تعالى (طلعها كانه رؤوس الشياطين) انه عنى الاستن .. وقد أساء النابغة أيضا فى وصف الثور حيث .. يقول

من وَحش وَجرةَ موشى أكارِعه ... طاوِى المصير كسيفِ الصيقل الفرد[2]

---

(١) الربذ – وزان كتف الخفيف القوائم فى مشيه . . وأكثر النسخ بالدال

(٢) وجرة – فلاة بين مران وذات عرق وهى ستون ميلا وماؤه قليل فهى تجمع الوحش وهى قليلة الشرب للماء هناك فبطونها طاوية – والمصير – واحده مصران وجمعه مصارين كنى به عن البطن.. هكذا فى شرح ديوانه

أراد بالفرد انه مسلول من غمده فلم يبن بقوله الفرد عن سله بياناً واضحاً .
والجيد قول الطرماح .. وقد أخذه منه

يبـدُوا وتضمرهُ البـلاد كأنه   سيف على شرف يسل ويغمدُ (١)

وهذا غاية فى حسن الوصف . وربما سامح الشاعر نفسه فى شيء فيعود عليه بعيب كبير .. وقد قال المتلمس .

وقد أتناسي الهمّ عند احتضارهِ   بناج عليه الصيعرية مكدم (٢)

(كميتٍ كنازِ اللحم أوْ حميريةٍ   مواشكة تنفي الحصى بِمثلم)

والصيعرية ـ سمة للنوق فجعلها للجمل .. وسمعه طرفة ينشدها .. فقال ـ استنوق الجمل ـ فضحك الناس وسارت مثلا .. فقال له المتلمس .. ويل لرأسك من لسانك .. فكان قتله بلسانه .. وروى هذا الحديث له مع المسيب . بن عاس .
وأخبرنا أبو أحمد عن مهلهل . بن يموت عن أبيه . عن الجاحظ انه قال".. وممن أراد ان يمدح فهجا الاخطل . وانبرى له فتى .. فقال له أردت ان تمدح سما كا الاسدى فهجوته .. فقلت

نعم المجيرُ سماكاً من بنى أسد   بالطف اذْ قتلت جيرانها مضرُ

---

(١) هكذا البيت فى نسخ الاصول .. وفى رواية القتبي

يبدوا وتضمره التلال كأنه   سيف يسل على التلال ويغمد

التلال ـ الأولى بالكسر جمع تلة بالفتح قطعة من التراب أرفع قليلا مما حولها .. والثانية من التليل وهو العنق

(٢) المكدم ـ الوسم ـ والكميت ـ من الالوان الحمرة اذا خالطها السواد ويستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال بعير كميت وناقة كميت ـ وقوله كناز ـ أى كثيرة اللحم صلبة ـ وقوله مواشكة ـ أى سريعة .. والبيت الثانى منهما لم أجده الا فى هامش احدى النسخ فالحقته بالاصل للفائدة

قد كنتُ أحسبهُ وبماً وانبؤهُ ... فاليومَ طيّرعن اثوابه السررُ (١)

وأردت أن تهجو سويد بن منجوف فمدحته .. فقلت

وماجذْع سوءٍ خرّب السوس جوفه ... بما جماتهُ وائل بمطيقِ

فأعطيته الرياسة على وائل وقدره دون ذلك .. وأردت أن تهجو حاتم بن . اليمان الباهلى وأن تصغر من شأنه وتضع منه .. فقلت

وسوّد حاتماً ان ليس فيها ... إذا ما أوقدَ النيران نارُ

فأعطيته السودد فى الجزيرة وأهلها ومنعته مالا يضره . وقلت فى زفر بن الحرث .

بنى أميةَ إني ناصح لكم ... فلا يبين فيكمْ آمناً زفر

مفترشُ كافتراشِ الليث كلكلهُ ... لوقعةٍ كائنٍ فيها لكمْ جزرِ

فأردت أن تغرى به فعظمت أمره وهونت أمر بنى أمية .. ومن اضطراب المعنى .. ما أخبرنا به أبو أحمد عن مبرمان . عن أبى جعفر بن القبسى (٢) . قال لما قتلت بنو تغلب عمير بن الحباب السلمى . أنشد الاخطل عبدالملك والحجاف السلمى . عنده

الا سائل الحجاف هل هو ثائر ... بقتلى أصيبتْ من سليم وعامرِ

فخرج الحجاف مغضباً حتى أغار على البشر .. وهو ماء لبنى تغلب .. فقتل منهم ثلاثة (٣) وعشرين رجلا .. وقال

أبا مالكٍ هل لمتني مذ حضضتنى ... على القتلِ أوْ هلْ لامنى لك لائم

متى تدعنى أخرى أجبكَ بمثلها ... وانتَ أمرؤ بالحق ليس بعالم

(١) السرر ـ بالفتح السباب . . وفى نسخة الشرر ولعله تصحيف

(٢) قول القبسى ـ هكذا فى بعض الاصول . . وفى بعضها القتبي

(٣) نسخة ـ ثلاثة عشر

فخرج الاخطل حتى أتى عبد الملك . وقدقال (١)

لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة الى الله منها المشتكى والمعوّل

فالاَّ تغيرها قريش بمثلها تكنْ عن قريش مستمار ومرْحل

فقال له عبد الملك الى أين يابن اللخناء (٢) فقال الى النار فقال والله لو غيرها قلت لضربت عنقك

ووجه العيب فيه انه هدد عبد الملك وهو ملك الدنيا بتركه اياه والانصراف عنه الى غيره .. وهذه حماقة مجردة . وغفلة لا يطار غرابها .. ثم قال

فلا هَـدى الله قيساً من ضلالتها ولا لَعـًا لبني ذكوان اذْ عثروا [٣]

ضجوا من الحرب اذ عضت غواربهم وقيس عيلانَ من أخلاقها الضجر [٤]

فقال له عبد الملك .. لو كان الامر كما زعمت لما قلت ـ لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة ـ

وممن أراد ان يمدح نفسه فهجاها جرير .. فى قوله

تعرض التيمُ لى عمداً الاهجوها كما تعرّض لاستِ الخاريء الحجرُ

فشبه نفسه باست الخارى .. وقريب من ذلك قول الراعي .

---

(١) هكذا البيت الثانى فى أكثر النسخ وفى نسخة

فالا تغيرها قريش بمثلها يكن عن قريش مستمان ومزحل

(٢) اللخناء ـ التى لم تختن .. واللخن قبح ريح الفرج

(٣) لعاً ـ كلمة يدعى بها للعاثر معناها الارتفاع قاله فى اللسان .. وقال أبو عبيدة من دعائهم (أى العرب) لا لعاً لفلان أى لا أقامه الله

(٤) الغارب ـ الكاهل وتقدم تفسيره .. والعض هنا كناية عن تأثير حمل السلاح فى غواربهم فلا يطيقون الحرب

ولا أتيتُ نُجيدَه بن عويمرٍ ابغى الهدي فيزيدنى تضليلا [1]

فأخبر انه على شيء من الضلال .. لان الزيادة لا تكون الا على أصل .. وأراد أن يمدح نفسه فهجاها .. وأراد جرير يذكر عفوه عن بنى غدانة حين شفع فيهم عطية بن جعال . فهجاهم أقبح هجا .. حيث يقول

أبنى غدانة أنى حرَّرتكم فوَهبتكم لعطيةَ بنِ جعال

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم ما بين الأَمِّ آنفٍ وسبال

فلما سمع عطية هذا الشعر .. قال ماأسرع مارجع أخى فى عطيته .. ومثل ذلك سواء قول يزيد بن مالك . للعامرى حيث يقول

أكف الجهل عن حلماءِ قَوْمى واعرض عن كلام الجاهلينا

فأخبر انه يحلم عن الجهال ولا يعاقبهم .. ثم نقض ذلك فى البيت الثانى .. فقال

اذا رجل تعرّض مستخفا لنا بالجهل أوشكَ ان يحينا

فذكر انه كاد ان يفتك بمن جهل عليه (٢) .. وقريب منه قول عبد الرحمن

---

(١) نجيدة بن عويمر ــ تصغير نجدة بن عامر الحنفى .. قال فى الجمهرة كان باليمامة اتخذ مذهبا ينسب اليه النجدية وهم فرقة من الفرق الضالة عافانا الله .. وقال المبرد فى كامله .. كان رأساً ذا مقالة منفردة من مقالات الخوارج .. وفى القاموس .. وكان خارجياً ويقال لاصحابه النجدات بالتحريك .. قلت والبيت مبدؤ فى الجمهرة بلما ــ المخففة من قصيدته التى مطلعها

مابال دفك بالفراش مذيلا أقذى بعينك أم أردت رحيلا

وأوردها فى قسم الملحمات .. وقال المبرد .. وخاطب بها عبد الملك بن مروان

(٢) قوله كاد ان يفتك ــ تفسير لقول الشاعر ــ أوشك ان يحينا ــ قال فى اللسان حان حينه أى قرب وقته . . والنفس قد حان حينها اذا هلكت . . والبيتان أوردها قدامة بن جعفر فى باب الاستحالة والتناقض من كتاب النقد .. وسماه يزيد بن مالك الغامدى

ابن عبيد الله القس

أرى هجرها والقتل مثلين فاقصروا ملامكم فالقتل أعفي وأيسر

فأوجب ان الهجر والقتل سوآء .. ثم ذكر ان القتل أعفى وأيسر .. ولو أتى ببل استوى (١) .. ومن عجائب الغلط .. قول ذى الرمة

اذا انجابتِ الظلماء أضحتْ رؤسها عليهن من جهدِ الكري وهى ظلع (٢)

وقال ابن أبى فروة . قلت لذى الرمة : ما علمت أحداً من الناس أظلع الرؤوس غيرك . فقال أجل . ومن الغلط . قول العجاج

كأن عينيه من الغؤورِ قلْتانِ أو حوْجلتا قارور

صيرتا بالنضح والتصبير صلاصل الزيت الى الشطور

فجعل الزجاج ينضح (٣) . ومن الخطاء قول رؤبة فى صفة قوائم الفرس —

---

(١) قوله بستوى — أى المعنى وسلم من الاستحالة والتناقض لان مقام لفظة بل مقام ماينفى الماضى ويثبت المستأنف لكنه لما لم يقلها وأتى بالاثبات والنفى معا استحال معنى شعره وتناقض

(٢) الظلع — بتشديد اللام جمع ظالع وهو المائل أو المتأخر . والظلع بفتحهما العرج والغمز فى المشية

(٣) قوله ينضح — بالحاء هكذا فى سائر نسخ الاصول والذى فى اللسان تبعا للصحاح وحواشى ابن برى ينضج بالجيم . هكذا

كأن عينيه من الغؤور قلبان فى لحدى صفا منقور

صفران أو حوجلتا قارور غيرتا بالنضج والتصبير

صلاصل الزيت الى الشطور

— القلتان — مثنى القلت باسكان اللام وهى النقرة فى الجبل تمسك الماء أو الجرة العظيمة — والحوجلة — قارورة صغيرة واسعة الرأس — والصلاصل — بقايا الماء وكذلك البقية من الدهن وهو المراد هنا . قال فى اللسان وأنشد الجوهرى

يهوين شتى ويقعن وقعا — فقال له سلم . أخطأت جعلته مقيدا . فقال له رؤبة . أدنني من ذنب البعير . أى لست أبصر الخيل وإنما أنا بصير بالابل . ومن الغلط قول رؤبة أيضا

وكلّ رخاجٍ سحام الحمل يبرى له فى رَعلاتٍ خطل (١)

جعل للظليم عدة أناث وليس للظليم إلا أنثى واحدة . وأخطأ فى قوله

كنتم كمن أدخل في جحر يدا فاخطأ الأفعى ولاقى الأسودا

فجعل الافعى دون الاسو فى المضرة وهى فوقه فيها . ومن خطأ الوصف قول أبى النجم

أخنسَ فى مثل الكظام المخطمه (٢)

صلاصل بالضم قال وقال ابن برى صوابه بالفتح لانه مفعول لغيرنا وقال ولم يشبهها بالجرار وإنما شبهها بالقارورتين .. قال ابن سيدة شبه أعينها حين غارت بالجرار فيها الزيت الى أنصافها . قلت وإذا صح ذلك ينتفى ما أراده المؤلف

(١) قوله رخاج — هكذا فى أصح النسخ وفى بعضها — رخاح — وكلاهما لم أقف له على معنى صحيحا ولعل ان صحت الاولى يكون مقلوب خراج من الخرج فيصح حينئذ أن يكون نعتا للظليم — والسحام — السواد كلون الغراب — والرعلات — جمع رعلة وهى النعامة سميت بذلك لانها تتقدم فلا تكاد ترى إلا سابقة للظليم وجاء فى أكثر النسخ رغلات بالغين المعجمة بدل رعلات وهو تصحيف — والخطل — بضم الخاء وإسكان الطاء جمع خطلاء بالفتح الطويلة اليدين

(٢) الكظام — جمع كاظم والكاظم من الابل العطشان اليابس الجوف قاله ابن الانبارى — وقوله المخطمة — أى المخطومة بالخطام . قال ابن سيدة والخطام كل ما وضع فى أنف البعير ليقاد به حكاه عنه فى اللسان ثم قال وناقة مخطومة ونوق مخطمة شدد للكثرة وخففت هنا للوزن وجاء فى إحدى النسخ بدون ال هكذا (أخنس فى مثل الكظام مخطمه)

والاخنس . القصير المشافر وإنما توصف المشافر بالسبوطه . ووصف إعرابى ابلا . فقال . كوم بهازر . مكد خناجر. عظام الحناجر. سباط المشافر. أجوافها رغاب . وأعطانها رحاب . تمنع من البهم . وتبذل للجم .. ناقة مكود وخنجور ـ كثيرة اللبن ـ والبهازر ـ العظام ـ والكوم ـ المرتفعة الاسنمة (١) . ولم يحسن أيضا فى صفة ورود الابل . قال (٢)

جأت تسامى فى الرعيل الاولِ   والظل عنْ اخفافها لم يفصل

ذكر انها وردت فى الهاجرة . وهذا خلاف المعهود وإنما يكون الورود غلسا . كقول الآخر

فوردتْ قبل الصباحِ الفايقِ

وقال الآخر

فوردت قبل تبين الالوان

وقول لبيد :

ان من وردِىّ تغليسَ النهل

ومن الغلط . قول أبى النجم

صلب العصا جافٍ عن التغزُّلِ

يصف راعي الابل بصلابة العصا وليس بالمعروف .. والجيد قول الراعي

ضعيف العصا بادي العروقِ ترى له   عليها اذا ما أجدبَ الناس اصبعا

---

(١) الرغاب ـ بالفتح الارض اللينة التى تأخذ الماء الكثير وبها تشبه بطون الابل ـ والجم ـ كالجم الكثير من كل شيء . وفى نسخة بالحاء المهملة

(٢) قوله قال ـ القائل أبو النجم ـ وقوله الرعيل الاول ـ أى القطعة المتقدمة من الخيل كانت أو من غيرها وهنا أراد الخيل

وانما يقال . فلان صلب العصا على أهله اذا كان شديدا عليهم . ومن الغلط قول أبى النجم أيضا . فى وصف الفرس : وهو غلط فى اللفظ

كأنها ميجنة القصار

وانما الميجنة لصاحب الادم وهى التى يدق عليها الادم من حجر وغيره . ومن فساد المعنى . قول الشماخ .

بانتْ سعاد وفى العينينِ ملمولُ وكانَ فى قصرٍ امن عهدها طولُ

كان ينبغى ان يقول . فى طول من عهدها قصر . لان العيش مع الاحبة يوصف بقصر المدة . كما قال الآخر

يطول اليومُ لا القاكَ فيه وحولٌ نلتقى فيه قصيرُ

ومن اضطراب المعنى . قول أبى داؤد الايادى

لوْ انهـا بذلتْ لذى سقمٍ حرَض الفؤادِ مُشارف القبض

حُسن الحديثِ لطلَّ مكذَّباً حران من وَجدٍ بها مرض

وكان استواء المعنى ان يقول — لبرأ من سقمه — كما قال الاعشى .

لو اشتدتْ ميتاً الى نحرِها عاش ولم ينقلْ الى قابرِ

وقال تأبط شرا

قليلُ عِرار النوْمِ

تقديره قليل يسير النوم . وهـذا فاسد . ووجه الكلام ان يكون ماينام الاغرارا . فان احتملت له . قلت يعنى ان نومه أيسر من اليسير . وقول أبى ذؤيب

فلا يهنأ الواشونَ أنْ قدهجرتها واظلمَ دوني ليلُها ونهارها

هذا من المقلوب . كان ينبغى ان يقول . واظلم دونها ليلى ونهارى . وقول ساعد

فلو نبأتك الارضُ أو لوْ سمعتهُ لأيقنتُ انى كدتُ بعدكِ أكمدُ

كان ينبغي ان يقول ـ انى بعدك أكمد ـ ومن الخطا . قول طرفة . يصف ذنب البعير

كانَّ جناحيْ مَضرَحِيّ تكنفاً   جفافيه شُكا فى العيب بمسردِ (١)

وانما توصف النجايب بخفة الذنب (وجعله هـذا كثيفا طويلا عريضا) . وقول امرىء القيس

واركبُ في الروعِ خيفانةً   كسا وجهها سعفٌ منتشرْ

شبه ناصية الفرس بسعف النخلة لطولها . واذا غطى الشعر العين لم يكن الفرس كريما . وقول الحطيئة

ومن يطلبُ مساعي آل لائي   تصعدُهُ الأمورُ الى علاها

كان ينبغى ان يقول من طلب مساعيهم عجز عنها وقصر دونها . فاما اذا تناهى الى علاها فأى فخر لهم . فان قيل انه أراد به يلقى صعوبة كما يلقى الصاعد من أسفل الى علو . فالعيب أيضا لازم له . لانه لم يعبر عنه تعبيراً مبينا . وقول النابغة

ماضى الجنان أخى صبرٍ اذا نزلتْ   حربٌ يوايلُ منها كل تنبالِ

التنبال ـ القصير من الرجال . وليس القصير باولى بطلب المؤيل من الطوال وان جعل التنبال الجبان فهو أبعد من الصواب . لان الجبان خايف وجل اشتدت الحرب أم سكنت . والجيد قول الهمدانى

يكر على المصافِّ اذا تمادَى   من الأهوالِ شجعانُ الرجالِ

وقول المسيب . بن علس

---

(١) المضرحى النسر ـ وحفافيه ـ جانبيه ـ والعسيب ـ عظم ذنبه ـ والمسرد الاشفى قاله فى الجمهرة . وقال يصف بذلك ذنبه بكثرة الهلب وهو الشعر الكثير والاشفى السراد الذى يخرز به قال فى اللسان والمسرد المثقب واستشهد له بالبيت المذكور

فتسدّ حاجتها اذا هي اعرضت بخميصة سرح اليدين وساع

وكأنّ قنطرة بموضع كورها وتمد ثنى جديلها بشراع

واذا أطفت بها أطفت بكلكل بيض الفرائض مجفر الاضلاع

وهذا من المتناقض . لانه قال خميصة . ثم قال كان موضع كورها قنطرة وهي مجفرة الاضلاع . فكيف تكون خميصة وهذه صفتها . وقول الحطيئة

حرج يلاوذ بالكناس كأنه متطرف حتي الصباح يدور

حتى اذا ما الصبح شق عموده وعلاه أسطع لا يرد منير

وحصى الكثيب بصفحتيه كأنه خبث الحديد أطارهن الكير

زعم أنه يطوف حتى الصباح . فمن أين صار الحصى بصفحتيه . وقول لبيد

فلقد أعوص بالخصم وقد املأ الجفنة من شحم القلل

أراد السنام . . ولا يسمى السنام شحما . وقوله

لو يقوم الفيل أو فياله زل عن مثل مقامي وزحل

ليس للفيال من الشدة والقوة ما يكون مثلا . ومن الخطأ قول أبي ذؤيب في الدرة

فجاء بها ما شئت من لطمية يدوم الفرات فوقها ويموج

والدرة إنما تكون في الماء الملح دون العذب . وقال من احتج له . إنما يريد بماء الدرة صفاه فشبه بماء الفرات لان الفرات لا يخطيئه الصفاء والحسن . وقوله أيضا

فما برحت في الناس حتى تبينت ثقيفا بزيزاء الاساة قبابها

يقول ما زالت هذه الخمرة في الناس يحفظونها حتى أتوا بها ثقيفا . قال الاصمعي وكيف تحمل الخمرة الى ثقيف وعندهم العنب . وقول عدي بن الرقاع :

لهم راية تهدي الجموع كأنها اذا خطرت في ثعلب الرمح طائر

والراية لا تخطر . وإنما الخطران للرمح . ومما لم يسمع مثله قط . قول عدى . ابن زيد . فى الخمرة ووصفه إياها بالخضرة حيث . يقول

والمشرف الهيدب يسعي بها أخضر مطموثا بماء الحريص (١)

والحريص ـ السحابة ـ تحرص وجه الارض أى تقشرها بشدة وقع مطرها . ومن وضع الشيء فى غير موضعه . قول الشاعر

يمشى بها كل موشى أكارعه مشى الهرابذ حجوا بيعة الدون

فالغلط فى هذا البيت فى ثلاثة مواضع . أحدها أن الهرابذ المجوس لا النصارى . والثانى ان البيعة للنصارى لا للمجوس . والثالث أن النصارى لا يعبدون الاصنام ولا المجوس . ومن المحال الذى لا وجه له . قول القس

وانى اذا ما الموت حل بنفسها يزال بنفسى قبل ذلك فأقبر

وهذا شبيه بقول قائل لو قال : إذا دخل زيد الدار دخل عمرو قبله . وهذا عين المحال الممتنع الذى لا يجوز كونه

ومن عيوب المعنى مخالفة العرف وذكر ما ليس فى العادة . كقول المرار

وخالٍ على خديك يبدو كأنه سنا البدر فى دعجاء بادٍ دجونها

والمعروف أن الخيلان سود أو سمر والخدود الحسان إنما هى البيض فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى . وهكذا قول الآخر

كأنما الخيلان فى وجهه كواكب أحدقن بالبدر

ويمكن أن يحتج لهذا الشاعر . بأن يقال شبه الخيلان بالكواكب من جهة

---

(١) الهيدب ـ الذى عليه أهداب تذبذب من بجاد أو غيره كأنها هيدب من سحاب . وقيل انه الضعيف . قال فى اللسان قال الازهرى الهيدب العبام من الاقوام القدم . والهيدب سحاب يقرب من الارض كأنه متدل يكاد يمسكه من قام براحته

الاستدارة لا من جهة اللون . والجيد فى صفة الخال . قول مسلم

وخال كخال البدر في وجه مثله   لقينا المنى فيه فحاجزنا البذل

وقال العباس بن الاحنف

لخال بذات الخال أحسن عندنا   من النكتة السوداء في وضح البدر

ومن المعانى ما يكون مقصراً غير بالغ مبلغ غيره فى الاحسان . كقول كثير :

وما روضة بالحزن طيبة الثري   يمج الثرى حوْذانها وعرارها

باطيبَ من اردانِ عزةَ موهنا   وقد أوقدتْ بالمندل الرطب نارها

وقد صدق ليس ريح الروض بأطيب من ريح العود . إلا انه لم يأت باحسان فيما وصف من طيب عرق المرأة . لان كل من تجمر بالعود طابت رايحته . والجيد قول امرىء القيس

ألم ترَ إني كلما جئت طارقاً   وجدت بها طيباً وإن لم تطيبِ

والعود الرطب ليس بمختار للبخور . وإنما يصلح للمضغ والسواك . والعود اليابس أبلغ فى معناه . وأنشد الكميت . نصيباً

كأنَّ الغطامطَ فى غليها   أراجيز أسلمَ تهجوا غفارا

فقال نصيب . لم تهج اسلم غفاراً قط . فقال الكميت

إذا ما الهجارِس غنينها   تجاوبن بالفلوات الوبارا

فقال نصيب . لايكون بالفلوات وبار . فاستحى الكميت وسكت (١) .

(١) الغطامط — فى البيت الاول . صوت غليان القدر — والهجارس — جمع هجرس وهو القرد والثعلب وقيل ولده والدب وقيل كل مايعسعس بالليل دون الثعلب وفوق اليربوع — والوبار — جمع وبرة بالتسكين حيوان أصغر من السنور أطحل اللون أى مغبر اللون لاذنب له يرجن فى البيوت أى يحبس ويعلف فيها

ومن عيوب المديح . عدول المادح عن الفضائل التى تختص بالنفس . من العقل . والعفة . والعدل . والشجاعة . الى ما يليق باوصاف الجسم . من الحسن . والبهاء والزينة . كما قال ابن قيس الرقيات فى عبد الملك بن مروان

يأتلق التاج فوقْ مفرقه   على جبين كأنه الذهب

فغضب عبد الملك . وقال قد قلت فى مصعب

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء (١)

فأعطيته المدح بكشف الغمم . وجلاء الظلم . وأعطيتنى من المدح ما لافخر فيه . وهو اعتدال التاج فوق جبينى الذى هو كالذهب فى النضارة . ومثل ذلك قول ايمن . بن خزيم فى بشر . بن مروان (٢)

يأبن الاكارم من قريشٍ كلها   وابن الخلايف وان كلٍ قلمس

من فرع آدمَ كابرا عن كابرٍ   حتى أتيتَ الى أبيك العنبس

مرْوانَ انّ قناته خطية   غرست أرومتها أعز المغرس

(١) قوله عن وجهه — هكذا فى بعض النسخ ومثله فى النقد . وفى نسخة صحيحة عنابه — وهو الموافق لاعتراض عبد الملك فليحرر

(٢) أورد الابيات قدامة بن جعفر فى كتابه نقد الشعر وأولها عنده

يا ابن الذوائب والذرى والارؤس   والفرع من مضر العفرنى الانفس

يا ابن المكارم من قريش ذا العلى   . . . . . .

القلمس — السيد العظيم — والعنبس — الاسد . والعنابس من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الاكبر وهم ستة حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو سمو بالاسد والباقون يقال لهم الاعياص

وبنيتَ عند مقامِ ربك قبةً ‍ ‍ خضراء كلّ تاجها بالفسفسِ (٢)

فسماؤها ذهبٌ واسفل أرضها ‍ ‍ ورق تلألأ في صميم الحندسِ

فما فى هذه الابيات شيء يتعلق بالمدح الذى يختص بالنفس . وانما ذكر سودد الاباء وفيه فخر للابناء. ولكن ليس العظامى كالعصامى . وربما كان سودد الوالد وفضيلته نقيصة للولد اذا تأخرعن رتبة الوالد ويكون ذكر الوالد الفاضل تقريعا للولد الناقص . وقيل لبعضهم لم لا تكون كأبيك . فقال ليت أبى لم يكن ذا فضل فان فضله صار نقصا لى .

وقد قال الاول

انما المجد مابنى والدُ الصد ‍ ‍ ق وأحيا فعالهُ المولود

وقال غيره فى خلافه

لئِنْ فخرتَ بآباءٍ ذوي شرفٍ ‍ ‍ لقدْ صدقتَ ولكن بئسَ ماولدوا

وقال آخر

عفت مقابيح أخلاقٍ خصصت بها ‍ ‍ على محاسنَ أبقاها أبوك لكا

لئن تقدمت أبناء الكرام به ‍ ‍ لقد تأخر (٢) آباء اللئام بكا

ثم ذكر ابن بناء قبة حسنة وليس بناء القباب مما يدل على جود وكرم . . بل يجوز ان يبنى اللئيم البخيل الابنية النفيسة ويتوسع فى النفقة على الدور الحسنة مع منع الحق . ورد السائل . . وليس اليسار مما يمدح به مدحاً حقيقيا

(١) الفسفس ـ الفضة الرطبة . . والبيت المصور بالفسيفساء . . هو المنقوش بقطع صغيرة ملونة من الرخام وغيره يؤلف بعضها الى بعض ثم تركب فى حيطانه من داخل

(٢) نسخة ـ تقدم

الا ترى كيف يقول أشجع السلمى (١)

يُريد الملوكُ مدَى جَعفر ولا يَصنعونَ كما يَصنعُ
وَليسَ بأوسعهمْ في الغنى ولكنّ معروفهُ أوسعُ

ومن عيوب المدح . . قول أيمن بن خزيم أيضا فى بشر بن مروان

فان اعطاكَ بِشرُ ألف ألفٍ رأى حقاً عليهِ أنْ يَزيدا
واهْب مدحتي سرجاً خانجاً وابيضَ جوزَجانياعنودا (٢)
وانّا قَدْ رأينا أمّ بشرٍ كأم الأسدِ مذكاراً ولودا

جميع هذا الكلام جار على غير الصواب .. الا فى ابتداء وصفه فى التناهى فى الجود .. ثم انحط الى مالايقع مع الاول موقعا وهو السرج وغيره . . وأتى فى البيت الثالث بما هو أقرب الى الذم منه الى المدح .. وهو قوله

وانا قد رأينا ام بشر كام الاسد مذكارا ولودا

لان الناس مجمعون على أن نتاج الحيوانات الكريمة أعسر وأولادها أقل . كما قال الاول

بغاثُ الطيرِ أكثرُها فراخاً وأمّ الصقرِ مِقلات نزور

ومن عيوبِ المدح قول بعضهم (هوعبيد الله بن الحويرث.. لبشر بن مروان)

اني رَحلتُ الى عمرٍ ولا أعرفهُ اذ قيل بشرُ ولم أعدلْ بهِ نَسَبا

(١) قوله اشجع السلمى ـ هكذا فى نسخة وفى أخرى اسجم .. وسماه فى النقد اسجع بن عمرو

(٢) قوله عنودا ـ هكذا فى نسخ الاصول . والذى فى نقد الشعر ـ عقودا ـ والخلنج ـ إسم شجر فارسى معرب تتخذ من خشبه الاوانى . وقيل هو كل آنية صنعت من خشب ذى طرائق وأسارير موشاة

فنكر الممدوح وسلبه النباهة .. وكان ينبغي أن يقول ـ ليعرفني ـ والنادر العجب الذي لاشبه له .. قول عدي بن الرقاع * وذكر الله سبحانه فقال

وكفكَ سَبطةٌ ونداكَ غمرٌ   وأنتَ المرءُ تفعلُ ما تقولُ

فجعل آلهه امرءاً تعالى الله عما يقول . وأخبرنا أبو احمد عن الصولى قال اخبرنا ابو العيناء عن الاصمعى .. قال اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج ..فقال من مدحني منكما بشعر يوجز فيه ويحسن صفتي فهذه الخلعة له . . فقال الفرزدق

فمنْ يأمن الحجاجَ والطير تتقي   عقوبتهُ الا ضعيف العزائمِ

فقال جرير

فمنْ يأمن الحجاجَ أما عقابه   فمرٌّ وأما عقدهُ فوثيقُ

يسر لك البغضاءَ كل منافقٍ   كما كل ذي دينٍ عليك شفيقُ

فقال الحجاج للفرزدق .. ماعملت شيئاً ان الطير تنفر من الصبي . والخشبة ودفع الخلعة الى جرير .. والجيد في المديح قول زهير (١)

هنالك انْ يُستخولوا المال يخوِّلوا   وإن يسئلوا يعطوا وان ييسروا يغلوا (٢)

(١) الابيات ـ من قصيدته التي مطلعها

صحا القلب عن سلمى وقد كان لايسلو   واقفر من سلمى التعانيق فالثقل

اوردها هبة الله العلوى في مختاراته . . وقسما منها قدامة بن جعفر في باب نعت المديح من كتاب النقد

(٢) الاخوال ـ المنحة قاله أبو عمرو . وقال الاصمعى الرواية في البيت (ان يستخبلوا المال يخبلوا) كان الرجل اذا افتقر أتى بني عمه فأعطاه كل واحد منهم شيئاً من الابل حتى إذا أولدها ومكثت عنده ردها فذلك الاخبال

وفيهم مقاماتٌ حِسانٌ وجوهها　　وأنديةٌ ينتابها القولُ والفعلُ (١)

فلما استتم وصفهم بحسن المقال . وتصديق القول بالفعل . وصفهم بحسن الوجوه ثم قال :

على مكثريهم حق من يعتريهم　　وعند المقلين السماحةُ والبذلُ (٢)

فلم يخل مكثرا ولا مقلا منهم من بر وفضل . . ثم قال

فان جئتهم الفيتَ حولَ بيوتهم　　مجالس قد يُشفى باحلامها الجهلُ

فوصفهم بالحلم . . ثم قال

وان قامَ منهم قائمٌ قال قاعدٌ　　رَشَدْتَ فلا غرمٌ عليك ولا خذلُ (٣)

فوصفهم أيضا بالتضافر والتعاون فلما آتاهم هذه الصفات النفيسة ذكر فضل آبائهم فقال

وما يكُ من خير أتوه فانما　　توارثهُ آباءُ آبائهم قبلُ (٤)

---

(١) المقامات ـ جماعات الرجال ـ وقوله وجوهها ـ هكذا فى نسخة من الاصل وهو الموافق لما فى النقد والمختارات وفى نسخة وجوههم ـ وقوله ينتابها ـ أى يكثر فيها القول والفعل . وفى النقد يثنى بها

(٢) قوله يعتريهم ـ قال فى هامش المختارات إذا جائه لطلب ما عنده ولم يسئاله فقد اعتراه

(٣) قوله قام قائم ـ قال الاصمعى : يريد إذا قام قائم منهم فى الحمالة دعا له القاعد بالرشد ولم يرد عليه

(٤) الذى فى المختارات والنقد (فما كان من خير أتوه فانما) وفى بعض نسخ الاصل بدل الخير الفضل

وهلْ ينبتُ الخطيَّ الا وشيجهُ ... وتغرس الاّ فى منابتها النخلُ (١)

وكقول ذى الرمة

الى ملكٍ يَعلو الرّجالَ بفضلهِ ... كما بهرَ البدرُ النجومَ السواريا

فما مرتمُ الجيرانِ الاّ جفانكم (٢) ... تبارُونَ أنتم والرياحَ تباريا

أخذه بعضهم .. فقال وأحسن

رأيتكم بقيةَ حىّ قيسٍ ... وهضبته التي فوقَ الهضابِ

تبارونَ الرياحَ اذا تبارت ... وتمتثلون أفعال السحاب

يذكرنى مقامي فى ذُراكم ... مقامي أمسِ فى ظلّ الشباب

وكقول الراعى

اني واياك والشكوى التي قصرتْ ... خطوى ونأيك والوجدُ الذى أجدُ

كالماءِ والظالمُ الصديان يطلبه ... وهو الشفاء له لو انه يرِد

ضافى العطيّة راجيهِ وسائله ... سيّان أفلح من يعطى ومن يعد

وقول مروان بن أبى حفصة .

بنو مطرٍ يومَ اللقاءِ كأنهم ... اسود لهم فى غيل خفّان (٣) أشبل

هم المانعون الجارَ حتى كأنما ... لجارِهم فوق السماكين منزل

---

(١) الوشيج ـ العروق . . وقال الاصمعى هذا خطأ إنما أراد وهل ينبت القنا الا القنا والوشيج القناء

(٢) الجفان ـ القصاع والجفنة القصعة . وجفن الناقة اذا نحرها وأطعم لحمها

(٣) خفان ـ مأسدة بين الثنى وعذيب فيه غياض وهو معروف .. حكاه فى اللسان عن أبى منصور

بهاليل في الاسلام سادوا ولم يكن　　كأوّلهم في الجاهليّة أوّل

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا　　أجابوا وان أعطوا اطابوا واجذلوا

ولا يستطيع الفاعلونَ فعالهم　　وان أحسنوا في النايبات واجملوا

ثُلاث بأمثال الجبال حِباهم　　وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل

وكقول الآخر

عَلِم الغيث الندى حتى اذا　　ما حكاه علّم البأس الأسدْ

فله الغيث مقرّ بالندى　　وله الليث مقرّ بالجلدْ

وكقول الآخر

شبه الغيث فيه والليثَ والـ　　ـبدرَ فَسمح ومحرب وجميل

ومع ماذكرناه .. فانه لا ينبغي ان يخلو المدح من مناقب لآباء الممدوح وتقريظ من يعرف به وينسب اليه .. وأنشد أبو الخطاب . الفضل بن يحى

وَجدْ له يا بن أبي عليّ　　بنفحةٍ من ملكٍ سخيّ

فانه عـودَ على بديّ　　فانما الوسمى بالوليّ (١)

فقال الفضل – بنفحة من نفح برمكى – فجعله كذلك .. وأنشده مروان بن أبي حفصة

نفرتَ فلا شلتْ يد خالديّة　　رتقتَ بها الفتق الذى بين هاشم

فقال له الفضل .. قل – برمكية – فقد يشركنا في خالد بشر كثير ولا يشركنا في برمك أحد .

والهجاء أيضا اذا لم يكن يسلب الصفات المستحسنة التى تختصها النفس ويثبت الصفات المستهجنة التى تختصها أيضا لم يكن مختارا .. والاختيار ان ينسب المهجو

(١) الوسمى – مطر أول الربيع – والولى – مطر يكون في صميم الشتاء.

الى اللؤم والبخل والشره وما أشبه ذلك .. وليس بالمختار فى الهجاء ان ينسبه الى قبح الوجه وصغر الحجم وضؤل الجسم .. يدل على ذلك قول القائل

فقلت لها ليس الشحوب على الفتي   بعار ولا خير الرجال سمينها [١]

وقول الآخر

تنال الخير ممن تزدريه   ويخلف ظنك الرجل الطرير

وقول الآخر

رأوه فازدروه وهو خرق   وينفع أهله الرجل القبيح

وذكر السموءل . ان قلة العدد ليست بعيب .. فقال

تعيرنا انا قليل عديدنا   فقلت لها ان الكرام قليل

ومن الهجاء الجيد . . قول بعضهم

اللؤم أكرم من وبر ووالده   واللؤم أكرم من وبر وما ولدا

قوم اذا ماجنى جانيهم أمنوا   من لؤم احسابهم ان يقتلوا قودا

وقول أعشى باهلة *

بنو تيم قرارة كل لؤم   كذاك لكل سايلة قراره [٢]

---

(١) الشحوب — تغير الجسم واللون من هزال أو عمل أو جوع أو سفر .. والبيت أورده قدامة فى النقد .. وقال انشدنيه أبو العباس أحمد بن يحيى وأورد قبله

رأت نصف أسفار أميمة قاعدا   على نصف أسفار يحن جنونها

فقالت من أى الناس أنت أتيتنا   فانك راعى ثلة لا ترينها

فقلت لها . . . .

(٢) القرارة — مابقى فى القدر بعد الغرف منها — والقرار — المستقر من الارض . . وعجز البيت فى بعض النسخ هكذا (لكل مصب سايلة قرار)

وتبعه أبو تمام . . فقال

ماقي الرجاء وماقي الرحل في نفرٍ الجود عندهم قول بلا عمل

أصحوا بمشتنّ سبل اللؤم وارتفعتْ أموالهم في هضابِ المطلِ والعللِ

ونقله الى موضع آخر . . فقال

وكانتْ زَفرَةً ثمَّ اطمأنتْ كذاكَ لكلِّ سائلةٍ قرار

وقول الآخر

لو كان يخفى على الرحمن خافية من خلقهِ خفيتْ عنه بنو أسدٍ

وقول الحكم الحضرى *

ألم ترَ أنهم رقموا بلؤمٍ كما رقمتْ بأذرعها الحمير

ومن خبيث الهجاء . . قول الآخر (١)

انْ يغدروا أوِ يجبنوا أو يبخلوا لا يَحفلوا

يغدوا عليك مرجّلا ين كأنهم لم يفعلوا

وقول الآخر (٢)

لو أطلع الغراب على تميمٍ وما فيها من السوءآتِ شابا

وقول مرة بن عدى الفقعسى *

---

(١) هكذا البيت الاول في الاصول وفي النقد قال . . ومن خبث الهجاء ما انشدناه أحمد بن يحيى

ان يغدروا أو يفجروا أو يبخلوا لا يحفلوا

ثم أورد البيت الثاني كما أورده المؤلف

(٢) البيت من شعر العباس بن يزيد الكندى يهاجى جريراً . . وقبله

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

وإذا تسرك من تميم خصلة فلما يسوؤك من تميم أكثر

ومن المبالغة فى الهجاء . . قول ابن الرومى

يقتر عيسى على نفسه وليس بباق ولا خالد

ولو يستطيع لتقتيره تنفس من منخر واحد

والناس يظنون أن ابن الرومى ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه ممن حكاه أبو عثمان . . أن بعضهم قبر احدى عينيه . . وقال ان النظر بهما فى زمان واحد من الاسراف . . وقول البحترى

رددت العتاب عليك حتى سئمت وآخر الود العتاب

وهان عليك سخطى حين تغدوا بعرض ليس تأكله الكلاب

ومن خطاء الوصف . . قول كعب بن زهير

(ضخم مقلدها فعم مقيدها) [١]

لان النجائب توصف بدقة المذبح . . ومن خطاء اللفظ . . قول ذى الرمة

حتى اذا الهيق أمسى شام أفرخه وهن لاموئس نأياولا كثب [٢]

---

(١) الشطر — صدر بيت من قصيدته المشهورة ببانت سعاد فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم . . وعجزه (فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل) . . المقلد — العنق وهو موضع القلادة من النحر ـ والفعم ـ الممتلى يقال ساعد فعم وقد فعم فعامة ـ والمقيد ـ موضع القيد من رجل الفرس . . ومعنى البيت انه يصفها بعظم العنق والاطراف وتمام الخلقة لانها اذا كانت كذلك قويت على السير وإذا أريد هذا المعنى فلا خطاء فى الوصف حينئذ افاده بعض الشراح

(٢) الهيق ـ الظليم والانثى هيقة ـ والكثب ـ بالثاء المثلثة محركة القرب ضد البعد

لانه لا يقال شام إلا فى البرق . ومن ردى التشبيه . قول لبيد (١)

فمتى ينقعْ صراخٌ صادقٌ   يحلبوه ذات جَرسٍ وزَجلْ

فخمةً ذفراءَ تُرتى بالعرا   قردمانياً وتَركاً كالبصلْ

فشبه البيضة بالبصل وهو بعيد وإن كانا يتشابهان من جهة الاستدارة لبعد ما بينهما فى الجنس . وقول أبى العيال *

ذكرت أخى فعاودنى   صداع الرأسِ والوَصبُ

فذكر الرأس مع الصداع فضل لان الصداع لا يكون فى الرجل ولا فى غيرها من الاعضاء . وفيه وجه آخر من العيب . وهو أن الذاكر لما قد فات من محبوب

(١) اضطربت نسخ الاصول فى إثبات هذين البيتين رسماً وإعرابا . وأكثر النسخ لم يثبت فيها الا البيت الثانى وقد تتبعت مواد اللسان حتى ظفرت بهما فى مادة ن ق ع ومادة ر ت ى فاثبتهما كما رواها

ـ قوله ينقع ـ من نقع الصارخ بصوته اذا رفعه . وقيل اذا تابعه وأدامه وقوله يحلبوها ـ بضم ياء المضارعة من حلب والهاء للحرب أى يحلبوها لاجل الحرب وان لم يذكره لان فى الكلام دليلا عليه هكذا المفهوم من عبارة اللسان ويروى يحلبوها بفتح ياء المضارعة من احلبوا الحرب أى جمعوا لها متى سمعوا صارخا ـ الزجل ـ الجلبة ورفع الصوت

ـ قوله الدفراء ـ من الدفر قال ابن سيده هو بالدال المهملة فى النتن خاصة وفى بعض النسخ واحدى روايتى اللسان بالذال المعجمة وهو سهك صدأ الحديد فى أحد معانيه وقال ابن الاعرابى هو النتن ـ وقوله ـ ترتى ـ من الرتو وذلك الشد والقردمانية ـ الدروع الغليظة . قال ابن الاعرابى أراه فارسية . وحكى فى اللسان عن بعضهم اذا كان للبيضة مغفر فهى قردمانية . قال وهـذا هو الصحيح لانه قال بعد البيت

احكم الجنثىّ من عوراتها   كل حرباء اذا اكره صل

يوصف بألم القلب واحتراقه لا بالصداع . وقول اوس بن حجر

وهم لمقلِ المالِ أولادُ علة ... وان كان محضاً فى العمومةِ مخولا

فقوله المال مع المقل فضل . وقول عبدالرحمن بن عبدالله الخزرجى *

وقدت فقدلان حاذاها وحاركها ... والقلبُ منها مُطارُ القلبِ مذعورُ[١]

فما سمعنا بأعجب من قوله — فالقلب منها مطار القلب — وقول الآخر

الا حبذا هند وأرض بها هند ... وهند أتى من دونها النأى والبعد

فقوله — النأى مع البعد فضل — وان كان قدجاء من هذا الجنس فى كلامهم كثير . والبيت فى نفسه بارد . ومن عيوب اللفظ ارتكاب الضرورات فيه كما . قال المتلمس

ان تسلكى سبل المومَاة منجدةً ... ماعاش عمرو وما عمرتَ قابوس[٢]

أراد وما عمر قابوس . وقول الاعشى حكاه بعض الادباء وعابه

من القاصرات سجوف الحجال ... لم تر شمساً ولا زمهريرا

---

(١) الحاذان — ماوقع عليه الذنب من أدبار الفخذين قال فى اللسان ونقله عن ابن سيده . قال الحاذ موضع اللبد من ظهر الفرس والحاذان ماستقبلك من فخذى الدابة اذا استدبرتها — والحارك — أعلى الكاهل . وقيل فرعه . وقيل هو منبت أدنى العرف الى الظهر الذى يأخذ به الفارس اذا ركب . وقيل هو عظم مشرف من جانبى الكاهل اكتنفه فرعا الكتفين

(٢) الموماة — المفازة الواسعة الملساء . وقيل التى لا ماء بها ولا أنيس قاله فى اللسان وقال هى جماع اسماء الفلوات — وعمرو . وقابوس — هما ابنا المنذر بن ماء السماء . والبيت فى التهذيب لابن السكيت هكذا

لن تسلكى سبل البوباة منجدة ... ما عشت عمرو وما عمرت قابوس

قال — البوباة — ثنية فى طريق نجد ينحدر صاحبها الى العراق

قال لا توضع الشمس مع الزمهرير . قال وكان يجب ان يقول ـ لم تر شمساً ولا قرا ولم يصبها حر ولا قر ـ وقد اخطأ لان القرآن قد جاء فيه موضع هاتين اللفظتين معاً.

ومن المطابقة ان يتقارب التضادد دون تصريحه وهذا كثير فى كلامهم . وقد أوردناه فى باب الطباق . وكقول علقمة

يَحملنَ اترجةً نضح العبير بها كأنَّ تطيابها فى الأنف مسموم

والتطياب هاهنا على غاية السماجة . والطيب أيضاً مشموم لا محالة فقوله كانه مشموم هجنة . وقوله فى الانف اهجن لان الشم لا يكون بالعين . وقول عامر ابن الطفيل .

تناولتـه فاحتل سيفى ذبابه شرا سيفه العليا وجد المعاصما [1]

وهذا البيت على غاية التكلف . وقول خفاف بن ندبة .

ان تعرضى وتضني بالنوال لنا تواصلين اذا واصلت أمثالى

وكان ينبغى ان يقول ـ ان تضنى بالنوال علينا ـ على ان البيت كله مضطرب النسج . وقول الحطيئة .

صفوف وماذى الحـديد عليهم وبيض كأولاد النعام كثيف (٢)

جعل بيض النعام أولادها . ومن عيوب اللفظ استعماله فى غير موضعه المستعمل فيه وحمله على غير وجهه المعروف به . كقول ذى الرمة

تغارُ اذا ما الروع أبدى عن البرى ويقرى عبيط اللحم والماء جامس [3]

---

(١) ذبابة السيف ـ طرفه الذى يضرب به ـ والشراسيف ـ واحده شرسوف وهو الغضروف المعلق بكل ضلع مثل غضروف الكتف . وقال الاصمعى الشراسيف أطراف أضلاع الصدر التى تشرف على البطن. وهكذا حكاه فى اللسان عن ابن الاعرابى

(٢) الماذى ـ قال فى اللسان . هو الحديد كله الدرع والمغفر والسلاح أجمع

(٣) البرى ـ مثل الورى لفظا ومعنى ـ والجامس ـ الجامد . والبيت فى غير نسخ الاصول هكذا

(نغار إذا ما الروع أبدى عن البرى ونقرى عبيط اللحم والماء جامس)

والعائب له الاصمعى . وقد سقط فى أكثر النسخ صدر البيت

لا يقال ماء جامس . وإنما يقال ودك جامس . وقول جرير

لما تذكرت بالديرين أرقني   صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

قالوا لا يكون التأريق الا أول الليل ــ والدجاج ــ الديكة ها هنا . وقول عدى بن زيد فى الفرس ــ فارهاً متلبعاً ــ لا يقال فرس فاره . انما يقال بغل فاره . وقول النابغة

رقاق النعال طيب حجزاتهم   يحيون بالريحان يوم السباسب (١)

يمدح بذلك ملوكا بأنهم يحيون بالريحان يوم السباسب . ويوم السباسب يوم عيد لهم . ومثل هذا لا يمدح به السوقة فضلا عن الملوك . ومنه قوله فيهم

وأكسية الاضريج فوق المشاجب (٢)

جعل لهم أكسية حمرا يضعونها على مشاجب . فترى لو كان لهم ديباج أين كانوا يضعونه . . وليس هذا مما يمدح به الملوك . . ومن الردئ أيضا . . قول امرئ القيس (٣)

(١) الحجزة ــ الوسط قاله القتيبي . . وقال غيره كنى بالحجزات عن الفروج يقول هم أعفاء الفروج ويقال فلان طيب الحجزة إذا كان عفيف الفرج ــ ويوم السباسب ــ يوم السعانين وهو يوم عيد للنصارى وكان الممدوح نصرانيا

(٢) المشاجب ــ جمع مشجب وهو عود ينشر عليه الثوب . . وصدر البيت كما فى ديوانه

يحييهم بيض الولائد بينهم   . . . .

قال الاصمعى فى معنى البيت . . هم ملوك أهل نعمة تخدمهم الاماء البيض الحسان وثيابهم مصونة بتعليقها على الاعواد

(٣) موضعين ــ من الايضاع ضرب من السير ــ وأجرأ ــ أسرع ــ والمجلحة ــ المصمتة .. وفى نسخة بدل ــ لأمر غيب ــ لحتم غيب

أرانا موضعين لأمر غيبٍ ونسحر بالطعام وبالشراب

عصافير وذبان ودود واجرأ من مجلّحة الذباب

هذا وإن لم يكن مستحيلا . فهو على غاية القباحة فى اللفظ وسؤ التمثيل . .
وقول بشر

على كل ذى ميعةٍ سابح يقطع ذو أبهريه الحزاما [1]

وإنما له أبهر واحد.. ومن الابيات العارية الخربة من المعانى..قول جرير للاخطل

قال الأخيطل اذ رأى راياتكم يامارسرجس لا أريد قتالا

ومن المتناقض .. قول عروة بن أذينة *

نزلوا ثلاث منيً بمنزل غبطة وهم على غرضٍ لعمرك ماهم

متجاورين بغير دار اقامة لو قد أجدّ رحيلهم لم يندموا

فقال ــ لبثوا فى دار غبطة ــ ثم قال ــ لو رحلوا لم يندموا ..ومثله قول جرير

فلم أرَ داراً مثلها دار غبطةٍ • وملقى اذا التف الحجيج بمجمع

أقل مقيما راضياً بمقامه وأكثر جاراً ظاعناً لم يودّع

وهل يغتبط عاقل بمكان من لا يرضى به .. وقول جميل *

خليلى فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حبّ قاتله مثلى [2]

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها ولكنّ طلابيها لما فات من عقلى

زعم أنه يهواها لذهاب عقله ولو كان عاقلا ما هويها .. والجيد . قول الآخر

وما سرني اني خلىّ من الهوى ولو انّ لى من بين شرق الى غرب

---

(١) الميعة ــ من الفرس أول جريه ونشاطه .. وقيل الميعة من كل شئ معظمه

(٢) نسخة ــ قبلى

فأن كان هذا الحب ذنبي اليكم　　فلا غفر الرحمن ذلك من ذنبِ

وقول الآخر

أحببتُ قلبي لما أحبكم　　وصار رأى لرأيه تبعا

ورُبّ قلبٍ يقول صاحبه　　تبًا لقلبي فبئس ماصنعا

والجيد فى هذا المعنى . . قول البحترى

ويعجبنى فقري اليكَ ولم يكنْ　　ليعجبنى لولا محبتك الفقرُ

وقول العرجى .

من ذكر ليلى وأيّ الارض ماسكنتْ　　ليلى فاني بتلك الارض محتبسُ

ومنه

مثل الضفادع نقاقون وحدهم　　اذا خلوا واذا لاقيتهم خُرسُ

وقال ابن داود . من التشبيه الذى لايقع أبرد منه . قول أبى الشيص .

وناعسٍ لو يذوقُ الحبّ مانعسا .　　بلى عسي ان يرى طيف الحبيب عسى

وللهوى جرس ينفي الرقاد به　　فكلما كدتُ أغفي حرّك الجرسا

وقول الآخر

انّ قلبى سُل من غير مرض (١)　　وفؤادى من جوى الحبّ غرض

كجرابٍ كانَ فيه جُبنٌ　　دخل الفار عليه فقرضْ

وقال عبد الملك يوما لجلسائه . اعلمتم ان الاحوص . أحمق لقوله

فما بيضةٌ بات الظليم يحفها　　ويجعلها بين الجناح وحوصلهْ

بأحسن منها يوم قالتْ تدللا　　تبدّلْ خليلى انى متبدّلهْ

(١) نسخة — ان جسمى . بدل قوله ان قلبى

فما أعجبه وهى تقول هذه المقالة . والجيد قول أبى تمام

لاشيء أحسن منهُ ليلةَ وصلهِ   وقدْ اتخذتُ مخدةً من خدِّه

وأنشد عبد الملك . قول نصيب

أهيم بدَعدٍ ماحييتُ فإنْ أمتْ   فواحزنا ممنْ يهيم بها بعدى

فقال بعض من حضر . أساء القول . أيحزن لمن يهيم بها بعده . فقال عبد-الملك فلو كنت قائلاما كنت تقول . فقال

أهيم بدعدما حييت فان أمت   أوكلْ بدعد من يهيم بها بعدى

فقال عبد الملك . أنت والله أسوأ قولا . أتوكل من يهيم بها . ثم قال الجيد-

أهيم بدعد ماحييتُ فان أمتْ   فلاصلحتْ دَعدُ لذي خلة بعدي

وأخذ الاصمعى على الشماخ . قوله

رحي حيزُومها كرحَي الطحين (١)

وقال السعدانة (٢) توصف بالصغر . فقال من احتج للشماخ . انما شبهها بالرحى لصلابتها كما قال

قلايص يطحن الحصى بالكراكر (٣)

ومن المعيب . قول عمر بن أبى ربيعة . هذا

---

(١) الرحى ـ الاولى كركرة البعير والناقة بالكسر أى زور البعير الذى اذا برك أصاب الارض وهى ناتئة عن جسمه كالقرصة . وقيل هى الصدر من كل ذى-خف ـ والحيزوم ـ الصدر وقيل الوسط وصدر البيت كما فى اللسان (فنعم المعترى-ركدت اليه)

(٢) السعدانة ـ هى الرحى المفسرة بالكركرة من البعير والناقة .

(٣) القلاص ـ جمع قلوصا وهى الفتية من الابل وزاد فى التهذيب الطويلة القوائم والتى لم تجسم بعد

أومت بكفيها من الهودج　　لولاك في ذا العام لم أحجج
أنت الى مكة أخرجتني　　حباً ولولا انت لم أخرج

لا ينبئ الايماء عن هذه المعاني كلها . ونحوه قول المثقب . العبدى

تقول اذا درأت لها وضيني (١)　　أهذا دينه أبداً وديني
أكل الدهر حل وارتحال　　أما تبقى على ولا تقيني

والذي يقارب الصواب . قول عنترة

فازور من وقع القنا بلبانه　　وشكا الى بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى　　ولكان لو علم الكلام مكلمي

ومن النسيب الردى . قول نصيب

فان تصلى أصلك وان تعودي　　لهجر بعد وصلك لا أبالي

ومن ذلك ان التجلد من العاشق مذموم . وفي خلاف ذلك . قول زهير

لقد باليتُ مَظعن أمّ أوفي　　ولكنّ أمّ أوفي لا تُبالي

وقول عمر بن أبي ربيعة *

قالت لها أختها تعاتبها　　لا تُفسدن الطواف في عمرِ
قومي تصدّى له ليبصرنا　　ثم اغمزيه يا أخت في خفرِ (٢)
قالت لها قد غمزته فأبى　　ثم اسبكرّت تشدُّ في أثري (٣)

---

(١) الوضين — بطان منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير . قال الجوهرى الوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب والتصدير للرحل والحزام للسرج وحكى فى اللسان عن ابن بجلة لا يكون الوضين الا من جلد . وجاء فى بعض النسخ (أهذا دأبه أبدا وديني) أى ودأبي

(٢) الخفر — شدة الحياء

(٣) المسبكر — المسترسل وقيل المعتدل وقيل المنقب والموافق للمعنى هنا الاول

فشبب بنفسه ووصفها بالقحة وناقض فى حكايته عن صاحبتها فذكر نهيها إياها عن إفساد الطواف فيه .. ثم انها قالت لها قومى انظرى .. ومما جاء فى ذلك من اشعار المحدثين .. قول بشار *

إنما عظم سليمى حبتى   قصب السكر لاعظم الجمل
وإذا أدنيت منها بصلا   غلب المسك على ريح البصل

وقوله   وبعض الجرد خنزير

ومن المعانى البشعة . . قول أبى نواس

يا أحمد المرتجى فى كل نائبة   قم سيدى نعص جبار السموات

فهذا مع كفره ممقوت . . وكذا قوله

لو أكثر التسبيح ما نجاه

وقوله   من رسول الله من نفره

وقد تبع فى هذا القول .. حسان بن ثابت * فى قوله

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم   إذا تفرقت الاهواء والشيع

والخطأ من كل واحد خطا .. وقول أبى نواس أيضاً

واحبب قريشا لحب أحمدها

وقوله

تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها   خلقاً وخُلقاً كما قُدّ الشرا كان

فزعم أن ابن زبيدة مثل رسول الله ﷺ فى خلقه وخلقه . . ومثل ذلك قول أبى الخلال فى يزيد بن معاوية *

يا أيها الميتُ بحوّارينا   انك خير الناس أجمعينا

وقول أبى العتاهية

غنيت عن الوصل القديم غنيتا   وضيّعت وداً كان لى ونسيتا

ومن أعجب الاشياء إن مات مألفي ومن كنت ترعاني له وبقيتا
تجاهلت عما كنت تحسن وصفه ومت عن الاحسان حين حييتا

وليس من العجب أن يموت إنسان ويبقى بعده إنسان آخر بل هذه عادة الدنيا والمعهود من أمرها . . ولو قال — من ظلم الايام — كان المعنى مستويا . .

وسمعت بعض العلماء يقول ومن المعانى الباردة .. قول أبى نواس فى صفة البازى

في هامة علياءَ تُهدى مَنْسرا كعطفة الجيم بكفّ أعسرا

فهذا جيد مليح مستوفى .. ثم قال

يقول من فيها بعقل فكرّا لوزادها عيناً الى فاءٍ ورا

فاتصلت بالجيم صار جعفرا

فمن يجهل ان الجيم اذا أضيف اليها العين والفاء والراء تصير جعفرا.. وسواء قال هذا .. أو قال

لو زادها حاء الى دال ورا فاتصلت بالجيم صار جحدرا

وما يدخل فى صفة البازى من هذا القول . . وتبعه أبو تمام فقال

هنّ الحمام فان كسرتَ عيافة من حائهنّ فانهنّ حِمام

فمن ذا الذى جهل ان الحمام اذا كسرت حاؤها صارت حماماً . . وانما أراد أبو نواس انه يشبه الجيم لايغادر من شبهها شيئاً .. حتى لو زدت عليها هذه الاحرف صارت جعفرا لشدة شبهها به .. وهو عندى صواب الا أنه لو اكتفى بقوله — كعطفة الجيم بكف أعسرا — ولم يزد الزيادة التى بعدها كان أجود وأرشق وادخل فى مذاهب الفصحاء وأشبه بالشعر القديم ..

وأما قول أبى تمام فله معنى خلاف ما ذكره وذلك انه أراد انك اذا أردت الزجر والعيافة اداك الحمام الى الحمام كما ان صوتها الذى يظن انه بكاء انما هو طرب ويؤديك الى البكاء الحقيقى . وهذا المعنى صحيح . الا ان المعنى اذا صار بهذه المنزلة

من الدقة كان كالمعمى. والتعمية حيث يراد البيان عي . ومن عيوب المعنى . قول أبي نواس في صفة الاسد

كأنما عينه اذا نظرت بارزة الجفن عين مخنوق

فوصف عين الاسد بالجحوظ . وهي توصف بالغؤور . كما قال الراجز

كأنما ينظر من خرق حجرْ

وكقول أبي زبيد .

كان عينيه في وقبين من حجرٍ قيضا اقتياصاً باطراف المناقيرِ [1]

وقوله أيضا

وعينان كالوقبين في قلب صخرة يُرى فيهما كالجمرتين تسعر

وأنشد مروان بن أبي حفصة . عمارة بن عقيل . بيته في المأمون .

أضحى إمام الهدى المأمونُ مشتغلاً بالدّين والناس بالدنيا مشاغيلُ

فقال له . . مازدته على ان وصفته بصفة عجوز في يدها مسباحها فهلا قلت . كما قال جدي . في عمر بن عبد العزيز .

فلا هو في الدنيا مضيعٌ نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

ومن الغلط . قول أبي تمام

رقيق حواشي الحلم لو أنّ حلمهُ بكفيك ما ماريتَ في انه بُردُ

وما وصف أحد من أهل الجاهلية ولا أهل الاسلام الحلم بالرقة . وانما يوصفونه بالرجحان والرزانة . كما قال النابغة

واعظمُ أحلاماً وأكبر سيداً وأفضل مشفوعاً اليه وشافعا

---

(١) الوقب — في الحجر نقرة يجتمع فيها الماء — وقوله قيضا — الألف للتثنية أي شقتا بتقعر — والمناقير — واحدها منقار وهي حديدة كالفأس ينقر بها الحجر وغيره

وقال الأخطل (١)

صم عن الجهل عن قيل الخنا خرس ... وان ألمت بهم مكروهة صبروا

شمس العداوة حتى يستقاد لهم ... واعظم الناس أحلاما اذا قدروا

وقال أبو ذؤيب

وصبر على حدث النائبا ... ت وحلم رزين وعقل ذكي

وقال عدى بن الرقاع

أبت لكم مواطن طيبات ... وأحلام لكم تزن الجبالا

وقال الفرزدق

إنا لتوزن بالجبال حلومنا ... ويزيد جاهلنا على الجهال

ومثل هذا كثير. واذا ذموا الرجل. قالوا خف حلمه وطاش. كما قال عياض بن كثير الضبي

تنابلة سود خفاف حلومهم ... وذو نيرب في الحي يغدو ويطارق (٢)

---

(١) البيت الاول ـ جاء في بعض النسخ زائدا كما أثبتناه .. وقد أورده أبو تمام في كتابه المناقضات بين الاخطل وجرير هكذا

حشد على الحق عن قول الخنا خرس ... وان ألمت بهم مكروهة صبروا

(ثم أورد بعده) لا يستقل ذوو الاضغان حربهم ... ولا يبين في عيد انهم خور

وان تدجت على الآفاق مظلمة ... كان لهم مخرج منها ومعتصر

ثم بيت الشاهد .. وقال في تفسيره له ـ شمس ـ يشمسون على أعدائهم حتى يذلوهم فاذا أطيعوا واستسلم لهم فهم أعظم الناس أحلاما اذا قدروا وعلى من بغى عليهم

(٢) تنابلة ـ واحده تنبال وذلك الرجل القصير ومثله التنبل ـ والنيرب ـ الشر والنميمة ونيرب الرجل سعى بالشر ونم ولا تحذف يائه لانها واسطة بين النون والراء .. والبيت هكذا ورد في نسخ الاصول .. وجاء في كتاب الموازنة

قبائله سود خفاف حلومهم ... ذوو انيرب في الحي يغدوا ويطرق

وقال عقبة بن هبيرة . الاسدى (١)

أبنوا المغيرةِ مثلُ آلِ خويلدٍ   يالِ الرجال لخفة الاحلامِ

لا بل أحسبنى سمعت بيتا لبعض المحدثين يصف فيه الحلم بالرقة وليس بالمختار. ومن خطئه أيضا قوله (٢)

من الهيف لو أنْ الخلاخلَ صيرت   لها وُشحاً جالت عليها الخلاخل

ولو قال نطقاً لكان حسناً وهذا خطأ كبير وذلك ان الخلخال قدره فى السعة معروف . . ولو صار وشاحاً للمرأة لكانت المرأة فى غاية الدمامة والقصر حتى هى فى خلقة الجرد والهرة ولو قال ـ حقبا ـ لكان جيد . . كما قال النمرى *

ولَوْ قست يوماً حجلها بحقابها   لكان سواءً لا بل الحجل أوسع

فجعل الحجل أوسع من الحقاب لان امتلاء الاسوق محمود ودقة الخصور ممدوح والجيد فى ذكر الوشاح . . قول ذى الرمة

عجزاء ممكورة خمصانة قلق   عنها الوشاحُ وتم الجسم والقصبُ (٣)

---

(١) الذى فى الموازنة منسوبا لعقبة المذكور ..قوله هذا

كأن جرادة صفراء طارت   بأحلام الغواضر أجمعينا

(٢) القائل أبو تمام ـ وجاء فى الموازنة بدل ـ صيرت ـ صورت .. وفى بعض النسخ بدل الخلاخل الاولى . . الخلاخيل

(٣) العجزاء ـ العظيمة العجز ـ والممكورة ـ المجدولة ـ والخمصانة ـ الضامرة البطن ـ والقلق ـ الاضطراب عن ضيق أوسعة ـ والوشاح ـ القلادة هكذا فى الجمهرة وفى الموازنة .. الوشاح هو ما تقلده المرأة متشحة به فتطرحه على عاتقها فيستبطن الصدر والبطن وينصب جانبه الآخر على الظهر حتى ينتهى الى العجب وتلتقى طرفاه على الكشح الايسر فيكون منها فى موضع حمائل السيف من الرجل . . وهذا هو الصواب ووصفه بالقلق ليدل على دقة الخصر وضمور البطن ـ والقصب ـ بالفتح كما هنا

وقال ابن مقبل *

وقد دقّ منها الخصر حتى وشاحها يجول وقد عمّ الخلاخيل والقلب (١)

وقال طرفة

وملء السوار مع الدماجين وأما الوشاح عليها فجالا

وقال كثير

يجول الوشاح بأقرابها وتأبى خلاخلها ان تجولا

ومن الخطأ قوله — أى أبو تمام —

قسم الزمان ربوعها بين الصبا وقبولها ودبورها أثلاثا

والصبا هى القبول . . أخبرنا أبو أحمد . . قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبى حاتم * عن الاصمعى قال . . مهب الجنوب من مطلع سهيل الى طرف جناح الفجر وما يقابل ذلك من ناحية المغرب فهى الشمال وما يجىء من وراء البيت الحرام فهى دبور وما يقابل ذلك فهى القبول . . والقبول والصبا واحدة . . والجيد ما قال البحترى

متروكة للريح بين شمالها وجنوبها ودبورها وقبولها

وأما قوله

شنئت الصبا إذ قيل وجهن قصدها وعاديت من بين الرياح قبولها

فانما يعنى شنئت هذين الاسمين .. لان حمول الظاعنين توجهت نحوها .. ومن الخطأ . . قول أبى المعتصم *

ثياب رقاق ناعمة تتخذ من الكتان . . وكل عظم مستديرا جوف ولعله المراد فى البيت على ما يظهر من قوله وتم الجسم

(١) القلب ـ السوار .. والبيت فى الموازنة هكذا

ومن دق منها الخصر حتى وشاحها يجول وقد عم الخلاخيل والقلبا

كأنما أربعه إذا تناهبن الثرى ريح القبول والدبور والشمال والصبا

ومن الخطأ قوله — أى أبو تمام —

الود للقربى ولكن عرفه للابعد الاوطان دون الاقرب

ولا أعرف لما حرم أقارب هذا الممدوح عرفه وصيره للابعدين فنقصه الفضل فى صلة الرحم وإذا لم يكن مع الود نفع لم يعتد به .. قال الاعشى

بانت وقد أسأرت فى النفس حاجتها بعد ائتلاف وخيرُ الود ما نفعا

وقال المقنع *

جعلتُ لهم مني مع الصلةِ الودّا (١)

وقد أغرى أبو تمام بهذا القول أقرباء الممدوح لانهم إذا رأوا عرفه يفيض فى الابعدين ويقصر عنهم أبغضوه وذموه .. وقد ذم الشاعر الطريقة التى يمدح بها أبو تمام .. فقال

كمرضعةٍ أولادَ أخرى وضيعتْ بنيها فلم ترْقع بذلك مَرْقعا

وقال آخر — وهو ابن هرمة

كتاركةٍ بيضها بالعراءِ ومُلبسةٍ بيض أخرى جناحا

وقال أبو دؤاد الايادى

اذا كنتَ مرْتادَ الرجالِ لنفعهم فرِش واصطنعْ عند الذين بهم ترَمى

وقال آخر

واذ أصبت من النوافل رغبةً فامنح عشيرتك الادانى فضلها

وذم قديماً المذهب الذى ذهب اليه أبو تمام .. مسافر العبشمى * فقال

تَمد الى الاقصى بثديك كلّه وانت على الادنى صرورٌ مجدّدُ (٢)

(١) صدر البيت كما فى الموازنة (إذا جمعوا صرمى معاً وقطيعتى)

(٢) الصرور — الضيق حلمة الثدى — والمجدد — الذى قد انقطع لبنه

فانك لوْ أصلحتَ من أنت مفسد   تودّدك الاقصى الذي تتودد

وقال المسيس بن علس

من الناس من يَصِلُ الابعدينَ   ويَشقى به الاقربُ الاقربُ

وقال الحارث بن كلدة

من الناس من يغشى الاباعد نفعه   ويشقى به حتى الممات أقاربه

وقد ذهب البحترى مذهب أبي تمام .. فقال

بل كان اقربهم من سيبه سبباً   من كان أبعدهم من جذمه رحما

الا أنه لم يخرجهم من معروفه وان كان قد دخل تحت الاساءة والجيد..قوله

ظل فيه البعيد مثل القريـ   ـب المجتبى والعدو مثل الصديق

وقوله ايضاً

ما ان يزال الندى يدنى اليه يداً   ممتاحة من بعيد الدار والرحم

ومن الخطأ .. قوله

ورحب صدْرٍ لو أنّ الارض واسعة   كوسعه لم يضيقُ عن أهله بلدُ

وذلك أن البلدان التى تضيق باهلها لم تضق باهلها لضيق الارض.. ومن اختط البلدان لم يختطها على قدر ضيق الارض وسعتها . . وانما اختطت على حسب الاتفاق .. ولعل المسكون منها لايكون جزءا من الف جزء فلاى معنى تصييره ضيق البلدان الضيقة من اجل ضيق الارض .. والصواب أن يقول — ورحب صدر لو أن الارض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك أو لضاقت عنها السماء ـ أو يقول ـ لو أن سعة كل بلد كسعة صدره لم يضق عن أهله بلد .. والجيد فى هذ المعنى .. قول البحترى

مفازةُ صدْر لو تطرّقُ لم يكنْ   ليسلكها فرداً سليكُ المقانبِ [1]

---

(١) المقانب ـ واحده مقنب بالكسر جماعة الخيل والفرسان .. والبيت فى الموازنة هكذا

مفازة صدر لم تطرق ولم يكن   ليسلكها برداً سليك المقانب

أى لم يكن ليسلكها الا بدليل لسعتها .. على أن قوله مفازة صدر استعارة بعيدة .. ومن الخطاء . قول أبى تمام

سأحمدُ نصراً ما حييتُ واننى   لأعلم أن قدْ جلّ نصرٌ عن الحمدِ

وقد رفع الممدوح عن الحمد الذى رضيه الله جل وعز لنفسه . وندب عباده لذكره ونسبه اليه . وافتتح به كتابه .. وقد قال الاول ــ الزيادة فى الحد نقصان ولم نعرف احداً رفع احداً عن الحمد . ولا من استقل الحمد للممدوح .. قال زهير ابن أبى سلمى

متصرّف للحمد معترفٌ   للرزء نهاضٌ الى الذكر (١)

وقال الاعشى

ولكنْ على الحمدِ انفاقهُ   وقدْ يشتريهِ بأغلى ثمنْ

وقال الحطيئه

ومن يعطَ أثمان المحامدِ يُحمدِ

وقالت الخنساء

ترى الحمدَ يهوي الى بيتهِ   يري أفضل المجدِ ان يحمدا

والجيد قول البحترى

لو جلّ خلقٌ قطّ عنْ أكرومةٍ   تنئني جلّتَ عن الندي والباسِ

ومن الخطاء .. قوله

ظعنوا فكان بكايَ حولاً بعدهم   ثم ارعويتُ وذاك حكم لبيدِ

أجدرْ بجمرةِ لوعةٍ اطفاؤها   بالدمع ان تزداد طول وقودِ

(١) قوله للحمد ــ هكذا فى الاصول .. والذى فى الموازنة ــ متصرف للمجد وكتب تحته .. أى حيث مارأى خلة تكسبه الحمد التمسها وطلبها

هذا خلاف مايعرفه الناس . لانهم قداجمعوا . ان البكاء يطفى الغليل . ويبرد حرارة المحزون . ويزيل شدة الوجد . وذكروا ان امرأة مات ولدها فامسكت نفسها عن البكاء صبرا واحتسابا فخرج الدم من ثديها وذلك لما ورد عليها من شدة الحزن مع الامتناع من البكاء . وقد شهد أبو تمام بصحة ماذكرناه وخالف قوله الاول . فقال

نثرت فريدَ مدامعٍ لم تنظم   والدمع يحمل بعضَ ثقل المغرم

وقال

واقع بالخدود والبرد منه   واقع بالقلوب والاكباد

وقال امرؤ القيس

وانّ شفاءي عبرة مهراقة   فهل عند رسم دارس من معوّل

أخبرنا أبو احمد قال أخبرنا الانبارى . قال حدثنا محمد بن المرزبان . قال حدثنا حماد . ابن اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال حدثنا محمد بن كناسة . قال قال أبو بكر بن عياش . كنت وأنا شاب اذا أصابتنى مصيبة لا أبكى فيحترق جوفى فرأيت اعرابيا بالكناس على ناقة له والناس حوله وهو ينشد

خليلى عوجا من صدور الرواحل   ببرقة حزوى فابكيا في المنازل

لعلّ انحدارَ الدمع يعقب راحة   من الوجد أو يشفى نجىّ البلابل

فسألت عن الاعرابى . فقيل هو ذو الرمة . فكنت بعد ذلك . اذا أصابتنى مصيبة بكيت فاشتفيت . فقلت قاتل الله الاعرابى ما كان أبصره . وقال الفرزدق

فقلت لها أنّ البكاء اراحة   به يشتفى من ظن ان لا تلاقيا

وقد تبعه البحترى على اساءته . فقال

فعلامَ فيضَ مدامعٍ تدقُ الجوى   وعذابَ قلبٍ فى الحسان معذّبِ

تدق — من الوديقة . وهى الهاجرة لدنو الحر فيها . والودق أصله الدنو .

يقال اتان وَديق اذا دنت من الفحل ـ والودق ـ القطر لدنوه من الارض بعد انحلاله من السحاب . والخطاء الفاحش له . قوله ـ أى أبو تمام ـ

رضيتُ وهل أرضى إذا كانَ مسخطي ... من الامر مافيه رضى من له الامر

والمعنى لست أرضى اذا كان الذى يسخطنى هو الذى يرضاه الله عز وجل . لان هل تقرير لفعل ينفيه عن نفسه . كما تقول ـ هل يمكننى المقام ـ وهل آتى بما تكره ـ معناه لا يمكننى المقام . ومعنى قوله هل أرضى اذا كان مسخطى . أى لا أرضى . ومن الخطاء قوله

ويوم كطول الدهر فى عرض مثله ... ووجدى من هذا وهذاك أطول

قد استعمل الناس الطول والعرض فيما ليس له استعمالا مخصوصاً . كقول كثير

أنتَ ابن فرعيْ قريشٍ لو تقايسها ... فى المجد صار اليك العرض والطول

أى صار اليك المجد بتمامه . وقول كثير أيضا

بطاحي له نسب مصفي ... وأخلاق لها عرض وطول

فعلى هذا استعمل هذان اللفظان . وقالوا هذا الشىء فى طول ذلك وعرضه اذا كان مما يرى طوله وعرضه . ولا يستعمل فيما ليس له طول وعرض على الحقيقة ولا يجوز مخالفة الاستعمال البتة . وكان أبو تمام قد استوفى المعنى فى قوله ـ كطول الدهر ـ ولم يكن به حاجة الى ذكر العرض . ومن الخطأ قول البحترى ورواه لنا أبو احمد عن ابن عامر . لابى تمام والصحيح انه للبحترى

بَدَت صفرَة فى لونه انّ حمدهم ... من الدرّ ما اصفرّت حواشيه فى العقد

وانما يوصف الدر بشدة البياض . واذا أريد المبالغة فى وصفه وصف بالنصوع ومن أعيب عيوبه الصفرة . وقالوا ـ كوكب درى ـ لبياضه . واذا اصفر احتيل فى ازالة صفرته ليتوضأ . واستعمال الحواشى فى الدر أيضا خطاء . ولوقال نواحيه لكان أجود والحاشية للبرد والثوب فاما حاشية الدر فغير معروف . وفيها

وجرّتْ على الأيدي مجسة جسمه ... كذلك موج البحر ملتهب الوقْد

وهذا غلط لان البحر غير ملتهب الموج ولا متقد الماء . ولو كان متقداً أو ملتهبا لما أمكن ركوبه وانما أراد ان يعظم أمر الممدوح فجاء بما لا يعرف . وفيها

ولست تَرى شوكَ القتادةِ خائفا سمومَ رياحِ القادحاتِ من الزَند

وهذا خطاء لانه شبه العليل بشوك القتاد على صلابته على شدة العلة وزعم أن شوك القتاد لايخاف النار التى تقدح بالزناد .. وقد علمنا أن النار تفلق الصخر وتلين الحديد .. فكيف يسلم منها القتاد وليس لذكر السموم والرياح ايضا فى هذا البيت فائدة ولا موقع . ولما مات المتوكل انشد رجل جماعة

ماتَ الخليفةُ أيها الثقلانِ

فقالوا جيد نعى الخليفة الى الجن والانس فى نصف بيت .. فقال

فكأنني أفطرتُ في رمضانِ

فضحكوا منه ، ونوردها هنا جملة نتمم بها معانى هذا الباب . . ينبغى أن تعرف أن أجود الوصف مايستوعب اكثر معانى الموصوف حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نصف عينك وذلك مثل .. قول الشماخ فى نبالة

خلتْ غيرآثار الأراجيل ترتمى تقعقع فى الاباطِ منها وفاضها

فهذا البيت يصور لك هرولة الرجالة ووفاضها فى آباطها تتقعقع ـ والوفاض جمع وفضة وهى الجعبة .. وقول يزيد بن عمرو الطائى

الا من رأي قومى كان رجالهم نخيل أتاها عاضد فأمالها

فهذا التشبيه كأنه يصور لك القتلى مصرعين .. وقال العتابى فى السحاب

والغيم كالثوب فى الآفاق منتشر من فوقه طبق من تحته طبق

تظنه مصمتاً لافتقَ فيه فأنْ سألتَ عزاليهِ قلت الثوبِ منفتق

ان معمعَ الرعد فيه قلت منخرق أولا لألأ البرق فيه قلتَ محترق

وينبغى أن يكون التشبيب .. دالا على شدة الصبابة . وافراط الوجد ،

والتهالك فى الصبوة .. ويكون بريا . من دلائل الخشونة والجلادة . وامارات الاباء والعزة .. ومن أمثلة ذلك .. قول أبى الشيص

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى ... متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامسة فى هواك لذيذة ... حباً لذكرك فليلمنى اللوم

أشبهت أعدائى فصرت أحبهم ... اذ كان حظى منك حظي منهم

واهنتنى فأهنت نفسى صاغراً ... مامن يهون عليك ممن أكرم

فهذا غاية التهالك فى الحب . ونهاية الطاعة للمحبوب . . ويستجاد التشبيب ايضا اذا تضمن ذكر التشوق والتذكر لمعاهد الاحبة . بهبوب الرياح . ولمع البروق . وما يجرى مجراها من ذكر الديار والآثار .. فمن اجود ماقيل فى الديار قول الازدى :

فلم تدع الارياح والقطر والبلى ... من الدار الا مايشف ويشغف

وفى ذكر البروق .. قول الاول

سرى البرق من نحو الحجاز فشاقنى ... وكل حجازى له البرق شائق

بدا مثل نبض العرق والبعد دونه ... واكناف لبنى دوننا والاسالق

نهارى بأشراف التلاع موكل ... وليلى اذا ماجنني الليل آرق

فوا كبدى مما ألاقى من الهوى ... اذا حن ألف أو تألق بارق

وكذا ينبغى أن يكون التشبيب دالا على الحنين والتحسر وشدة الاسف ... كقوله :

وليست عشيات الحمي برواجع ... اليك ولكن خل عينيك تدمعا

وأذكر أيام الحمى ثم انثنى ... على كبدي من خشية إن تصدعا

وقال ابن مطير

وكنت أذود العين ان ترد البكا ... فقد وردت ما كنت عنه أذودها

خليلى ما فى العيش عيب لو أننا ... وجدنا الأيام الحمى من يعيدها

فهذا يدل على تحسر شديد وحنين مفرط .. وقول الآخر

وددت بأبرق العيشوم إنى ... ومن أهوى جميعاً فى رداء

أباشره وقد نديت عليه ... وألصق صحة منه بدائى

نحن اليه حنين السقيم الى الشفا . ومن الشعر الدال على شدة الحسرة والشوق. قول الآخر

يقر بعينى أن أرى رملة الغضا ... اذا ما بدت يوماً لعينى قلالها

ولست وإن أحببت من يسكن الغضا ... بأول راج حاجة لا ينالها

وينبغى أن يظهر الناسب الرغبة فى الحب . وأن لا يظهر التبرم به . كأبى صخر * حين يقول

فياحبها زدنى جوى كل ليلة ... ويا سلوة الايام موعدك الحشر

وقول الآخر

تشكى المحبون الصبابة ليتني ... تحملت ما يلقون من بينهم وحدى

فكانت لنفسى لذة الحب كلها ... ولم يلقها قبلى محب ولا بعدى

وينبغى أن يكون فى النسيب دليل التدله والتحير . كقول الحكم الحضرى .

تساهم نواياها ففى الدرع رأدة [١] ... وفى المرط لفسا وان ردفها عبل

فوالله ما أدرى أزيدت ملاحة ... وحسناً على النسوان أم ليس لى عقل

وقيل لبعضهم ما بلغ من حبك لفلانة .. فقال إنى أرى الشمس على حيطانها

(١) الرأدة — الناعمة حكاه فى الاساس عن الاصمعى

أحسن منها على حيطان جيرانها

ولما كانت أغراض الشعراء كثيرة . ومعانيهم متشعبة جمة . لا يبلغها الاحصاء كان من الوجه أن نذكر ما هو أكثر استعمالا . وأطول مداوسة له . وهو المدح . والهجاء . والوصف . والنسيب . والمراثى . والفخر .. وقد ذكرت قبل هذا المديح والهجاء وما ينبغى استعماله فيهما . ثم ذكرت الآن الوصف والنسيب . وتركت المراثى والفخر لانهما داخلان فى المديح .. وذلك أن الفخر هو مدحك نفسك بالطهارة . والعفاف . والحلم . والعلم . والحسب . وما يجرى مجرى ذلك . والمرثية مديح الميت والفرق بينهما وبين المديح . . أن تقول كان كذا وكذا وتقول فى المديح هو كذا وأنت كذا .. فينبغى أن تتحوخى فى المرثية ما تتوخى فى المديح .. الا أنك اذا أردت أن تذكر الميت بالجود والشجاعه تقول مات الجود . وهلكت الشجاعة . ولا تقول كان فلانا جوادا وشجاعا . . فان ذلك بارد غير مستحسن وما كان الميت يكده فى حياته فينبغى أن لا يذكر أنه يبكى عليه مثل الخيل والابل وما يجرى مجراها . . وإنما يذكر اغتباطهم بموته . . وقد أحسنت الخنساء * حيث تقول

فقد فقدتك طلقة واستراحتْ   فليت الخيل فارسها يراها

بل يوصف بالبكاء عليه من كان يحسن اليه فى حياته اليه . . كما قال الغنوى

ليبكاك شيخ لم يجد من يعينه   وطاوي الحشي نائى المزار غريب

فهذه جملة اذا تدبرها صانع الكلام استغنى بها عن غيرها وبالله التوفيق



الباب الثالث

فى معرفة صنعة الكلام وترتيب الالفاظ فصلان

الفصل الاول

في كيفية نظم الكلام والقول في فضيلة الشعر وما ينبغى استعماله فى تأليفه

إذا أردت ان تصنع كلاما فاخطر معانيه ببالك وتنوق له كرائم اللفظ واجعلها على ذكر منك . ليقرب عليك تناولها . ولا يتعبك تطلبها . واعمله ما دمت فى شباب نشاطك . فاذا غشيك الفتور . وتخونك الملال . فامسك .. فان الكثير مع الملال قليل . والنفيس مع الضجر خسيس . والخواطر كالينابيع يسقى منها شئ بعد شئ .. فتجد حاجتك من الرى . وتنال اربك من المنفعة .. فاذا أكثرت عليها انضب ملؤها . وقل عنك غناؤها . وينبغى ان يجرى مع الكلام معارضة . فاذا مررت بلفظ حسن أخذت برقبته . أو معنى بديع تعلقت بذيله . وتحذر ان يسبقك فانه ان سبقك تعبت فى تتبعه . ونصبت فى تطلبه . ولعلك لا تلحقه على طول الطلب . ومواصلة الدأب وقد قال الشاعر

اذا ضيعت أول كل أمر   أبت اعجازه الا التواء

وقالوا . ينبغى لصانع الكلام . ان لا يتقدم الكلام تقدما . ولا يتبع ذناباه تتبعا ولا يحمله على لسانه حملا . . فانه ان تقدم الكلام لم يتبعه خفيفه وهزيله واعجفه والشارد منه .. وأن تتبعه فاتته سوابقه ولواحقه . وتباعدت عنه جياده وغرره وان حمله على لسانه ثقلت عليه اوساقه واعباؤه . ودخلت مساويه فى محاسنه .. ولكنه يجرى معه فلا تند عنه نادة معجبة سمناً الا كبحها . ولا تتخلف عنه مثقلة هزيلة الا ارهقها . فطوراً يفرقه ليختار احسنه . وطوراً يجمعه ليقرب عليه خطوة الفكر . ويتناول اللفظ من تحت لسانه . ولا يسلط الملل على قلبه

ولا الاكثار على فكره . فيأخذ عفوه . ويستغزر دره . ولا يكره أبياً . ولا يدفع اتياً .. (وقال) بشر بن المعتمر • خذ من نفسك ساعة لنشاطك . وفراغ بالك . واجابتها لك .. فان قلبك فى تلك الساعة اكرم جوهراً . وأشرق حسناً . وأحسن فى الاسماع .واحلى فى الصدور. واسلم من فاحش الخطاء . وأجلب لكل غرة من لفظ كريم . ومعنى بديع

(واعلم) أن ذلك اجدى عليك من مايعطيك يومك الاطول بالكد والمطالبة والمجاهدة والتكلف والمعاودة . . ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولاً قصداً . وخفيفا على اللسان سهلا . وكما خرج عن ينبوعه . ونجم من معدنه . . واياك والتوعر . فان التوعر يسلمك الى التعقيد . والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك . ويشين الفاظك . ومن أراغ معنى كريماً . فليلتمس له لفظاً كريماً ..فان حق المعنى الشريف . اللفظ الشريف ... ومن حقهما أن يصونهما عما يدنسهما ويفسدهما ويهجنهما فتصير بهما الى حد تكون فيه اسوأ حالا منك قبل أن تلتمس منازل البلاغة . وترتهن نفسك فى ملابستها . فكن فى ثلاث منازل

فاول الثلاث — أن يكون لفظك شريفاً عذباً . وفخماً سهلا .ويكون معناك ظاهراً مكشوفا . وقريباً معروفا .. فان كانت هذه لاتواتيك . ولا تسنح لك . عند أول خاطر .. وتجد اللفظة لم تقع موقعها . ولم تصل الى مركزها . ولم تتصل بسلكها . وكانت قلقة فى موضعها . نافرة عن مكانها . فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن . والنزول فى غير اوطانها .. فانك لم تتعاط قريض الشعر المنظوم . ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور . لم يعبك بذلك احد ، وان تكلفته ولم تكن حاذقاً مطبوعاً . ولا محكماً لشأنك بصيرا . عابك من انت اقل عيبا منه .وزرى عليك من هو دونك

فان ابتليت بتكلفة القول . وتعاطى الصناعة. ولم تسمح لك الطبيعة فى اول وهلة .وتعصى عليك بعد اجالة الفكرة .فلا تعجل. ودعه سحابة يومك ولا تضجر

وأمهله سواد ليلتك .وعاوده عند نشاطك . فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة. وان كانت هناك طبيعة وأجريت من الصناعة على عرف وهى ـ المنزلة الثانية ـ فان تمنع عليك بعد ذلك مع ترويح الخاطر . وطول الامهال

والمنزلة الثالثة ـ ان تتحول من هذه الصناعة .الى اشهى الصناعات اليك . وأخفها عليك .فانك لم تشتهها الا و بينكما نسب .. والشيء لايحن الا الى ماشاكله وان كانت المشاكلة قد تكون فى طبقات .. فان النفوس لاتجود بمكنونها . ولا تسمح بمخزونها . مع الرهبة . كما تجود مع الرغبة والمحبة

وينبغى أن تعرف اقدار المعانى . فتوازن بينها و بين اوزان المستمعين . وبين اقدار الحالات . فتجعل لكل طبقة كلاما . ولكل حال مقاما . حتى تقسم اقدار المعانى .. على اقدار المقامات .. واقدار المستمعين .. على اقدار الحالات ،

(واعلم) أن المنفعة مع موافقة الحال.وما يجب لكل مقام من المقال ..فان كنت متكلما .. (أو) احتجت الى عمل خطبة لبعض من تصلح له الخطب . أو قصيدة لبعض مايراد له القصيد .. فتخط الفاظ المتكلمين .. مثل الجسم والعرض والكون والتأليف والجوهر فان ذلك هجنة : وخطب بعضهم فقال .. ان الله انشأ الخلق وسواهم ومكنهم ثم لاشاهم .. فضحكوا منه .. وقال بعض المتأخرين

نورٌ تبين فيه لاهوتيه   فيكاد يعلم علم ما لن يعلما(١)

فأتى من الهجنة بما لا كفاء له .. وكذلك كن ايضا اذا كنت كاتبا

واعلم أن الرسائل والخطب متشاكلتان فى انهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية وقد يتشاكلان أيضاً من جهة الالفاظ والفواصل . فالفاظ الخطباء . تشبه الفاظ الكتاب . فى السهولة والعذوبة . وكذلك فواصل الخطب. مثل فواصل الرسائل ولا فرق بينهما الا ان الخطبة يشافه بها . والرسالة يكتب بها . والرسالة تجعل خطبة . والخطبة تجعل رسالة .. فى ايسر كلفة ولا يتهيأ مثل ذلك فى الشعر من

(١) هكذا ـ ضبط البيت فى سائر النسخ ولا يخفى ما فيه من العيب

صرعة قلبه واحالته الى الرسائل الا بتكلفة .. وكذلك الرسالة والخطبة لايجعلان شعراً إلا بمشقة

ومما يعرف أيضاً من الخطابة والكتابة انهما مختصتان بامر الدين والسلطان . وعليهما مدار الدار وليس للشعر بهما اختصاص

اما الكتابة فعليها مدار السلطان .. والخطابة لها الحظ الاوفر من امر الدين .. لان الخطبة شطر الصلاة التى هى عماد الدين . فى الاعياد والجمعات والجماعات وتشتمل على ذكر المواعظ التى يجب ان يتعهد بها الامام رعيته لئلا تدرس من قلوبهم آثار ما انزل الله عز وجل من ذلك فى كتابه الى غير ذلك من منافع الخطب .. ولا يقع الشعر فى شيء من هذه الاشياء موقعاً . ولكن له مواضع لا ينجع فيها غيره من الخطب والرسائل وغيرها وان كان أكثره قد بنى على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة . والنعوت الخارجة عن العادات والالفاظ الكاذبة . من قذف المحصنات . وشهادة الزور . وقول البهتان . لاسيما الشعر الجاهلى الذى هو أقوى الشعر وأفحله وليس يراد منه الاحسن اللفظ وجودة المعنى هذا هو الذى سوغ استعمال الكذب وغيره مما جرى ذكره فيه . وقيل لبعض الفلاسفة . فلان يكذب فى شعره . فقال يراد من الشاعر حسن الكلام . والصدق يراد من الانبياء .

فمن مراتبه العالية التى لا يلحقه فيها شيء من الكلام . هو النظم الذى به زنة الالفاظ . وتمام حسنها . وليس شيء من أصناف المنظومات يبلغ فى قوة اللفظ منزلة الشعر .

ومما يفضل به غيره أيضا طول بقائه على أفواه الرواة . وامتداد الزمان الطويل به وذلك لارتباط بعض أجزائه ببعض وهذه خاصة له فى كل لغة . وعند كل أمة وطول مدة الشيء من أشرف فضائله .

ومما يفضل به غيره من الكلام . استفاضته فى الناس وبعد سيره فى الآفاق . وليس شيء أسير من الشعر الجيد . وهو فى ذلك نظير الامثال . وقد قيل . لا شيء أسبق الى الاسماع . وأوقع فى القلوب . وأبقى على الليالى والايام . من مثل سائر .

وشعر نادر ·

ومما يفضل بهغيره · انهليس يؤثر فى الاعراض والانساب · تأثير الشعر فى الحمد والذم شىء من الكلام · فكم من شريف وضع · وخامل دنى رفع · وهذه فضيلة غير معروفة فى الرسائل والخطب ·

ومما يفضلها به أيضاً . . انه ليس شىء يقوم مقامه فى المجالس الحافلة . والمشاهد الجامعة . اذا قام به منشد على رؤوس الاشهاد . . ولا يفوز أحد من مؤلفى الكلام . بما يفوز به صاحبه من العطايا الجزيلة . والعوارف السنية . ولا يهتز ملك . ولا رئيس لشىء من الكلام . كما يهتز له ويرتاح لاستماعه وهذه فضيلة أخرى لا يلحقه فيها شىء من الكلام :

ومنه . . ان مجالس الظرفاء والادباء . لا تطيب . ولا تؤنس . الا بانشاد الاشعار . ومذاكرة الاخبار . وأحسن الاخبار عندهم ما كان فى أثنائها أشعار . . وهذا شىء مفقود فى غير الشعر :

ومما يفضل به الشعر . . ان الالحان التى هى أهنى اللذات . اذا سمعها ذوو القرائح الصافية . والانفس اللطيفة . لا تتهيأ صنعتها الا على كل منظوم من الشعر . فهو لها بمنزلة المادة القابلة لصورها الشريفة . . (الا) ضرباً من الالحان الفارسية تصاغ على كلام غير منظوم نظم الشعر . . تمطط فيه الالفاظ فالالحان منظومة . والالفاظ منثورة :

ومن أفضل فضائل الشعر . . ان ألفاظ اللغة انما يؤخذ جزلها وفصيحها . وحلها وغريبها من الشعر . . ومن لم يكن راوية الاشعار العرب تبين النقص فى صناعته :

ومن ذلك أيضاً ان الشواهد تنزع من الشعر ولولاه لم يكن على ما يلتبس من ألفاظ القرآن وأخبار الرسول (ﷺ) شاهد :

وكذلك لا نعرف انساب العرب وتواريخها وأيامها ووقايعها الا من جملة اشعارها . فالشعر ديوان العرب . وخزانة حكمتها . ومستنبط آدابها . ومستودع

علومها .. فاذا كان ذلك كذلك .. فحاجة الكاتب والخطيب وكل متأدب بلغة العرب أو ناظر فى علومها ماسته وفاقته الى روايته شديدة :

وأما النقص الذى يلحق الشعر من الجهات التى ذكرناها . . فليس يوجب الرغبة عنه والزهادة فيه . . واستثناء الله عزوجل فى أمر الشعراء يدل على ان المذموم من الشعر .. (انما) هو المعدول عن جهة الصواب الى الخطاء والمصروف عن جهة الانصاف والعدل الى الظلم والجور .. واذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم .. (ولو) كان الذم لازماً له لكونه شعراً لما جاز ان يزول عنه على حال من الاحوال ومع ذلك فان من أكمل الصفات .. صفات الخطيب والكاتب ان يكونا شاعرين كما ان من أتم صفات الشاعر ان يكون خطيباً كاتبا والذى قصر بالشعر كثرته وتعاطى كل أحد له حتى العامة والسفلة فلحقه من النقص مالحق العود والشطرنج حين تعاطاها كل أحد :

ومن صفات الشعر الذى يختص بها دون غيره .. ان الانسان اذا أراد مديح نفسه فانشأ رسالة فى ذلك او عمل خطبة فيه جاء فى غاية القباحة . . وان عمل فى ذلك أبياتا من الشعر احتمل :

ومن ذلك ان صاحب الرياسة والابهة . . لو خطب بذكر عشيق له ووصف وجده به وحنينه اليه وشهرته فى حبه وبكاه من أجله لاستهجن منه ذلك وتنقص به فيه .. ولو قال فى ذلك شعراً لكان حسناً :

واذا أردت ان تعمل شعراً فاخضر المعانى التى تريد نظمها فكرك واخطرها على قلبك وأطلب لها وزناً يتأتى فيه ايرادها وقافية يحتملها .. فمن المعانى ماتتمكن من نظمه فى قافية ولا تتمكن منه فى أخرى .. أو تكون فى هذه أقرب طريقاً وأيسر كلفة منه فى تلك . . ولان تعلو الكلام فتأخذه من فوق فيجيء سلساً سهلا ذا طلاوة ورونق خير من ان يعلوك فيجيء كزاً فجاً ومتجمدا جلفا . . فاذا عملت القصيدة فهذبها ونقحها . . بالقاء ماغث من أبياتها ورث ورذل والاقتصار على ماحسن وفخم . . بابدال حرف منها بآخر أجود منه حتى تستوى أجزاؤها

وتتضارع هو اديها واعجازها . فقد أنشدنا أبو أحمد رحمه الله قال أنشدنا أبو بكر بن دريد

طرقتك عزة من مزارٍ نازحٍ يا حسنَ زائرةٍ وبُعدَ مزارِ

ثم قال أبو بكر لو قال — يا قرب زائرة وبعد مزار — لكان أجود . وكذلك هو لتضمنه الطباق . وأخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر عن عبدالرحمن عن عمه عن المنتجع * بن نبهان . قال سمعت الاشهب * بن جميل يقول : أنا أول من ألقا الهجا . بين جرير وابن لجا * أنشدت جريراً قوله

تصطكُّ إلحيها على دلاَئها تلاطمَ الأزْدِ على عطائها

حتى بلغت الى قوله

تجرُّ بالأهوَنِ من دعائها جرَّ العجوز الثنيَ من كسائها

فقال جرير الا قال — جر الفتاة طرفى ردائها — فرجعت الى ابن لجا فأخبرته. فقال والله ما أردت إلا ضعفة العجوز ووقع بينهما الشر . وقول جرير — جر العروس طرفى ردائها — أحسن وأظرف وأحلا من قول عمرو بن لجا — جر العجوز الثنى من كسائها — وليس فى اعتذار ابن لجا بضعفة العجوز فائدة لان الفتاة معها من الدلال ما يقوم فى الهوينا مقام ضعفة العجوز وإنكار جرير قوله — الثنى من كسائها — نقد دقيق وإنما أنكره لان فيه شعبة من التكلف وقول جرير — طرفى ردائها — أسلس وأسهل وأقل حروفا . وقولك رأيت الايعاذ بذلك . أجود من قولك . رأيت أن أوعز بذلك . كذا وجدت حذاق الكتاب يقولون . . وعجبت من البحترى كيف قال

لعمرُ الغوانى يَوْم صحراءِ أرْبَد لقد هيَّجتْ وَجداً على ذِى توجدِ

ولو قال — على متوجد — لكان أسهل وأسلس وأحسن . وفى غير هذه الرواية . قال فقال ابن لجا لجرير فقد قلت أعجب من هذا . وهو قولك

واوثق عند المردفاتِ عشيةً لحاقاً اذا مَاجرَّد السيف لامعُ

والله لو لم يلحقن الاعشيا لما لحقن حتى نكحن وأحبلن . وقد كان هذا دأب جماعة من حذاق الشعراء من المحدثين والقدماء . منهم زهير كان يعمل القصيدة فى ستة أشهر ويهذبها فى ستة أشهر ثم يظهرها فتسمى قصائده الحوليات لذلك . وقال بعضهم . خير الشعر الحولى المنقح . وكان الحطيئة يعمل القصيدة فى شهر وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يبرزها . وكان أبو نواس يعمل القصيدة ويتركها ليلة ثم ينظر فيها فيلقى أكثرها ويقتصر على العيون منها فلهذا قصر أكثر قصائده. وكان البحترى يلقى من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به فخرج شعره مهذبا . وكان أبو تمام لا يفعل هذا الفعل وكان يرضى بأول خاطر فنعى عليه عيب كثير

وتخير الالفاظ وإبدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته فان أمكن مع ذلك منظوما من حروف سهلة المخارج كان أحسن له وادعى للقلوب اليه وإن اتفق له أن يكون موقعه فى الاطناب والايجاز أليق بموقعه وأحق بالمقام والحال كان جامعاً للحسن بارعا فى الفضل وإن بلغ مع ذلك ان تكون موارده تنبيك عن مصادره وأوله يكشف قناع آخره كان قد جمع نهاية الحسن وبلغ أعلى مراتب التمام . ومثاله . ما أنشدنا ابو احمد قال انشدنا ابو الحسن احمد * بن جعفر البرمكى قال انشدنا عبيدالله بن عبدالله بن طاهر . لنفسه

أشارت بأطرافِ البنانِ المخضبِ ... وضنّت بما تحت النقابِ المكتبِ

وعضتْ على تفاحة فى يمينها ... بذى أشرٍ عذبِ المذاقةِ أشنبِ

وأومتْ بها نحوي فقمتُ مبادراً ... اليها فقالت هل سمعت بأشعبِ

فهذا أجود شعر سبكا وأشده التياما وأكثره طلاوة وماء . . وينبغى ان تجعل كلامك مشتبها اوله بآخره . ومطابقا هاديه لعجزه ولا تتخالف اطرافه ، ولا تتنافر اطراره . وتكون الكلمة منه موضوعة مع اختها . ومقرونة بلفقها. فان تنافر الالفاظ من اكبر عيوب الكلام . ولا يكون ما بين ذلك حشو يستغنى عنه ويتم الكلام دونه . ومثال ذلك . من الكلام المتلائم الاجزاء . غير المتنافر

الاطرار . قول اخت عمرو ذى الكلب *

فأقسمُ ياعمرو لو نبهاك اذاً نبها منك داءً عضالا

إذاً نبها ليث عِرّينة (١) مُفنباً مفيداً نفوساً ومالا

وخرقٍ تجاوزتَ مجهوله بوجناء حرف تشكى الكلالا (٢)

فكنتَ النهار به شمسه وكنتَ دُجى الليل فيه الهلالا

فجعلته الشمس بالنهار . والهلال بالليل . وقالت . مفنيا مفيدا . ثم فسرت فقالت .. نفوساً ومالا .. وقال الآخر

وفى اربع منى حلتْ منك أربع فما أنا دار أيها هاج لى كربى

اوجهك فى عينى أم الريق فى فمي أم النطقُ في سمعى أم الحبّ فى قلبى

وأخبرنى أبو احمد .. قال كنت انا وجماعة من احداث بغداد ممن يتعاطى الادب نختلف الى مدرك نتعلم منه علم الشعر .. فقال لنا يوما اذا وضعتم الكلمة مع لفقها كنتم شعراء .. ثم قال اجيزوا هذا البيت

ألا إنما الدنيا متاعُ غرورِ

فاجازه كل واحد من الجماعة بشيء فلم يرضه . . فقلت

وان عظمتْ في أنفسٍ وصدورِ

---

(١) العرينة ــ مأوى الاسد والضبع وغيرهما وفى نسخة ــ عريسة ــ وذلك مأوى الاسد خاصة

(٢) الخرق ــ الارض البعيدة مستوية كانت أو غير مستوية . والفلاة الواسعة ايضا ــ والوجناء ــ الناقة الشديدة شبهت بالوجهين من الارض اى الصلبة ذات الحجارة ــ وقوله ــ حرف ــ صفة للناقة .. والحرف من الابل النجيبة الماضية التى انضتها الاسفار شبهت بحرف السيف فى مضائها .. وقيل هى الضامرة الصلبة شبهت بحرف الجبل فى شدتها

فقال هذا هو الجيد المختار .. وأخبرنا أبو احمد الشطني قال حدثنا أبو العباس بن عربي · قال حدثنا حماد عن يزيد بن جبلة (١) · · قال دفن مسلمة رجلا من اهله وقال

نروحُ ونغدو اكل يومٍ وليلة

ثم قال لبعضهم أجز فقال — فحتى متى هذا الرواح مع الغدو — فقال مسلمة لم تصنع شيئاً .. فقال آخر — فيالك مغداً مرة ورواحا — فقال لم تصنع شيئا .. فقال لآخر أجز انت · فقال

وعما قليلٍ لانروحُ ولا نغدُوا

فقال الآن تم البيت .. ومما لم يوضع الشيء مع لفقه من اشعار المتقدمين . قول طرفة :

ولستُ بحلاّلِ التلاع مخافةً ولكن متى يسترفدِ القومُ أرفد (٢)

فالمصراع الثاني غير مشاكل الصورة للمصراع الاول وان كان المعنى صحيحا لانه أراد ولست بحلال التلاع مخافة السؤال ولكني انزل الامكنة المرتفعة ليمتابوني فارفدهم . . وهذا وجه الكلام فلم يعبر عنه تعبيراً صحيحاً ولكنه خلطه وحذف منه حذفاً كثيراً فصار كالمتنافر وأدواء الكلام كثيرة · وهكذا قول الاعشى :

وانَّ إمرءاً أسرى اليك ودونه سهوبٌ ومَوْماة وبيداء سملق (٣)

---

(١) نسخة — ابن حنظلة

(٢) التلاع — جمع تلعة والتلعة ماارتفع من الارض وما انهبط منها ايضاً فهو من الاضداد . . قال في الجمهرة وأراد المنخفض لان البخيل يحل في الاماكن المنخفضة لئلا يراه احد

(٣) السهوب — من السهب بفتح السين واسكان الهاء الارض الواسعة — والمومات — تقدم تفسيره — والسملق — الارض المستوية · · وقيل القفر الذي لا نبات فيه

لمحقوقة ان تستجيبي لصوته   وأنْ تعلمي انّ المعان موفقُ

قوله ـ وان تعلمي ان المعان موفق ـ غير مشاكل لماقبله .. وهكذا قول عنترة

حرقُ الجناحِ كأنّ لحييْ رأسِه   جلمان بالاخبار هش مولعُ (١)

ان الذين نعبتَ لى بفراقهم   هم اسلوا ليلى التمامَ واوجعوا (٢)

ليس قوله — بالاخبار هش مولع — فى شىء من صفة جناحه ولحييه ..

وقول السموأل

فنحنُ كماءِ المزنِ مافي نصابنا   كهامٌ ولا فينا يعد بخيلُ (٣)

ليس فى قوله ـ مافى نصابنا كهام ـ من قوله ـ فنحن كماء المزن ـ فى شىء اذ ليس بين ماء المزن والنصاب والكهوم مقاربة ولو قال ...ونحن ليوث الحرب أو أولوا الصرامة والنجدة مافى نصابنا كهام لكان الكلام مستويا . . أو نحن كماء المزن صفاء اخلاق وبذل اكف لكان جيدا .. وجعل بعض الادباء من هذا الجنس قول امرىء القيس

كأني لمْ أركبْ جواداً للذةٍ   ولم اتبطنْ كاعباً ذات خلخال

ولم اسباءِ الزقّ الرويّ ولم أقل   لخيلى كرّى كرّةً بعد اجفال

قالوا . . فلو وضع مصراع كل بيت من هذين البيتين فى موضع الآخر لكان أحسن وأدخل فى استواء النسج فكان يروى

---

(١) الحرق — فى الجناح قصر ريشه .. قال فى اللسان حرق ريش الطائر فهو حرق الحص — والجلمان ـ المقراضان واحدهما جلم

(٢) النعب ـ من نعب الغراب نعيبا اذا مد عنقه فى نعاقه

(٣) الكهام ـ من كهم الرجل كهامة اذا ضعف وجبن عن الاقدام . . أى ليس فينا رجل ضعيف

كأني لم أركب جواداً ولم أقل   لخيلي كرى كرة بعد أجفال

ولم اسباء الزق الروي للذة   ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال

لان ركوب الجواد مع ذكر كرور الخيل أجود وذكر الخمر مع ذكر الكواعب احسن . . قال ابو احمد الذى جاء به امرؤ القيس هو الصحيح وذلك أن العرب تضع الشيء مع خلافه فيقولون الشدة والرخاء والبؤس والنعيم وما يجرى مع ذلك وقالوا فى قول ابن هرمة

واني وتركي ندى الاكرمينَ   وقَدْحى بكفيّ زنداً شحاحا

كتاركةٍ بيضها بالعراءِ   وملبسةٍ بيضَ أخرى جناحا

وقول الفرزدق

وانك اذ تهجو تميماً وترتسي (١)   سرابيل قيسٍ أو سحوقَ العمائمْ

كمهريق ماء بالفلاة وغرّه   سرابٌ اذا عتهُ رياح السمائِم

كان ينبغى ان يكون بيت ابن هرمة مع بيت الفرزدق وبيت الفرزدق مع بيت ابن هرمة . . فيقال

واني وتركى ندى الاكرمين   وقدحي بكفى زنداً شحاحا

كمهريق ماءٍ بالفلاة وغرّه   سرابٌ إذا عتـه رياح السمائِم

وانك اذ تهجوا تميماً وترتسى   سرابيلَ قيس أوسحوقَ العمائم

كتاركة بيضها بالعراء   وملبسة بيض أخرى جناحا

حتى يصح التشبيه للشاعرين جميعا . . ومن المتنافر الصدر والأعجاز . قول حبيب بن أوس

محمدُ انّ الحاسدين حُشودُ   وانّ مصابُ المزنِ حيث تريدُ

(١) هكذا فى الاصل المنقول عنه . . وفى نسخة — وترتشى — بالمعجمة ولم اقف عليه فى ديوانه

ليس النصف الاول من النصف الثانى فى شىء . . وقريب من ذلك . قول الطائى *

قومٌ هدى الله العباد بجدّهم والمورثونَ الضيفَ بالازوادِ

ومن الشعر المتلايم الاجزاء المتشابه الصدور والاعجاز . . قول ابى النجم

انّ الاعادى لنْ تنال قديمنا حتى تنالَ كواكبُ الجوزاء

كمْ فى لجيمٍ منْ أغرّ كأنه صبح يشق طيالس الظلماء

ومجرّبٍ خضلِ السنانِ اذا التقى زَحفُ بخاطرة الصدورِ ظماء

وكقول القطامى

يمشين زهوا فلا الاعجاز خاذلةٌ ولا الصدور على الاعجازِ تتكلُ

فهنّ معترضات والحصى رمض والريح ساكنة والظل معتدل

الا ان هذا لو كان فى وصف نساء لكان احسن . . فهو كالشىء الموضوع فى غير موضعه

وينبغى ان تتجنب اذا مدحت أو عاتبت المعانى التى يتطير منها ويستشنع سماعها . مثل قول أبى نواس

سلام على الدنيا اذا مافقدتم بنى برْمكٍ من رائحين وغادي

واذا أردت ان تأتى بهذا المعنى فسبيلك أن تسلك سبيل اشجع السلمى . . فى قوله

لقد أمسي صلاحُ أبى عليّ لأهل الارض كلهم صلاحا

اذا ما الموت أخطأه فلسنا نبالى الموتَ حيث غدا وراحا

فذكر اخطاء الموت اياه وتجاوزه الى غيره فجاد المعنى وحسن المستمع . . وقد احسن القائل

وقال جميل

ولا تحسبنَّ الحزْنَ يبقي فانه شهاب حريقٍ واقدٌ ثم خامد

ستأ ألف فقدان الذي قدْ فقدته كألفكَ وجدانَ الذي أنتَ واجد

فجعل ما يتطير منه من الفقدان لنفسه وما يستحب من الوجدان للمدوح وقد اساء ابو الوليد ارطأة بن شهبة * حين انشد عبد الملك

رأيت الدهرَ يأكل كلَّ حيّ كأكل الارض ساقطةَ الحديد

وما تبقي المنية حين تغدو على نفس ابن آدم من مزيد

واعلم انها ستكرّ حتى توفى نذرها بأبى الوليد

وكان عبد الملك يكنى ابا الوليد فتطير منه وما زال يرى كراهة شعره فى وجهه حتى مات

واذا دعت الضرورة الى سوق خبر واقتصاص كلام فتحتاج الى ان تتوخى فيه الصدق . وتتحرى الحق . فان الكلام حينئذ يملك ويحوجك الى اتباعه والانقياد له .. وينبغي ان تأخذ فى طريق تسهل عليك حكايته فيها وتركب قافية تطيعك فى استيفائك له كما فعل النابغة فى ..قوله (١)

وأحكمْ كحكمِ فتاة الحيّ اذ نظرتْ الى حمامٍ سراعٍ واردي الثمد

يحفه جانبا نيقٍ وتتبعه مثل الزجاجةِ لم تكحل من الرمد

قالتْ ألا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا أو نصفه فقد

فكملتْ مائةً فيها حمامتها واسرعتْ حسبةً فى ذلك العدد

---

(١) قوله فتاة الحى — أى زرقاء اليمامة وهى من بقايا طسم وجديس والحكاية مشهورة فى دواوين الادب — والثمد — هو الماء القليل الذى يكون فى الشتاء ويجف فى الصيف — والنيق — الجبل — وقوله أو نصفه — بمعنى ونصفه لا بمعنى الشك ومثل هذا فى اللغة موجود

فحسبوه فألفوه كما حسبت   تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد

فهذا أجود ما يذكر فى هذا الباب وأصعب ما رامه شاعر منه لانه عمد الى حساب دقيق فاورده مشروحا ملخصا وحكاه حكاية صادقة .. ولما احتج الى أن يذكر العدد والزيادة والتمد بنى الكلام على قافية فاصلة الدال فسهل عليه طريقه واطرد سبيله .. ومثل ذلك ما أتاه البحترى فى القصيدة التى أولها

هاج الخيال لنا ذكرى اذا طافا   وافا يخادعنا والصبح قد وافا

وكان قد احتاج الى ذكر الآلاف . والاسعاف . والاضعاف . والاسراف . وترك الاقتصار على الانصاف . فجعل القصيدة فائية . فاستوى له مراده وقرب عليه مرامه .. وهوقوله

قضيت عنى ابن بسطام صنيعته   عندى وضاعفت ما أولاه أضعافا

وكان معروفه قصدا الى وما   جازيته عنه تبذيراً وأسرافا

مئون عينا توليت انثوب بها   حتى أنثنت لأبي العباس آلافا

قد كان يكفيه مما قدمت يده   وما يزيد على الآحاد أنصافا

ولا ينبغى أن يكون لفظك وحشيا بدويا . وكذلك لا يصلح أن يكون مبتذلا سوقيا .. أخبرنا أبو أحمد عن مبرمان عن أبى جعفر بن القتبى عن أبيه .. قال قال خلف الاحمر قال شيخ من أهل الكوفة .. أما عجبت ان الشاعر قال ـ انبت قيصوماً وجثجاثا (١) ـ فاحتمل وقلت أنا ـ انبت اجاصاً وتفاحا ـ فلم يحتمل

والمختار من الكلام ماكان سهلا جزلا لا يشوبه شيء من كلام العامة والفاظ الحشوية ومالم يخالف فيه وجه الاستعمال الا ترى الى قول المتنبي

---

(١) القيصوم ـ نبات ذهبي الزهر ورقه كالسذاب وثمره كحب الآس الى غبرة طيب الرائحة يتداوى به ـ والجثجاث ـ نبت مر حتى قيل انه من أمرار الشجر

أين البطاريق والخلف الذي حلفوا   بمفرقٍ الملك والزعم الذي زعموا

هـذا قبيح جداً . وإنما سمع قول العامة حلف برأسه فأراد أن يقول مثله فلم يستو له فقال بمفرق الملك ولو جاز هـذا لجاز أن يقول — حلف بيافوخ أبيه — وبقمحدوة سيده — وقبح هذا يدل على ان أمثاله غيرجائزة فى جميع المواضع .. وهذا النوع فى شعر المتنبى كبعد الاستعارة فى شعر أبى تمام :

ومن الالفاظ ما يستعمل رباعيه وخماسيه دون ثلاثيه . ومنها ما هو بخلاف ذلك فينبغى ان لا تعدل عن جهة الاستعمال فيها ولا يترك ان اصولها مستعملة فالخروج عن الطريقة المشهورة والنهج المسلوك رديء عن كل حال . ألا ترى ان الناس يستعملون ـ التعاطى ـ فيكون منهـم مقبولا .. ولو استعملوا ـ العطو وهو أصل هذه الكلمة وهو ثلاثى والثلاثى أكثر استعمالا لما كان مقبولا ولا حسناً مرضيا فقس على هذا ..

ومن الالفاظ ما اذا وقع نكرة قبح موضعه وحسن اذا وقع معرفة مثل قول بعضهم

لما التقينا صاحَ بينٌ بيننا   يدني من القرْب البعاد لحاقا

فقوله ـ صاح بين بيننا ـ متكلف جداً . فلو قال ـ البين ـ كان اقرب على ان البيت كله رديء ليس من وصف البلغاء

وينبغى أن تجتنب ارتكاب الضرورات وان جاءت فيها رخصة من أهل العربية فانها قبيحة تشين الكلام وتذهب بمائه . . وإنما استعملها القدماء فى أشعارهم لعدم علمهم كان بقباحتها ولان بعضهم كان صاحب بداية والبداية مزلة وما كان أيضاً تنقد عليهم أشعارهم ولو قد نقدت وبهرج منها المعيب كما تنقد على شعراء هذه الازمنة ويبهرج من كلامهم ما فيه أدنى عيب لتجنبوها .وهو كقول الشاعر

له زجل كأنه صوت حادٍ   اذا طلب الوسيقةَ أو زمير

فلم يشبع .. وقول الآخر

ألم يأتيكَ والانباء تنمى　　بما لاقتْ لبون بنى زيادِ

فقال ـ الم يأتيك ـ فلم يجزم . . وقال ابن قيس الرقيات

لابارك الله فى الغوانى هلْ　　يصبحنَ الاَّ لهنّ مطلب

فحرك حرف العلة . . وقال قعنب بن ام صاحب

مهلاً أعاذل قد جرّبت من خلقى　　انى أجود لاقوامٍ وان ضننوا

فاظهر التضعيف . . ومثله قول العجاج

تشكو الوجىَ من أظللٍ واظلل [١]

وقال جميل

ألا لا أرى اثنين أحسن شيمةً [٢]　　على حدَثانِ الدهر مني ومن جمل

وقال

اذا جاوز الاثنين سر فانه　　بنشر وتكثير الوشاة قمينْ

فقطع الف الوصل . . وقال غيره (٣)

---

(١) الوجى ـ الحفا وقيل قبـل الحفا والحفا قبل النقب . . ووجى الفرس بالكسر وهو أن يجد وجعاً فى حافره ـ والاظل ـ ما تحت منسم البعير أى ما تحت ظفره قاله فى اللسان وبه استشهد وأورد بعده (من طول املال وظهر املل)

(٢) نسخة ـ بدل قوله أحسن . . اجمل .

(٣) القائل . . ابو كاهل اليشكرى يشبه ناقته بالعقاب وصدر البيت (لها اشارير من لحم تتمره) ـ وثعالى ـ جمع ثعلب يقال ثعالب وثعالى بالباء والياء. قال ابن جنى فى تفسير البيت يحتمل عندى أن يكون الثعالى جمع ثعالة وهو الثعلب واراد أن يقول الثعائل فقلب اضطرارا . . وقيل اراد الثعالب والارانب (أى فى قوله ارانيها) فلم يمكنه ان يقف الباء فابدل منها حرفا يمكنه ان يقفه فى موضع

الى غير ذلك مما يجرى مجراه وهو مكروه الاستعمال . . وينبغى ان تتحامى العيوب التى تعترى القوافى مثل السناد والاقواء والايطاء وهو أسهلها والتوجيه وان جاء فى جميع اشعار المتقدمين واكثر اشعار المحدثين

وينبغى ان ترتب الالفاظ ترتيبا صحيحا فتقدم منها ما (كان) يحسن تقديمه وتؤخر منها ما يحسن تأخيره ولا تقدم منها مايكون التأخير به أحسن ولا تؤخر (منها) مايكون التقديم به اليق : فمما افسد ترتيب ألفاظه قول بعضهم

يضحكُ منها كلّ عضوٍ لها   من بهجةِ العيش وحسن القوام

ترْفلُ فى الدار لها وفرة   كوفرة الملط الخليع الغلامْ

كان ينبغى ان يقول — كوفرة الغلام الملط الخليع — أو الغلام الخليع الملط فاما تقديم الصفة على الموصوف فردىء فى صنعة الكلام جداً . . وقوله ايضا بهجة العيش وحسن القوام — متنافر غير مقبول . . وقول ابن طباطبا *

وعجلةٍ تشدُو بالحانها   وكانت الكيسة الخادمه

لو قال — وكانت الخادمة الكيسة — لكان اجود . . وينبغى ان لا يذكر فى التشبيب اسما بغيضا . . فقد انشد جرير بعض ملوك بنى امية

وتقول بَوزَعُ قد دببتَ على العصا   هلاّ هزئتِ بغيرنا يابَوزَعُ

الجر وهو الياء . . قال صاحب السان وهذا اقيس وهكذا علله ابو على المظفر فى نضرة الاغريض بعد ان قال وقد جاء عنهم ابدال الحرف المتحرك بحرف لا تجرى فيه الحركة وهو من الضرورات التى لا تجوز للشاعر المولد ولا هى بالمستحسنة

والوخز — الشىء القليل من الخضرة فى العذق والشيب فى الرأس . . وقيل كل قليل وخز . .

فقال له الملك افسدتها ببوزع .. وقد يقدح فى الحسن قبح اسمه ويزيد فى مهابة الرجل فخامة اسمه ولهذا تكنى البحترى بابى عبادة وكان يكنى أبا الحسن. وشهد رجل عند شريح وكان الرجل يكنى أبا الكويفر فرد شهادته ولم يسئل عنه وسمع عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه رجلا يكنى ابا العمرين فقال لو كان عاقلا لكفاه احدهما : واتى ظالم بن سراق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليستعمله فرده .. وقال انت تظلم وأبوك يسرق وظالم هذا جد المهلب بن أبى صفرة . وهذه جملة كافية اذا تدبرت وبالله التوفيق

ومن عيوب الكلام تكرير الكلمة الواحدة فى كلام قصير : مثل قول سعيد بن حميد ومثل خادمك بين ما يملك فلم يجد شيئا يفى بحقك . ورأى ان تقريظك بما يبلغه اللسان وان كان مقصرا عن حقك (١) ابلغ فى ادآء ما يجب لك فكرر الحق فى المقدار اليسير من الكلام

وينبغى أن يتجنب الكاتب جميع مايكسب الكلام تعمية فيرتب الفاظه ترتيباً صحيحاً ويتجنب السقيم منه وهو مثل ما كتب بعضهم : لفلان وله بى حرمة مظلمة : وكان ينبغى أن يقول — لفلان وأنا أرعى حرمته مظلمة — وما يجرى هذا المجرى من الترتيب المختار البعيد من الاشكال ..

الفصل الثانى

فيما يحتاج اليه الكاتب الى ارتسامه وامتثاله فى مكاتباته

ينبغى أن تعلم أن الكتابة الجيدة تحتاج الى ادوات جمة وآلات كثيرة من معرفة العربية لتصحيح الالفاظ واصابة المعانى والى الحساب وعلم المساحة والمعرفة بالازمنة والشهور والأهلة وغير ذلك مما ليس هاهنا موضع ذكره

(١) فى نسخة ـ وان كان مقصوراً على حقك

وشرحه لانا انما عملنا هذا الكتاب لمن استكمل هذه الآلات كلها وبقى عليه المعرفة بصنعة الكلام وهى اصعبها وأشدها : والشاهد ماروى لنا أبو احمد عن مبرمان عن المبرد . انه قال لااحتاج الى وصف نفسى لعلم الناس بى أنه ليس احد من الخافقين يختلج فى نفسه مسئلة مشكلة الا لقينى بهاوأعدنى لها فانا عالم ومتعلم وحافظ ودارس لايخفى على مشتبه من الشعر والنحو والكلام المنثور والخطب والرسائل ولربما احتجت الى اعتذار من فلتة أو التماس حاجة فاجعل المعنى الذى اقصده نصب عينى ثم لااجد سبيلا الى التعبير عنه بيد ولا لسان ولقد بلغنى أن عبيد الله بن سليمان ذكرنى بجميل فحاولت أن اكتب اليه رقعة اشكره فيها واعرض ببعض أمورى فاتعبت نفسى يوما فى ذلك فلم اقدر على ماارتضيه منها وكنت احاول الافصاح عما فى ضميرى فينصرف لسانى الى غيره . . ولذلك قيل زيادة المنطق على الادب خدعة . وزيادة الادب على المنطق هجنة

فاول ماينبغى أن تستعمله فى كتابتك . . مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم وقوتهم فى المنطق وقد اشرنا الى ذلك فيما تقدم : والشاهد عليه أن النبى ﷺ لما أراد أن يكتب الى اهل فارس كتب اليهم بما يمكن ترجمته فكتب . . من محمد رسول الله الى كسرى ابرويز * عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله فادعوك بداعية الله فانى أنا رسول الله الى الخلق كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم فان أبيت فاسم المجوس عليك . . فسهل ﷺ الالفاظ كما ترى غاية التسهيل حتى لايخفى منها شىء على من له أدنى معرفة فى العربية ولما أراد أن يكتب الى قوم من العرب فخم اللفظ لما عرف من فضل قوتهم على فهمه وعادتهم لسماع مثله . . فكتب لوائل ٠ بن حجر (الحضرمى) . . من محمد رسول الله الى الاقيال العباهلة من اهل حضرموت باقام الصلاة وإيتاء الزكاة على التيعة الشاة والتيمة لصاحبها وفى السيوب الخمس لاخلاط ولاوراط ولاشناق ولاشغار ومن أجبى فقد أربى وكل مسكر حرام (١) . . وكذلك كتابه

---

(١) العباهلة — هم الذين اقروا على ملكهم لايزالون عنه . . وكل شىء اهملته

صلى الله عليه وسلم لاكيدر صاحب دومة الجندل . . من محمد رسول الله لاكيدر حين اجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام مع خالد بن الوليد سيف الله . أن لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامى واغفال الارض والحلقة والسلاح ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور لاتعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤدون الزكاة عليكم بذلك عهد

فكان مهملا لايمنع مما يريد ولا يضرب على يديه فهو معبهل — والتبعة — بكسر الباء كما ضبط فى اصول الحفاظ مايتبع المال من نوائب الحقوق وفى نسخة والتبيعة بالياء بعد الباء — والتيمة — الشاة الزائدة على الاربعين حتى تبلغ الفريضة الاخرى — والسيوب — الركاز لانها من سيب الله وعطائه .. قال ثعلب هى المعادن والخلاط مصدر خالطه يخالطه مخالطة وخلاطا والمراد أن يخلط رجل ابله بابل غيره أو بقره أو غنمه ليمنع حق الله تعالى منها ويبخس المصدق فيما يجب له قاله ابن الاثير — والوراط — الخديعة والغش فى الغنم وماوجبت الزكاة فيه من السوائم وهو أن يجمع بين متفرقين أو يفرق بين مجتمعين — وقوله صلى الله عليه وسلم ولا شناق — أى لايؤخذ من الشنق حتى يتم والشنق على مافسره أبو عبيد القاسم بن سلام مابين الفريضتين وهو مازاد من الابل على الخمس الى العشر وما زاد على العشر الى خمس عشرة يقول لايؤخذ من الشنق حتى يتم — والشغار — بكسر الشين المعجمة على مافى الاصول وذلك نكاح كان فى الجاهلية قال الامام الشافعى وابو عبيد الشغار المنهى عنه أن يزوج الرجل الرجل حريمته على أن يزوجه المزوج حريمة له أخرى ويكون مهر كل واحدة منهما بضع الاخرى كانهما رفعا المهر وخليا البضع عنه — وقوله صلى الله عليه وسلم من اجبى فقد أربى — قال ابن الاثير الاصل فى هذه اللفظة (أى اجبى) الهمز ولكنه روى غير مهموز فاما أن يكون من تحريف الراوى أو يكون ترك الهمز للازدواج باربى .. قال ابوعبيد الاجباء هنا بيع الحرث والزرع قبل أن يبدوا صلاحه

الله وميثاقه (١) . .

واعلم ان المعانى التى تنشأ الكتب فيها من الامر والنهى سبيلها ان تؤكد غاية التوكيد بجهة كيفية نظم الكلام لا بجهة كثرة اللفظ لان حكم ما ينفذ عن السلطان فى كتبه شبيه بحكم توقيعاته من اختصار اللفظ وتأكيد المعنى هذا اذا كان الامر والنهى واقعين فى جملة واحدة لا يقع فيها وجوه التمثيل للاعمال فاما اذا وقعا فى ذلك الجنس فان الحكم فيهما يخالف ما ذكرناه وسبيل الكلام فيها ان يحمل على الاطالة والتكرير دون الحذف والايجاز وذلك مثل ما يكتب عن السلطان فى أمر الاموال وجبايتها واستخراجها فسبيل الكلام ان يقدم فيها (٢) ذكر مارأه السلطان فى ذلك ودبره ثم يعقب بذكر الامر بامتثاله ولا يقتصر على ذلك حتى يؤكد ويكرر لتأكد الحجة على المأمور به ويحذر مع ذلك من الاخلال والتقصير . . ومنها الاحماد والاذمام والثناء والتقريظ والذم والاستصغار والعدل والتوبيخ وسبيل ذلك ان تشبع الكلام فيه ويمد القول حسب ما يقتضيه آثار

---

(١) الضاحية — من ضحا الشيء يضحو فهو ضاح اى برز وظهر والضاحية من النخل الخارجة من العمارة التى لا حائل دونها — والضحل — بالسكون القليل من الماء وقيل الماء القريب المكان . . والبور — هو بالفتح مصدر وصف به ويروى بالضم وهو جمع البوار وهى الارض الخراب التى لم تزرع — والمعامى — واحدها معمى الاراضى المجهولة — وقوله اغفال الارض — اى التى ليس بها اثر عمارة والحلقة — بسكون اللام السلاح عاما — وقوله الضامنة من النخل — قال ابو عبيد ماتضمنها أمصارهم وكان داخلا فى العمارة وأطاف بها سور المدينة — والمعين — الماء السائل وقيل الجارى على وجه الارض وقيل الماء العذب الغزير — وقوله ولا تعدل سارحتكم — قال أبوعبيد أراد ان ماشيتهم لا تصرف عن مرعى تريده يقال عدلته أى صرفته فعدل أى انصرف والسارحة هى الماشية — ولا تعد فاردتكم — الفرد والفارد بمعنى المنفرد . قال أبوعبيد يعنى الزائدة على الفريضة أى لا تضم الى غيرها فتعد معها وتحسب . (٢) نسخة — منه بدل قوله فيها

المكتوب اليه فى الاحسان والاساءة والاجتهاد والتقصير ليرتاح بذلك قلب المطيع وينبسط أمله ويرتاع قلب المسيء ويأخذ نفسه بالارتداع

فاما ما يكتبه العمال الى الامراء ومن فوقهم فان سبيل ما كان واقعا منها فى انهاء الاخبار وتقرير صور ما يلونه من الاعمال ويجرى على ايديهم من صنوف الاموال ان يمد القول فيه حتى يبلغ غاية الشفاء والاقناع وتمام الشرح والاستقصاء اذ ليس للايجاز والاقتصار عليه موضع (١) ويكون ذلك بالالفاظ السهلة القريبة المأخذ السريعة الى الفهم دون ما يقع فيه استكراه وتعقيد وربما تعرض الحاجة فى انهاء الخبر الى استعمال الكناية والتورية عن الشيء دون الافصاح لما فى التصريح من هتك الستر وفى حكايته عن عدو اطلق لسانه به وفيه اطراح مهابة الرئيس فيجب اجلاله عنه أو فى الصدق ما يسؤه سماعه ويقع بخلاف محبته فيحتاج منشيء الكلام الى استعمال لفظ فى العبارة لا تنخرق معه هيبة الرئيس ولا يعترض فيه ما يشتد عليه ولا يكون ايضا معها خيانة فى طى ما لا يجب ستره ولا يكمل لهذا الا المبرز الكامل المقدم

وسبيل ما يكتب به فى باب الشكر ان لا يقع فيه اسهاب فان اسهاب التابع فى الشكر اذا رجع الى خصوصية نوع من الابرام والتثقيل . . ولا يحسن منه ان يستعمل الاكثار من الثناء والدعاء ايضا فان ذلك فعل الاباعد الذين لم تتقدم لهم وسائل من الخدمة ومقدمات فى الحرمة أو تكون صناعتهم التكسب بتقريظ الملوك واطراء السلاطين . . فلا يقبح اكثار الثناء من هؤلاء . . وليس يحسن منه أيضا تكرير الدعاء فى صدر الكتاب والرقاع عندما يجريه من ذكر الرئيس فان ذلك مشغلة وكلفة والحكم فيما يستعمله من ذلك فى الكتب مشبه بحكم ما يستعمل منه شفاهاً . ويقبح من خادم السلطان ان لا يشغل سمعه فى مخاطبته اياه بكثرة الدعاء له وتكثيره عند استئناف كل لفظة .

---

(١) هكذا فى نسخة وفى أخرى ـ اذ ليس الايجاز الاقتصار والاقتصار عليه موضع

وسبيل ما يكتب به التابع الى المتبوع فى معنى الاستعطاف ومسئلة النظراء ان لا يكثر من شكاية الحال ورقتها واستيلاء الخصاصة عليه فيها فان ذلك يجمع الى الابرام والاضجار شكاية الرئيس لسوء حاله وقلة ظهور نعمته عليه . وهذا عند الرؤساء مكروه جداً بل يجب ان يجعل الشكاية ممزوجة بالشكر والاعتراف بشمول النعمة وتوفير العائدة .

وسبيل ما يكتب به فى الاعتذار من شىء ان يتجنب فيه الاطناب والاسهاب الى ايراد النكت التى يتوهم انها مقنعة فى ازالة الموجدة ولا يمعن فى تبرئة ساحته فى الاساءة والتقصير فان ذلك مما تكرهه الرؤساء والذى جرت به عادتهم الاعتراف من خدمهم وخولهم بالتقصير والتفريط فى اداء حقوقهم وتأدية فروضهم ليكون لهم فيما يعقبون ذلك من العفو والتجاوز موضع منة مستأنفة تستدعى شكراً . وعارفة مستجدة تقتضى نشراً . فأما اذا بالغ المتنصل فى براءة ساحته من كل ماقذف به فلا موضع للاحسان اليه فى اعفائه عن ترك السخط بل ذلك أمر واجب له وفى منع الرئيس حصته منه ظلم واساءة وينبغى ان يكثر الالفاظ عنده فان احتاج الى اعادة المعانى أعاد مايعيده منها بغير اللفظ الذى ابتدأه به : مثل ماقال معاوية رضى الله عنه . من لم يكن من بنى عبد المطلب جواداً فهو دخيل . ومن لم يكن من بنى الزبير شجاعا فهو لزيق . ومن لم يكن من ولد المغيرة تياها فهو سنيد . فقال دخيل ثم قال لزيق ثم قال سنيد والمعنى واحد والكلام على ماتراه أحسن ولو قال لزيق ثم أعاده لسمج .

هذا أدام الله عزك . بعد ان تفرق بين من تكتب اليه فاذرأيت . وبين من تكتب اليه فرأيك . وان تعرف مقدار المكتوب اليه من الرؤساء والنظراء والغلمان والوكلاء فتفرق بين من تكتب اليه بصفة الحال وذكر السلامة . وبين من تكتب اليه بتركها اجلالا واعظاما . وبين من تكتب اليه أنا أفعل كذا . وبين من تكتب اليه نحن نفعل كذا . فانا من كلام الاخوان والاشباه . ونحن من كلام الملوك . وتكتب فى أول الكتاب سلام عليك وفى آخره والسلام عليك لان الشئ إذا

ابتدأت بذكره كان نكرة فاذا أعدته صار معرفة . . كما تقول مر بنا رجل فاذا رجع قلت رجع الرجل وكان الناس فيامضى يستعملون فى أول فصول الرسائل أما بعد وقد تركها اليوم جماعة من الكتاب فلا يكادون يستعملونها فى شىء من كتبهم وأظنهم ألموا بقول ابن القرية وسأله الحجاج عما ينكره من خطابته فقال انك تكثر الرد . وتشير باليد . وتستعين باما بعد . فتحاموه لهذه الجهة مع انهم رووا فى التفسير ان قول الله تعالى (وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) هو قوله أما بعد . فان استعملته اتباعا للاسلاف ورغبة فيما جاء فيه من التأويل فهو حسن وان تركته توخيا لمطابقة أهل عصرك وكراهة للخروج عما أصلوه لم يكن ضائراً

وينبغى أن يكون الدعاء على حسب ما توجبه الحال بينك وبين من تكتب اليه وعلى القدر المكتوب فيه . وقد كتب بعضهم الى حبة له عصمنا الله وإياك مما يكره . فكتبت اليه . . يا غليظ الطبع لو استجيبت لك دعوتك لم نلتق أبداً

واعلم ان الذى يلزمك فى تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط ولا يلزمك فيها السجع فان جعلتها مسجوعة كان احسن مالم يكن فى سجعك استكراه وتنافر وتعقيد وكثير ما يقع ذلك فى السجع وقل ما يسلم إذا طال من استكراه وتنافر

وينبغى ان تتجنب إعادة حروف الصلاة والرباطات فى موضع واحد اذا كتبت مثل قول القائل منه له عليه . او عليه فيه . او به له منه . وأخفها له عليه . فسبيله ان تداويه حتى تزيله بأن تفصل ما بين الحرفين : مثل ان تقول اقت به شهيدا عليه : ولا اعرف احداً كان يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث إلا المتنبي * فانه ضمن شعره جميع عيوب الكلام ما اعدمه شيئاً منها حتى تخطى الى هذا النوع فقال

ويسعدنى في غمرة بعد غمرة　　　سبوح له منها عليها شواهد

فأتى من الاستكراه بما لا يطار غرابه فتدبر ما قلناه وارتسمه تظفر ببغيتك منه ان شاء الله

الباب الرابع

فى البيان عن حسن النظم وجودة الرصف والسبك وخلاف ذلك

أجناس الكلام المنظوم (ثلاثة) الرسائل . والخطب . والشعر . وجميعها تحتاج الى حسن التأليف وجودة التركيب .. وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية فاذا كان المعنى سبياً . ورصف الكلام رديا . لم يوجد له قبول ولم تظهر عليه طلاوة . وإذا كان المعنى وسطا . ورصف الكلام جيداً . كان أحسن موقعاً . وأطيب مستمعاً . فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه الى ما يليق بها كان رايعاً فى المرأى وإن لم يكن مرتفعا جليلا (١) وإن اختل نظمه فضمت الحبة منه الى ما لا يليق بها اقتحمته العين وإن كان فايقا ثمينا . وحسن الرصف ان توضع الالفاظ فى مواضعها . وتمكن فى أماكنها . ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة الا حذفا لا يفسد الكلام ولا يعمى المعنى ويضم كل لفظة منها الى شكلها وتضاف الى لفقها . وسوء الرصف تقديم ما ينبغى تأخيره منها وصرفها عن وجوهها وتغيير صيغتها ومخالفة الاستعمال فى نظمها . (وقال) العتابى : الالفاظ أجساد . والمعانى أرواح . وإنما تراها بعيون القلوب فاذا قدمت منها مؤخراً . أو أخرت منها مقدما . افسدت الصورة وغيرت المعنى . كما لو حول رأس الى موضع يد . أو يد الى موضع رجل . لتحولت الخلقة . وتغيرت الحلية (٢)

(١) ورد فى هذه الجملة — فى نسخة بدل قوله رائعاً . رائقاً . وبدل جليلا . نبيلا

(٢) فى نسخة — الجبلة بدل قوله الحلية

وقد أحسن فى هذا التمثيل وأعلم به على ان الذى ينبغى فى صيغة الكلام وضع كل شيء منه فى موضعه ليخرج بذلك من سوء النظم

فمن سوء النظم المعاظلة . وقد مدح عمر بن الخطاب رضى الله عنه زهيراً لمجانبتها . فقال كان لا يعاظل بين الكلام . وأصل هذه الكلمة من قولهم تعاظلت الجرادتان اذا ركبت احداهما الاخرى وعاظل الرجل المرأة اذا ركبها فمن المعاظلة. قول الفرزدق

تعالَ فانْ عاهدتنى لا تخوننى ... نكنْ مثلَ من يا ذئبُ يصطحبان

وقوله

هو السيفُ الذى نصر ابن أروى ... به عثمانَ مروانُ المصابا

وقوله للوليد بن عبدالملك

إلىّ ملك ما أمه من محاربٍ ... أبوه ولا كانتْ كليباً تصاهرهْ

وقوله يمدح هشام بن اسماعيل *

وما مثله في الناس الا مملكاً ... أبو أمه حىّ أبوه يقاربه

وقوله

الشمسُ طالعة ليست بكاسفةٍ ... تبكى عليك نجومَ الليل والقمرا

وقوله

مامنْ ندى رجلٍ أحق بما أتى ... من مكرماتِ عظائمِ الاخطارِ

من راحتين تريد تقطع زَندهُ ... كفاهما وأشدَّ عقد إزارِ

وقوله (١)

اذا جئتهُ أعطاكَ عفواً ولم يكنْ ... على ماله حال الردى مثل سائلهْ

---

(١) أورد البيت الثانى صاحب اللسان فى مادة ن ع ل ونسبه لذى الرمة وقال ويروى حمائله بدل محامله

الى ملك لا تنصفُ الساقَ نعله أجلْ لا وإن كانت طوالا محامله

وقال قدامة * لا أعرف المعاظلة الا فاحش الاستعارة . مثل قول أوس

وذاتِ هدمٍ عارٍ نواشرها تُصمتُ بالماء تولبا جدعا[١]

فسمى الصبي تولبا والتولب ولد الحمار . وقول الآخر

وما رَقدَ الولدان حتى رأيته على البكر يمريه بساقٍ وحافرِ [٢]

فسمى قدم الانسان حافراً . وهذا غلط من قدامة كبير لان المعاظلة فى أصل الكلام إنما هى ركوب الشئ بعضه بعضاً وسمى الكلام به اذا لم ينضد نضداً مستويا واركب بعض ألفاظه رقاب بعض وتداخلت أجزاؤه تشبيها بتعاظل الكلاب والجراد على ما ذكرناه وتسمية القدم بحافر ليت بمداخلة كلام فى كلام وإنما هو بعد فى الاستعارة . والدليل على ما قلنا انك لا ترى فى شعر زهير شيئاً من هذا الجنس ويوجد فى أكثر شعر الفحول فنحو ما نفاه عنه عمر (رضى الله عنه) وحده فما وجد (منه) فى شعر النابغة . قوله

يثرنَ الثرى حتي يباشرن بُرده اذا الشمس مجت رِيقَها بالكلاكلِ[٣]

---

(١) الهدم ـ بالكسر الكساء الذى ضوعفت رقاعه وخص ابن الاعرابى به الكساء البالى من الصوف ـ والنواشر ـ عصب الذراع من داخل وخارج . . وقيل هى العصب التى فى ظاهرها . وقال فى اللسان قال ابن برى عند قوله وذات بالكسر صوابه وذاتُ بالرفع لانه معطوف على فاعل قبله وهو

ليبكك الشرب والمدامة وال‍ فتيان طراً وطامع طمعا

(٢) البكر ـ الفتى من الابل : وقوله ـ يمريه من مريت الفرس اذا استخرجت ما عنده من الجرى . والبيت لجبيها الاسدى يصف ضيفا طارقا أسرع اليه . وقبله

فابصر نارى وهى شقراء اوقدت بليل فلاحت للعيون النواظر

(٣) الكلكل : والكلكال ـ الصدر من كل شيء وقد يستعار لما ليس بجسم (كما هنا) ـ والمج ـ الرمى ومج بريقه لفظه ورماه . وَالبيت فى ديوانه هكذا

يثرن الحصى حتى يباشرن برده اذا الشمس مدت ريقها بالكلاكل

معناه يترن الثرى حتى يباشرن برده بالكلا كل اذا الشمس مجت ريقها .
وهذا مستهجن جداً لان المعنى تعمى فيه . وقول الشماخ

تخامص عن بردِ الوشاح اذا مشت تخامص حافى الخيل فى الأمعز الوجى (١)

معناه تخامص الحافى الوجى فى الامعز . وقول لبيد

وشمولٍ قهوةٍ باكرتها في التباشير مع الصبح الأول

أى فى التباشير الاول مع الصبح (٢) . وكقول ذى الرمة

كأنّ أصواتَ من ايغالهنّ بنا أواخر الميس أصوات الفراريج

يريد — كأن أصوات آخر الميس أصوات الفراريج من إيغالهن (٣) — وقوله أيضاً

نضا البرد عنه وهو من ذو جنونه أجاريّ تصهالٍ وصوتِ صلاصلِ (٤)

كأنه من تخليطه كلام مجنون أو هجر مبرسم (٥) يريد — وهو من جنونه ذواجارى — وكقول أبى حية النميرى

كما خط الكتاب بكف يوما يهودىّ يقاربُ أو يزيلُ

(١) التخامص — التجافى عن الشئ قاله فى اللسان واستشهد له بالبيت والأمعز المكان الكثير الحصى الصلب — والوجى — تقدم معناه . وجاء فى بعض النسخ بدل الحافى الجافى وبدل الامعز الامعر

(٢) فى نسخة من الصبح بدل قوله مع الصبح فى المكانين

(٣) الميس — التبختر — والايغال — السير السريع والامعان فيه

(٤) الاجارى — ضرب من الجرى والصهل حدة الصوت : وجاء فى إحدى النسخ هكذا :

نضا البرد عنه وهو من ذو جنونه أجارى تصهار وصوت صلاصل

(٥) المبرسم — هو المصاب بعلة البرسام : قال الجوهرى علة معروفة : وقال فى اللسان البرسام الموم : وحكى عن ابن برى فى مادة م وم الموم الحمى

يريد ـ كما خط الكتاب بكف يهودى يوما يقارب أو يزيل ـ وقول الآخر

هما أخواى الحرب من لا أخا له   اذا خاف يوما نبوة فدعاهما

يريد اخواى لاخون له فى الحرب ـ وليس للمحدث ان يجعل هذه الابيات حجة ويبنى عليها فانه لا يعذر فى شىء منها لاجماع الناس اليوم على مجانبة أمثالها واستجادة مايصح من الكلام ويستبين واسترذال مايشكل ويستبهم : فمن الكلام المستوى النظم • الملتئم الرصف : قول بعض العرب

أيا شجر الخابور مالك مورقا   كأنك لم تحزن على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد الا من التقى   ولا المال الا من قنا وسيوف

ولا الخيل الا كل جرداء شطبة   واجرد شطب فى العنان حنوف

كأنك لم تشهد طعانا ولم تقم   مقاما على الاعداء غير خفيف

فلا تجزعا يابنى طريف فاننى   أرى الموت حلالا بكل شريف

والمنظوم الجيد ماخرج مخرج المنثور فى سلاسته • وسهولته • واستوائه وقلت ضروراته : ومن ذلك قول بعض المحدثين

وقوفك تحت ظلال السيو   ف أقر الخلافة فى دارها

كأنك مطلع فى القلوب   اذا ما تناجت بأسرارها

فكرات طرفك مرددة   اليك بغامض أخبارها

وفى راحتيك الردى والند   ى وكلتاهما طوع ممتارها

واقضية الله محتومة   وانت منفذ أقدارها

ولا تكاد القصيدة تستوى أبياتها فى حسن التأليف ولابد ان تتخالف فمن

ذلك : قول عبيد بن الابرص . (١)

وقدْ علا لمتي شيب فودعني ... منه الغواني وداع الصارم القالى (٢)

(١) الابيات من قصيدة ذكرها هبة الله العلوى فى مختاراته وقد أتى المصنف على أكثرها فنوردها هنا من رواية المختارات ليتأمل المطالع ما بينهما من الاختلاف ويستقيم له المعنى بتناسق ترتيبها : وهى

يادار هند عفاها كل هطال ... بالجو مثل سحيق اليمنة البالى

جرت عليها رياح الصيف فاطردت ... والريح مما تعفيها باذيال

حبست فيها صحابى كى اسائلها ... والدمع قد بل منى جيب سربالى

شوقا الى الحى أيام الجميع بها ... وكيف يطرب أو يشتاق أمثالى

وقد علا لمتى شيب فودعنى ... منه الغوانى وداع الصارم القالى

وقد أسلى همومى حين يحضرنى ... بجسرة كعلاة القين شملال

زيافة بقتود الرحل ناجية ... تفرى الهجير بتبغيل وارقال

مقذوفة بلكيك اللحم عن عرض ... كمفرد وحد بالجو ذيال

هذا وحرب عوان قد سموت لها ... حتى شببت لها نارا باشعال

تحتى مسومة جرداء عجلزة ... كالسهم أرسله من كفه الغالى

وكبش ملمومة باد نواجذها ... شهباء ذات سرابيل وأبطال

أوجرت جفرته خرصا فمال به ... كما انثنى مخضد من ناعم الضال

وقهوة كرفات المسك طال بها ... فى دنها كر حول بعد أحوال

باكرتها قبل أن يبدو الصباح لنا ... فى بيت منهمر الكفين مفضال

وغيلة كمهاة الجو ناعمة ... كأن ريقتها شيبت بسلسال

قد بت العبها وهنا وتلعبنى ... ثم انصرفت وهى منى على بال

بان الشباب فآلى لا يلم بنا ... واحتل بى من مشيب أى محلال

والشيب شين لمن أرسى بساحته ... لله در سواد اللمة الخالى

(٢) اللمة — بالكسر شعر الرأس وهى دون الجمة سميت بذلك لانها ألمت بالمنكبين فان زادت فهى الجمة : وفى نسخة (وقد علا مفرقى) بدل لمتى

وقد أسلي همومي حين تحضرني ... بجسرة كعلاة القين شملال [(١)]

زيافة بقدود الرحل ناجية ... تفري الهجير بتبغيل وإرقال [(٢)]

وفيها

تحتي مسومة جرداء عجلزة ... كالسهم أرسله من كفه الغالي [(٣)]

والشيب شين لمن أرسى بساحته ... لله در سواد اللمة الخالي

فهذا نظم حسن وتأليف مختار : وفيها ماهو ردى لاخير فيه وهو .. قوله

بان الشباب فآلى لايلم بنا ... واحتل بى من مشيب كل محلال

وقوله

فبت ألعبها طوراً وتلعبني ... ثم انصرفت وهي مني على بال [(٤)]

قوله — واحتل بى من مشيب كل محلال — بغيض خارج عن طريقة الاستعمال .
وأبغض منه قوله — وهى منى على بال — وفيها

---

(١) الجسرة — الناقة اذا كانت طويلة ضخمة من قولهم رجل جسر : وقيل هى القوية التى تجسر على كل شيء — والعلاة — السندان أى الزبرة التى يضرب عليها الحداد الحديد

(٢) الزيافة — الناقة المختالة التى تزيف فى سيرها — والقتود — بفتح القاف خشب الرحل : وفى نسخة (بقدود الرحل) وذلك سيوره — والتبغيل والارقال ضروب من السير تقدم معناها

(٣) المسومة — المعلمة بعلامة الحرب .وقيل المخلاة فى سومها والسوم الذهاب فى المرعى . والعجلزة . الصلبة اللحم . والغالى . الذى يغلو بسهمه أى يباعد به فى الرمى

(٤) العبها .أى احدثها بالشيء الذى تتعجب منه . ومن غريب التصحيف ما وجدته فى إحدى نسخ الاصل . العنها . وتلعننى . بدل قوله العبها وتلعبنى

وكبشٍ ململمةٍ بادٍ نواجذُها   شهباءَ ذاتِ سرابيلٍ وأبطالِ [1]

السرابيل : الدروع فلو وضع السيوف موضع الدروع لكان أجود : وفيها

أو وَجْرُ جفرته خُرصاً فمال به   كما انثنى مخضدٌ من ناعم الضال [2]

النصف الثانى أكثر ماء من النصف الاول : وفيها

وقهوةٍ كرضاب المسك طالبها   في دنّها كرّ حولٍ بعد أحوالِ

هذا البيت متوسط

باكرتها قبل أن يبدو الصباحُ لنا   في بيت منهمر الكفين مفضال

النصف الثانى أجود من النصف الاول .. وقوله

أما اذا دعيتْ نزالِ فانهم   يحدون للركبات في الأبدانِ [3]

هذا ردىء الوصف . وبعده

---

(١) الكبش . من القوم رئيسهم . والململمة . الكتيبة المجتمعة

(٢) الوجر . ان توجر ماء أو دواء فى وسط حلق الصبى : ومنه اوجره الرمح لا غيره طعنه به فى فيه . والجفرة . وسط كل شىء ومعظمه . والخرص . سنان الرمح وتجوز فيه الحركات الثلاث . والمخضد . العود الناعم الذى اذا خضدته أى جذبته انجذب . . وفى اللسان اذا كثرت العود فلم تبنه قلت خضدته . والضال . السدر البرى والمخضود منه الذى قطع شوكه . وصدر هذا البيت اضطربت الاصول فى روايته ففى نسخة هكذا (أو لجت حفوته خرصاً فمال به) وفى أخرى (اولجت جنبيه خرصانا فمال به) وما أثبتناه موافق لما فى المختارات واللسان الا فى قوله مخضد فان صاحب اللسان ذكره بصيغة المصدر فى مادة خ ر ص ثم وجدته قد ذكره فى خ ض د هكذا (اوجرت حفرته حرصا فمال به) الخ

(٣) النزال — مثل قطام بمعنى أنزل وهو معدول عن المنازلة ولهذا أنثه قاله الجوهرى : وفى نسخة بدل يحدون . يجزون وكتب بها مشها أى يجثون فليحرر

خلدت بعدهم ولست بخالد ‏ ‏ ‏ ‏ والدهر ذوغير وذو ألوان

متوسط .. وبعده

إلاّ لأعلم ما جهلت بعقبهم ‏ ‏ ‏ ‏ وتذكرى ما فات أيّ أوان

مختل النظم : ومعناه لست بخالد الا لاعلم ما جهلت وتذكرى مافات أى أوان كان . . وقول النمر بن تولب . (١)

لعمرى لقد انكرت نفسي ورابني ‏ ‏ ‏ ‏ مع الشيب أبدالي التى اتبدل

فضول أراها فى أديمي بعد ما ‏ ‏ ‏ ‏ يكون كفاف اللحم أوهو أفضل

وبطىء عن الداعي فلست بآخذ ‏ ‏ ‏ ‏ سلاحى اليه مثل ما كنت أفعل

---

(١) الابيات هذه من قصيدته المشهورة أوردها ابو زيد فى الجمهرة : ومطلعها

تأبد من اطلال عمرة مأسل ‏ ‏ ‏ ‏ وقد اقفرت منها شراء فيذبل

قوله فى البيت الثانى • كفاف اللحم • قال فى اللسان فلان لحمه كفاف لاديمه إذا امتلاء جلده (اى اديمه) من لحمه وانشد البيت وقد جاء فى بعض النسخ (كفاف اللحم أو هو أجمل) من قلاه أى بغضه : وفى بعضها إفضل بدل اجمل وهى رواية أبو زيد فى الجمهرة : وقوله • وبطىء • هكذا فى سائر الاصول وفى الجمهرة بطىء على وزن فعيل : وقد أورده بعد قوله

وكنت صفى النفس لا شيء دونه ‏ ‏ ‏ ‏ فقد صرت من إقصا جيبى اذهل

وقوله ــ محطا ــ قال فى اللسان المحط حديدة أو خشبة يصقل بها الجلد حتى يلين ويبرق : وفى الجمهرة المحط الذى يحط به الادم : وفى نسخة مخطا بالخاء المعجمة وقد جعله فى اللسان شبيه المحط : وقوله • حارثية • قال فى الجمهرة أراد بالحارثية النسبة الى الحرث بن كعب لانهم اهل ادم وقوله • من عل • بضم اللام لغة فى قولهم من عل بكسرها أى من عال كما فى الصحاح وفى بعض النسخ قد رسمت موصولة مع فتح الميم .

كأنّ محطاً في يدي حارثية صناعٍ علتْ مني به الجلد من علُ

تدارك ماقبل الشباب وبعده حوادث أيام تمرّ وأغفلُ

يودّ الفتي طول السلامة والغنى فكيف ترى طول السلامة تفعل

يرد الفتى بعد اعتدالٍ وصحةٍ ينوءُ اذا رام القيام ويحملُ

فهذه الابيات جيدة السبك حسنة الرصف : وفيها

فلا الجارة الدنيا لها تلحينها ولا الضيف فيها إنْ أناخ محوّلُ (١)

فالنصف الاول مختل : لانه خالف فيه وجه الاستعمال . ووجهه ان يقول فهي لا تلحى الجارة الدنيا أى القريبة : وكذلك قوله

اذا هتكتْ اطناب بيت وأهله بمعطنها لم يوردوا الماء قيّلوا (٢)

هذا مضطرب لتناوله المعنى من بعيد ووجه الكلام ان يقول اذا دنت ابلنا من حى ولم ترد ابلهم الماء قيلوا من أبلنا ـ والقيل ـ شرب نصف النهار : وأشد اضطرابا منه: قوله

وماقمْعنا فيه الوطابُ وحولنا بيوتٌ علينا كلها فوه مقبل (٣)

ووجه الكلام ان يقول لسنا نحقن اللبن فنجعل الاقماع فى الوطاب لان حولنا

(١) قوله تلحينها ـ أى تنازعينها من قولهم لاحيته ملاحاة اذا نازعته : قال فى الجمهرة ادخل النون فى مستنكر يقول لا تلحى الجارة الابل اذا سقيت منهلة وهذا المعنى مغاير لمفهوم المصنف . والبيت فى بعض النسخ هكذا

فلا الجارة الدنيا التى تلحينها ولا الضيف عنها ان اناخ محول

(٢) المعطن ـ مبرك الابل حول الحوض . وفى الجمهرة بمظمها بالظاء المشالة والميم بعد الهاء ولعله من غلط النساخ

(٣) فى نسخة ـ فأقمعنا فيها الوطاب الخ وقريب من ذلك رواية الجمهرة الا قوله مقبل ـ فان الذى فى الجمهرة مقفل

بيوت أفواههم مقبلة علينا يرجون خيرنا فاضطرب نظم هذه الابيات لعدولها عن وجه الاستعمال : ومثله

رأت أمنًا كيصا يلفف وطبه ۞ الى الآنس البادين فهو مزمل (١)

فقالت فلان قد اغاث عياله ۞ وأودى عيال آخرون فهزلوا

ألم يك ولدان اعانوا ومجلس ۞ قريب فيجرى اذ يكف ويجمل

(الكيص — الذى ينزل وحده — والوطب — وعاء اللبن — والانس البادون أهله لانه يرده ميهم فمنهم من يتذمم فيسقى لبنه ومنهم من يرده كيصا مثل فعلى الذى ينزل وحده مزمل مبرد) (٢)

فهذه الابيات سمجة الرصف لان الفصيح اذا أراد ان يعبر عن هذه المعانى ولم يسامح نفسه عبر عنها بخلاف ذلك . وكان القوم لا ينتقد عليهم فكانوا يسامحون

(١) هكذا البيت — فى أصح نسخ الاصل وفى بعضها

رأت أمنا وطبا يجيء به امرؤ ۞ من الماء للبادين فهو مزمل

وفى اللسان فى مادة كيص

رأت رجلا كيصا يلفف وطبه ۞ فيأتى به البادين وهو مزمل

(٢) هذا التفسير لم أجده الا فى نسخة واحدة وقد فسر به أبو زيد فى الجمهرة وقال فى اللسان بعد ان ذكر البيت وفسر الكيص بالرجل الاشر وحكاه عن أبى على ثم ذكر عن ثعلب بان الكيص اللئيم وأنشد البيت وهذا بناء على ان الروايتان فى كيصا بكسر الكاف ثم ذكر عن أبى على ورجل كيص بفتح الكاف ينزل وحده واختلف فى الالف من كيصا فحكى عن أبى على وثعلب ان الالف الف النصب لا الف الالحاق . وقول المصنف فى التفسير مزمل مبرد أراد بالمبرد المغطى . وقوله قد أغاث عياله — هكذا فى الاصول وفى — الجمهرة قد أعاش عياله . وقوله قريب الخ البيت الذى فى الجمهرة — فنخزى اذا رأونا نحل ونحمل — وفى بعض الاصول اذ يحل ويحمل — وفى ثالثة — يلف ويحمل — فليحرر

أنفسهم فى الاسأة .

فاما مثال الحسن الرصف من الرسائل فكما كتب بعضهم . ولولا ان أجود الكلام . مايدل قليله على كثيره . وتغنى جملته عن تفصيله . لوسعت نطاق القول فيما انطوى عليه من خلوص المودة . وصفاء المحبة . فجال مجال الطرف فى ميدانه وتصرف تصرف الروض فى افتنانه . لكن البلاغة بالايجاز . أبلغ من البيان بالاطناب

ومن تمام حسن الرصف ان يخرج الكلام مخرجا يكون له فيه طلاوة وماء وربما كان الكلام مستقيم الالفاظ . صحيح المعانى . ولا يكون له رونق ولا رواء ولذلك . قال الاصمعى لشعر لبيد . كانه طيلسان طبرانى أى هو محكم الاصل ولا رونق له . والكلام اذا خرج فى غير تكلف (وكد) وشدة تفكر وتعمل كان سلساً سهلا وكان له ماء ورواء ورقراق وعليه فرند لا يكون على غيره مما عسر بروزه واستكره خروجه . وذلك مثل قول الحطيئة

هم القوم الذين اذا ألمت ... من الايام مظلمة اضاؤا

وقوله

لهم فى بنى الحاجات أيد كأنها ... تساقط ماء المزن فى البلد القفر

وكقول اشجع *

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلام ... نشرتْ عليه جمالها الايام

واذا سيوفك صافحت هام العدى ... طارتْ لهن عن الفراخ الهام

برقتْ سماؤك للعدو فامطرتْ ... هاما لها ظلّ السيوف غمام

رأى الامام وعزمهُ وحسامه ... جند وراء المسلمين قيام

وكقول النمر

خاطرْ بنفسك كى تصيب غنيمةً ... انّ الجلوسَ مع العيالِ قبيح

فالمال فيه تجلة ومهابةٌ ... والفقر فيه مذلة وقبوح

وكقول الآخر

نامت جدودهم وأسقط نجمهم　　والنجم يسقط والجدود تنام

وكقول الآخر

لعن الآله تعلة بن مسافر　　لعناً يشن عليه من قدّام [1]

ففي هذه الابيات مع جودتها رونق ليس في غيرها مما يجرى مجراها في صحة المعنى وصواب اللفظ : و(من) الكلام الصحيح المعنى واللفظ القليل الحلاوة العديم الطلاوة : قول الشاعر

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا　　ولا أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما اسـ　　تغنى الملوك بدنياهم عن الدّين

ومن الشعر المستحسن الرونق : قول دعبل (٢)

وانّ امرءاً أمست مساقط رحله　　بأسوان لم يترك له الحرص معلما

حللت محلا يقصر البرق دونه　　ويعجز عنه الطيف ان يتجشما

---

(١) نسخة مساور بدل مسافر : وفي اللسان في مادة علل ما يصحح الاوله

(٢) تقدم ذكرها في صفحة ٤١ برواية ـ الحزم ـ بدل ـ الحرص

الباب الخامس

في ذكر الايجاز والاطناب فصلان

الفصل الاول

قال اصحاب الايجاز : الايجاز قصور البلاغة على الحقيقة وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل فى باب الهذر والخطل وهما من اعظم ادوآء الكلام وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة . . وفى تفضيل الايجاز : يقول جعفر بن يحى لكتابه : ان قدرتم ان تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا : وقال بعضهم الزيادة فى الحقد نقصان . وقال محمد الامين * عليكم بالايجاز فان له افهاما . وللاطالة استبهاما : وقال شبيب بن شبة * : القليل الكافى . خير من كثير غير شاف : وقال آخر : اذا طال الكلام عرضت له اسباب التكلف ولا خير فى شيء يأتى به التكلف : و (قد) قيل لبعضهم : ما البلاغة . فقال الايجاز . قيل وما الايجاز . قال حذف الفضول . وتقريب البعيد : وسمع رسول الله (ﷺ) رجلا يقول لرجل كفاك الله ما أهمك : فقال هذه البلاغة وسمع آخر يقول عصمك الله من المكاره : فقال هذه البلاغة: وقوله ﷺ (اوتيت جوامع الكلم) وقيل لبعضهم لم لا تطيل الشعر : فقال حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق : وقيل ذلك لاخر فقال لست ابيعه مذارعة : وقيل للفرزدق : ما صيرك الى (القصايد) القصار بعد الطوال : فقال : لانى رأيتها فى الصدور أوقع . وفى المحافل أجول : وقالت بنت الحطيئة * لابيها : ما بال قصارك . اكثر من طوالك : فقال لانها فى الاذان أولج . وبالافواه أعلق : وقال ابو سفيان * لابن الزبعرى : قصرت فى شعرك : فقال حسبك من الشعر غرة لائحة . وسمة واضحة : وقيل للنابغة الذبيانى : الا تطيل القصائد كما اطال صاحبك ابن حجر : فقال من انتحل انتقر (١) : وقيل لبعض المحدثين مالك لا تزيد على اربعة واثنين : قال هن بالقلوب اوقع . والى

(١) الانتقار ـ الاختيار : وجاء فى نسخة بدل ـ انتحل ـ انتخل

الحفظ اسرع . وبالالسن اعلق . وللمعانى اجمع . وصاحبها ابلغ وأوجز . وقيل لابن حازم الا تطيل القصايد : فقال

أبى لى أن أطيل الشعر قصدى الى المعنى وعلمى بالصواب

وايجازى بمختصر قريب حذفت به الفضول من الجواب

فابعثهن أربعة وستا مثقفة بألفاظ عذاب

(خوالد ما حدا ليل نهاراً وما حسن الصبى بأخى الشباب)

وهن اذا وسمت بهن قوماً كأطواق الحمايم فى الرقاب

(وكن اذا أقمت مسافرات تهاداه الرواة مع الركاب)

وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه : ما رأيت بليغا قط الا وله فى القول ايجاز . وفى المعانى إطالة . وقيل لاياس بن معاوية * ما فيك عيب غير انك كثير الكلام : قال أفتسمعون صوابا أم خطاء . قالوا بل صوابا . قال فالزيادة من الخير خير . وليس كما قال لان للكلام غاية . ولنشاط السامعين نهاية . وما فضل عن مقدار الاحتمال . دعا الى الاستثقال . وصار سببا للملال . فذلك هو الهذر والاسهاب والخطل وهو معيب عند كل لبيب . وقال بعضهم : البلاغة بالايجاز . أنجع من البيان بالاطناب . وقال : المكثار كحاطب الليل . وقيل لبعضهم من أبلغ الناس . قال من حلى المعنى المزيز . باللفظ الوجيز . وطبق المفصل قبل التحزيز – المزيز – الفاضل والمز الفضل – وقوله وطبق المفصل قبل التحزيز – مأخوذ من كلام معاوية رضى الله عنه وهو قوله لعمرو بن العاص * رضى الله عنه لما أقبل أبو موسى * رضى الله عنه : يا عمرو انه قد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى والعرفان . فأقلل الحز . وطبق المفصل . ولا تلقه بكل رأيك . فقال عمرو اكثر من الطعام وما بطن قوم إلا فقدوا بعض عقولهم

والايجاز . القصر والحذف . فالقصر تقليل الالفاظ وتكثير المعانى . وهو

قول الله عز وجل (ولكم فى القصاص حياة) ويتبين فضل هذا الكلام اذا قرنته بما جاء عن العرب فى معناه وهو قولهم — القتل أنفى للقتل — فصار لفظ القرآن فوق هذا القول لزيادته عليه فى الفائدة وهو ابانة العدل لذكر القصاص وإظهار الغرض (١) المرغوب عنه فيه لذكر الحياة واستدعاء الرغبة والرهبة لحكم الله به ولايجازه فى العبارة . فان الذى هو نظير قولهم — القتل أنفى للقتل — انما هو (القصاص حياة) وهذا أقل حروفا من ذاك ولبعده من الكلفة بالتكرير وهو قولهم — القتل أنفى للقتل — ولفظ القرآن برىء من ذلك وبحسن التأليف وشدة التلاؤم المدرك بالحس لان الخروج من الفاء الى اللام أعدل من الخروج من اللام الى الهمزة . ومن القصر أيضا قوله تعالى (اذا لذهب كل آله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) لا يوازى هذا الكلام فى الاختصار شىء . وقوله تعالى (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) وقوله عز اسمه (ولا يحيق المكر السىء الا بأهله) وانما كان سوء عاقبة المكر والبغى راجعا عليهم وحايقا بهم فجعله للبغى والمكر الذين هما من فعلهم ايجازاً واختصاراً . وقوله سبحانه (أفنضرب عنكم الذكر صفحاً) وقوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) وقوله تعالى (فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً) تحير فى فصاحته جميع البلغاء ولا يجوز أن يوجد مثله فى كلام البشر . وقوله تعالى (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) وقوله تعالى (يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى الآية) تتضمن مع الايجاز والفصاحة دلائل القدرة . وقوله تعالى (الا له الخلق والأمر) كلمتان استوعبتا جميع الاشياء على غاية الاستقصاء وروى ان ابن عمر رحمه الله * قرأها فقال من بقى له شىء فليطلبه . وقوله تعالى (واختلاف ألسنتكم وألوانكم) اختلاف اللغات والمناظر والهيئات . وقوله تعالى فى صفة خمر أهل الجنة (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) انتظم قوله سبحانه (ولا ينزفون) عدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب . وقوله تعالى (أولئك لهم الأمن) دخل تحت الامن جميع المحبوبات لانه نفى به أن يخافوا

(١) نسخة — الغوض — مكان الغرض

شيئاً أصلا من الفقر والموت وزوال النعمة والجور وغير ذلك من أصناف المكاره فلا ترى كلمة أجمع من هـذه . وقوله عز وجل (والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس) جمع أنواع التجارات وصنوف المرافق التي لا يبلغها العد والاحصاء ومثله قوله سبحانه (ليشهدوا منافع لهم) جمع منافع الدنيا والآخرة . وقوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) ثلاث كلمات تشتمل على أمر الرسالة وشرايعها وأحكامها على الاستقصاء لما فى قوله (فاصدع) من الدلالة على التأثير كتأثير الصدع . وقوله تعالى (وكل امر مستقر) ثلاث كلمات اشتملت على عواقب الدنيا والآخرة . وقوله تعالى (وله ما سكن فى الليل والنهار) وإنما ذكر الساكن ولم يذكر المتحرك لان سكون الاجسام الثقيلة مثل الارض والسماء فى الهواء من غير علاقة ودعامة أعجب وأدل على قدرة مسكنها . وقوله عز وجل (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) فجمع جميع مكارم الاخلاق بأسرها لان فى العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين واعطاء المانعين وفى الامر بالعرف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان عن الكذب وغض الطرف عن الحرمات والتبرؤ من كل قبيح لانه لا يجوز أن يأمر بالمعروف وهو يلابس شيئاً من المنكر وفى الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مقابلة السفيه بما يوتغ (١) الدين ويسقط القدرة . وقوله تعالى (أخرج منها ماءها ومرعاها) فدل بشيئين على جميع ما أخرجه من الارض قوتا ومتاعا للناس من العشب والشجر والحطب واللباس والنار (والملح) والماء لان النار من العيدان والملح من الماء والشاهد على أنه أراد ذلك كله قوله تعالى (متاعا لكم ولانعامكم) : وقوله تعالى (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) فانظر هل يمكن احداً من اصناف المتكلمين ايراد هذه المعانى فى مثل هذا القدر من الالفاظ : وقوله عز وجل (ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) جمع الاشياء كلها حتى لا يشذ منها شىء على وجه : وقوله تعالى (وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين) جمع فيه من نعم الجنة مالا تحصره

(١) الوتغ ـ بالتحريك الهلاك والاثم وفساد الدين

الافهام . ولا تبلغه الاوهام

وقول رسول الله ﷺ (اياكم وخضراء الدمن) (١) وقوله ﷺ (حبك الشيء يعمي ويصم) وقوله ﷺ (ان من البيان لسحراً) وقوله عليه الصلاة والسلام (مما ينبت الربيع مايقتل حبطاأو يلم (٢)) وقوله ﷺ (الصحة والفراغ نعمتان) وقوله عليه الصلاة والسلام (نية المؤمن خير من عمله) وقوله ﷺ (ترك الشر صدقة) وقوله ﷺ (الحمى فى أصول النخل (٣)) فمعانى هذا الكلام أكثر من الفاظه واذا أردت أن تعرف صحة ذلك فحلها وابنها بناء آخر فانك تجدها تجيء فى اضعاف هذه الالفاظ : وقوله ﷺ (اذا أعطاك الله خيرا فليبن عليك وابدأ بمن تعول وارتضخ من الفضل ولا تلم على الكفاف ولا تعجز عن نفسك) قوله ﷺ (فليبن عليك) أى فليظهر أثره عليك بالصدقة والمعروف ودل على ذلك بقوله (وابدأ بمن تعول) (وارتضخ من الفضل) أى اكسر من مالك واعطه واسم الشيء الرضيخة (٤) (ولا تعجز عن نفسك) أى لاتجمع لغيرك وتبخل

(١) الدمن ـ جمع دمنة والاصل فيه ماتدمنه الابل والغنم من ابعارها وأبوالها أى تلبده فى مرابضها فربما نبت فيها الكلاء يرى له غضارة وهو وبيء المرعى منتن الاصل شبه به المرأة الحسناء فى المنبت السوء لان تمام الحديث قيل وماذاك قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء)

(٢) الحديث ـ تقصى روايته الازهرى وأورده عنه بطوله مفسراً صاحب اللسان فى مادة حبط : وقال ان قوله ﷺ (ان مما ينبت الربيع مايقتل حبطا) فهو مثل الحريص والمفرط فى الجمع والمنع وذلك ان الربيع ينبت احرار العشب التى تحلوليها الماشية فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك

(٣) فى نسخة النحل ـ ولم اقف على هذا الحديث مع التقصى الزائد فليراجع

(٤) الرضيخة ـ العطية القليلة والرضخ العطاء . وتفسير المصنف له بقوله (اى اكسر من مالك (رجوع الى اصل معنى الرضخ . وجاء فى نسخة ـ اكثر ـ من الاكثار بدل قوله اكسر

عن نفسك فلاتقدم خيراً

وقول اعرابى اللهم هب لى حقك . وارض عنى خلقك . وقال آخر . اولئك قوم جعلوا أموالهم مناديل لاعراضهم . فالخير بهم زايد . والمعروف لهم شاهد . أى يقون اعراضهم باموالهم . وقيل لاعرابى يسوق مالا كثيرا لمن هذا المال .. فقال لله فى يدى . وقال اعرابى لرجل يمدحه انه ليعطى عطاء من يعلم ان الله مادته وقول آخر . أما بعد فعظ الناس بفعلك . ولا تعظهم بقولك . واستحى من الله بقدر قربه منك . وخفه بقدر قدرته عليك . وقال آخر .. ان شككت فاسئل قلبك عن قلبى

ومما يدخل فى هذا الباب المساواة .. وهو أن تكون المعانى بقدر الالفاظ والالفاظ بقدر المعانى لايزيد بعضها على بعض وهو المذهب المتوسط بين الايجاز والاطناب واليه اشار القائل بقوله . كان الفاظه قوالب لمعانيه . . أى لايزيد بعضها على بعض

فما فى القرآن من ذلك . قوله عز وجل (حور مقصورات فى الخيام) (١) وقوله تعالى (ودوا لوتدهن فيدهنون) (٢) ومثله كثير

ومن كلام النبى ﷺ (لاتزال امتى بخير مالم تر الامانة مغنما والزكاة مغرما) وقوله ﷺ (اياك والمشارة فانها تميت الغرة وتحى العرة (٣)

---

(١) مقصورات ــ أى محبوسات على ازواجهن. قال الفراء قصرن على أزواجهن اى حبسن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن الى من سواهم

(٢) المداهنة ــ من الادهان وهى المقاربة فى الكلام والتليين فى القول . وحكى فى اللسان عن الفراء (ودوا لو تدهن فيدهنون) بمعنى ودوا لو تكفروا فيكفرون

(٣) المشارة ــ المفاعلة من الشر أى لاتفعل به شرا فتحوجه إلى أن يفعل بك مثله . والغرة . بالضم غرة الفرس وكل شىء ترفع قيمته فهو غرة والمراد بهاهنا الحسن والعمل الصالح : وفى نسخة بالفتح والضبط بالضم هو الموافق لما فى كتب

ومن الفاظ هذه الفصول ماكانت معانيه اكثر من الفاظه وانما يكره تميزها كراهة الاطالة : ومن نثر الكتاب قول بعضهم : سألت عن خبرى وانا فى عافية لاعيب فيها الا فقدك . ونعمة لامزيد فيها الا بك. وقوله علمتنى نبوتك سلوتك واسلمنى يأسى منك . الى الصبر عنك . وقوله حفظ الله النعمة عليك وفيك ـ اصلاحك وتولى والاصلاح لك . وأجزل من الخير حظك والحظ منك . ومن وعلينا بك عليك وقال آخر يئست من صلاحك بى . وأخاف فسادى بك . وقد أطنب فى ذم الحمار من شبهك به .

ومن المنظوم . قول طرفة

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالاخبار من لم تزوّد

وقول الآخر

تهدَى الامور بأهل الرأي ما صلحت فأن تأبت فبالاشرار تنقادُ (١)

وقول الآخر

فأما الذي يحصيهم فمكثر وأما الذى يطريهم فمقلل (٢)

وقول الآخر (٣)

أهابك اجلالاً وما بك قدرة عليّ ولكن مل عينٍ حبيبها

الحديث • والعرة • بالضم فى اصح النسخ وهكذا ضبطها فى اللسان وقال بعد أن ذكر لفظ الحديث . هى القذر وعذرة الناس فاستعير للمساوى والمثالب .وفى بعض النسخ بالفتح واختلف فى معناها على أقوال شتى والحديث أورده السيوطى فى الجامع الصغير من رواية البيهقى عن أبى هريرة بلفظ (اياكم ومشارة الناس فانها تدفن الغرة وتظهر العرة)

(١) نسخة ـ فان تولت ـ بدل تأبت (٢) الاطراء ـ مجاوزة الحد فى المدح

(٣) فى الحماسة عجز البيت الثانى هكذا (قليل ولا اذ قل منك نصيبها)

وما هجرتك النفس انك عندها ... قليل ولكن قلّ منك نصيبها

وقول الاخر

أصدّ بأيدى العيس عن قصد أهلها ... وقلبي اليها بالمودّة قاصد

وقول الآخر

يقول اناس لا يضيرك فقدها[1] ... بلى كل ما شفّ النفوس يضيرها

وقال الآخر

يطول اليوم لا القاك فيه ... وحولٌ نلتقى فيه قصير

وقالوا لا يضيرك نأى شهرٍ ... فقلت لصاحبي فلمن يضير

قوله — لصاحبى — يكاد يكون فضلا .

وأما الحذف فعلى وجوه منها ان يحذف المضاف ويقيم المضاف اليه مقامه ويجعل الفعل له كقول الله تعالى (واسئل القرية) أى أهلها . وقوله تعالى (واشربوا فى قلوبهم العجل) أى حبه . وقوله عزوجل (الحج أشهر معلومات) أى وقت الحج وقوله تعالى (بل مكر الليل والنهار) أى مكركم فيهما . وقال (المتنخل) الهذلى

يمشي بيننا حانوت خمر ... من الخرس الصراصرة القطاط[2]

يعنى صاحب حانوت فاقام الحانوت مقامه . وقال الشاعر (٣)

(١) الضير — بمعنى الضر . وجاء فى نسخة بدل فقدها نأيها

(٢) الخرس — معلوم — والصراصرة — نبط الشام . وقال الازهرى فى تفسير البيت — الخرس الصراصرة — هم خدم من العجم لا يفصحون فلذلك جعلهم خرسا والقطط — شعر الزنجى لقصره وتجعده وقد قطط شعره بالكسر وهو أحد ما جاء على الاصل باظهار التضعيف والجمع أقطاط بالفتح وأقطاط بالكسر وشاهده البيت

(٣) البيت لذى الرمة . وقبله

لهمْ مجلس صهب السبال أذلّة　　سَواسِيةٌ أحرارها وعبيدها

يعنى أهل المجلس .

ومنها ان يوقع الفعل على شيئين وهو لاحدهما ويضمر للاخر فعله . وهو قوله تعالى (فاجمعوا أمركم وشركاءكم) معناه وادعوا شركائكم وكذلك هو فى مصحف عبد الله (بن مسعود) . وقال الشاعر

تراه كأنّ الله يجدَع أنفه　　وعينيه إنْ مولاه ثاب وفَر

أى ويفقأ عينيه . وقول الاخر

إذا ما الغانيات برَزْنَ يوماً　　وزججن الحواجبَ والعيونا

العيون لا تزجج وانما أراد وكحلن العيون .

ومنها ان يأتى الكلام على ان له جوابا فيحذف الجواب اختصاراً لعلم المخاطب كقوله عزوجل (ولوان قرأنا سيرت به الجبال أوقطعت به الارض أوكلم به الموتى بل لله الامر جميعاً) أراد لكان هذا القرآن فحذف . وقوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم) أراد لعذبكم . وقال الشاعر

فاقسم لوْ شىء أُتانا رسوله　　سواكَ ولكنْ لمْ نجدْ لك مدفعا

أى لرددناه . . وقوله تعالى (ليسو سوآء من اهل الكتاب امة قائمة) فذكر أمة واحدة ولم يذكر بعدها أخرى وسواء يأتى من اثنين (١) فما زاد : وكذلك

وامثل اخلاق امرىء القيس انها　　صلاب على عض الهوان جلودها

الصهب ــ من الصهوبة بياض يخالطها حمرة ــ والسبال ــ واحدها سبلة . وهى الدائرة التى فى وسط الشفة العليا وقيل ماعلى الشارب من الشعر وقيل طرفه وعن ثعلب هى اللحية كلها . وقوله ــ سواسية ــ أى سواء بالنقص والجهل على حد قولهم (سواسية كاسنان الحمار)

(١) سوآء ــ اسم بمعنى الاستواء يوصف به كما يوصف بالمصادر وقد تأتى بمعنى الوسط كما فى قوله تعالى (فى سواء الجحيم) واختلف فى انه هل يثنى

قوله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً) ولم يذكر خلافه لان في قوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) دليلا على ما أراد. وقال الشاعر

أراد فما أدرى أهمٌ همتهُ وذو الهمّ قدماً خاشعٌ متضائل[1]

ولم يأت بالآخر . . وربما حذفوا الكلمة والكلمتين : كقوله تعالى (فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم) وقوله تعالى (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) أى ووصى بالوالدين احسانا : وقال النمر

فانّ المنية مَن يخشها فسوفَ تصادفه أينما

اى — اينما ذهب : وقال ذو الرمة

لعرفانها والعهد ناءٍ وقد بدا لذى نهيةٍ ان لاالى أمّ سالمِ[2]

المعنى أن لا سبيل اليها ولا الى لقائها فاكتفى بالاشارة الى المعنى لانه قد عرف ما أراد كما : قال النمر بن تولب

فلا وأبى الناس لايعلمون لا الخير خير ولا الشر شر

أى — ليس بدايمين لاحد — والنهية العقل والجمع نهى (٣) وقوله تعالى (في

ويجمع والصحيح انه لا يثنى ولا يجمع لانه جرى عندهم مجرى المصدر . وقول المصنف — يأتى من اثنين فما زاد — هكذا فى نسختين . وفى نسخة . تأتى لاثنين فصاعدا

(١) المتضائل . المنقبض كالشيء اذ انقبض وانضم بعضه الى بعض. والضئيل النحيف

(٢) هكذا رواية البيت — فى اصح النسخ وفى بعضها اقتصار على عجزه بهذا الضبط (لدى نهية إلا إلى أم سالم)

(٣) هذا التفسير — الى قوله نهى وجدته بهامش نسخة ملحقا بالاصل وقد كتب على طرة تلك النسخة انها بخط مصنفها ولم تثبت عندى هذه النسبة على

يوم عاصف) أى فى يوم ذى عاصف : وقوله تعالى (وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء) أى ولا من فى السماء بمعجز : ومثل قول الشنفرى

لا تدفنونى انّ دفنى محرّم   عليكم ولكن خامرى أمّ عامر

أى — ولكن دعونى للتى يقال لها خامرى أم عامر اذا صيدت(١) يعنى الضبع

ومنها القسم بلا جواب : كقوله تعالى (ق والقرآن المجيد بل عجبوا) معناه والله اعلم ق والقرآن المجيد لتبعثن والشاهد ما جاء بعده من ذكر البعث فى قوله (أايذا متنا وكنا ترابا) ومن الحذف قوله تعالى (الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه) أى كباسط كفيه الى الماء ليقبض عليه : وقال الشاعر

انى وايّاكم شوقاً اليكم   كقابض ماءً لم تسقه أنامله (٢)

ومن الحذف اسقاط — لا — من الكلام فى قوله تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) أى — لان لا تضلوا — وقوله تعالى (ان تحبط اعمالكم) أى — لا تحبط أعمالكم — وقال امرؤ القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعداً   ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

انها اصح نسخة وقعت الى . والذى فى غيرها اقتصار على هذه العبارة (أى أن لا سبيل اليها) فقط

(١) هكذا الرواية . فى سائر نسخ الاصول والذى فى اللسان فى مادة ع م ر

لا تقبرونى ان قبرى محرم   عليكم ولكن ابشرى ام عامر

وقول المصنف . خامرى ام عامر اذا صيدت . اى يقال للضبع اذا أريد اصطيادها بعد ان يجيء الرجل الى وجارها فيسد فمه بعد ما تدخله لئلا ترى الضوء فتحمل عليه فيقول خامرى أم عامر ابشرى بجراد عظلى وكمر رجال قتلى فتذل له حتى يكعمها ثم يجرها ويستخرجها

(٢) القائل — ضابىء بن الحرث البرجمى . وقوله — تسقه — أى لم تحمله : من وسقت الشئ أسقه وسقا اذا حملته . حكاه فى اللسان واستشهد له بالبيت المذكور

أي ـ لا ابرح قاعدا ـ : وقال آخر

فلاَ وأبي دهمانَ زالت عزيزةٌ   على قومها ما فتل الزند قادح

ومن الحذف ان تضمر غير مذكور : كقوله تعالى (حتى توارت بالحجاب) يعني الشمس بدأت في المغيب) : وقوله تعالى (ما ترك على ظهرها من دابة) يعني على ظهر الارض : وقوله تعالى (فأثرن به نقعا) أي بالوادي . وقوله تعالى (والنهار اذا جلاها) يعني الدنيا أو الارض (ولا يخاف عقباها) يعني عقبى هذه الفعلة . وقال لبيد

حتى اذا ألقت يداً في كافرٍ   وأجنَّ عوراتِ الثغور ظلامها[1]

يعني الشمس تدأب في المغيب

وضرب منه آخر : قوله تعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلا) أي من قومه . وقال العجاج

محتَ الذي أختار لهُ الله الشجرْ

أي من الشجر

وضرب منه ما قال تعالى في أول سورة الرحمن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وذكر قبل ذلك الانسان ولم يذكر الجان ثم ذكره : ومثله قول المثقب *

فما أدري اذا يممتُ أرضا   أريد الخير أيهما يليني

ألخيرُ الذي أنا أبتغيه   أمْ الشر الذي هو يبتغيني

---

(١) الكافر ـ الليل لانه يستر بظلمته كل شيء ـ وأجن ـ عليه الليل اذا أظلم ـ والثغور ـ واحده ثغر . وذلك كل فرجة في جبل أو بطن واد أو طريق مسلوك . قال ابن السكيت ان لبيدا سرق هذا المعنى من قول ثعلبة بن صعيرة المازني يصف الظليم والنعامة ورواحهما الى بيضهما عند غروب الشمس وذلك بقوله

فتذكرا ثقلا رثيدا بعد ما   ألقت ذكاء يمينها في كافر

فكنى عن الشر قبل ذكره ثم ذكره

ومن الحذف : قوله تعالى (يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل) أراد يشترون الضلالة بالهدى : وقوله تعالى (وتركنا عليه فى الآخرين) أى أبقينا له ذكراً حسناً فى الباقين فحذف الذكر : ومن ذلك قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض) أى يبحث التراب على غراب آخر ليواريه فيرى هو كيف يوارى سوأة أخيه : وقوله تعالى (فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم (أى فى مرضاتهم :

ومن الحذف : قول صعصعة * وقد سئل عن على بن أبى طالب رضى الله عنه : فقال لم يقل فيه مستزيد لو أنه . ولا مستقصر انه . جمع الحلم . والعلم . والسلم والقرابة القريبة . والهجرة القديمة . والبصر بالاحكام . والبلاء العظيم فى الاسلام : وقال على رضى الله عنه . سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكر * وثلث عمر وخبطتنا فتنة فما شاء الله (١) وقال القيسى . ما زلت امتطى النهار اليك . واستدل بفضلك عليك . حتى اذا جننى الليل . فقبض البصر . ومحا الاثر . اقام بدنى . وسافر أملى . والاجتهاد عاذر . واذا بلغتك فقط : فقوله — فقط — من أحسن حذف وأجود اشارة .. واخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا ابراهيم (بن الزغل) العبشمى قال حدثنا المبرد ان عبدالله بن يزيد بن معاوية . أتى أخاه خالداً . فقال يا أخى لقد هممت اليوم ان افتك بالوليد . بن عبد الملك فقال خالد بئيس والله ماهممت به فى ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين : فقال ان خيلى مرت به فعبث بها واصغرنى فيها . فقال أنا اكفيك فدخل على عبدالملك . فقال يا أمير المؤمنين ان الوليد بن

(١) قوله وصلى أبو بكر — رضى الله عنه : قال أبو عبيد فى غريب الحديث واصل هذا فى الخيل فالسابق الاول والمصلى الثانى قيل له مصل لانه يكون عند صلا الاول وصلاه جانبا ذنبه عن يمينه وشماله : وقد وقع فى بعض النسخ — وحبطتنا — بالحاء المهملة والذى فى غريب الحديث موافق لما ذكرناه : وفى بعض الروايات وثنى أبو بكر رضى الله عنه

أمير المؤمنين مرت به خيل ابن عمه عبدالله بن يزيد فعبث بها وأصغره فيها وعبدالملك مطرق ثم رفع رأسه وقال (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها أذلة) فقال خالد (واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) فقال عبدالملك افى عبدالله تكلمنى لقد دخل على فما اقام لسانه لحناً . فقال خالد افعلى الوليد تعول . فقال عبدالملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان . فقال خالد ان كان عبدالله يلحن فان أخاه خالدا . فقال له الوليد اسكت فوالله ــ ما تعد فى العير ولا فى النفير ــ فقال اسمع يا أمير المؤمنين ثم اقبل عليه : فقال ويحك فمن للعير والنفير غيرى جدى أبو سفيان . صاحب العير وجدى عتبة . بن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان قلنا صدقت . وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم طرد الحكم . بن أبى العاص فصار الى الطائف يرعى غنيمه ويأوى الى حبلة وهى الكرمة ورحم الله عثمان أى لرده اياه . فهذا حذف بديع . وكذلك قول عبد الملك . ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان . وقول خالد . ان كان عبدالله يلحن فان أخاه خالد . حذف حسن أيضاً . ومثل هذا كثير فى كلامهم ولا وجه لاستيعابه .

ومن الحذف الردئ .. قول الحرث بن حلزة

والعيشُ خيرٌ فى ظلا ... لِ النوكِ ممنْ عاشَ كدّا [1]

وانما أراد ــ والعيش الناعم خير فى ظلال النوك من العيش الشاق فى ظلال العقل ــ وليس يدل لحن كلامه على هذا فهو من الايجاز المقصر . ومن الحذف الردئ أيضاً . قول الآخر

أعاذِلَ عاجِلُ ما أشتهي ... أحبّ من الاكثر الرايثِ [2]

(١) النوك ــ بالضم الحمق قال فى القاموس ويفتح أيضاً وقد وجدته فى نسخ الاصل مضبوطا بالضم والمحفوظ ان الرواية بالفتح فليحرر

(٢) الريث ــ الابطاء والرايث المبطى

يعني — عاجل ما اشتهى مع القلة أحب الي من رايثه مع الكثرة . ومثله قول عروة بن الورد.

عجبتُ لهم اذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عندالوغى كانَ أعذَارا

يعني اذ يقتلون نفوسهم في السلم . ومثله من نثر الكتاب . ما كتب بعضهم. فان المعروف اذا زجا (١) . كان أفضل منه اذا توفر وابطا : وتمام المعنى ان يقول — اذا قل وزجا — فترك مابه يتم المعنى وهو ذكر القلة . وكتب بعضهم . فمازال حتى اتلف ماله . واهلك رجاله . وقد كان ذلك فى الجهاد والابلا . أحق بأهل الحزم وأولى . . والوجه ان يقول فان اهلاك المال والرجال فى الجهاد والابلاء أفضل من فعل ذلك فى الموادعة . . ومثل هذا مقصر غير بالغ مبلغ ما تقدم فى هذا الباب من الحذف الجيد . واقبح من هذا كله . قول الآخر

لا يرمضون اذا اجرّتْ مشافرهم ولا ترى مثلهم في الطعنِ ميالاَ (٢)

ويفشلونَ اذا نادَى ربيهم الا أركبنّ فقد آنستُ أبطالاَ (٣)

أراد — ولا يفشلون — فتركه فصار المعنى كأنه ذم . وقول المخبل* فى الزبرقان

---

(١) زجا — قال فى الصحاح زجا الخراج يزجو زجاء اذا تيسرت جبايته. فكأنه أراد هنا الشئ المتيسر

(٢) الرمض — شدة الحر . وقيل هو الحر — والجر — السوق — والمشافر — واحده مشفر وهو من البعير كالشفة من الانسان والجحفلة من الفرس والميم فيه زائدة .

(٣) الربيئ — القائم فى حراسة القوم . قال فى اللسان ربأ القوم يربؤهم اطلع لهم على شرف والاصل فيه التأنيث وحكى سيبويه انه يذكر ويؤنث فيقال ربئ وربيئة فمن انث فعلى الاصل ومن ذكر فعلى انه قد نقل من الجزء الى الكل . وجاء فى نسخة واحدة ربيئهم

وأبوكَ بَدْرٌ كانَ ينتهسُ الحصى وأبى الجوادُ رَبيعةُ بن قَبالِ [١]

فقال الزبرقان لا بأس شيخان اشتركا فى صنعة ..

الفصل الثانى

من الباب الخامس — فى ذكر الاطناب

قال أصحاب الاطناب . المنطق انما هو بيان والبيان لا يكون الا بالاشباع . والشفا لايقع الا بالاقناع . وأفضل الكلام أبينه . وأبينه أشده احاطة بالمعانى . ولا يحاط بالمعانى احاطة تامة الا بالاستقصاء . والايجاز للخواص . والاطناب مشترك فيه الخاصة والعامة . والغبى والفطن . والريض والمرتاض. ولمعنى ماطيلت الكتب السلطانية . وفى افهام الرعايا ،

والقول القصد ان الايجاز والاطناب يحتاج اليهما فى جميع الكلام وكل نوع منه : ولكل واحد منهما موضع . . فالحاجة إلى الايجاز فى موضعه كالحاجة إلى الاطناب فى مكانه : فمن أزال التدبير فى ذلك عن جهته واستعمل الاطناب فى موضع الايجاز واستعمل الايجاز فى موضع الاطناب اخطأ : كما روى عن جعفر بن يحيى انه قال مع إعجبه بالايجاز : متى كان الايجاز ابلغ كان الاكثار عيا . ومتى كانت الكناية فى موضع الاكثار كان الايجاز تقصيراً : وامر يحيى بن خالد (بن برمك) اثنين ان يكتبا كتابا فى معنى واحد فاطال احدهما واختصر الآخر : فقال للمختصر (وقد نظر فى كتابه) ماأرى موضع مزيد : وقال

---

(١) النهس — القبض على اللحم ونتره ونهسته وانهسته بمعنى وجاء فى نسخة هكذا

وابوك بدر كان ينتهش الحصى وابى الجواد ربيعة بن قبال

وكذا بذل قوله — صنعة ضيمة فليحرر

للمطيل ما أرى موضع نقصان ،

وقال غيره . البلاغة الايجاز في غير عجز . والاطناب في غير خطل . ولا شك في ان الكتب الصادرة عن السلاطين . في الأمور الجسيمة . والفتوح الجليلة . وتفخيم النعم الحادثة . والترغيب في الطاعة . والنهي عن المعصية . سبيلها ان تكون مشبعة . مستقصاة تملاء الصدور . وتأخذ بمجامع القلوب : الا ترى ان كتاب المهلب * الى الحجاج في فتح الازارقة

الحمد لله الذي كفى بالاسلام فقد ماسواه . وجعل الحمد متصلا بنعمته . وقضى ان لا ينقطع المزيد من فضله . حتى ينقطع الشكر من خلقه . ثم إنا كنا وعدونا على حالتين . مختلفتين . نرى فيهم مايسرنا اكثر مما يسؤنا . ويرون فيهم مايسؤهم اكثر مما يسرهم . فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم . ينصرنا الله ويخذلهم . ويمحصنا ويمحقهم . حتى بلغ الكتاب بنا وبهم اجله . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين . .

وانما حسن في موضعه ومع الغرض الذي كان لكاتبه فيه : فاما ان كتب مثله في فتح يوازي ذلك الفتح في جلالة القدر وعلو الخطر وقد تطلعت انفس الخاصة والعامة اليه وتصرفت فيه ظنونهم فيورد عليهم مثل هذا القدر من الكلام في أقبح صورة واسمجها واشوهها وهجنها كان حقيقا أن يتعجب منه . وكذلك لو كتب عن السلطان في العذل والتوبيخ وما تجب القلوب منه من التغيير والتنكير بمثل ماروى . ان الوليد بن يزيد * كتب الى والى العراقين حين عتب عليه . انى أراك تقدم في الطاعة رجلا وتؤخر اخرى فأعتمد على أيتهما شيئت والسلام و (بمثل ما) كتب جعفر بن يحيى الى عامل شكى : قد كثر شاكوك . وقل شاكروك . فاما عدلت . واما اعتزلت . ومثل هذا ما كتب به بعض الكتاب الى عامله على الخراج وقد وقع عليه تحامل على الرعية : ان الخراج عمود الملك . وما استغزر بمثل العدل . ولا استنزر بمثل الجور : فهذا الكلام في غاية الجودة والوجازة ولكن لايصلح من مثل صاحبه وبالاضافة الى حاله : فالاطناب بلاغة .

والتطفيل والتطويل عي . لان التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلا بما يقرب .
والاطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوى على زيادة فائدة .

وقال الخليل : يختصر الكتاب ليحفظ . ويبسط ليفهم : وقيل لابى عمرو ابن العلاء : هل كانت العرب تطيل : قال نعم : كانت تطيل ليسمع منها . وتوجز ليحفظ عنها .

والاطناب اذا لم يكن منه بد ايجاز . وهو فى المواعظ خاصة محمود . كما ان الايجاز فى الافهام (محمود) ممدوح

والموعظة . كقول الله تعالى (افأمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون أوأمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) فتكرير ما كرر من الالفاظ هاهنا فى غاية حسن الموقع . وقيل لبعضهم متى يحتاج الى الاكثار . قال اذا عظم الخطب . وأنشد

صموتٌ إذا ما الصمتُ زيّن أهلهُ ... وفتاق أبكارِ الكلامِ المحبر

وقال آخر

يرمون بالخطب الطوالِ وتارةً ... وحىَ الملاحظِ خشية الرقباء

وقال بعضهم

اذا ما أبتدي خاطباً لم يقلْ ... له أطلِ القولَ أو قصرِ

طبيبٌ بداءِ فنونِ الكلامِ ... لم يَعي يوماً ولم يهذِرِ

فانْ هوَ أطنبَ فى خطبةٍ ... قضى للمطيلِ على المقصر

وانْ هوَ أوجزَ في خطبةٍ ... قضى للمقلّ على المكثر

ووجدنا الناس اذا خطبوا فى الصلح بين العشائر أطالوا . واذا انشدوا الشعر بين السماطين فى مديح الملوك أطنبوا . والاطالة والاطناب فى هذه المواضع ايجاز وقيل لقيس بن خارجة . ماعندك فى حمالات داحس . قال عندى قرا كل نازل .

ورضى كل ساخط . وخطبة من لدن مطلع الشمس الى ان تغرب . آمر فيها بالتواصل وانهى عن التقاطع . فقيل لابى يعقوب الخزيمى . هلا اكتفى بقوله ـ آمر فيها بالتواضع ـ عن قوله ـ وانهى فيه التقاطع ـ فقال أو ما علمت ان الكناية والتعريض لاتعمل عمل الاطناب والتكشيف . وقد رأينا الله تعالى اذا خاطب العرب والاعراب أخرج الكلام مخرج الاشارة والوحى . واذا خاطب بنى اسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطا .

فما خاطب به أهل مكة قوله سبحانه (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) وقوله تعالى (اذاً لذهب كل آله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض) وقوله تعالى (أو ألقى السمع وهو شهيد) فى أشباه لهذا كثيرة . وقل ما تجد قصة لبنى اسرائيل فى القرآن الا مطولة مشروحة ومكررة فى مواضع معادة لبعد فهمهم كان وتأخر معرفتهم . وكلام الفصحاء انما هو شوب الايجاز بالاطناب والفصيح العالى بما دون ذلك من القصد المتوسط ليستدل بالقصد على العالى وليخرج السامع من شىء الى شىء فيزداد نشاطه وتتوفر رغبته فيصرفوه فى وجوه الكلام ايجازه واطنابه حتى استعملوا التكرار ليتوكد القول للسامع . وقد جاء فى القرآن وفصيح الشعر منه شىء كثير . فمن ذلك قوله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) وقوله تعالى (فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسرا) فيكون للتوكيد كما يقول القائل أرم ارم واعجل اعجل . وقد قال الشاعر

كم نعمةٍ كانتْ لكمْ كمْ كمْ وكمْ

وقال آخر

هلاَّ سألتَ جموع كندةَ يومَ ولوّا أينَ أينا

وانما جاءوا بالصفة وأرادوا توكيدها فكرهوا اعادتها ثانية فغيروا منها حرفا ثم اتبعوها الأولى . كقولهم ـ عطشان نطشان ـ كرهوا ان يقولوا عطشان عطشان فأبدلوا من العين نونا وكذلك قالوا ـ حسن . بسن ـ وشيطان . ليطان ـ فى

أشباه له كثيرة . وقد كرر الله عز وجل فى سورة الرحمن قوله (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وذلك انه عدد فيها نعماه . واذكر عباده الائه . ونبههم على قدرها . وقدرته عليها . ولطفه فيها . وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف موضع ماأسداه اليهم منها . وقد جاء مثل ذلك عن أهل الجاهلية . قال مهلهل .

على أنْ ليسَ عدْلاً مِنْ كليبٍ

فكررها فى أكثر من عشرين بيتاً . وهكذا قول الحارث بن عباد .

قرِّبا مَرْبطَ النعامة منى

كررها أكثر من ذلك . هذا لما كانت الحاجة الى تكريرها ماسة . والضرورة اليه داعية . لعظم الخطب . وشدة موقع الفجيعة . فهذا يدلك على ان الاطناب فى موضعه عندهم مستحسن كما ان الايجاز فى مكانه مستحب . ولا بد للكاتب فى أكثر أنواع مكاتباته من شعبة من الاطناب يستعملها اذا أراد المزاوجة بين الفصلين ولا يعاب ذلك منه . وذلك مثل ان يكتب . عظمت نعمنا عليه . وتظاهر احساننا لديه . فيكون الفصل الاخير داخلا فى معناه فى الفصل الاول وهو مستحسن لا يعيبه أحد . ولما أحيط بمروان . قال خادمه باسل من أغفل القليل حتى يكثر . والصغير حتى يكبر . والخفى حتى يظهر . أصابه مثل هذا . وهذا كلام فى غاية الحسن وان كان معنى الفصلين الاخيرين داخلا فى الفصل الاول . وهكذا قول الشاعر (١)

إنَّ شَرْخَ الشبابِ والشعرَ الاسودَ مالم يُعاصَ كانَ جنونا

فالشعر الاسود داخل فى شرخ الشباب . وكذلك قول أبى تمام

رُبَّ خفضٍ تحتَ السرَىِّ وغناء من عناءٍ ونضرةٍ من شحوبِ (٢)

(١) الشاعر — هو حسان بن ثابت الانصارى (رضى الله عنه) — وشرخ الشباب — أوله

(٢) السرى — بالضم نصال دقاق ويقال قصار يرمى بها الهدف . حكاه فى اللسان عن ابن الاعرابى — والنضرة — الرونق والحسن — والشحوب — تغير اللون والجسم

الغناء داخل فى الخفض والعناء داخل فى السرى فاعلم . ومما هو أجل من هذا كله قول الله عز وجل (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) فالاحسان داخل فى العدل وإيتاء ذى القربى داخل فى الاحسان والفحشاء داخل فى المنكر والبغى داخل فى الفحش . وهذا يدل على ان اعظم مدار البلاغة على تحسين اللفظ لان المعانى اذا دخل بعضها فى بعض هذا الدخول وكانت الالفاظ مختارة حسن الكلام . واذا كانت مرتبة حسنة والمعارض سيئة كان الكلام مردوداً . فاعتمد على مامثلته لك وقس عليه ان شاء الله

الباب السادس

فى حسن الاخذ وحل المنظوم : فصلان

﴿ الفصل الأول من الباب السادس فى حسن الأخذ ﴾

ليس لاحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعانى ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم اذا أخذوها ان يكسوها الفاظاً من عندهم ويبرزوها فى معارض من تأليفهم ويوردوها فى غير حليتها الاولى ويزيدوها فى حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها فاذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق اليها ولولا ان القائل يؤدى ما سمع لما كان فى طاقته ان يقول . وانما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين . وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه . لولا ان الكلام يعاد لنفد . وقال بعضهم كل شىء ثنيته قصر الا الكلام فانك اذا ثنيته طال : على ان المعانى مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجيد للسوقى والنبطى والزنجى . وانما تتفاضل الناس فى الالفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها . وقد يقع لمتأخر معنى سبقه اليه المتقدم من غير ان يلم به ولكن كما وقع للاول وقع للاخر

وهذا أمر عرفته من نفسي فلست أمترى فيه وذلك انى عملت شيئاً فى صفة النساء

سَفرنَ بدوراً وانتقبن أهلة

وظننت انى سبقت الى جمع هذين التشبيهين فى نصف بيت الى ان وجدته بعينه لبعض البغداديين فكثر تعجبي وعزمت على ان لا احكم على المتأخر بالسرق من المتقدم حكما حتما . وسمعت ماقيل انه من أخذ معنى بلفظه كان (له) سارقا . ومن أخذه ببعض لفظه كان (له) سالخا . ومن أخذه فكساه لفظاً من عنده أجود من لفظه كان (هو) أولى به ممن تقدمه . وقالوا ان أبا عذرة الكلام من سبك لفظه على معناه ومن أخذ معنى بلفظه فليس له فيه نصيب . على انا بتكار المعنى والسبق اليه ليس هو فضيلة يرجع الى المعنى وانما هو فضيلة ترجع الى الذى ابتكره وسبق اليه . فالمعنى الجيد جيد وان كان مسبوقا اليه . والوسط وسط . والردى ردئ . وان لم يكونا مسبوقا اليهما . وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعانى بينهم فليس على أحد فيه عيب الا اذا أخذه بلفظه كله أو أخذه فأفسده وقصر فيه عمن تقدمه وربما اخذ الشاعر القول المشهور ولم يبال . كما فعل النابغة فأنه أخذ . قول وهب بن الحرث بن زهرة * (١)

تبدو كواكبه والشمس طالعة ... تجري على الكاس منه الصاب والمقر

وقال النابغة

تبدو كواكبه والشمس طالعة ... لا النور نور ولا الاظلام اظلام

وأخذ قول رجل من كندة فى عمرو بن هند *

هو الشمس وافت يوم دجن فأفضلت ... على كل ضوء والملوك كواكب

فقال

(١) نسخة ــ زهير بدل زهرة : وقوله فى البيت ــ الصاب . والمقر ــ فالصاب عصارة شجر مر . وقيل هو عصارة الصبر . والمقر الحامض . وقيل انه المر . وقيل هو الصبر نفسه . وفى اللسان قال أبو حنيفة هو نبات ينبت ورقا فى غير افنان

بأنك شمس والملوك كواكبُ اذا طلعتْ لم يبدُ منهنّ كواكب

وسنشبع القول فى هذا الباب . والحاذق يخفى دبيبه الى المعنى يأخذه فى سترة فيحكم له بالسبق اليه اكثر من يمر به . واحد اسباب اخفاء السرق (١) أن يأخذ معنى من نظم فيورده فى نثر . أو من نثر فيورده فى نظم . أو ينقل المعنى المستعمل فى صفة خمر . فيجعله فى مديح . أو فى مديح . فينقله الى وصف الا انه لايكمل لهذا الا المبرز . والكامل المقدم . فمن اخفى دبيبه الى المعنى وستره غاية الستر . ابو نواس فى قوله

اعطتكَ ريحانها العقارَ (وحانَ من ليلكَ انسفارُ)

ان كان قد أخذه من قول الأعشى على ما حكوا فقد اخفاه غاية الأخفاء وقول الاعشى

وسبيئةٍ مما تعتقُ بابل كدم الذبيح سَلبتها جريالها (٢)

سئل الاعشى عن — سلبتها جريالها — فقال شربتها حمراء . وبلتها بيضاء . فبقى حسن لونها فى بدنى . ومعنى — اعطتك ريحانها العقار — أى شربتها فانتقل طيبها اليك . وهكذا . . قوله

لاينزلُ الليلحيثُ حلّتْ فدهر شرّابها نهارُ

من قول قيس ابن الحصيم

قضى الله حينَ صوّرَها الخالق الا تكنها السدَفُ (٣)

---

(١) نسخة — واحد اسباب السرق الخفى الخ

(٢) السبيئة — الخمر — وجريالها — لونها . وقال ثعلب الجريال صفوة الخمر

(٣) السدف — الظلمة . قال الاصمى وذلك فى لغة نجد وفى لغة غيرهم هو الضوء فهو من الاضداد والبيت اورده فى الموازنة هكذا

(وقضى الله حين صورها الـ خالق إلا يكنها سدف)

وفى احدى نسخ الأصل (وقضى لها الله الخ)

وهذا المعنى منقول من الغزل الى صفة الخمر فهو خفى . ومن هذا ما نقله من قول . اوس بن حجر فى صفة الفرس فجعله فى صفة امرأة

فجرّدها صفراء لاَ الطول عابها ولا قِصرٌ أزْري بِها فتعطلا

وقول ابى نواس

فوْق القصيرةَ والطويلة فوقها دُونَ السمينِ وَدونها المهزُولُ

وان كان اخذه من . . قول ابن الاحمر

تفوتُ القصار والطوالَ تفتها فمنْ يَرَها لمْ ينسها ما تكلما

أو من قول ابن عجلان النهدى *

ومجملةٍ باللحمٍ من دون ثوبِها تطولُ القصار والطوالَ تطولها (١)

فقد اخذه بلفظه واحد هذين أخذه من قول اوس والاحسان فيه له .ومما أخذه ونقله من معنى الى معنى . قوله

كميتٌ جسمها معنا وريّاها على سَفرِ

وممن أخفى الاخذ ابو تمام فى . قوله

جمعتَ عُرى أعمالها بعد فرْقةِ اليكَ كما ضمّ الانابيب عاملُ (٢)

قالوا هو من . قول الحبال الربعى *

أُولئك اخوانُ الصفاءِ رُزِيتهمُ فما الكفُ الا إصبعٌ ثم اصبع

(١) الخمل ـ هدب القطيفة ونحوها مما ينسج والخمل يضا ريش النعام وكلاهما يصح التشبيه به

(٢) الذى فى النسخة المطبوعة من ديوانه (جمعت عرى اماله بعد فرقة) وقول المصنف اخذه من قول الحبال الربعى . فقد خالفه الآمدى فى الموازنة وقال انه أخذه من قول بشار وانشد

خلقو قادة فكانوا سواء ككعوب القنات تحت السنان

وهكذا . قوله وقد نقله من معنى الى آخر

مكارمُ لجتْ في عُلوِّ كأنما تحاول ثاراً عند بعض الكواكب (١)

قالوا هو من .. قول الاخطل

عَرُوف لحقِّ السائلينَ كأنه بعقر المتالى طالبُ بذنوبِ (٢)

وهكذا قول بشار

يا أطيبَ الناس ريقاً غير مختبرٍ الأ شهادةَ أطراف المساويكِ

من قول سليك .

وتبسمُ عنْ ألمى اللثاتِ مفلجٍ خليق الثنايا بالعذُوبةِ والبرْد

ومن قول الآخر

وما ذُقته الا بعيني تفرّساً كما شيم في أعلاَ السحابة بارقُ

ومما أخذه وزاد فيه على الاول . قوله (٣)

أفناهم الصبر اذ أبقاكمُ الجزَعُ

من قول السمؤل

يُقرّبُ حب الموتِ آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطولُ

أورده أبو تمام في نصف بيت واستوفى التطبيق . ومن هذا الضرب قوله

علمني جودكَ السماح فما ابقيتَ شيئاً لديّ من صلتكْ

---

(١) البيت في ديوانه (معال تمادت في العلو كانما تحاول ثارا عند بعض الكواكب)
وفي نسخة من الاصل ـ كانها ـ بدل كانما

(٢) المتالى ـ الابل ـ وعقرها ـ جزرها والبيت نهاية في وصف الممدوح بالكرم

(٣) صدر البيت كما في ديوانه . فيم الشماتة اعلانا باسد وغى

من قول ابن الخياط .

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

ومما نقل المعنى من صفة الى أخرى البحتري فانه . قال في المتوكل .

ولو أن مشتاقاً تكلف غير ما في وسعه لسعى اليك المنبر

أخذه من . قول العرجي في صفة نساء

لو كان حياً قبلهن ظعائنا حيا الحطيم وجوههن وزمزم

الا انه غير خاف . وممن أخذ المعنى فزاد على السابق اليه زيادة حسنة أبو نواس في . قوله

(يبكي فيذري الدر من نرجس) ويلطم الورد بعناب

أخوذه من قول الاسود بن يعفر .

يسعى بها ذو تومتين كأنما قنأت أنامله من الفرصاد [1]

وأخذ بعض المتأخرين بيت أبي نواس فزاد عليه زيادة عجيبة . فقال

واسبلت لؤلؤاً من نرجس فسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

فجاء بما لا يقدر أحد ان يزيد عليه . ومن ذلك أيضا . قوله وقد زاد فيه على الاول

فتمشت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم

أخذه من . قول مسلم

(١) التومتين ـ مثنى تومة وهي الحبة من الدر ـ والفرصاد ـ الحمرة . والرواية في غير نسخ الاصول ـ منطق بدل ـ كانما . وقبله

ولقد لهوت وللشباب بشاشة بسلافة مزجت بماء غوادي

تجرى محبتها فى قلب عاشقها　　مجرى المعافاة فى أعضاء منتكس (١)

وجميع ذلك مأخوذ من .. قول بعض ملوك اليمن

منع البقاء تقلب الشمس　　وطلوعها من حيث لا تمسى

يجرى على كبد السماء كما　　يجرى حمام الموت فى النفس

ومن ذلك .. قول مسلم

أحب الريح ما هبت شمالا　　واحسدها اذا هبت جنوبا

فقسم تقسيماً حسناً . ومعناه أن الشمال تجىء من ناحية حبيبه اليه فاحبها والجنوب تهب الى الحبيب فحسدها لمباشرتها جسمه . وهو مأخوذ من . قول جران العود *

اذا هبت الارواح من نحو أرضكم　　وجدت لرياها على كبدى بردا

وزاد مسلم فى قوله أيضا

ويغمد السيف بين النحر والجيد

على ان السابق الى هذا المعنى هو بعض الفرسان اذ يقول

جعلت السيف بين الليت منه　　وبين سواد لحيته عذارا (٢)

لأن الاغماد فيه أشد تأثيرا من وضع العذار عليه . وقد زاد ابو نواس على جرير فى . . قوله

وقد اطول نجاد السيف محتبيا　　مثل الرديني هزته الانابيب

(١) عجز البيت فى احدى النسخ هكذا (جرى السلامة فى أعضاء منتكس)

(٢) فى بعض النسخ هكذا (جعلنا السيف بين الليت منه وبين سواد لحيته عذاراً) — والليت — بالكسر صفح العنق . وقيل ادنى صفحتى العنق من الرأس عليهما ينحدر القرطان وهما وراء لهزمتى اللحيين . وقيل غير ذلك

فقال أبو نواس

سبطُ البنانِ اذا أحتبى بنجادِهِ غمر الجماجمِ والسماط قيامُ

قوله — غمر الجماجم — أحسن من قول جرير — مثل الرديني : وهكذا . قوله

اشمُّ طوالَ الساعدينِ كأنما يُلاث نجاداً سيفه بلواءِ (١)

أحسن لفظاً وسبكا من .. قول عنتر

بطلٌ كأنَّ ثيابه فى سَرحةٍ يحذى نعالَ السبتِ ليس بتوأمِ (٢)

وهو أيضاً أفخم لفظاً من . . قول الآخر

فجاءت به عبل العظامِ كأنما عمامته بينَ الرجال لواءُ

ومما أخذه فجاء به أحسن لفظاً وسبكا .·. قوله فى ذنب الناقة

---

(١) يلاث — من لاث الشيء لوثا أداره مرتين كما تدار العمامة والأزار . والذى فى نسخة ديوانه المطبوع — يناط — وهو قريب من معنى الاول وهذا البيت من شواهد البيانيين من قصيدة يمدح بها الرشيد ومطلعها

(لقد طال فى رسم الديار بكائى وقد طال ترداد بها وعنائى)

(٢) هكذا — أورد البيت صاحب اللسان فى س ب ت وكذا أبو زيد فى الجمهرة وفى بعض نسخ الاصل بدل قوله — سرحه — سرجه وبدل — تحذى — يحذى وقال فى الجمهرة — السرحة — من عظام الشجر — ونعال السبت — هى النعال المعمولة من الجلود المدبوغة — وقوله ليس بتوأم — التوأم الذى يولد معه آخر فيكون ضعيفا : وقال فى اللسان مدحه فى هذا البيت بأربع خصال كرام . . جعله بطلا شجاعا . . وانه طويلا لتشبيهه بالسرحة . . وانه شريفا للبسه نعال السبت (لان الملوك كانت تلبسها) وانه تام الخلق ناميا لان التوأم يكون أنقص خلقا وقوة وعقلا

أما اذا رفعته شامذة فتقول رنق فوقها نسر [١]

أخذه من أبى داود

تلوى بذى خصل ضاف تشبهه قوادماً من نسور مضرحيات [٢]

ومما أخذه فجاء به أحسن رصفاً وزاد فى المعنى زيادة بينة .. قوله

وما خبره الا كليب بن وائل ليالى يحمى عزه منبت البقل

واذ هو لا يستب خصمان عنده ولا الصوت مرفوع بجد ولا هزل

أخذه من .. قول مهلهل

أودي الخيار من المعاشر كلهم واستب بعدك يا كليب المجلس

وهكذا قوله (هو محمد بن عطية العطوى)

ما العيش الا فى جنون الصبي فان تولى فجنون المدام

راح اذا ما الشيخ والى بها خمساً تردي برداء الغلام

أحسن رصفاً من .. قول حسان (رضى الله عنه)

ان شرخ الشباب والشعر الاسـ ود ما لم يعاض كان جنونا

وقول أبى تمام

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الاول

أبين وأدخل فى الامثال من .. قول كثير

(١) الشمذ ـ رفع الذنب ـ وترنيق الطائر ـ على وجهين : أحدهما صفه جناحيه فى الهواء لا يحركها : والآخر أن يخفق بجناحيه . وهذا البيت مما لم أجده فى نسخة ديوانه المطبوع

(٢) الخصلة ـ الشعر المجتمع وجمعها خصل ـ والمضرحى ـ من الصقور ما طال جناحاه : وقيل المضرحى النسر أراد تشبيه ذنب الناقة فى طوله وضفوه بجناحى النسر

اذا ما أردتْ خلةٌ أنْ تزيلنا ... أبينا وقلنا الحاجبية أوّلُ [١]

وقد زاد أبو تمام أيضاً فى .. قوله

وأنجدْتم من بعد إتهامِ دَاركمْ ... فيادمعُ أنجدنى على ساكنى نجدِ

على الاعرابى فى .. قوله

ومستنجدٍ للحزنِ دَمعاً كأنهُ ... على الخدّ مما ليس يَرقا حايرُ

بقوله ـ أنجدنى على ساكنى نجد ـ وقد زاد أيضاً فى .. قوله

وانْ يبنِ حيطاناً عليهِ فانما ... أوْلئكَ عُقالاتهُ لا معاقلهْ [٢]

على زهير فى قوله (والسيوف معاقله) لما جاء به من التجنيس فى قوله ـ عقالاته . ومعاقله ـ على أن قول زهير فى معناه لا يلحقه لاحق وإنما زاد عليه أبو تمام فى اللفظ .. وأخذ قول أبى تمام ابراهيم بن العباس .. فقال .. وأصبح ماكان يحرزهم . يبرزهم . وما كان يعقلهم يقتلهم ونقله الى موضع آخر . . فقال واستنزلوه من معقل . الى عقال . وبدلوه آجالا من آمال . وقوله ـ آجالا . من آمال ـ مأخوذ من . قول مسلم

(مُوفٍ على مهجٍ فى يوم ذى رَهجٍ) ... كأنه أجلٌ يسعى الى أملِ

(ينالُ بالرفق مايعيا الرجالُ بهِ) ... كالموتِ مستعجلا يأتى على مَهلِ)

وقد أخذ أيضاً . . قول أبى دهبل * (٣)

---

(١) أنشده فى الموازنة هكذا

(إذا وصلتنا خلة كى تزيلها ... أبينا وقلنا الحاجبية أول)

(٢) العقالات ـ واحدها عقلة مايعقل به كالقيد والعقال ـ والمعاقل ـ واحدها معقل الملجاء والحصن

(٣) سماه الآمدى فى الموازنة : أبوذهيل الجمحى : وقوله ـ لعان بجرمه غلق ـ العانى الاسير . والغلق الاسير الذى لم يفد : ـ والقد ـ بالكسر سير من جلد غير مدبوغ يقيد به الاسير

ما زالتَ في العفوِ للذنوبِ واط   لاقِ لعانٍ بجرمه غلقِ
حتى تمنى البراة أنهم   عندك أسرى في القِدِّ والحلقِ

فجاء به في بيت واحد وهو . . قوله

وتكفلَ الأيتامَ عن آبائهم   حتى وددنا أننا أيتامُ

وسبق أيضاً من تقدمه في قوله حتى صار لا يلحقه فيها أحد بعده

وركبٍ كأطرافِ الأسنةِ عرَّسوا   على مثلها والليلُ تسطو غياهبهُ
لأمرٍ عليهم أن تتمَّ صدورُهُ   وليسَ عليهم أنْ تتمَّ عواقبهُ

سبقاً بيناً بهذه المعاني وإنما أخذ البيت الاول من . . قول البعيث * (١)

أطافتْ بركبٍ كالأسنةِ هُجَّدٍ   بخاشعةِ الاصواءِ غبرٍ صحونها

والبيت الثاني من بعض الاعراب

غلامُ وغىً تقحمها فأبلى   فخانَ بلاءَهُ الزَّمنُ الخؤونُ

---

(١) قوله : وإنما أخذ البيت من قول البعيث . الذى في الموازنة . انه اخذ صدر البيت الاول من قول كثير وأنشد

وركب كأطراف الاسنة عرسوا   قلائص في أصلابهن نحول

ثم قال . ويشبه قول البعيث وأنشد البيت وصدره (أطاف بشعث كالاسنة هجد) الخ وقوله (بخاشعة الاصواء غبر صحونها) ـ الخاشعة ـ الارض المتغيرة المتهشمة : اى المتهشمة النبات حكاه في اللسان عن الزجاج ـ والاصواء ـ جمع صوى وواحد الصوى صوة . قال في اللسان قال ابو عمرو : هي الاعلام من حجارة منصوبة في الفيافي والمفازة المجهولة يستدل بها على الطريق . وقال الاصمعى : الصوى ما غلظ من الارض وارتفع ولم يبلغ ان يكون جبلا ـ والصحون ـ جمع صحن وذلك ساحة وسط الفلاة ونحوها من متون الارض

وكان على الفتى الاقدامُ فيها ... وليس عليه ما جَنت المنونُ

وبين القولين بون بعيد وزاد أيضا فى . قوله

اذا شَبَّ ناراً أقعدتْ كلّ قايمٍ ... وقامَ لها منْ خوفه كلُّ قاعدِ

على الآخر فى . قوله

أتاني وأهلي بالمدينةِ وقعهُ ... لآلِ تميم اقعدتْ كل قائم (١)

فقول ابى تمام ــ وقام لها من خوفه كل قاعد ــ زيادة حسنة وكذلك . قوله فى ابنى عبدالله بن طاهر (٢)

(نجمان شاء اللهُ أنْ لايطلعا ... إلاّ ارتدادَ الطرفِ حتى يأفلاَ)

(إنَّ الفجيعةَ بالرياضِ نواضراً ... لأجل منها بالرياضِ ذوابلاَ)

لهفى على تلك المخايل فيهما ... لوأمهلتْ حتى تكونَ شمائلاَ

لوْ يُنسئان لكانَ هذا غاربا ... للمكرماتِ وكان هذا كاهلاَ

إنّ الهلالَ اذا رأيتَ نموّهُ ... أيقنتَ أن سيكونُ بدْراً كاملاَ

احسن وأجود مما اخذ منه هذه المعانى وهو . . قول الفرزدق

(وجفنُ سلاحٍ قدْ رزيت فلم أنحْ ... عليه ولم أتعبْ عليه البواكيا)

وفى جوفه من دارمٍ ذو حفيظةٍ ... لو أنَّ المنايا أنسأته لياليا

لا يقع بيت الفرزدق مع ابيات ابى تمام موقعاً وقد أجاد ايضاً فى . قوله

وقد علمَ القرنُ المساميكَ أنه ... سيغرقُ فى البحر الذى أنتَ خائضُ (٣)

---

(١) نسخة ــ ورحلى . بدل قوله وأهلى

(٢) اقتصر فى الموازنة على ايراد البيت الثالث والبيت الاخير . وفى أكثر نسخ الاصل اقتصار على الابيات الثلاثة الاخيرات

(٣) القرن ــ بالكسر الكفء والنظير فى الشجاعة والحرب ويجمع على اقرانه

وزاد فيه على من اخذه منه وهو لقيط * بن يعمر

إنى أخافُ عليها الأزْلَمِ الجذَعا [1]

بيت ابى تمام اكثر ماء وأبين معنى وأخذ . . قول الفرزدق

وما أمرتنى النفسُ فى رحلةٍ لها الي أحدٍ الا اليك ضميرُها

فشرحه .. فقال

وما طوَّفتُ فى الآفاقِ الا ومن جدْوَاكَ رَاحِلتي وزادى

مقيم الظنّ عندك والأمانى وان قلقتْ ركابى في البلادِ

وإلى بيت الفرزدق يشير .. القائل

مدَحتكَ جُهدِى بالذى أنتَ أهله فقصرَ عما فيكَ من صالحٍ جهدى

فما كل ما فيهِ من الخيرِ قلته ولا كل ما فيهِ يقولُ الذي بعدي

وكنتُ اذا هيأتُ مَدْحاً لماجدٍ أتانى الذى فيه بأدنى الذى عندى

ومن ها هنا اخذ أبو نواس . . قوله

اذا نحنُ أثنينا عليك بصالحٍ فأنتَ كما تُثني وفوق الذي نُثنى

وانجرتِ الالفاظ يوماً بمدحةٍ لغيركَ إنساناً فأنت الذى نَعني

ويشير إلى . . قول الخنساء

ومابلغَ المهدُونَ فى القولِ مدْحةً وانْ أطنبوا الاَّ الذى فيك أفضلُ

وقال البحترى

فمنْ لؤلوءٍ تجلوهُ عند ابتسامها ومن لؤلوءٍ عند الحديث تساقطه

(١) الازلم الجذع ـ الدهر وقيل الدهر الشديد . والعرب تقول (اودى به الازلم الجذع) (والازنم الجذع) اى اهلكه الدهر . يقال ذلك لما ولى وفات ويئس منه

أحسن لفظاً وسبكا من .. قول ابى حية

اذا هنّ ساقطن الحديث كأنه سقاط حصى المرجان من سلك ناظم

وبيت البحترى ايضاً أتم معنى لانه تضمن مالم يتضمنه بيت ابى حية من تشبيه الثغر بالدر وقد زاد أيضاً فى .. قوله

(وفرسان هيجاء تجيش صدورها بأحقادها حتى يضيق ذروعها)

(تقتل من وتر أعز نفوسها عليها بأيد ما تكاد تطيعها)

اذا احتربت يوماً ففاظت نفوسها تذكرت القربى ففاضت دموعها

شواجر أرماح تقطع بينها شواجر أرحام ملوم قطوعها

على من .. قال

ونبكى حين نقتلكم عليكم ونقتلكم كأنا لانبالى

وقريب منه .. قول مهلهل

لقد قتلت بنى بكر بربهم حتى بكيت ومايبكى لهم أحد

وبيتا البحترى أجود من بيتهما بغير خلاف ومن .. قول فليح * بن زيد الفهرى أيضاً

أتبكين من قتلى وانت قتلتني بحبك قتلاً بيناً ليس يشكل

فأنت كذباح العصافير دائباً وعيناه من وجد عليهن تهمل

وبيته كل عان يترجي فكه ولذات الخال عان ما يفك

أحسن رصفاً من .. قول زهير وهو الاصل

وكل محب أحدث النأى عنده سلو فؤاد غير حبك مايسلو

وهكذا .. قوله

قوم اذا لبسوا الدروع لموقف لبستهم الاحساب فيه دروعاً

أتم وأجود من .. قول الاول

لبسوا الدروع على القلو ب مظاهرين لدفع ذلك

وقال اعرابى

انّ الندى حيث ترى الضغاطا [1]

فأخذه بشار وشرحه وبينه .. فقال

يسقط الطير حيث ينتثر الحب وتغشى منازل الكرماء

ومثله .. قول الآخر

يزدحم الناس على بابه والمنهل العذب كثير الزحام

وأخبرنى أبو أحمد . . قال اخبرنى الصولى قال سمعت من ينشد المبرد . . لسلم الخاسر

سقتنى بعينيها الهوى وسقيتها فدبّ دبيب الخمر فى كل مفصل

فقال له المبرد قد حسنه ابو نواس حيث .. يقول

ويدخل حبها في كل قلب مداخل لايغلغلها المدام

وقول البحترى

وغابر حب غار بي ثم أنجدا

أجود من قول من تقدمه وهو الاصل

أغار الهوى ياعبد قيس وأنجدا

وأخذ أيضاً ابو تمام خبر الشماخ مع أحيحة بن الجلاح * لما أنشده الشماخ

اذا بلغتنى وحملت رحلى عرابة فاشرقى بدم الوتين [2]

(١) الضغاط ـ الزحام

(٢) عرابة ـ بالفتح اسم رجل من أوس الانصار ـ والوتين ـ عرق لاصق بالصلب من باطنه أجمع يسقى العروق كلها الدم ويسقى اللحم : وقيل الوتين يستقى

فقال له أحيحة بئست المجازاة جازيتها فقبل ابو تمام هذا الخبر .. فقال

لست كشماخ المذمّم فى سؤ مكافأته ومجترمه

أشرقها من دم الوتين لقد ضل كريم الاخلاق عن شيمه

ذلك حكم قضي بفيصله أحيحة بن الجلاح في أطمه[1]

وأخبرنا ابو أحمد .. قال قال ابو العيناء سمعت أبا نواس يقول والله ما أحسن الشماخ حيث يقول

اذا بلغتنى وحملت رحلى عرابة فاشرقى بدم الوتين

هلا قال كما .. قال الفرزدق

علام تلفتين وأنت تحتى وخير الناس كلهم أمامى

متى تردى الرصافة تستريحى من التهجير والدّبر الدّوامي[2]

وكان قول الشماخ عيباً عندى فلما سمعت قول الفرزدق تبعته . فقلت

واذا المطيّ بنا بلغن محمدا فظهورهنّ على الرحل حرامُ

قرّبننا من خير من وطىء الحصى فلها علينا حرمة وذمام

وقلت أقول لناقتى إذ بلغتني لقد أصبحت عندى بالثمين

فلم أجعلك للغربان نحلاً ولا قلت اشرقي بدم الوتين

من الفؤاد وفيه الدم : وقيل غير ذلك

(١) الأطم — حصن مبنى بحجارة : وقيل هو كل بيت مربع مسطح : وقيل غير ذلك

(٢) الدبر — لعله من الدبرة بالفتح وذلك قرحة الدابة او كالجراحة تحدث من الرحل : أراد به السفر الدائم : وحكى فى اللسان عن ابن الاعرابى ادبر الرجل اذا سافر فى دبار

حرمت على الأذمّة والولايا   واغلاق الرحالة والوضين[1]

وتبع الشماخ ذو الرمة .. فقال

اذا ابن أبى موسى بلالا بلغته   فقام بفأس بين وصليك جازر[2]

وسمع أبو تمام .. قول على بن أبى طالب رضى الله عنه للاشعث بن قيس .. انك ان صبرت جرى عليك قضاء الله وانت مأجور . وان جزعت جرى عليك أمر الله وانت موزور . فانك ان لم تسل احتسابا .سلوت كما تسلوا البهائم. فحكاه حكاية حسنة فى قوله

وقال على فى التعازى لأشعث   وخاف عليه بعض تلك المآتم

أتصبر للبلوى رجاء وحسبة   فتؤجر أم تسلو سلوّ البهايم

خلقنا رجالا للتجلد والأسى   وتلك الغوانى للبكى والمآتم

والبيت الاخير من قول عبدالله بن . الزبير لما قتل مصعب . وانما التسليم والسلوة لحزماء الرجال . وان الهلع والجزع لربات الحجال . . وسمع قول زياد. لابى الاسود .. لولا انك ضعيف لاستعملتك .. فقال أبو الاسود : ان كنت تريدنى للصراع فانى لا اصلح له والا فغير شديد ان آمر وانهى .. فقال أبو تمام

تعجبُ أن رأتْ جسمي نحيفاً   كأنّ المجد يدرك بالصراع

وزاد أبو تمام أيضاً بقوله

أطال يدى على الايام حتى   جزيت صروفها صاعا بصاع

---

(١) الولايا ـ البراذع التى تكون تحت الرحل ـ والوضين ـ بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يشد به الرحل على البعير

(٢) الفاس ـ معلوم ـ والجاذر ـ اسم فاعل من الجزر أى الذبح : وفى نسخة بدل ـ قوله وصليك ـ جنبيك

على أبى طالب . فى قوله

فان يقتلا أو يمكن الله منهما   نكل لهما صاعاً بصاع المكايل

بيت أبى تمام اصفى وانصع وكذلك . . قوله

من النكبات الناكبات عن الهوى   فمحبوبها يمشى ومكروهها يعدو

أحسن رصفاً مما أخذه منه . وهو الذى انشد نيه أبو أحمد . . قال انشدنا ابن دريد .. قال انشدنا الرياشى عن المعمرى .حفص بن عمر .. لبعض المسجونين

وتعجبنا الرؤيا فجلُّ حديثنا   اذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

فانْ حسنتْ لم تأت عجلى وأبطأت   وأن قبحت لم تحتبس وأتت عجلى

واخبرنى أبو أحمد .. قال أخبرنى الصولى .. قال حدثنى أبو بكر هرون .بن عبدالله المهلبى .. قال كنا فى حلقة دعبل فجرى ذكر أبى تمام : فقال دعبل كان يتتبع معانى فيأخذها .. فقال له رجل فى مجلسه مامن ذلك أعزك الله.. فقال قلت

وانَّ امرأ أسدى الىَّ بشافعٍ   اليه ويرجو الشكر منى لأحمق

شفيعك فاشكر فى الحوايج انه   يصونكَ عن مكروهها وهو يخلق

وقال هو (يمدح يعقوب بن أبى ربعى) (١)

انَّ الأمير بلاكَ فى أحواله   فرآك أهزعه غداة نضاله [٢]

فمتى أقوم بحقّ شكرك اذ جنتْ   بالغيب كفك لى ثمار نواله [٣]

---

(١) هكذا فى احدى النسخ : وفى أخرى اقتصار على ما دون الزايد فى الترجمة والابيات : وقوله يمدح الخ الذى فى ديوانه : وقال لاسحاق بن أبى الربعى كاتب أبى دلف ويسأله ان يشفع اليه .

(٢) الهزع ـ الاسراع من هزع الفرس يهزع اذا امرع :

(٣) البيت ـ فى نسخة الديوان هكذا (فمتى النهوض بحق شكرك ان جنت) الخ

(فلقيت بين يديك حلو عطائه ولقيت بين يديْ مرَّ سؤاله)
(واذا امرؤ أسدى اليك صنيعةً من جاهه فكأنها من ماله)

فقال الرجل أحسن والله : فقال دعبل كذبت قبحك الله: قال ائن كان سبق بهذا المعنى فتبعته لما أحسنت .. وان كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولى به منك .. فغضب دعبل وقام .. وسمع بشار قول المجنون .

ألا إنما ليلى عصا خيز رزانةٍ اذا غمزوها بالأكف تلين

فقال والله لو جعلها عصاً من زبد أو مخ لما أحسن الا .. قال كما قلت

وحوْراء المدامع من معدٍّ كأنَّ حديثها قطع الجمان (١)
اذا قامت لسجتها تثنتْ كأنَّ عظامها من خيز ان

ولما قال بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

تبعه سلم الخاسر .. فقال

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسورُ

فلما سمع بشار هذا البيت .. قال ذهب ابن الفاعلة بيتى (ومن) حسن الاتباع أيضاً .. قول ابراهيم بن العباس حيث كتب .. اذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه وللمسئ من العقاب ما يقمعه . ازداد المحسن فى الاحسان رغبة . وانقاد المسئ للحق رهبة .. أخذه من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه (أخبرنا به أبو أحمد) قال أخبرنا أبو بكر الجوهرى . قال أخبرنا أبو يعلى المنقرى . قال أخبرنا العلاء بن الفضل بن جرير .. قال قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : يجب على الوالى ان يتعهد أموره . ويتفقد أعوانه . حتى لا يخفى عليه احسان محسن . ولا اساءة

---

(١) نسخة ـ كان حديثها ثمر الجنان ـ والجمان ـ حب يتخذ على اشكال اللؤلؤ من فضة فارسى معرب واحدته جمانة :

مسئ . ثم لايترك واحدا منهما بغير جزاء . فان ترك ذلك تهاون المحسن . واجتراء المسئ . وفسد الامر . وضاع العمل .. وسمع بعض الكتاب .. قول نصيب

(فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله) ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فكتب : ولو أمسك لسانى عن شكرك . لنطق على أثرك .. وفى فصل آخر ولو جحدتك احسانك . لأكذبتنى آثاره . ونمت على شواهده.. وقريب منه قولهم .. شهادات الاحوال . أعدل من شهادات الرجال .. أخذه ابن الرومى فشرحه فى .. قوله

حال انسداد فى عما يريبكم لكن فم الحال منى غير مسدود

حال يصيح بما أوليتَ معلنة وكلّ ماتدعيه غير مردود

كلى هجاء وقتلي لايحل لكم فما يداريكم منى سوي الجود

وقريب منه أيضا .. قول الشاعر (١)

أأقاتل الحجاجَ عن سلطانه بيدٍ تقر بأنها مولاته

ماذا أقول اذا وقفت إزائه فى الصيف واحتجت له فعلاته

اخذه ابو تمام . فقال

أألبس هجر القول من لو هجوته اذاً لهجانى عنه معروفه عندي

و (ممن) احسن الاتباع ايضاً احمد بن يوسف * : وقد سمع : قول على رضى

---

(١) قال فى الموازنة ــ الابيات من قول بعض الخوارج وقد سامه قطرى ابن الفجاءة قتال الحجاج فأبى لان الحجاج كان من عليه فقال (أأقاتل) البيت وبعده

انى اذا لاخو الدناءة والذى غطت على احسانه جهلاته

وبعده (ماذا اقول) البيت وبعده

أأقول جار على لا انى اذا لأحق من جارت عليه ولاته

وتحدث الاقوام ان صنائعا غرست لدى فحنظلت نخلاته

الله عنه . لا تكونن كمن يعجز عن شكر ما أوتى . ويلتمس الزيادة فيما بقى :
فكتب . أحق من اثبت لك العذر فى حال شغلك . من لم يخل ساعة من برك فى
وقت فراغك . وأخذه اخذا ظاهرا . احمد بن صبيح * فقال . فى شكر ما تقدم
من احسان الامير . شاغل عن استبطاء ما تأخر منه . وأخذه سعيد بن حميد *
فقال . لست مستقلا لشكر ما مضى من بلائك . فاستبطى درك ما اؤمل من
مزيدك . ومن هذا ايضاً . قول ابى نواس

لا تسدينّ الىّ عارفةً   حتي أقوم بشكر ما سلفا

وأخبرنى ابو احمد . قال اخبرنى على بن سليمان الاخفش (قال) قال ابو تمام
لابن ابى داود لما غضب عليه . انت الناس كلهم ولا طاقة لى بغضب جميع الناس.
فقال ابن ابى داود . ما احسن هذا من اين اخذته (قال) من قول ابى نواس

وليس لله بمستنكر   أنْ يجمع العالم فى واحد

ومن سمع هذا الكلام يظنه مسروقاً من .. قول جرير

اذا غضبتْ علىّ بنو تميم   حسبتُ الناسَ كلهمُ غضابا

واخبرنا أبو احمد .. قال اخبرنا الاخفش .. قال اخبرنا المبرد عن الجاحظ
(قال) سمع قليب المعتزلى ابياتا للعتبى .. وهى

أفلتُ بطالتـه وراجعهُ   حلمُ وأعقبهُ الهوي ندما

ألقي عليهِ الدهرُ كلكلهُ   وأعارهُ الاقتارَ والعدما

فاذا ألمّ بهِ أخو ثقةٍ   غضّ الجفونَ وجمجمَ الكلما

(فقال) لبعض الملوك يستعطفه على رجل من اهله .. جعلنى الله فداءك
ليس هو اليوم كما كان . انه وحياتك افلت بطالته اى والله . وراجعه حلمه .
واعقبه وحقك الهوى ندما . انحى الدهر والله عليه بكلكله . فهو اليوم اذ رأى
الخائقة غض بصره . وجمجم كلامه .. وبهذا يعرف ان حل المنظوم ونظم المحلول

اسهل من ابتدائهما لان المعانى إذا حللت منظوما أو نظمت منثوراً حاضرة بين يديك تزيد فيها شيئاً فينحل أو تنقص منها شيئاً فينتظم .. وإذا أردت ابتداء الكلام وجدت المعانى غائبة عنك فتحتاج الى فكر يحضركها

والمحلول من الشعر على اربعة اضرب .. فضرب منها يكون بادخال لفظة بين الفاظه .. وضرب ينحل بتأخير لفظة منه وتقديم أخرى فيحسن محلوله ويستقيم وضرب منه ينحل على هذا الوجه ولا يحسن ولا يستقيم .. وضرب تكسو ما تحله من المعانى الفاظاً من عندك وهذا أرفع درجاتك

(فأما الضرب الاول) فمثاله ماتقدم من صدر كلام قليب المعتزلى

(وأما الضرب الثانى) فمثاله ماذكره بعض الكتاب من .. قول البحترى

نطلبُ الاكثرَ فى الدنيا وقدْ ... نبلغُ الحاجة فيها بالاقلْ

ثم قال فاذا نثرت ذلك ولم تزد فى الفاظه شيئاً قلت — نطلب فى الدنيا الاكثر وقد نبلغ منها الحاجة بالاقل .. وقوله

أطل جفوةَ الدنيا وتهوين شأنها ... فما الغافلُ المغرور فيها بعاقل

يُرجى الخلودَ معشرٌ ضلَّ سعيهمْ ... ودونَ الذى يبتغون غولُ الغوائل

إذا ما حريز القوم باتَ وماله ... منَ الله واقٍ فهوَ بادى المقاتل

فاذا مانثرت ذلك من غير أن تزيد فى الفاظه شيئاً قلت — اطل تهوين شأن الدنيا وجفوتها . فما المغرور الغافل فيها بعاقل . ويرجو معشر ضل رأيهم الخلود وغول الغوائل دون مايرجون . واذا بات حريز القوم ماله واق من الله . فهو بادى المقاتل — وهذا المعنى مأخوذ من .. قول التغلبى

لعمركَ ما يدرى الفتى كيفَ يتقي ... اذا هوَ لم يجعل له الله واقيا

(وأما الضرب الثالث) فهو أن توضع الفاظ البيت فى مواضع ولا يحسن وضعها فى غيرها فيختل إذا نثر بتأخير لفظ وتقديم آخر فتحتاج فى نثره الى النقصان منه والزيادة فيه .. كقول البحترى

يسر بعمرانِ الديارِ مضللٌ　　　وعمرانها مستأنف من خرابها

ولم أرتض الدنيا أوانَ مجيئها　　　فكيف أرتضائها أوانَ ذهابها

فاذا نثر على الوجه قيل — يسر مضلل بعمران الدنيا ومن خرابها عمرانها مستأنف ولم ارتض أوان مجيئها الدنيا فكيف أوان ذهابها ارتضائها — فهذا نثر فاسد .. فاذا غيرت بعض الفاظه حسن وهو أن تقول .. يسر المضلل بعمران الديار . وانما تستأنف عمرانها من خرابها . وما ارتضيت الدنيا أوان مجيئها . فكيف ارتضيها اوان ذهابها

ونحن نقول أن من النظم مالايمكن حله اصلا بتأخير لفظة وتقديم اخرى منه حتى يلحق به التغيير والزيادة والنقصان مثل .. قول الشاعر

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده　　　فلمْ يبقَ إلا صورةَ اللحم والدم

فالمصراع الاول يمكن أن يؤخر لفظه وتقدم فيصير نثراً مستقيما وهو أن تقول — فؤاد الفتى نصف ولسانه نصف : ولا يمكن فى المصراع الثانى ذلك حتى تزيد فيه أو تنقص منه .. فتقول لسان الفتى نصف وفؤاده نصف وصورته من اللحم والدم فضل لاغناء بها دونها ولا معول عليها الا معها (١) .. وزيادة الالفاظ التى تحصل فيه بضايرة لان بسط الالفاظ فى انواع المنثور سائغ الاترى انها تحتاج الى الازدواج ومن الازدواج مايكون بتكرير كلمتين لهما معنى واحد وليس ذلك بقبيح الا اذا اتفق لفظاها ويسوغ هذا فى الشعر أيضاً : كقول البحترى

يودّي لويهوَى العذولُ ويعشق　　　(فيعلم أسباب الهوى كيف تعلقُ)

فيهوى . ويعشق ـ سواء فى المعنى وهو حسن (الا) ان اكثر ما يحسن فيه إيراد المعنى على غاية ما يمكن من الايجاز . ومعنى قوله ـ فلم يبق الا صورة اللحم والدم ـ داخل فى قوله ـ لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ـ والمصراع الثانى انما

---

(١) نسخة ـ لاغناء بها دونها ولا معول عليها الخ : وأخرى لاغناء به . ولا معول عليه

هو تذييل للمصراع الاول . فاذا أردت أن تحله حلا مقتصراً بغير لفظه قلت . . الانسان شطران . لسان وجنان . . ومما لا يمكن حله بتقديم لفظة منه وتأخير أخرى ايضاً . قول أبي نواس

ألا يابنَ الذين فنوا وبادوا   أما والله ما ذهبوا لتبقى

فتحل المصراع الاول فتقول . الا يا بن الذين ماتوا ومضوا . فيحسن وتقول في المصراع الثاني . لتبقى أما والله ما ماتوا . او لتبقى ما ماتوا ومضوا أما والله . فلا يكون ذلك شيئاً فتحتاج في نثره الى تغييره وابدال الفاظه . فتقول . الا يابن الذين ماتوا ومضوا وظعنوا فناء أما والله ماظعنوا لتقيم ولا راموا الا لتريم ولا ماتوا لتحيي ولا فنوا لتبقى . وفي هـذه الالفاظ طول وليس بضائر على ما خبرتك فان أردت اختصاره قلت . اما والله ان الموت لم يصبك في ابيك . الا ليصيبك فيك

(والضرب الرابع) ان تكسو ما تحله من المنظوم الفاظاً من عندك وهذا ارفع درجاتك

ثم نرجع الى السرقات . قال بعضهم للربيع بن خيثم * وقد رأى اجتهاده في العبادة (اتعبت نفسك) قتلت نفسك . فقال راحتها اطلب : فقال الشاعر

سأطلبُ بعد الدار عنكم لتقربوا   وتسكبُ عيناىَ الدموعَ لتجمدَا

وقال غيره (١)

تقولُ سليمى لواقمتَ بأرضنا   ولم تدرِ أني للمقامِ اطوّفُ

ومثل ذلك ان بعضهم رأى اعرابياً مقبلا الى مكة ليصوم فيها شهر رمضان والحر شديد .. فقال له .. اتجمع على نفسك الصوم وحر تهامة : فقال من الحر افر وقيل لروح . بن قبيصة بن المهلب وهو واقف في الشمس على باب الخليفة . لقد

(١) القائل عروة بن الورد : وسيأتي به في مكان آخر منسوبا اليه

طال وقوفك فى الشمس : فقال الظل أريد : فقال أبو تمام

أآلفة النحيب كم افتراق ... أظل فكان داعية اجتماع

وليست فرحة الأوبات الا ... لموقوف على ترح الوداع

وقال امرؤ القيس

فبعض اللوم عاذلتي فأنى ... ستكفيني التجارب وانتسابي

يقول – لا أنتسب الا الى ميت : وقال لبيد

فان تجد من دون عدنان والدا ... ودون معد فلترعك العواذل

فأخذه الحسن البصرى . فقال نثراً : ان امرءاً لم يعد بينه وبين آدم عليه السلام الا اباً ميتاً لمعرق له فى الموت .. فأخذه أبو نواس .. فقال

وما الناس الا هالك وابن هالك ... وذو نسب فى الهالكين عريق

وقال الله عز وجل (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو) فأخذه الشاعر .. فقال وقصر عنه

مازلت تحسب كل شيء بعدهم ... خيلاً تكر عليهم ورجالا

وكذا قصرت الخنساء فى .. قولها

ولولا كثرة الباكين حولى ... على إخوانهم لقتلت نفسى

وما يكون مثل أخى ولكن ... أعزى النفس عنه بالتأسى

عن قول الله تعالى (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون) ومن خفى السرق .. ان أبا مسلم قال لجلسائه أى الاعراض الأم فقالوا واكثروا . فقال الامها عرض لم يرتع فيه حمد ولاذم : فأخذه المراغى . فقال

هجوت زهيراً ثم انى مدحته ... ومازالت الاشراف تهجى وتمدح

وأخذ على بن الجهم : قول الفرزدق

ما الباهلي بصادقٍ لكَ وَعده ... ومتى تعدكَ الباهليةُ تصدقَ

فقال

الرحجيونَ لايوفونَ ما وعدُوا ... والرحجياتُ لايخلفنَ ميعادَ

وسمع بعضهم قول العرب: اذا فارق (١) القمر الثريا فقد ولى الشتاء: فنظمه. فقال

اذا ما فارقَ القمرُ الثريا ... لثالثةٍ فقدْ ذهبَ الشتاء

وسمعت. قول النبي ﷺ (يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم حيث ما كانوا). فقلت

يسعى بذمتهمْ أدناهمُ وهمُ ... يدٌ على من سواهم حيث ما كانوا

وهذا يدلك على صحة ما تقدم. وسمع بعض الكتاب. قول أبي تمام

فانْ يجدْ علةٌ نعم بها ... حتى ترانا نعادُ منْ مرضهْ

فكتب. من نزل منزلتي من طاعتك ومشاركتك. كان حقيقاً بأن يهنا بالنعمة تحدث عندك. ويعزى على النائبة تلم بك. فنقل العيادة الى المصيبة والتعزية. وقال بعضهم الكتابة نقض الشعر. وقيل للعتابي بم قدرت على البلاغة. فقال بحل معقود الكلام. وأحسن أبو تمام في. قوله

اليك هتكنا جنحَ ليلٍ كأنما ... قد اكتحلتْ منه البلادُ بأثمدِ

وزاد فيه على ابي نواس ومنه أخذ وهو: قوله

(أبن لي كيف صرتَ الى حريمي) ... وجنحُ الليلِ مكتحلٌ بقارِ

لأن الاكتحال يكون بالاثمد ولا يكون بالقار (٢). وممن أخفى الاخذ ابن أبي عيينة * في. قوله

ما كنتَ الاّ كلحمَ ميتٍ ... دعا الى أكله اضطرارُ

---

(١) نسخة — قارن — بدل فارق وكذا في البيت

(٢) القار — لغة في القير. وأراد به سواد لونه

أخذه من قول الاول

وإنّ بقومٍ سوّدوك لفاقةً إلى سيد لوْ يظفرون بسيدِ

ذكر ذلك عن المأمون . وفيما زاد فيه المتأخر على المتقدم لحسن معرضه . وسهل مطلعه . قول ابن المعتز

ولاحَ ضوءُ هلالٍ كاد يفضحنا مثلَ القلامة اذْ قدّتْ من الظفرِ

وقال الاول

كأنّ ابنَ ليلتهِ جانحاً فسيطٌ لدى الأُفق من خنصرِ (١)

الفسيط قلامة الظفر — وما يعرف للمتقدم معنى شريف الا نازعه فيه المتأخر وطلب الشركة فيه معه الا بيت . عنترة

وترى الذبابَ بها يغنى وحدهُ هزجاً كفعل الشاربِ المترنّمِ

غرداً يحك ذراعهُ بذراعهِ قدْحَ المكبّ على الزناد الأجذمِ

فانه ما نوزع فى هذا المعنى على جودته . وقد رامه بعض المجيدين فافتضح . وأخذ البحترى . قول الشماخ (٢)

وقربتُ مبراةً كأن ضلوعها من الماسخياتِ القسىّ الموتّرا

مبراة — من البرة وهى الحلقة تجعل فى أنف الناقة فزاد عليه . فقال

---

(١) هكذا — البيت فى نسخ الاصول . وفى التهذيب ونسبه لعمرو بن قميئة (كان ابن مزنتها جانحاً) البيت . وقال فى اللسان ويروى (كان ابن ليلتها الخ) ويروى بدل — فسيط . قصيص —

(٢) البيت — أورده فى اللسان فى مادة ب ر ى ونسبه للنابغة الجعدى وأنشد (فقربت مبراة تخال ضلوعها . الخ ثم أورده ثانية فى مادة م س خ منسوبا للشماخ وقال الماسخيات القسى منسوبه الى ماسخة . وماسخة رجل من ازد السراة كان قواسا . قال ابن الكلبى هو أول من عمل القسى من العرب

كالقسى المعطفات بل أل　　أسهم مبرية بل الأوتار

وهذا ترتيب مصيب من أجل انه بداء بالاغلظ ثم انحط الى الادق وقد عيب ترتيب أبى تمام . فى قوله (أو كالخلوق أو كالملاب (١)) فبداء بالانفس ثم انحط الى الأخس كما تقول هو مثل النجم بل القمر بل الشمس (فترتفع من الشىء الى ما هو أعلى منه وإذا قلت هو مثل الشمس بل القمر بل النجم لم يحسن) وقال عروة بن الورد

تقولُ سليمىَ لوْ أقمتَ بأرضنا　　ولم تَدْرِ أنى للمقامِ أطوفُ

أخذه أبو تمام وزاد عليه . فقال

رُبَّ خفضٍ تحتَ السرّى وغناءٍ　　من عناءٍ ونصرةَ من شحوب

وقال ابراهيم بن العباس للفضل بن سهل *

لفضلِ بن سهل يد　　تقاصرَ عنها المثلْ
فبسطتها للغنى　　وسطوتها للأجلْ
وباطنها للندى　　وظاهرها للقبل

فأتبعه ابن الرومى * فأحسن الاتباع : فقال

أصبحتُ بين خصاصةٍ وتجمل　　والحرّ بينهما يموتُ هزيلا (٢)
فامددْ الىَّ يداً تعوّدَ بطنها　　بذلَ النوالِ وظهرها التقبيلا

وقال بشار

(١) الملاب — بالفتح كل عطر مائع فارسى وأورده فى اللسان فى مادة ل و ب وقال انه نوع من العطر ثم قال عن ابن الاعرابى انه من اسماء الزعفران . والبيت فى ديوانه هكذا

خلق كالمدام أو كرضاب المسـ　　ك أو كالعبير أو كالملاب

(٢) الخصاصة — سؤ الحال : وفى نسخة بدل قوله — هزيلا — قتيلا

الدهر طلاع بأحداثه ورسله فيها المقادير

محجوبة تنفذ أحكامها ليس لنا عن ذاك تأخير

فأتبعه ابن الرومى وأحسن الاتباع أيضاً .. فقال (١)

بطل عن الحرب العوان بمعزل وآثاره فيها وان غاب شُهَّد

كما احتجب المقدار والحكم حكمه على الخلق طرّاً ليس عنه معرّد

الا ان قول بشار أكثر ماء وطلاوة : ومما لم يسئ الاتباع فيه . قوله أيضا

سكنتَ سكوناً كان رهناً بوثبةٍ عماسٍ كذاك الليث للوثب يلبد (٢)

وانما أخذه من . قول النابغة

وقلت ياقوم انّ الليث منقبض على براثنه للوثبة الضاري

وكذلك . قوله

كأنّ أباه حينَ سماه صاعداً رأى كيف يرقى في المعالى ، يصعد

أخذه من . قول البحترى

سماه اسرته العلاءَ وانما قصدوا بذلك ان يتم علاه

وزاد أبو تمام أيضاً على الافوه . والنابغة . وأبى نواس . ومسلم . فى معنى تداولوه وهو .. قول الافوه

وترى الطير على آثارنا رأىَ عينٍ ثقة أن ستمار (٣)

---

(١) قوله بطل — هكذا فى أكثر النسخ وفى نسخة يظل — وقوله الحرب العوان — أى التى كان قبلها حرب فالعوان من النساء الثيب فكأنهم جعلوا الاولى بكر — وقوله يعرد — أى يفر : وفى أكثر النسخ يعدد

(٢) العماس — من العمس كالحمس الشدة

(٣) قوله على اثارنا — فى نسخة على أرماحنا — وقوله ستمار — من قولهم امتار الميرة والميرة جلب الطعام —

وقول النابغة

اذا ماغزوا بالجيش حلقَ فوقهم عصايب طير تهتدي بعصايبِ
جوانح قد أيقنَّ ان قبيله اذا ما التقى الجمعان أول غالبِ

وقول أبى نواس

تتـأتى الطير غدوته ثقةً بالشبع من جزرِه

وقول مسلم

قد عود الطير عاداتٍ وثقن بها فهن يتبعه في كل مرتحلِ

فقال أبو تمام

اقامتْ مع الراياتِ حتى كأنها من الجيش الا أنها لمْ تقاتلْ

فقوله ـ اقامت مع الرايات زيادة ـ وزاد عليه بعض المحدثين : فقال

يطمع الطير فيهم طول أكلهم حتي تكاد على احيائهم تقع

وقال أبو تمام

همـةٌ تنطح النجوم وجـدٌّ آلفٌ للحضيض فهو حضيضُ

أخذه البحترى فحسنه وهو . قوله

متحير يغـدو بعزمٍ قائمٍ فى كلِّ نائبةٍ وجدٍ قاعدِ

ومما أخذه أيضاً من أبى تمام فقسمه تقسيما حسناً : قوله

ملك له في كل يومِ كريهةٍ اقدام عزٍّ واعتزام مجرِّبِ

هو من قول أبى تمام

ومجربون سقاهم من بأسه فاذا لقوا فكأنهـم أغمار

وقال أبو العتاهية

كم نعمةٍ لايستقل بشكرها لله فى طيِّ المكاره كامنه

أخذه أبو تمام : فقال

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمتْ ويبتلى الله بعضَ القوم بالنعم

فزاد عليه لانه أتى بضد المعنى : وقال أبو تمام

رأيتُ رجائى قلبكَ وحدكَ همةً ولكنه فى سائر النـاس مطمعُ

فاخذه البحترى فاختصره : فقال

ثنى أملى فاحتازَه عن معاشرٍ يبيتون والآمال فيهم مطامع

وأخذه ابن الرومى : فقال

به صدق الله الأمانيِ حديثها وقدْ مَر دهر والامانى وساوس

وقال أبو تمام

رافع كفه لبرِّى فما أحبـ ـسه جاءني لغير اللطام

أخذه البحترى فزاد عليه فى حسن اللفظ والسبك : فقال

ووعدُ ليس يعرف من عبوس بأوجههم أوعد أمْ وعيـدُ

وقال الحنيف بن السحف (١)

وفرقتُ بين ابنىْ هنيم بطعنةٍ لها عاند يكسو السليب ازازها

يعنى — بالعاند الدم — فاخذه البحترى فزاد عليه فى اللفظ : وقال

سلبوا وأشرقتِ الدماء عليهم محمرةً فكأنهـم لم يسلبوا

على أن محمرة حشو : وقال أبو تمام

كأنمـا خامره أولق أو خالطتْ هامته الخندريس (٢)

---

(١) نسخة ـ ابن السجف بالجيم

(٢) الاولق — على وزن افعل وهو مألوق على وزن مفعول شبه الجنون :: وفى نسخة ديوانه — غازلت — بدل قوله خالطت

وقال البحترى

وتخال ريعانَ الشبابِ يروعه ... من حدةٍ أو نشوةٍ أو أفكلِ [(١)]

فزاد عليه .. وقال أبو تمام

أنضرتْ أيكتى عطاياكَ حتى ... عاد غصني ساقاً وكان قضيبا [(٢)]

فقال البحترى وزاد

حتى يعود الذئب ليثا ضيغماً ... والغصن ساقا والقرارة نيقا [(٣)]

ومثل هذا كثير وفيما اوردت كفاية انشاء الله

الفصل الثانى

فى قبح الاخذ

وقبح الاخذ أن تعمد الى المعنى فتتناوله بلفظه كله أو اكثره أو تخرجه فى معرض مستهجن والمعنى انما يحسن بالكسوة : اخبرنا بعض اصحابنا قال قيل للشعبي . إنا اذا سمعنا الحديث منك نسمعه بخلاف مانسمعه من غيرك : فقال انى أجده عاريا فاكسوه من غير أن ازيد فيه حرفاً : أى من غير أن أزيد فى معناه شيئاً .. فما اخذ بلفظه ومعناه وادعى آخذه (أوادعى له) انه لم يأخذه ولكن وقع له كما وقع للاول : كما سئل ابن عمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى .. فقال عقول رجال توافت على السنتها .. وذلك .. قول طرفة

(١) الافكل – على وزن افعل الرعدة تعلو الانسان ولا فعل له

(٢) عجز البيت فى ديوانه هكذا (صار ساقا عودى وكان قضيبا)

(٣) نيقا — أى مرتفعا : والنيق ارفع موضع فى الجبل — والقرارة — اسفله وتقدم تفسيرها

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم　　يقولون لاتهلك أسى وتجلد

وهو . . قول امرؤ القيس

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم　　يقولون لاتهلك أسى وتجمل

فغير طرفة القافية . . وقال الحرث بن وعلة *

الآن لما ابيض مسربتي　　وعضضت من نابي على جذم (١)

وقال غسان السليطي *

الآن لما ابيض مسربتي　　وعضضت من نابي أجذامي

وقال البعيث

أترجوا كليبٌ ان يجيء حديثها　　بخير وقد أعيا كليباً قديمها

وقال الفرزدق

أترجوا ربيع ان تجيء صغارها　　بخير وقدْ أعيا ربيعاً كبارها

ومثل هذا كثير فى أشعارهم جداً . . والاخذ إذا كان كذلك كان معيباً وأن أدعي أن الآخر لم يسمع قول الأول بل وقع لهذا كما وقع لذاك فان صحة ذلك لا يعلمها الا الله عز وجل والعيب لازم للآخر . . روى لنا أن عمر بن أبى ربيعة * أنشد ابن عباس * رضى الله عنه

(تشط غداً دار جيراننا) فقال ابن عباس (وللدار بعد غد أبعد)

فقال عمر والله ما قلت الا كذلك . . وإذا كان القوم فى قبيلة واحدة وفى أرض واحدة فان خواطرهم تقع متقاربة كما أن أخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة وأنشدت الصاحب اسماعيل بن عباد *

(كانت لسراة الناس تحت أظله) فسبقني وقال (فغدت سراة الناس فوق

---

(١) الجذم أصل الشيء وجذم الاسنان منابتها . والمعنى كبرت حتى أكلت على جذم نابى

سراته) وكذلك كنت قلت .. فعلى هذا جايز ما يدعي لهم : والظاهر ما قلناه فهذا ضرب

والضرب الآخر من الأخذ المستهجن أن يأخذ المعنى فيفسده أو يعوصه أو يخرجه فى معرض قبيح وكسوة مسترذلة وذلك مثل : قول أبى كريمة *

قفاه وجه ثم وجه الذى　　　قفاه وجه يشبه البدرا

وإنما أخذ هذا من . . قول أبى نواس

(يأبى أنت منْ مليح بديع)　　　بذّ حسن الوجوه حسن قفاكا

وأحسن ابن الرومى فيه . . فقال

ماساءنى إعراضه　　　عنى ولكن سرنى

سالفتاه عوض　　　من كل شيء حسن

وإليه أشار عبد الصمد * بن المعذل فى قوله

لما رأيتُ البدر فى　　　أفق السماءِ وقد تعلى

ورأيتُ قرن الشمس فى　　　أفق الغروبِ وقدْ تدلى

شبهتُ ذاك وهذه　　　وأري شبههما أجلا

وجه الحبيبِ اذا بدا　　　وقفا الحبيبِ اذا تولى

وأخذه أبو نواس من قول النابغة بقوله للنعمان بن المنذر * ايفا خرك ابن جفنة واللات لامسك خير من يومه . ولقذالك أحسن من وجهه . وليسارك اسمح من يمينه . ولعبيدك اكثر من قومه . ولنفسك اكبر من جنده . وليومك أشرف من دهره . ولوعدك أنجز من رفده ولهزلك أصوب من جده . ولكرسيك أرفع من سريره . ولفترك أبسط من شبره . ولأمك خير من أبيه : والنابغة أحذق الجماعة . . لانه ذكر القذال وهؤلاء قالوا القفا ولا يستحسن أن يخاطب الرجل فيقال له قفاك حاله كذا وكذا : ومن ذلك قول الحسن بن وهب * وقد

سمع قول اعرابى اجتمع مع عشيق له فى بعض الليالى : اجتمعت معها فى ظلمة الليل . وكان البدر يرينيها . فلما غاب أرتنيه . فقال

أرانى البـدر سنتها عشاءً   فلما أزمع البدر الأفولا

أرتنيه بسنتها فكانتْ   من البـدر المنور لى بديلا

فاطال الـكلام وجعل المعنى فى بيتين وكرر السنة (١) والبدر .وقال البحترى فأربى على الاعرابى وزاد عليه

أضرتْ بضوءالبدرِ والبدرطالع   وقامتْ مقام البـدرِ لما تغيبا

وسمع بعضهم . قول محمود الوراق *

اذا كان شكرى نعمة الله نعمةً   علىّ له فى مثلهـا يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الا بفضله   وان طالت الايام واتصل العمر

اذا مسّ بالسراء عم سرورها   وانمس بالضراء أعقبها الأجر

وما منها الا له فيـه نعمة   تضيق بها الاوهام والبر والبحر

فقال وأساء

الحمد لله ان الله ذو نعمٍ   لم يحصها عدداً بالشكر من حمدا

شكرى له عملٌ فيـه علىّ له   شكر يكون لشكر قبله مددا

فهذا مثال قبيح الاخذ فاعلمه : وأخذ ابن طبا طبا * قول على رضى الله عنه قيمة كل امرىء مايحسنه : فقال

فيالائمى دعـنى أغال بقيمتى   فقيمة كل الناس مايحسنونه

فأخذه بلفظه وأخرجه بغيضاً متـكلفا والجيد قول الآخر (فقيمة كل امرىء علمه) فهذا وان كان أخذه ببعض لفظه فان ــ كلا ــ فى بيته أحسن موقعاً منه

(١) السنة — بالتشديد الصورة وسنة الوجه دوائره

في بيت ابن طباطبا . وقال فرواش بن خوط *

دنوت له بأبيض مشرفيٍّ كما يدنوا المصافحُ للعناقِ

أخذه أبو تمام فقصرعنه : وقال

حنّ الى الموْتِ حتى ظن جاهلهُ بأنه حنّ مشتاقا الى وطن

وأحسن تقسيمه البحترى: فقال

تسرَّعَ حتى قال منْ شهدالوغى لقاءُ أعادِ أمْ لقاءَ حبائبِ

وقال ذو الرمة (١)

وليل كجلبابِ العرُوسِ ادَّرَعتهُ بأربعةٍ والشخصُ فى العينِ واحدُ

أحم عُـلافى وابيضُ صَارِمُ وأعيسُ مهري وارْوَعُ ماجدُ

أخذه أبو تمام فقصر : وقال

البيدُ والعيسُ والليلُ التمامُ معاً (٢) ثلاثة أبداً يُقرَنّ فى قرنِ

وبيت البحترى فى معناه اجود من هذا . الا انه لايلحق بيت ذى الرمة

أطلبا ثالثـاً سوَايَ فأنى رابعُ العيسِ والدُّجي والبيدِ

ومما قصر فيه البحترى . قوله

قومُ ترَى أرْماحهمْ يَوْمَ الوغى مشغوفـةً بمواطِنِ الكتمانِ

أخذه من . قول عمرو بن معدى كرب

---

(١) البيت الثانى أنشده فى اللسان : بكسر العين من علافى وفى سائر نسخ الاصول بالضم .. وقال — العلافى — أعظم الرحال آخره وواسطا منسوب الى رجل اسمه علاف من قضاعة . وقيل هو الرحل العظيم — والاحم — الاسود وقيل الابيض والاعيس — واحد العيس وذلك مافى لونها أدمة من الابل وغيرها

(٢) صدر البيت فى نسخة ديوانه هكذا (العيس والهم والليل التمام معا . الخ وأنشده فى الموازنة) كما فى الاصل

والضاربينَ بكلّ أبيضَ مُرْهفٍ والطاعنينَ مجامعَ الاضغانِ

قوله ـ مجامع الاضغان ـ أجود من قوله ـ مواطن الكتمان ـ لانهم انما يطاعنون الاعداء من أجل اضغانهم فاذا وقع الطعن فى موضع الضغن فذلك غاية المراد : ومما قصر فيه : قوله

من غادةٍ مُنعتْ وتمنع نيلها فلو أنها بذلتْ لنا لم تبذل

أخذه من . قول عبد الصمد بن المعذل (١)

ظبيٌ كأنّ بخصرهِ من دقةٍ ظمأً وجوعا

ومنَ البليةِ أننى عُلقتُ ممنوعاً منوعا

بيت عبد الصمد ابين معنى مع شدة الاختصار . وبيت البحترى كالعويص لايقام (اعرابه) الا بعد نظر طويل ـ وقال جابر بن السليك * (الهمدانى)

ارْمى بها الليلَ قُدّامي فيغشم بى اذْ الكواكب مثل الاعين الحولِ

أخذه البحترى فقصر فى النظم عنه . فقال

وخدانِ القلاصِ حُولاً اذاقاً بلنَ حولاً من أنجمِ الاسحارِ

الاول أسلس . وقال أبو تمام

فلم يَجمع شرقٌ وغرب لقاصدٍ ولا المجدُ فى كفّ امرءٍ والدراهم

وقال البحترى فقصر

ليفرْ وَفرك الموفى وانْ اعـ وَزَ ان يُجمعَ النديُ ووُفوره

وأخذ أبو تمام . قول الشاعر

---

(١) أنشد البيت الثانى فى الموازنة هكذا (انى علقت لشقوتى . ياقوم ممنوعا منيعا) وتعقبه : فقال ان البحترى زاد على عبدالصمد بقوله ـ بذلت لنا لم تبذل على ان المصنف ذهب الى حط بيت البحترى فتأمل

فقلت لهم لاتعذلونى وانظروا — الى النازع المقصور كيف يكون

فقال وقصر

هرمتَ بعدى والربعُ الذى أقلتْ — منه بدورك معذورٌ على الهرم

متكلف ردىء الاستعارة

وقد يتفق المبتدى للمعنى والآخذ منه فى الاساءة . قال ابن أذينة

كأنما عايبها دائباً — زينها عندي بتزيين

فأتى بعبارة غير مرضية ونسج غير حسن وأخذه أبو نواس . فقال

كأنما أثنوا ولم يعلموا — عليك عندى بالذي عابوا

فأتى أيضا برصف مرذول ونظم مردود

وقد يستوى الاخذ والمأخوذ منه فى الاجادة . فى التعبير عن المعنى الواحد

قال اعرابى

فنمّ عليها المسكُ والليل عاكف

وقال البحترى

وحاولنَ كتمانَ الترحلِ فى الدجى — فنمَّ بهنَّ المسكُ حتى تضوعا

وقال أيضاً

فكانَ العبير بها واشياً — وجرس الحلى عليها رقيبا

وقال النابغة

فانكَ كالليل الذى هو مُدركى — (وانْ خلت انَّ المنتأي عنكَ واسع)

وقال ابو نواس

لاينزلُ الليل حيث حلتْ — (فدهر شربها نهار)

فاحسنا جميعاً فى العبارة : وللنابغة قصبة (١) السبق : ومثل ذلك قول لبيد

ولا بدّ يوماً أنْ تردّ الودايع

وقال بشار

وردّ عليّ الصبيّ ما استعارا

وقال الفرزدق

تفاريق شيبٍ في الشبابِ لوامع وما حسن ليلٍ ليسَ فيه نجوم

وقال أبو نواس

كأنّ بقايا ما عفا منْ حبابها تفاريق شيبٍ فى سوادِ عداد

البيتان متساويان فى حسن الرصف وان كان أبو نواس اساء فى اخذه لفظ الفرزدق وفى قول الفرزدق أيضاً زيادة وهى — وما حسن ليل ليس فيه نجوم — وانشد ابو احمد : قال انشدنا أبو بكر عن عبد الرحمن عن عمه

حرام على أرماحنا طعن مدبرِ وتندق قدمافى الصدور صدورها

مسلمة أعجاز خيليَ فى الوغى ومكلومة لباتها ونحورها

اخذه أبو تمام : فقال

أناس اذاما استحكم الروْعُ كسروا صدور العوالى في صدور الكتائب

فاحسنا جميعاً . ومثله قول الآخر

يلقي السيوفَ بوجهه وبنحرهِ ويقيم هامته مقامَ المغفر

ويقول للطرفِ اصطبرْ لشبا القنا فهدمت ركن المجدانْ لم تعقر

(١) قصبة السبق — تقال للمراهن اذا سبق احرز قصبة السبق . ويقال أحرز القصب لان الغاية التى يسبق اليها تذرع بالقصب وتركز تلك القصبة عند منتهى الغاية . وجاء فى نسخة — فضيلة السبق

ومثله . قول بكر بن النطاح *

يتلقى النـدى بوجـهٍ حيٍّ وصدورَ القنا بوجهٍ وقاحِ

وهذا كله مأخوذ من . . قول كعب بن زهير

لا يقعُ الطعنُ الا في نحورهم وما لهمْ عن حياض الموت تهليلُ [1]

وهو دون جميع ما تقدم . . وقد أتيت فى هذا الباب على الكفاية ولا أعلم أحداً ممن صنف فى سرق الشعر فمثل بين قول المبتدى وقول التالى وبين فضل الاول على الآخر والآخر على الاول غيرى .. و إنما كانت العلماء قبلى ينبهون على مواضع السرق فقط فقس بما أوردته على ما تركته فأنى لو استقصيته لخرج الكتاب عن المراد . وزاغ عن الايثار وبالله التوفيق

تم الجزء الاول من كتاب الصناعتين ويتلوه الجزء الثانى
وأوله الباب السابع

---

(١) التهليل — النكوص والتأخر . يقال هلل عن الامر اذا ولى عنه ونكص وقد وقع فى نسخ الاصول ـ وليس لهم عن حياض الموت تهليل ـ على أن الرواية الصحيحة ما ذكرناه

الباب السابع

﴿ الفصل الاول في حد التشبيه وما يستحسن ﴾

(من منثور الكلام ومنظومه)

التشبيه الوصف بان أحد الموصوفين ينوب مناب الاخر باداة التشبيه ناب مناب أو لم ينب . وقد جاء فى الشعر وسائر الكلام بغير اداة التشبيه وذلك قولك ـ زيد شديد كالاسد ـ فهذا القول الصواب فى العرف وداخل فى محمود المبالغة وان لم يكن زيد فى شدته كالاسد على الحقيقة . . على انه (قد روى) ان انسانا قال لبعض الشعرآء زعمت أنك لا تكذب فى شعرك وقد قلت

ولأنتَ أجراُ من أسامَة

أو يجوز أن يكون رجل أشجع من أسد فقال قد يكون ذلك فانا قد رأينا مجزأة * بن ثور فتح مدينة ولم نر الاسد فعل ذلك فهذا قول

ويصح التشبيه الشيء بالشيء جملة وان شابهه من وجه واحد مثل قولك وجهك مثل الشمس ـ ومثل البدر ـ وان لم يكن مثلها فى ضيائهما وعلوها ولاعظمها وانما شبهه بها لمعنى يجمعها واياه وهو الحسن . وعلى هذا قول الله عز وجل (وله الجوار المنشئات فى البحر كالاعلام) انما شبه المراكب بالجبال من جهة عظمها لا من جهة صلابتها ورسوخها ورزانتها ولو أشبه الشيء الشيء من جميع جهاته لكان هو هو

والتشبيه على ثلاثة أوجه . . فواحد منها شبيه شيئين متفقين من جهة اللون مثل تشبيه الليلة بالليلة . والماء بالماء . والغراب بالغراب . والحرة بالحرة (١) والاخر تشبيه شيئين متفقين يعرف اتفاقها بدليل كتشبيه الجوهر بالجوهر .

---

(١) نسخة ـ الحدة بالحدة

والسواد بالسواد . . والثالث تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما كتشبيه البيان بالسحر . والمعنى الذى يجمعهما لطافة التدبير ودقة المسلك وتشبيه الشدة بالموت والمعنى الذى يجمعهما كراهية الحال وصعوبة الامر

وأجود التشبيه وأبلغه ما يقع على أربعة أوجه

احدها اخراج مالا يقع عليه الحاسة . . وهو قول الله عز وجل (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماء) فأخرج مالا يحس إلى مايحس والمعنى الذى يجمعهما بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة ولو قال يحسبه الرأى مالم يقع موقع قوله الظمأن لان الظمأن اشد فاقة اليه وأعظم حرصا عليه وهكذا قوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف) والمعنى الجامع بينهما بعد التلاقى . وعدم الانتفاع : وكذلك قوله عز وجل (فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) أخرج مالا يقع عليه الحاسة إلى مايقع عليه من لهث الكلب : والمعنى ان الكلب لا يطيعك فى ترك اللهث على حال وكذلك الكافر لايجيبك إلى الايمان فى رفق ولا عنف وهكذا قوله تعالى (والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) والمعنى الذى يجمع بينهما الحاجة إلى المنفعة والحسرة لما يفوت من درك الحاجة

والوجه الآخر اخراج مالم تجربه العادة إلى ماجرت به العادة : كقوله تعالى (واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة) والمعنى الجامع بين المشبه والمشبه به الانتفاع بالصورة : ومن هذا قوله تعالى (انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء (إلى قوله) كان لم تغن بالامس) هو بيان ماجرت به العادة إلى مالم تجربه . والمعنى الذى يجمع الامرين الزينة والبهجة ثم الهلاك وفيه العبرة لمن اعتبر . والموعظة لمن تذكر .. ومنه قوله تعالى (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر) فاجتمع الامران فى قلع الريح لهما واهلاكها والتخوف من تعجيل العقوبة : ومن هذا قوله تعالى (فكانت وردة كالدهان)

والجامع للمعنيين الحمرة ولين الجوهر وفيه الدلالة على عظم الشأن. ونفوذ السلطان ومنه قوله تعالى (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو (إلى قوله عز وجل) ثم يكون حطاما) والجامع بين الامرين الاعجاب ثم سرعة الانقلاب. وفيه الاحتقار للدنيا والتحذير من الاغترار بها

والوجه الثالث اخراج مالا يعرف بالبديهة إلى مايعرف بها: فمن هذا قوله عز وجل (وجنة عرضها السموات والارض) قد أخرج مالا يعلم بالبديهة إلى مايعلم بها: والجامع بين الامرين العظم .. والفائدة فيه التشويق إلى الجنة بحسن الصفة: ومثله قوله سبحانه (كمثل الحمار يحمل اسفارا) والجامع بين الامرين الجهل بالمحمول .. والفائدة فيه الترغيب فى تحفظ العلوم وترك الاتكال على الرواية دون الدراية. ومنه قوله تعالى (كانهم أعجاز نخل خاوية) والجامع بين الامرين خلو الاجساد من الارواح .. والفائدة الحث على احتقار مايؤول به الحال. وهكذا قوله سبحانه (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) فالجامع بين الامرين ضعف المعتمد .. والفائدة التحذير من حمل النفس على التغرير بالعمل على غير أس

والوجه الرابع اخراج مالا قوة له فى الصفة على ماله قوة فيها. كقوله عز وجل (وله الجوار المنشأت فى البحر كالاعلام) والجامع بين الامرين العظم .. والفائدة البيان عن القدرة فى تسخير الاجسام العظام فى اعظم مايكون من الماء وعلى هذا الوجه يجرى اكثر تشبيهات القرآن وهى الغاية فى الجودة والنهاية فى الحسن .. وقدجاء فى اشعار المحدثين تشبيه مايرى العيان بما ينال بالفكر وهو ردىء وان كان بعض الناس يستحسنه لما فيه من اللطافة والدقة وهو مثل .. قول الشاعر.

وكنت أعز عزاً من قنوع   يعوضهُ صفوحٌ من ملولِ
فصرت اذلُّ من معني دقيق   به فقرٌ الى ممنى جليلِ

وكقول الآخر

وندمانٍ سقيتُ الراحَ صرفا   وأفقُ الليل مرتفع السجوف

صفتْ وصفتْ زجاجتها عليها كمعنى دقّ فى ذهنٍ لطيفِ

فاخرج مايقع عليه الحاسة الى مالا يقع عليه وما يعرف بالعيان الى مايعرف بالفكر ومثله كثير فى اشعارهم

وأما الطريقة المسلوكة فى التشبيه والنهج القاصد فى التمثيل عند القدماء والمحدثين فتشبيه الجواد بالبحر والمطر . والشجاع بالاسد . والحسن بالشمس والقمر والسهم الماضى بالسيف . والعالى الرتبة بالنجم . والحليم الرزين بالجبل . والحيي بالبكر . والفايت بالحلم . ثم تشبيه اللئيم بالكلب . والجبان بالصفرد . (١) والطايش بالفراش والذليل بالنقد والنعل والفقع والوتد (٢) والقاسى بالحديد والصخر . . والبليد بالجماد . . وشهر قوم بخصال محمودة فصاروا فيها اعلاما فجروا مجرى ماقدمناه كالسموءل فى الوفاء ... وحاتم فى السخاء . . والاحنف فى الحلم . وسحبان * فى البلاغة . وقس فى الخطابة * . ولقمان فى الحكمة * وشهر آخرون باضداد هذه الخصال فشبه بهم فى حال الذم كباقل فى العى (٣) وهبنقة فى الحمق

(١) الصفرد — طائر اعظم من العصفور . قال ابن الاعرابى هو طائر جبان يفزع من الصعوة وغيرها

(٢) النقد — السفل من الناس والنقد السلحفاة ولعله المقصود لانه من خساس الحيوان — والفقع — ضرب من أراد الكمأة. قال فى اللسان ويشبه به الرجل الذليل فيقال اذل من فقع بقرقر

(٣) باقل اسم رجل يضرب به المثل فى العى : قال فى اللسان قال الاموى من أمثالهم فى باب التشبيه انه — لاعيا من باقل — قال وهو اسم رجل من ربيعة وكان عييا فدما واياه عنى الاريقط فى وصف رجل ملا بطنه حتى غي بالكلام فقال يهجوه (وأنشد أبياتا و بيت الشاهد منها)

فما زال عند اللقم حتى كانه من العى لما ان تكلم باقل

قال الليث بلغ من عى باقل انه كان اشترى ظبياً باحد عشر درهما : فقيل له

(١) . والكسعى فى الندامة (٢) . والمنزوف ضرطا فى الجبن (٣) . ومادر فى البخل (٤) . والتشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيداً ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين

بكم اشتريت الظبي ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يشير بذلك الى أحد عشر فانفلت الظبي وذهب فضربوا به المثل فى العى .

(١) هبنقة — اسمه يزيد بن ثوران : ويقال له ذو الودعات كان احمق بنى قيس بن ثعلبة : يضرب به المثل فى الحمق : قال الشاعر

عش بجد ولن يضرك نوك انما عيش من ترى بالجدود
عش بجد وكن هبنقة القيسى نوكا أو شيبة بن الوليد
رب ذى أربة مقل من المال وذى عنجهية مجدود
شيب يا شيب يا سخيف بنى القعقاع ما أنت بالحليم الرشيد

(٢) الكسعى — اسمه محارب بن قيس من بنى كسيعة أو بنى الكسع بطن من حمير وكانوا رماة : ومنهم الكسعى هذا الذى يضرب به المثل فى الندامة وكان رام رمى بعد ما أسدف الليل عيرا فاصابه وظن انه اخطأه فكسر قوسه وقيل وقطع أصبعه ثم ندم من الغد حين نظر الى العير مقتولا وسهمه فيه فصار مثلا لكل نادم على فعل يفعله : وعليه قول الشاعر

ندمت ندامة الكسعى لما رأت عيناه ما فعلت يداه

(٣) قال فى اللسان قال ابن برى هو رجل كان اذا نبه لشرب الصبوح قال هلا نبهتنى لخيل قد اغارت : فقيل له يوما على جهة الاختبار هذه نواصى الخيل فما زال يقول الخيل الخيل ويضرط حتى مات .

(٤) مادر — هو رجل من هلال بن عامر بن صعصعة سقى ابله يوما فبقى فى اسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر به حوضه بخلا أن يشرب من فضله فضرب به المثل : قال الشاعر

لقد جللت خزيا هلال بن عامر بنى عامر طرا بسلحة مادر
فاف لكم لا تذكروا الفخر بعدها بنى عامر انتم اشر المعاشر

من العرب والعجم غليه ولم يستغن احد منهم عنه . وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان . فمن ذلك ما قال صاحب كليلة ودمنة الدنيا كالماء الملح كلما ازددت منه شربا ازددت عطشا . . (وقال) صحبة الاشرار تورث الشر كالريح اذا مرت على المنتن حملت نتنا واذا مرت على الطيب حملت طيبا (وقال) من لا يشكر له كان كمن نثر بذره فى السباخ ومن أشار على معجب كان كمن سار الاصم . وقد نظمت هذا المعنى . فقلت

ألا إنمـا النعمي تجارى بمثلها ... اذا كان مسداها الى ماجدٍ حرِّ

فأما اذا كانت الى غير ماجدٍ ... فقد ذهبت فى غير أجرٍ ولا شكرِ

اذا المرءُ القى في السباخ بذورهُ ... أضاعَ فلمْ ترجع بزرع ولا بذرِ

(وقال) لا يخفى فضل ذى العلم وان أخفاه كالمسك يخبي ويستر ثم لا يمنع ذلك رائحته ان تفوح . أخذه الصاحب فكتب . . فانت أدام الله عزك وان طويت عنا خبرك . وجمات وطنك وطرك . فأنباؤك تأتينا. كماوشى بالمسك رياه ونم على الصباح محياه . (وقال ايضا) الرجل ذو المرؤة يكرم على غير مال كالاسد يهاب وان كان رابضا والرجل الذى لا مروءة له يهان وان كان غنيا كالكلب يهون على الناس وان عس وطوف . (وقال) المودة بين الصالحين سريع اتصالها بطىء انقطاعها كآنية الذهب التى هى بطيئة الانكسار هينة الاقادة والمودة بين الاشرار سريع انقطاعها بطىء اتصالها كآنيـة الفخار يكسرها أدنى شيء ولا وصل لها : (وقال) لا يرد بأس العدو القوى بمثل التذلل له كما ان العشب انما يسلم من الريح العاصف بلينه لها وانثنائه معها : (وقال) لا يجب للمذنب ان يفحص عن أمره لقبح ما ينكشف عنه كالشيء المنتن كلما انير ازداد نتنا : (وقال) أيضاً من صنع معروفا لعاجل الجزاء فهو كملقى الحب للطير لا لينفعها بل ليصيدها به : (وقال) أيضا المال اذا كان له مدد يجتمع منه ولم يصرف فى الحقوق أسرع

اليه الهلاك من كل وجه كالماء اذا اجتمع فى موضع ولم يكن له طريق الى النفوذ تفجر من جوانبه فضاع : (وقال) أيضاً الادب يذهب عن العاقل السكر ويزيد الاحمق سكراً كالنهار يزيد البصير بصرا ويزيد الخفاش سوء بصر .. وقد أحسن فى هذا المعنى جعفر * بن محمد رضى الله عنهما . . فقال الادب عند الاحمق كالماء العذب فى أصول الحنظل كلما ازداد رياً ازداد مرارة : (وقال) صاحب كليله ودمنه : الدنيا كدودة القز لاتزداد بالا برسيم على نفسها لفاً الا ازدادت من الخروج بعداً : (وقال) اذا عثر الكريم لم ينتعش الا بكريم كالفيل اذا توحل لم يقلعه الا الفيلة : وقال الشاعر فى هذا المعنى

واذا الكريم كبتْ به أيامه   لم ينتعش الاّ بعطف كريم

(وقال) صاحب كليله أيضا .. يبقى الصالح منا لرجال صالحا حتى يصاحب فاسدا فاذا صاحبه فسد مثل مياه الانهار تكون عذبة حتى تخالط ماء البحر فاذا خالطته ملحت : وقال بعض الحكماء .. الدنيا كالمنجل استواؤها فى اعوجاجها .

والتشبيه بعد ذلك فى جميع الكلام يجرى على وجوه .. منها تشبيه الشىء بالشىء صورة : مثل قول الله عز وجل (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون (١) القديم) أخذه ابن الرومى : فقال فى ذم الدهر

تأنى على القمر السارى نوائبه   حتى يري ناحلاً في شخص عُرجون

وأين يقع هذا من لفظ القرآن ومن ذلك : قول امرىء القيس

كأن قلوبَ الطير رطباً ويابساً   لدى وكرها العناب والحشف البالى (٢)

---

(١) العرجون ـ العذق عامة وقيل لا يكون عرجونا الا اذا يبس واعوج : وقال الازهرى العرجون أصفر عريض شبه الله (تعالى) به الهلال لما عاد دقيقا (أى بعد مايبس) وقال ابن سيدة التشبيه فى دقته واعوجاجه

(٢) الحشف ـ مايبس من التمر ولم يكن له طعم ولا نوى : قال الوزير أبو بكر هذا أحسن بيت جاء باجماع الرواة فى تشبيهه بشيئين فى حالتين مختلفتين شبه الطرى من القلوب بالعناب والعتيق بالحشف

وقوله أيضا

كأنَّ عيون الوحش حولَ خبائنا … وأرحلنا الجزعُ الذي لم يثقبِ [(١)]

وقول عدى الرقاع *

تزجى أغنَّ كأنَّ إبرَة روقه … قلم أصاب من الدواة مدادَها [(٢)]

ومنها تشبيه الشئ بالشئ لوناوحسنا : كقول الله عز وجل (كأنهن الياقوت والمرجان) وقوله تعالى (كأنهن بيض مكنون) وكقول حميد بن ثور

والليل قد ظهرت نحيزته … والشمس في صفراءَ كالورس [(٣)]

وكقول الآخر

قوم رباط الخيل وسط بيوتهم … وأسنة زرق يخلن نجوما [(٤)]

ومنها تشبيهه به لوناً وسبوغاً .. كقول امرئ القيس

ومشدودةَ السك موضونةً … تضائل فى الطيِّ كالمبردِ

يفيض على المرءِ اردانها … كفيض الأتىِّ على الجدجدِ

---

(١) الجزع ـ الخرز اليمانى الذى فيه بياض وسواد تشبه به الاعين : قال الوزير أبو بكر عيون الوحش سود اذا كانت حية واذا ماتت ظهر ما كان يخفى من بياضها فتصير سودا وفيها بياض فتكون مثل الجزع : والجزع ضبطناه بالكسر تبعا لنسخ الاصول عامة وأنشده فى اللسان بالفتح وقال الجزع بالكسر بمعنى الخرز يروى عن كراع لا غير

(٢) تزجى ـ قال فى اللسان ازجيت الابل اذا سقتها وأنشد البيت ـ والروق القرن من كان ذى قرن

(٣) النحيزة ـ الطريقة المستدقة . قال فى اللسان النحيزة طرة تنسيج ثم تخاط على شفة الشقة من شقق الخباء فكان النحائز من الطرق مشبهة بها

(٤) زرق الاسنة ـ صفاء لونها . والبيت لليلى الاخيلية

شبه الدرع (١) بالاتى فى بياضها وسبوغها لانها تعم الجسد كما يعم الاتى الجدجد اذا تفجر فيه والاتى السيل .. ومنها تشبيه به لوناً وصورة . كقول النابغة

تجلو بقادمتى حمامة ايكةٍ بَرداً أُسِفَّ لثاته بالاَثمد (٢)

كالاُقحوانِ غداةَ غِبَّ سمائِهِ جفت أعاليهِ وأسفلهُ ندى (٣)

شبه الثغر بالاقحوان لوناً وصورة لان ورق الاقحوان صورته كصورة الثغر سواء وإذا كان الثغر نقياً كان فى لونه سواء : وكقول امرىء القيس

---

(١) الدرع المشبهة بالاتى مفسرة من السك . والسك هى الدرع الضيقة الحلق ونصب مشدودة لانه معطوف على قوله

واعددت للحرب وثابة جواد المحثة والمرود

والبيتان أوردها نجم الدين الطوفى فى كتابه (موايد الحيس فى فوائد أمرء القيس) هكذا

ومشدودة الشك موضونة تضال فى الطى كالمبرد

تفيض على المرء اردانها كفيض الاتى على الجدجد

وقال وهذا شىء لا نعرفه لغيره أى ان هذا المعنى من مبتكراته . ثم قال فى معنى البيت الاول . أى تتقارب تكاسيرها وغضونها بعضها من بعض كتقارب حرور المبرد . وقال فى البيت الثانى . أى كفيض الجدول (والجدول النهر الصغير وهو الاتى الذى فسره المصنف بالسيل) على المكان الصلب (وهو الجدجد قال الاصمعى الجدجد الارض الغليظة) شبهت بالماء (أى الدرع شبهت بماء الجدول) لبرقها وصفائها ولينها

(٢) أسف — أى اذرعليه الاثمد ـ واللثة ـ مغرز الاسنان

(٣) الاقحوان ـ من نبات الربيع مفرض الورق دقيق العيدان له نوراً بيض كأنه ثغر جارية حدثة السن

جمعت رُدينياً كأن سنانه . سنا لهبٍ لم تتصل بدخانِ [1]

ومما يتضمن معنى اللون وحده : قول الاعشى

وسبيئةٍ مما تعتق بابلٍ كدم الذبيح سلبتها جريالها

وقول الشماخ

اذا أما الليل كان الصبح فيه أشق كمفرق الرأس الدهين

وقول زهير

وقد صار لون الليل مثل الأرندج [2]

وقول امرئ القيس

وليل كموج البحر مُرخٍ سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلى

وفى هذا معنى — الهول — أيضاً . وقول كعب بن زهير

وليلةِ مشتاقٍ كأنّ نجومها تفرّقن منها فى طيالسةٍ خضر

وقول ذى الرمة

وليلٍ كجلبابِ العروسِ ادرعته بأربعةٍ والشخص فى العينِ واحد

وقوله أيضاً (٣)

وقد لاح للساري الذى كمّل السرى على أخريات الليل فتق مشهر

(١) الردينى ـ الرمح زعموا أنه منسوب الى امرأة السمهرى تسمى ردينة وكانا يقومان القنا بخط هجرى

(٢) الارندج ـ جلد أسود تعمل منه الخفاف

(٣) الانبط ـ الابيض . قال بعض الادباء : شبه بياض الصبح طالعاً فى احمرار الافق بفرس أشقر قد مال عنه جله فبان بياض ابطه . وجاء فى بعض الروايات ـ فاللون أشقر بدل قوله واللون

كلون الحصان الانبط البطن قائماً تمايل عنه الجل واللون أشقر

ومنها تشبيهه به حركة : وهو قول عنترة

غرداً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم[1]

وقول الاعشى

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشى الهوينا كما يمشي الوجى الوجل

وقول الآخر

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل

وقول الآخر

كأن أنوف الطير فى عرصاتها خراطيم أقلام تخط وتعجم

ومنها تشبيهه معنى . كقول النابغة

فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبدوا منهن كوكب

وقوله

فأنك كالليل الذي هو مدركى وان خلت ان المنتأى عنك واسع

وكقول الآخر

وكالسيف ان لاينته لان متنه وحداه ان خاشنته خشنان

وقول مسلم بن الوليد

وانى واسماعيل يوم وداعه لكالغمد يوم الروع فارقه النصل

(١) الغرد — بالكسر من الغرد بالتحريك التطريب فى الصوت والغناء — والقدح — بالسكون فعل القادح وجاء فى اللسان — هزجا — بدل قوله غردا وكذا فى الجمهرة وقبله

وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم

وقد تقدم ذكرها فى صحيفة ١٦٨ فراجعها

وقوله

فأن اغشَ قوماً بعده أو أزرهم فكالوحش يدنيها من الانس المحلُ

وقول الآخر

والدهر يقرعنى طوراً وأقرعه كأنه جبل يهوى الي جبلِ

وقول الآخر

كم من فؤاد كأنه جبل أزاله عن مقرّه النظر

وقد يكون التشبيه بغير اداة التشبيه : وهو كقول امرء القيس

له ايطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ وارخاء سرحانٍ وتقريب تتفل [١]

هذا اذا لم يحمل على التشبيه فسد الكلام لان الفرس لا يكون له ايطلا ظبى ولا ساقا نعامة ولا غيره مما ذكره وانما المعنى له ايطلان كايطلى ظبى وساقان كساق نعامة : وهذا من بديع التشبيه لانه شبه أربعة أشياء بأربعة أشياء فى بيت واحد وكذلك : قول المرقش

النشر مسك والوجه دنا نير واطراف الأكفّ عنم

فهذا تشبيه ثلاثة أشياء فى بيت واحد . وضرب منه آخر : (ومنه) قول امرىء القيس

سموت اليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال [٢]

(١) قوله ايطلا ظبى — يريد خاصرتا ظبى واحدها ايطل وخص الظبى لانه ضامر قد انطوى (أى فرسه) والظبى ضامر كذا قاله أبو بكر بن عاصم : وقال الطوفى فى الفوائد : استعار لفرسه هذه الاعضاء والافعال من هذه الحيوانات وهى أحسن ما تكون فيها — والسرحان — الذيب : وارخاؤه مدة عنقه مسترسلا — والتتفل ولد الثعلب : وتقريبه جمع يديه ووثبه

(٢) حباب الماء — طرائقه المتكسرة فيه حكاه الطوفى فى فوائده . وأطال فى شرح معنى البيت فراجعه فانه من فرائد الفوائد

لحذف حرف التشبيه . ثم نورد هاهنا شيئا من غرايب التشبيهات وبدايعها ليكون مادة لمن يريد العمل برسمنا فى هـذا الكتاب : فمن بديع التشبيه قول امرىء القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا   لدى وكرها العناب والحشف البالى

فشبه شيئين بشيئين مفصلا ـ الرطب . بالعناب ـ واليابس . بالحشف ـ فجاء فى غاية الجودة .. ومثله قول بشار

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فشبه ـ ظلمة الليل . بمثار النقع . والسيوف. الكواكب (١). وبيت امرىء القيس أجود لان قلوب الطير رطبا ويابسا أشبه بالعناب والحشف من السيوف بالكواكب . ومثل قول النمرى

ليل من النقع لاشمس ولا قمر   الا جبينك والمذروبة الشرع (٢)

وقول العتابى

مدّت سنابكها من فوق أرؤسهم   ليلا كواكبه البيض المباتير (٣)

ومن بديع التشبيه . قول الآخر

نشرتْ الىّ غدايراً من شعرها   حذر الكواشح والعدوّ الموبق

---

(١) قال السكاكى . ليس المراد من التشبيه تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب انما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النقع الاسود والسيوف البيض متفرقات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة فى جوانب منه . فتأمل

(٢) المذروبة ـ المحدودة من ذرب الحديدة وذربها أحدها فهى مذروبة ـ والشرع هكذا ضبط فى الاصل بالضم جمع شراع بالكسر كل ما يشرع أى ينصب ويرفع

(٣) سنابكها ـ أطرافها ـ والمباتير ـ السيوف القاطعة

فكأنى وكأنها وكأنه　　صبحان باتا تحت ليل مطبق

شبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء مفصلة . وقال البحترى

تبسم وقطوب فى ندى ووغى　　كالغيث والبرق تحت العارض البرد

وأتم مافى هذا . قول الوأواء

واسبلت لؤلؤاً من نرجس فسقت　　ورداً وعضت على العناب بالبرد

فشبه خمسة أشياء بخمسة أشياء فى بيت واحد ـ الدمع . باللؤلؤ ـ والعين. بالنرجس ـ والخد . بالورد ـ والانامل . بالعناب ـ لما فيهن من الخضاب ـ والثغر بالبرد ـ ولا أعرف لهذا البيت ثانيا فى أشعارهم . وقول البحترى

كالسيف فى أخذامه والغيث فى　　أرهامه والليث فى أقدامه (١)

فشبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء .. وقلت فى مثله

كالسيف فى غمراته والبدر في　　ظلماته والغيث فى أزماته

وقال البحترى

شقايق يحملن الندى فكأنه　　دموع التصابى فى خدود الخرايد

فشبه شيئين بشيئين .. ومثله قول أبى نواس

ياقمراً أبصرتُ في مأتم　　يندبُ شجواً بين أتراب

يبكى فيلقى الدرَّ من نرجس　　ويلطمُ الورد بعناب

أخذه بعض المتأخرين فقلبه هجاء . . فقال

ياقردةً أبصرتُ فى مأتم　　تندب شجواً بتخاليط

تبكى فتلقي البعر من كوّة　　وتلطم الشوكَ ببلوط

(١) الخذم ـ سرعة القطع ـ والرهام ـ الامطار . قال أبو زيد الرهمة هى أشد وقعا من الديمة وأسرع ذهابا

وشبهت الهلال تشبيها يتضمن صفته من لدن هو هلال الى أن يكمل. فقلت

وكؤوس اذا دجا الليلُ دارتْ تحت سقفٍ مرصعٍ باللجينِ

وكأنَّ الهلال مرآت تبرٍ ينجلي كلَّ ليلةٍ إصبعين

ومن بديع التشبيه .. قول سلمة بن عباس *

كأنْ بني ذالان اذْ جاء جمعهمْ فراريج يُلقي بينهنَّ سويق

هذا لدقة أصواتهم وعجلة كلامهم .. وقوله

حديثُ بنى قرْطٍ اذا ما لقيتهم كنزو الدَّبا في العرْفجِ المتقاربِ (١)

وقال بعض المحدثين وهو ابن نباتة * في فرس ابلق أغر

وكأنما لطمَ الصباحُ جبينهُ فاقتصَّ منه فخاضَ في أحشائهِ

وقال آخر

ليل يجر من الصباح ذلاذلا (٢)

ومن مليح التشبيه وبديعه .. قول ابن المعتز

والصبح يتلو المشترى فكأنه عُريانُ يمشى فى الدجى بسراجِ

وقوله فى صفة فرس

ومحجل غير اليمين كأنه مُتبخترٌ يمشى بكمٍّ مُسبل

وقال اعرابى

بغزوٍ كولغِ الذيب عادٍ ورائحٍ وسير كصدرِ السيفِ لايتعرجِ

وقول ابن الرقاع

---

(١) العرفج ــ ضرب من النبات سهلى سريع الانقياد واحدته عرفجة واختلفوا فى شكله

(٢) الذلاذل ــ بالذال أسافل القميص الطويل الواحد ذلذل مثل قمقم وقماقم

ترجي أغنّ كأنّ ابرَة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدَادَها

وقول الطرماح

يبدو وتضمره البلاد كأنه ... سيف على شرف يُسل ويغمد

وقول ذى الرمة فى الحرباء

ودَوّيّة جرداء حدّاء خيمتْ ... بهاهبوات الصيف من كل جانب[1]

كأنّ يدَىْ حربائها متململاً ... يدا مذنبٍ يستغفر الله تايبِ

وقوله فيها

وقد جعلَ الحرباءُ يصفر لونه ... ويخضر من حرّ الهجير غباغبه

ويسبحُ بالكفين حتى كأنه ... أخو فجرَةٍ عالى به الجذعَ صالبه

أخذه البحترى . . فقال

فتراهُ مطرِداً على أعواده ... مثل اطرادِ كواكب الجوزاءِ

مستشرفاً للشمس منتصباً لها ... فى أخرياتِ الجذع كالحرباءِ

وقال ذو الرمة

يصلى بها الحرباءُ للشمس ماثِلاً ... على الجذلِ الا أنه لايكبرُ

اذا حوّل الظل العشىِّ رأيته ... حنيفا وفى قرْن الضحى ينتصرُ

— الحرباء — دويبة كالعضاية (٢) تأتى شجرة تعرف بالتنضبة (٣) فتمسك

---

(١) الدوية — الفلاة الواسعة : وقيل اذا كانت بعيدة الاطراف مستوية واسعة — والجرداء — التى لا نبات فيها — والهبوات — جمع هبوة بالفتح الغبرة

(٢) العظاية — وفى نسخة — العظأة — بالهمزة حيوان على خلقة سام ابرص اعيظم منها شيئاً (٣) التنضبه — واحدة التنضب شجرله شوك قصار وليس من شجر الشواهق تألفه الحرابى : وقد اعتيد ان تقطع منه العصى الجياد

بيديها غصنين منها وتقابل بوجهها الشمس فكيف مادارت الشمس دارت معها فاذا غربت الشمس نزات فرعت . . والحرباء فارسيـة معربة وانما هى خربا أى حافظ الشمس والشمس تسمى بالفارسية خر : وقد ملح ابن الرومى فى ذكرها حيث يقول فى قينة

ما بالها قدْ حسنتْ ورقيبها أبداً قبيحٌ قبيح الرقباءُ
ماذاكِ الا انها شمس الضحى أبداً يكون رقيبها الحرباءُ

وقال ابن الرومى ايضا فى مضلوب

(كمْ بأرض الشأ آمْ غادرْتَ منهم غايراً مُوفياً على أهـل نجـدِ)
يلعبُ الدَّستَبندَ فَرْداً وانْ كان له شاغلٌ عن الدَّستَبندِ [1]

وقال ابن المعتز

وقدعلاَ فوقَ الهلالِ كرته كهامةِ الأسود شابتْ لحيتهُ

وقال

(ورأسه كمثل فرْقٍ قدْ مطرْ) وصدْغه كالصولجان المنكسر [2]

ومن بديع التشبيه . . قول الآخر

بيضاء تسحبُ من قيام فرعها وتغيبُ فيه وهو جَثلٌ أسحمُ [3]

---

(١) الدستبند ـ لعبة للمجوس يدورون وقد امسك بعضهم يد بعض كالرقص ذكره فى أقرب الموارد : والدستبند مركب من دست بند : فالدست الغلب فى الشطرنج فارسية : والبند بيدق منعقد بفرزان

(٢) الفرق ـ بالسكون الطائر ـ والصولجان ـ المحجن : وهذا البيت والذى قبله من ارجوزة له فى الملح والاوصاف . . أولها

لى صاحب قد لامنى وزادا فى تركى الصبوح ثم عادا

(٣) الجثل ـ الكثير الملتف من فرعها أى شعرها ـ والاسحم ـ الأسود

فكأنها فيه نهار ساطع ... وكأنه ليلٌ عليها مظلم

ومن بديعه : قول مسلم

أجدّكِ ما تدرين أنْ رُبّ ليلة ... كأنْ دجاها من قرونك تنشر

وقول الفرزدق

والشيب ينهض في الشباب كأنه ... ليلٌ يصيح بجانبيه نهارُ

وقلت

شمس هوتْ وهلال الشهر يتبعها ... كأنها سافرٌ قدّامُ منتقبِ

تبدو الثريا وأمر الليل مجتمع ... كأنها عقربٌ مقطوعةُ الذنب

وقلت

تلوح الثريا والظلامُ مقطبٌ ... فيضحك منها عنْ أغرّ مفلجِ

تسير وراءً والهلالُ امامها ... كما أومأت كف الى نصف دُملجِ

(وقال عبد الله بن المعتز)

(أهلاً وسهلا بالناءى والعود ... وكأسِ ساق كالغصن مقدودِ)

(قد انقضتْ دولة الصيام وقدْ ... بشر سقمُ الهلالِ بالعيدِ)

وقال آخر

تبدو الثريا كفاغر شرهٍ ... يفتحُ فاهُ لأكل عنقود [1]

قال ابو الحرث * جميز . . فلان كالمشجب

---

(١) الفاغر — من فغر فمه اذا فتحه — والشره — الشديد الحرص على الطعام وجاء في نسخة : كفاغر فمه الخ البيت وقد نسبه لابن المعتز منضما لقوله (اهلا وسهلا) البيتان ولا يصح أن يكون ذلك من صنيع المؤلف لاختلاف الوزن ؛ على ان البيت لم أجده في ديوان ابن المعتز

(١) من حيث لقيته لا . . فقال ابو العبر *

لو كنتَ من شيء خلافك لم تكنَ لتكونَ الاّ يشجباً في مشجبِ

ياليتَ لي من جلد وجهك رقعة فأقدّ منها حافراً للاشهبِ

وقال بعض الحكماء : العقل كالسيف والنظر كالمسن . . ونظر عبادة * الى سوداء تبكي .. فقال .. كانها تنور شنان (١) يكف : فنظمته وقلت

سوداءً تذرفُ دمعها مثل الاتونِ اذا وكفْ

وقال ابن المعتز

وكأنَّ عقربَ صدْغه وقفتْ لما دنتْ من نار وجنتهِ

وقلت

كأنَّ نهوض النجم والافق أخضرُ تبلجُ ثغرٍ تحت خضرةِ شاربِ

وقال أوس بن حجر

حتى تلف بدوركم وقصورِكم جمعٌ كناصية الحصان الاشقرِ

وقلت

بكرْنا اليه والظـلامُ كأنه غرابٌ على عُرْفِ الصباح يرنق[٢]

وقلت

اذا التوي الصدغ فوق وجنته رأيتَ تفاحةً بها عضـه

وقلت

---

(١) المشجب ـ خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر وقيـل خشبتان. وقوله ـ لا ـ هكذا وقع فى اكثر النسخ وكأنه اراد بها صورة المشجب على انه خشبتان

(٢) الشنان — واحده شنة الخلق من كل آنية صنعت من جلد

(٣) الترنيق — رفرفة جناح الطائر : وتقدم ذكره

والغيم يأخذه ريح فتنفشه كالقطر يندف فى زرق الدواويج [1]

وقلت

وقهوة من يد المغنوج صافية كأنها عصرت من خد مغنوج

وقلت (٢)

قم بنا نذعر الهموم بكأس والثريا لمفرق الليل تاج

وقد انجرت المجرة فيه كسبيب يمده نساج

وقلت

وكأن النجوم والليل داج نقش عاج يلوح فى سقف ساج

وقلت

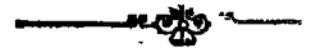
كأن السميريات فيه عقارب تجىء على زرق الزجاج وتذهب

وقلت

فأذريت دمعا بالدماء مصبغا كما يتواهى عقد عقد منشق

وقد باشر الليل الصباح كأنه بقية كحل فى حماليق أزرق

وهذا الجنس كثير وفيما أوردته كفاية ان شاء الله



(١) قوله — والغيم الخ هكذا وقع لنا فى اصح نسخ الاصول وليحرر

(٢) نذعر — بمعنى نطرد — والسبيب — لعله من السب بالكسر ويطلق على الخمار والعمامة وشقة كتان رقيقة والسبيبة مثله ولم يحك فى اللسان السبيب وجاء فى نسخة واحدة العسيب وذلك جريد النخل

الفصل الثانى

فى البيان عن قبح التشبيه وعيوبه

والتشبيه يقبح إذا كان على خلاف ماوصفناه فى أول الباب من اخراج الظاهر فيه الى الخافى . والمكشوف إلى المستور . والكبير إلى الصغير : كما قال النابغة

تخدي بهم أدم كأنّ رحالها ... علق اريق على متون صوار (١)

وقال لبيد

فخمة دفراء ترتى بالعرى ... قردمانيا وتركا كالبصل (٢)

وقال خفاف بن ندبة

أبقي لها التعداء من عتداتها ... ومتونها كخيوطة الكتان (٣)

العتدات — القوايم — والمتون — الظهور : يقول دقت حتى صارت متونها وقوايمها كالخيوط (٤): وهذا بعيد جدا : ومثل هذا محمود غير معيب عند اصحاب الغلو ومن يقول بفضله : واذا شبه أيضاً صغيراً بكبير وليس بينهما مقاربة فهو معيب أيضا . كقول ساعدة بن جوية

---

(١) تخدى — من الخدى وذلك سرعة السير من البعير وغيره مع زج قوائمه — والادم — الابل التى فى لونها أدمة — والعلق — الدلو — والمتن — الظهر والصوار بالكسر والضم القطيع من البقر وجاء فى نسخة صوارم جمع صارم

(٢) تقدم ذكره فى صحيفه ٨١ فراجعه

(٣) التعداء — حضر الفرس وغيره من عدا يعدو عدوا وتعداء

(٤) جاء فى نسخة (وأراد ضلوعها فقال متونها) وذلك بدل قوله: دقت حتى صارت متونها وقوايمها كالخيوط

كساها رطيب الريش فاعتدلت لها ... قداح كأعناق الظباء الفوارق (١)

شبه السهام بأعناق الظباء وليس بينهما شبه . . ولو وصفها بالدقة لكان أولى) ومن معيب التشبيه : قول بشر

وجرّ الرامسات بها ذيولا ... كأن شمالها بعد الدبور (٢)

رماد بين أظآر ثلاث ... كما وشم النواشر بالنؤور (٣)

فشبه الشمال والدبور بالرماد . . ومن خطاء التشبيه : قول الجعدى *

كأن حجاجَ مقلتها قليب ... (من السمقين أخلق مشتءاها (٤)

والحجاج ـ العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب : وليس هـذا مما يغور وانما تغور العين : ومن التشبيه الكريه المتكلف : قول زهير

فزل عنه وأوفى رأس مرقبة ... كمنصب العتر دمّي رأسه النسك (٥)

ومن التشبيه الردىء اللفظ : قول أوس بن حجر

كأن هرا جنينا تحت غرضتها ... والتف ديك برجليها وخنزير (٦)

---

(١) فى نسخة ـ قداح كأعناق الظباء رقاق

(٢) الرامسات ـ الرياح الدوافن للآثار . ومثله الروامس . وجاء فى نسخة الوامسات

(٣) الاظار ـ جمع واحده ظأر بالفتح وذلك الشىء مع شىء مثله فهو ظأر ـ والنؤور ـ دخان الشحم يعالج به الوشم ليخضر

(٤) هكذا عجز البيت وجدته ملحقا بهامش نسخة واحدة ولم أقف على معناه فليحرر

(٥) العتر ـ بالكسر الصنم يعتر له أى يذبح له . ويروى البيت كناصب العتر قال فى اللسان يريد كمنصب ذلك الصنم الذى يدمي رأسه بدم العتيرة

(٦) هكذا فى اصح النسخ . وفى نسخة (كان هراجنبيا عند غرضتها) وفى أخرى (حنينا تحت غرضتها) وفى رابعة ـ عرضتها ـ بالعين المهملة فليحرر

وأعجب من هذا : قول بشار

وبعض الجود خنزير [1]

ومن بعيد التشبيه : قولى اعرابى

وما زلتَ ترجوا نيل سلمى وودها ... وتبعد حتى أبيض منك المسايح [2]

ملاَ حاجبيك الشيب حتى كأنه ... ظباء جرتْ منها سنيح ويارح

فشبه شعرات بيضاً فى حاجبيه بظباء سوانح وبوارح : وقال ابو تمام

كأنى حين جرّدْتَ الرجاءَ له ... عضب صببت بهماءً على الزمن [3]

ولا يكاد يرى تشبيه أبرد من هذا . وكتب آخر الى اخ له يعتذر من ترك زيارته . قد طلعت فى احدى أنثيي بثرة فعظمت حتى كانها الرمانة الصغيرة .وقال على الاسوارى * . فلما رأيته اصفر وجهى حتى صاركانه (لون) الكشوث(٣) وقال له محمد بن * الجهم . كم آخذ من الدواء الذى جئت به . قال مقدار بعرة . فجاء بلفظ قذر ولم يبن عن المراد لان البعر يختلف فى الكبر والصغر ولايعرف أبعرة ظبي اراد أم بعرة شاة أم بعرة جمل . ومن التشبيه المتنافر . قول الجمانى يصف ليلا

كأنما الطرف يرمي فى جوانبه ... عن العمي وكان النجم قنديل

اجتماع ـ العمى والقنديل ـ فى غاية التنافر ومن ردىء التشبيه .قول ابن المعتز

أرى ليلا من الشعر ... على شمس من الناس

الجمع بين ـ الليل والناس ـ ردىء وقد وقع ها هنا بارداً

---

(١) هكذا فى اكثر النسخ : وفى نسخة الجرد كما تقدم التمثيل به فليحرر

(٢) المسايح ـ جوانب الرأس

(٣) نسخة ـ (غضا اخذت به سيفا على الزمن) وكذا فى نسخة ديوانه

(٤) الكشوث ـ نبات مجتث مقطوع الاصل وقيل لا أصل له وهو اصفر يتعلق باطراف الشوك

الباب الثامن (*)

فى ذكر السجع والازدواج

لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً يخلو من الازدواج . ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن لانه فى نظمه خارج من كلام الخلق وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل فى أوساط الآيات فضلا عما تزاوج فى الفواصل منه (١) : كقول الله تعالى (الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور) وقوله عز وجل (ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم) وقوله تعالى (ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) وقوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم) الى غير ذلك من الآيات . . وأما ما زوج بينه بالفواصل فهو كثير . مثل قوله تعالى (فاذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب) وقوله سبحانه (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر) وقوله عز وجل (والعصر إن الانسان لفى خسر) وقوله جل ذكره (وانه هو أضحك وأبكى وانه هو أمات وأحيا) وهذا من المطابقة التى لا تجد فى كلام الخلق مثلها حسنا ولا شدة اختصار على كثرة المطابقة فى الكلام . . وكذلك جميع ما فى القرآن مما يجرى على التسجيع (٢) والازدواج

(*) التفات ـ وقع فى مقدمة المؤلف ان هذا الباب فصلان كأنه يريد أن يتكلم على السجع فى فصل وعلى الازدواج فى فصل آخر وهنا أدمج الكلام عليهما معاً وقدم ذكر الثانى على الاول . ولئلا يظن المطالع بأن فى النسخ سقطا أو يتوهم شيئاً منا فنبناه على ذلك

(١) نسخة ـ بالفاصل منه

(٢) التسجيع ـ التكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن وصاحبه سجاعة . قال القاضى أبو بكر الباقلانى وتحديد معنى السجع ـ هو موالاة الكلام

مخالف فى تمكين المعنى وصفاء اللفظ وتضمن الطلاوة والماء (١) لما يجرى مجراه من كلام الخلق .. الا ترى قوله عز اسمه (والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا) قد بان عن جميع أقسامهم الجارية هذا المجرى من مثل .. قول الكاهن .. والسماء والارض . والقرض والفرض . والغمر والبرض (٢) . ومثل هذا من السجع مذموم لما فيه من التكلف والتعسف . . ولهذا ما قال النبي ﷺ لرجل . . قال له أندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل . فمثل ذلك يطل (٣) أسجعاً كسجع الكهان . . لان التكلف فى سجعهم فاش ولو كرهه عليه الصلاة والسلام لكونه سجعا لقال أسجعاً ثم سكت وكيف يذمه ويكرهه وإذا أسلم من التكلف وبرئ من التعسف لم يكن فى جميع

على وزن واحد — قلت وقد اختلف العلماء فى نسبة السجع الى القرآن . فقال القاضى أبو بكر الباقلانى فى كتابه اعجاز القرآن ذهب أصحابنا كلهم الى نفى السجع من القرآن (وأراد بهم أصحاب أبى منصور الما تريدى) وذكره أبو الحسن الاشعرى فى غير موضع من كتبه ثم قال بعد أن ذكر حجة القائلين به : ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم (أى العرب) ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز ولو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا شعر معجز وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفى الشعر لان الكهانة تنافى النبوات وليس كذلك الشعر الى آخر ما حكاه فى كتابه المذكور والحاصل ان المعتمد من مذهب أهل السنة نفى السجع من القرآن حتى انهم كرهوا تكلفه فى الدعاء والخطب

(١) فى نسخة بحذف — والماء وفى ثالثه وأما ما يجرى الخ

(٢) البرض — القليل وماء برض قليل وهو خلاف الغمر

(٣) قوله أندى الخ المعتمد فى الرواية كيف ندى من الدية وذلك حق القتيل وقد ساق الازهرى القصة ونقلها عنه فى اللسان . فقال قال الازهرى ولما قضى النبى ﷺ فى جنين امرأة ضربتها الاخرى فسقطميتا بغرة على عاقلة الضاربة قال رجل منهم

صنوف الكلام أحسن منه .. وقد جرى عليه كثير من كلامه عليه السلم .. فمن ذلك ما حدثنا به يوسف الامام * بواسط قال حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله أبو شهاب * عن عوف * عن زرارة * بن اوفى عن عبدالله بن * سلام .. قال لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس قبله فقيل قدم رسول الله فجئت فى الناس لانظر اليه فلما تبينت وجهه عرفت انه ليس بوجه كذاب فكان أول شيء تكلم به ان (قال) .. أيها الناس افشوا السلام . واطعموا الطعام . وصلوا الارحام . وصلوا بالليل والناس نيام . تدخلوا الجنة بسلام (وكان) ﷺ ربما غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الالفاظ واتباع الكلمة اخواتها . . كقول ﷺ . . أعيذه من الهامة . والسامة . وكل عين لامة . وإنما أراد ـ ملمة ـ وقوله عليه السلام . ارجعن مأزورات . غير مأجورات وإنما أراد ـ موزورات ـ من الوزر فقال مأزورات لمكان مأجورات قصداً للتوازن وصحة التسجيع .. فكل هذا يؤذن بفضيلة التسجيع على شرط البراءة من التكلف والخلو من التعسف .. وقد اعتمد فى موضع تجنب السجع وهو معرض له وكلامه كان يطالبه (فقال) وما يدريك نه شهيد .. لعله كان يتكلم بما لايعنيه ويبخل بما لاينفعه ولو قال بما لا يغنيه لكان سجعا . . والحكيم العليم بالكلام يتكلم على قدر المقامات . . ولعل قوله — ينفعه — كان اليق بالمقام فعدل اليه (١)

كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل ومثل دمه يطل: قال ﷺ إياكم وسجع الكهان. وفى رواية ذكرها القاضي أبو بكر الباقلانى اسجاعة كسجاعة الكهان ـ وقوله يطل ـ من طل دمه بالفتح اهدره كما أجازه الكسائى

(١) ملحق — عقد الشيخ ضياء الدين أبو الفتح نصر الله صاحب المثل السائر فى كتابه المذكور فصلا طويلا فى هذا الباب وحذى حذو المصنف وأربى عليه حتى تكلف إلى أن جعل ماورد من نظم القرآن غير مسجع لارادة الايجاز والاختصار . ثم أورد حديث النهي عن التسجيع وتخرج منه بما لايحسن صدوره من امثاله ولا أراه إلا يتغالى فى الفن الذى هو يدعي السبق فيه . ولولا خوف

والسجع على وجوه . فمنها أن يكون الجزآن متوازنين متمادلين لا يزيد احدهما على الآخر مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه . وهو كقول الاعرابى .. سنة جردت . وحال جهدت . وأيد جمدت . فرحم الله من رحم. فاقرض من لا يظلم . فهذه الاجزاء متساوية لازيادة فيها ولا نقصان والفواصل على حرف واحد : ومثله قول آخر من الاعراب .. وقد قيل له من بقى من اخوانك .. فقال كاب نابح . وحمار رامح . وأخ فاضح .. وقال اعرابى لرجل سأل لئيما .. نزلت بواد غير ممطور . وفناء غير معمور . ورجل غير مسرور . فاقم بندم . أو ارتحل بعدم . ودعا اعرابى .. فقال اللهم هب لى حقك . وارض عنى خلقك . . وقال آخر . . شهادات الاحوال . اعدل من شهادات الرجال .. ودعا اعرابى .. فقال أعوذ بك من الفقر إلا اليك . ومن الذل إلا لك .. وقال اعرابى ذهب بابنه السيل .. اللهم ان كنت قد ابليت . فانك طال ماعافيت .. وقيل لاعرابى ماخير العنب .. قال ماخضر عوده . وطال عموده وعظم عنقوده .. وقال اعرابى . . باكرنا وسمى . ثم خلفه ولى . فالارض كأنها وشى منشور . عليه لؤلؤ منثور . ثم اتتنا غيوم جراد . بمناجل حصاد . فاحترثت البلاد . واهلكت العباد . فسبحان من يهلك

سا مة المطالع من الاطالة لنقلت كلامه . وقد قال القاضى أبو بكر الباقلانى الذى يقدرونه أنه سجع فهو وهم لانه قد يكون الكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعا لان مايكون به الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض لان السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع وليس كذلك ماتفق مما هو فى تقدير السجع من القرآن لان اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى وفصل بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بالفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت افادة السجع كافادة غيره ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى الخ ومن تأمل هذا الفصل بطوله وما ذهب اليه المصنف وثم صاحب المثل السائر يظهر له الحق والله ولى التوفيق

القوى الأكول . بالضعف المأكول .. فهذه الفصول متوازية لازيادة فى بعض اجزائها على بعض بل فى القليل منها وقليل ذلك مغتفر لايعتدبه . فمن ذلك قوله — فسبحان من يهلك القوى الأكول — فيه زيادة على مابعده وهو حسن

ومنها أن يكون الفاظ الجزئين المزدوجين مسجوعة فيكون الكلام سجعا فى سجع وهو مثل . . قول البصير * حتى عاد تعريضك تصريحا . وتمريضك تصحيحا .. فالتعريض والتمريض سجع . والتصريح والتصحيح سجع آخر فهو سجع فى سجع .. وهذا الجنس إذا سلم من الاستكراه فهو احسن وجوه السجع ومثله قول الصاحب .. لكنه عمد للشوق فأجرى جياده غرا وقرحا . وأورى زناده قدحا فقدحا .. (وقوله) هل من حق الفضل تهضمه شغفا ببلدتك . وتظلمه كلفا باهل جلدتك . .(وقوله) وقد كتبت إلى فلان مايوجز الطريق الى تخلية نفسه .. وينجز وعد الثقة فى فك حبسه .. فهذان الوجهان من اعلى مراتب الازدواج والسجع

والذى هو دونهما ..أن تكون الاجزاء متعادلة وتكون الفواصل على احرف متقاربة المخارج اذا لم يمكن أن تكون من جنس واحد .. كقول بعض الكتاب اذا كنت لاتؤتى من نقص كرم . وكنت لاأوتى من ضعف سبب . فكيف اخاف منك خيبة أمل . أو عدولا عن اغتفار زلل . أو فتوراً عن لم شعث . أو قصورا عن اصلاح خلل (فهذا) الكلام جيد التوازن ولو كان بدل — ضعف سبب — كلمة آخرها ميم ليكون مضاهيا لقوله — نقص كرم — لكان اجود وكذلك القول فيما بعده

والذى ينبغى أن يستعمل فى هذا الباب ولا بد منه هو الازدواج . . فان امكن أن يكون كل فاصلتين على حرف واحد أو ثلاث أو أربع لايتجاوز ذلك كان احسن فان جاوز ذلك نسب إلى التكلف . . وان امكن أيضاً أن تكون الاجزاء متوازية كان اجمل وان لم يكن ذلك فينبغى أن يكون الجزء الاخير اطول .. « على » أنه قد جاء فى كثير من ازدواج الفصحاء ماكان الجزء الاخير منه اقصر .. « حتى » جاء فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم منه شىء كثير .. كقوله للانصار

يفضلهم على من سواهم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع . «وقوله» ﷺ . رحم الله من قال خيراً فغنم . أو سكت فسلم .. وكقول اعرابى . فلان صحيح النسب . مستحكم السبب . من أى اقطاره أتيته أتى اليك بحسن مقال . وكرم فعال .. وقال آخر من الاعراب .. اللهم اجعل خير عملى . ماولى أجلى

وينبغى أيضاً أن تكون الفواصل على زنة واحدة وان لم يمكن أن تكون على حرف واحد فيقع التعادل والتوازن .. كقول بعضهم . اصبر على حر اللقاء . ومضض النزال وشدة المصاع (١) ومداومة المراس . فلو قال على حر الحرب . ومضض المنازلة . لبطل رونق التوازن . وذهب حسن التعادل .

ومن عيوب الازدواج التجميع . وهو ان تكون فاصلة الجزء الاول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثانى . مثل ماذكر قدامة * ان كاتبا كتب . وصل كتابك فوصل به مايستعبد الحر وان كان قديم العبودية . ويستغرق الشكر وان كان سالفه ودك لم يبق منه شيئا . فالعبودية بعيدة عن مشاكلة منه .

ومن عيوبه التطويل . وهو ان تجىء بالجزء الاول طويلا فتحتاج الى اطالة الثانى ضرورة . مثل ماذكر قدامة ان كاتبا كتب فى تعزية . اذا كان للمحزون فى لقاء مثله أكبر الراحة فى العاجل . فأطال هذا الجزء وعلم ان الجزء الثانى ينبغى ان يكون طويلا مثل الاول وأطول . فقال وكان الحزن راتبا اذا رجع الى الحقايق وغير زائل . فأتى باستكراه وتكلف عجيب وقد أعجب العرب السجع حتى استعملوه فى منظوم كلامهم وصار ذلك الجنس من الكلام منظوما فى منظوم وسجعا فى سجع . وهذا مثل قول امرىء القيس

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا (٢)

(١) المصاع ـ القتال والمجالدة . وفى اللسان ماصع قرنه جالده بالسيف ونحوه

(٢) الشظى ـ عظم لاصق بالذراع فاذا زال قيل شظيت الدابة . والشظى ايضا انشقاق العصب ـ والشوى ـ اليدان والرجلان ـ والشنج ـ التقبض والقصر ـ والنسا ـ عرق فى الفخذ . ولا يقال عرق النسا كما لا يقال عرق الاكحل لان الاكحل

وقوله

وأوتاده ماذية وعماده ردينية (فيها أسنة قعضبِ) (١)

وقوله

فتور القيام قطيع الكلام يفتر عنْ ذى غروب خصر (٢)

وسمى أهل الصنعة هذا النوع من الشعر المرصع وستراه فى موضعه مشروحاً مستقصى ان شاء الله تعالى



الباب التاسع

فى شرح البديع وهو خمسة وثلاثون فصلا

الفصل الاول فى الاستعارة والمجاز ، الفصل الثانى فى التطبيق ، الفصل الثالث فى التجنيس ، الفصل الرابع فى المقابلة ، الفصل الخامس فى صحة التقسيم ، الفصل السادس فى صحة التفسير ، الفصل السابع فى الاشارة ، الفصل الثامن فى الارداف والتوابع ، الفصل التاسع فى المماثلة ، الفصل العاشر فى الغلو ، الفصل الحادى عشر فى المبالغة ، الفصل الثانى عشر فى الكناية والتعريض ، الفصل الثالث عشر فى العكس والتبديل ، الفصل الرابع عشر فى التذييل ، الفصل الخامس عشر فى الترصيع الفصل السادس عشر فى الايغال ، الفصل السابع عشر فى الترشيح ، الفصل الثامن عشر فى رد الاعجاز على الصدور ، الفصل التاسع عشر فى التكميل والتتميم ، الفصل

هو العرق لان الشىء لا يضاف الى نفسه . وعجز البيت (له حجبات مشرفات على الفالى) الحجبات رؤوس عظام الوركين . والفالى اللحم الذى على الورك

(١) ماذية ــ الماذية الدروع البيض ــ والردينية ــ الرماح وتقدم ذكر نسبتها وقعضب ــ رجل كان فى الجاهلية يصنع الرماح

(٢) الغروب ــ حدة الاسنان وماؤها ــ والخاصر البارد

العشرون في الالتفات ، الفصل الحادى والعشرون فى الاعتراض ، الفصل الثانى والعشرون في الرجوع ، الفصل الثالث والعشرون فى تجاهل العارف ، الفصل الرابع والعشرون في الاستطراد ، الفصل الخامس والعشرون فى جمع المؤتلف والمختلف الفصل السادس والعشرون فى السلب والايجاب ، الفصل السابع والعشرون فى الاستثناء ، الفصل الثامن والعشرون فى المذهب الكلامى ، الفصل التاسع والعشرون فى التشطير ، الفصل الثلاثون فى المحاورة ، الفصل الحادى والثلاثون فى الاستشهاد والاحتجاج ، الفصل الثانى والثلاثون فى التعطف ، الفصل الثالث والثلاثون فى المضاعف ، الفصل الرابع والثلاثون فى التطريز ، الفصل الخامس والثلاثون في التلطف ،

فهذه أنواع البديع التي ادعى من لا رواية له ولا رواية عنده ان المحدثين ابتكروها وان القدماء لم يعرفوها . وذلك لما أراد ان يفخم أمر المحدثين . لان هذا النوع من الكلام اذا سلم من التكلف . وبرئ من العيوب . كان فى غاية الحسن . ونهاية الجودة وقد شرحت فى هذا الكتاب فنونه . وأوضحت طرقه . وزدت على ما أورده المتقدمون ستة أنواع . التشطير . والمحاورة . والتطريز . والمضاعف . والاستشهاد . والتلطف . وشذبت على ذلك فضل تشذيب (١) . وهذبته زيادة تهذيب . وبالله استعين على ما يزلف لديه ويستدعى الاحسان من عنده . وهو تعالى وليه ومو ليه ان شاء الله



(١) الشذب — بفتحتين قشر لحاء الشجرة وكذا قطع اغصانها المتفرقة لاصلاحها وشذبت بالتثقيل مثله أو للمبالغة والتكثير وكل شيء هذبته بتنحية غيره عنه فقد شذبته — والتشذيب — ايضا يطلق على العمل الاول فى القدح

الفصل الاول

فى الاستعارة والمجاز

الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها فى أصل اللغة الى غيره لغرض وذلك الغرض (اما) أن يكون شرح المعنى وفضل الابانة عنه (أو تأكيده والمبالغة فيه (أو) الاشارة اليه بالقليل من اللفظ (أو) يحسن المعرض الذى يبرز فيه . وهذه الاوصاف موجودة فى الاستعارة المصيبة.. ولولا ان الاستعارة المصيبة تتضمن مالا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا . والشاهد على ان للاستعارة المصيبة من الموقع ما ليس للحقيقة ان قول الله تعالى (يوم يكشف عن ساق) ابلغ وأحسن وأدخل مما قصد له من قوله لو قال ــ يوم يكشف عن شدة الامر ــ وان كان المعنيان واحداً . . الا ترى انك تقول لمن تحتاج الى الجد فى امره . . شمر عن ساقك فيه . واشدد حيازيمك له . . فيكون هذا القول منك اوكد فى نفسه من قولك جد فى امرك . وقول دريد بن الصمة *

كميشُ الازار خارج نصفُ ساقه ۝ صبورٌ على العزّاء طلاعُ أنجدِ (١)

وقال الهذلى

وكنت اذا جارى دعا لمضوفةٍ ۝ أشمّر حتى ينصفَ الساقَ مئزَرى

ومن ذلك قوله تعالى (ولا يظلمون نقيراً) (ولا يظلمون فتيلا) وهذا أبلغ من قوله سبحانه (ولا يظلمون شيئا) وان كان فى قوله ــ ولا يظلمون شيئا انفى لقليل الظلم وكثيره فى الظاهر . . وكذا قوله تعالى (ما يملكون من قطمير)

---

(١) كميش الازار ــ بمعنى قصيره ــ وقوله طلاع انجد ــ كلمة تستعملها العرب بمعنى ضابط للامور غالب لها . ومثله قولهم . طلاع نجاد . وطلاع النجاد وطلاع انجدة

ابلغ من قوله تعالى (ما يملكون شيئا) وان كان هذا أنفى لجميع ما يملك فى الظاهر . . وتقول العرب ــ ما زرأته زبالا ــ والزبال ما تحمله النملة بفيها يريدون ما نقصته شيئا . وقال النابغة

يجمع الجيش ذا الألوف ويغدو   ثم لا يرزأ العدوّ فتيلا (١)

ولو قلت ايضا ما يملك شيئا البتة وما يظلمون شيئا لما عمل عمل قولك . ما يملكون قطميرا . ولا يظلمون نقيراً . . وان كان فى الاول ما يؤكده من قولك البتة وأصلا كذا حكاه لى ابو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان . . وليس يقتضى هذا انهم يظلمون دون النقير . أو يملكون دون القطمير . بل هو نفى لجميع الملك والظلم لا يشك فى ذلك من يسمعه

وفضل هذه الاستعارة وما شا كلها على الحقيقة انها تفعل فى نفس السامع ما لا تفعل الحقيقة . ومن غير هذا النوع قوله تعالى (سنفرغ لكم ايها الثقلان) معناه سنقصد . . لان القصد لا يكون الا مع الفراغ ثم فى الفراغ ها هنا معنى ليس فى القصد وهو التوعد والتهديد . . الا ترى قولك سأفرغ لك يتضمن من الايعاد ما لا يتضمنه قولك سأقصد لك . وهكذا قوله تعالى (وأفئدتهم هوآء) اى لا تعى شيئا . . لان المكان اذا كان خاليا فهو هوآء حتى يشغله شيء . . تعالى (اعثرنا عليهم) معناه اطلعنا عليهم . . والاستعارة ابلغ . . لانها تتضمن وقولك هذا أوجز من قولك لا تعى شيئا فللايجاز فضل الحقيقة . وكذلك قوله تعالى (أعثرنا عليهم) معناه اطلعنا عليهم . . والاستعارة أبلغ لانها تتضمن معنى غفلة القوم عنهم حتى اطلعوا عليهم . . وأصله ان من عثر بشيء وهو غافل نظر اليه حتى يعرفه فاستعير الاعثار مكان التبيين والاظهار . ومنه قول الناس —

(١) الالوف ــ هكذا فى الاصول بالضم ولعله جمع الف كما حكاه فى اللسان عن بعضهم ــ وقوله لا يرزأ ــ أى لا يبر العدو من رزأ فلان فلانا اذا أبره ــ فتيلا ــ أى شيئاً قليلا : قال ابن السكيت القطمير القشرة الرقيقة على النواة والفتيل ما كان فى شق النواة

ما عثرت من فلان على سوء قط ـ أى ما ظهرت على ذلك منه . ومنه قوله عز اسمه (اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) فاستعمل النور مكان الهدى لانه ابين والظلمة مكان الكفر لانها اشهر . وكذلك قوله تعالى (ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك) وأصل الوزر ما حمله الانسان على ظهره. ومن ذلك قوله عز وجل (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها) اى احمالا من حليهم فذكر الحمل وأراد الاثم لما فى وضع الحمل عن الظهر من فضل الاستراحة وحسن ذكر انقاض الظهر وهو صوته لذكر الحمل لان حامل الحمل الثقيل جدير بانقاض الظهر والاوزار أيضا السلاح . ومنه قوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) وقال الشاعر

واعددتُ للحرب أوزارها رِماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا[1]

وقوله تعالى (ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه) أى ترخصوا . والاستعارة ابلغ . . لان قولك اغمض عن الشيء ادعي الى ترك الاستقصاء فيه من قولك رخص فيه . . وكذلك قوله تعالى (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) معناه فانه يماس المرأة وزوجها ويماسها . . والاستعارة ابلغ . . لانها ادل على اللصوق وشدة المماسة ويحتمل ان يقال انهما يتجردان ويجتمعان فى ثوب واحد ويتضامان فيكون كل واحد منهما للآخر بمنزلة اللباس فيجعل ذلك تشبيها بغير اداة التشبيه.

ولا بد لكل استعارة ومجاز من حقيقة وهى أصل الدلالة على المعنى فى اللغة : كقول امرء القيس .

(وقَدِ أغتدي والطيرُ فى وكناتها بمنجردٍ) قيد الاوابد (هيكل)[2]

(١) قائله الاعشى : قال فى اللسان قال ابن برى وصواب انشاده بفتح التاء من اعددت لانه يخاطب هوذة بن على الحنفى وقبله

ولما لقيت مع المخطرين وجدت الاله عليهم قديرا

(٢) الوكنات ـ وفى نسخة الوكرات المواضع التى تأوى اليها الطير فى رؤس الجبال ـ والمنجرد ـ الفرس القصير الشعر وذلك من صفة الخيل العتاق وقيد

والحقيقة مانع الاوابد من الذهاب والافلات والأستعارة ابلغ . . لان القيد من اعلا مراتب المنع عن التصرف لانك تشاهد مافي القيد من المنع فلست تشك فيه . . وكذلك قولهم ـ هذا ميزان القياس ـ حقيقته تعديل القياس . . والاستعارة ابلغ . . لان الميزان يصور لك التعديل حتى تعاينه وللعيان فضل على ماسواه . . وكذلك ـ العروض ميزان الشعر ـ حقيقته تقويمه : ولا بد أيضا من معنى مشترك بين المستعار والمستعار منه : والمعنى المشترك بين ـ قيد الاوابد ومانع الاوابد ـ هو الحبس وعدم الافلات وبين ـ ميزان القياس ـ وتعديله ـ حصول الاستقامة وارتفاع الحيف والميل الى احد الجانبين . وهكذا جميع الاستعارات والمجازات : ومن ذلك قوله تعالى (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) حقيقته عمدنا . . وقدمنا ابلغ . . لانه دل فيه على ما كان من إمهاله لهم حتى كأنه كان غايبا عنهم ثم قدم فاطلع منهم على غير ما ينبغي فجازاهم بحسبه : والمعنى الجامع بينهما . . العدل فى شدة النكير لان ـ العمد ـ الى ابطال الفاسد عدل : واما قوله (هباء منثورا) فحقيقته ابطلناه حتى لم يحصل منه شيء . والاستعارة ابلغ . . لانه اخراج مالا يرى الى مايرى والشاهد ايضا على أن الاستعاره ابلغ من الحقيقة ان قوله تعالى (انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) حقيقته علاوطما والاستعارة أبلغ . . لان فيها دلالة القمر . . وذلك ان الطغيان علو فيه غلبة وقهر

المنجرد الذى ينجرد من الحلبة أى يتقدمها ـ والاوابد ـ واحدة آبدة الوحش قيل لها ذلك لانها تعمر على الابد قال الاصمعي لم يمت وحش حتف انفه وانما يموت على آفة وجعله قيداً لها لأنه سبقها فكأنه قيدها ـ والهيكل ـ الفرس الفخم المشرف قاله الوزير ابو بكر عاصم : وقال القاضى ابو بكر الباقلانى فى الاعجاز ويرونه (أى قوله قيد الاوابد) من الالفاظ الشريفة وعنى بذلك انه اذا ارسل هذا الفرس على الصيد صار قيداً لها وقيد الالحاظ . وقيد الكلام . وقيد الحديث . وقيد الرهان (الي ان قال) وذكر الاصمعى وابوعبيدة وحماد وقبلهم ابوعمرو انه احسن فى هذه اللفظة وانه اتبع فيها فلم يلحق

وكذلك قوله تعالى (بريح صرصر عاتية) حقيقته شديدة .. والاستعارة ابلغ..
لان العتو شدة فيها تمرد : وقوله تعالى (سمعوا لها شهيقا وهى تفور تكاد تميز من
الغيظ) حقيقة الشهيق ها هنا الصوت الفظيع وهما لفظتان والشهيق لفظة واحدة
فهو اوجز على مافيه من زيادة البيان ـ وتميز ـ حقيقته تنشق من غير تباين :
والاستعارة ابلغ . . لان التميز فى الشيء هو ان يكون كل نوع منه مباينا لغيره
وصايرا على حدته وهو ابلغ من الانشقاق لان الانشقاق قد يحصل فى الشيء من
غير تباين والغيظ حقيقته شدة الغليان وانما ذكر الغيظ لان مقدار شدته على
النفس مدرك محسوس ولان الانتقام منا يقع على قدره ففيه بيان عجيب وزجر
شديد لاتقوم مقامه الحقيقة البتة : وقوله تعالى (ولما سكت عن موسى الغضب)
معناه ذهب وسكت ابلغ . . لان فيه دليلا على موقع العودة فى الغضب اذا تؤمل
الحال ونظر فيما يعود به عبادة العجل من الضرر فى الدين كما ان الساكت يتوقع
كلامه : وقوله تعالى (ذرنى ومن خلقت وحيداً) وحقيقته ذر بأسى وعذابى
الا ان الاول ابلغ فى التهدد . . كما تقول اذا أردت المبالغة والايعاد ذرنى واياه
ولو قال ذر ضربى له وانكارى عليه لم يسد ذلك المسد ولعله لم يكن حسناً مقبولا
وقوله عز وجل (فمحونا آية الليل) معناه كشفنا الظلمة . والاول ابلغ . لانك
اذا قلت محوت الشيء فقد بينت انك لم تبق له أثرا . وإذا قلت كشفت الشيء
مثل الستر وغيره لم تبن انك اذهبته حتى لم تبق له اثراً . وقوله سبحانه (وجعلنا
آية النهار مبصرة) حقيقته مضيئة . والاستعارة أبلغ . لانها تكشف عن وجه
المنفعة وتظهر موقع النعمة فى الابصار وقوله تعالى (واشتعل الرأس شيبا)
حقيقته كثر الشيب فى الرأس وظهر . والاستعارة ابلغ . لفضل ضياء النار على
ضياء الشيب فهو اخراج الظاهر الى ماهو اظهر منه ولانه لايتلافى انتشاره فى
الرأس كما لايتلافى اشتعال النار: وقوله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه)
حقيقته بل نورد الحق على الباطل فيذهبه . . والقذف ابلغ من الايراد . .
لان فيه بيان شدة الوقع وفى شدة الوقع بيان القهر وفى القهر هاهنا بيان
إزالة الباطل على جهة الحجة لا على جهة الشك والارتياب والدمغ أشد من الاذهاب

لان فى الدمغ من شدة التأثير وقوة النكاية ما ليس فى الاذهاب : وقوله تعالى (عذاب يوم عقيم) وقوله عز اسمه (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) فالعقيم التى لا تجىء بولد والولد من أعظم النعم وأجسم الخيرات ولهذا قالت العرب. شوهاء ولود. خير من حسناء عقيم . فلما كان ذلك اليوم لم يأت بمنفعة حين جاء ولم يبق خيرا حين مر سمى عقيما .. ويمكن أن يقال انما سمى عقيما لانه لم يبق أحداً من القوم كما أن العقيم لا يخلف نسلا وسمى الريح عقيما لانها لم تأت بمطر ينتفع به ويبقى له أثر من نبات وغيره كما أن العقيم من النساء لا تأتى بولد يرجى . وفضل الاستعارة على الحقيقة فى هذا .. ان حال العقيم فى هذا أظهر قبحاً من حال الريح التى لا تأتى بمطر .. لان العقيم كان عند العرب أكره وأشنع من ريح لا تأتى بمطر لان العادة فى أكثر الرياح أن لا تأتى بمطر وليست العادة فى النساء أن يكون أكثرهن عقيما : وقوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) وهذا الوصف إنما هو على ما يتلوح للعين لا على حقيقة المعني .. لان الليل والنهار اسمان يقعان على هذا الجو عنـد اظلامه لغروب الشمس وإضاءته لطلوعها وليسا على الحقيقة شيئين يسلخ أحـدهما من الآخر إلا أنهما فى رأى العين كانهما ذلك والسلخ يكون فى الشىء الملتحم بعضه ببعض . . فلما كانت هوادى الصبـح عند طلوعه كالملتحمة باعجاز الليل أجرى عليها اسم السلخ فكان أفصح من قوله ـ يخرج ـ لان السلخ أدل على الالتحام المتوهم فيهما من الاخراج . . وقوله تعالى (فأنشرنا به بلدة ميتا) من قولهم انشر الله الموتى فنشروا .. وحقيقته أظهرنا به النبات . الا ان أحياء الميت أعجب فعبر عن اظهار النبات به فصار أحسن من الحقيقة .. وقوله تعالى (أتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) يعنى الحرب فنبه على ماله تخاف الحرب وهو شوكة السلاح وهى حده فصار أحسن من الحقيقة لانبائه عن نفس المحذور . . الا ترى ان قولك لصاحبك — لاوردنك على حد السيف — أشد موقعا من قولك له — لاحاربنك . . وقوله تعالى (واذا مسه الشر فذو دعاء عريض أى

كثير(١) . والاستعارة أبلغ لان معنى العرض فى مثل هذا الموضع التمام .. قال كثير

انت ابن فُرْعي قريشٍ لو تقايسها في المجد صار اليك العرضُ والطولُ

أى صار اليك المجد بتمامه.. وقد يكون كبير غير تام.. وقوله تعالى (والصبح اذا تنفس) حقيقته اذا انتشر .. وتنفس أبلغ لما فيه من بيان الروح عن النفس عند اضاءة الصبح لان الليل كرباً وللصبح تفرجا .. قال الطرماح

على ان للعينين فى الصبح راحةً بطرحهما طرفيهما كل مطرحِ

والراحة التى يجدها الانسان عند التنفس محسوسة .. وقوله تعالى (مستهم البأساء والضراء وزلزلوا) حقيقته أزعجوا .. والزلزلة أبلغ لانها أشد من الازعاج ومن كل لفظة يعبر بها عنه ايضاً .. وقوله تعالى (افرغ علينا صبرا) حقيقته صبرنا .. والاستعارة أبلغ .. لان الافراغ يدل على العموم معناه ارزقنا صبراً يعم جميعنا كافراغك الماء على الشئ فيعمه .. وقوله سبحانه (ضربت عليهم الذلة) حقيقته حصلت الا أن للضرب تبييناً ليس للحصول وقالوا — ضرب على فلان البعث — أى أوجب واثبت عليه والشيء يثبت بالضرب ولا يثبت بالحصول. والضرب أيضاً ينبئ عن الاذلال والنقص فى ذلك الزجر وشدة النقير عن حالهم .. وقوله تعالى (فنبذوه وراء ظهورهم) حقيقته غفلوا عنــه .. والاستعارة أبلغ : لان فيه اخراج مالا يرى الى ما يرى .. ولان ما حصل وراء ظهر الانسان فهو أجرى بالغفلة عنه مما حصل قدامه. وقوله تعالى (انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً (لاولنا) حقيقته ذا سرور .. والاستعارة أبلغ : لان العادة جرت فى الاعياد بتوفير

---

(١) قوله كثير — هكذا فى اكثر النسخ وفى نسخة كبير . وفى اللسان فى مادة ع ر ض وقوله تعالى (فذو دعاء عريض) اى واسع وإن كان العرض إنما يقع فى الاجسام والدعاء ليس بجسم ثم قال وقيل أراد كثير فوضع العريض موضع الكثير لان كل واحد منهما مقدار وكذلك لو قال طويل لوجه على هذا فأفهم والذى تقدم أعرف انتهى

السرور . عند الصغير والكبير . فتضمن من معنى السرور مالا تتضمنه الحقيقة .
وكذلك قوله عزاسمه (واذارأيت الذين يخوضون فى آياتنا) وقوله تعالى (فدلاهما
بغرور) أخرج مالا يرى من تنقصهم بآيات القرآن الى الخوض الذى يرى. وعبر
عن فعل ابليس الذى لايشاهد بالتدلى من العلو الى سفل وهو مشاهد . ولما
كانوا يتكلمون فى آيات القرآن ويتنقصونها بغير بصيرة شبه ذلك بالخوض لان
الخائض يطأ على غير بصيرة .. وكذلك قوله تعالى (ويبغونها عوجاً) حقيقته.. (١)
لان الاعوجاج مشاهد والخطأ غير مشاهد : وكذلك قوله سبحانه (أو آوى الى
ركن شديد) أى الى معين . . والاستعارة أبلغ : لان الركن مشاهد والمعين لا
يشاهد من حيث انه معين . . وكذلك قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك) حقيقته لا تكونن ممسكا . . والاستعارة ابلغ : لان الغل مشاهد والامساك
غير مشاهد فصور له قبح صورة المغلول ليستدل به على قبح الامساك : وقوله
تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الا كبر) حقيقته لنرينهم ..
والاستعارة ابلغ : لان حس الذائق لادراك ما يذوقه قوى وللذوق فضل على

---

(١) ذكر العلامة عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام فى كتابه (الاشارة والايجاز فى بعض أنواع المجاز) قال فى فصل عقده لذكر أنواع من مجاز التشبيه (النوع الرابع ذم الاقوال والافعال بلفظ الاعواج) الاعواج الحقيقى ذم فى الاجرام ويتجوز بعوج المعانى عن نقصها وعيبها وله مثالان : احدهما قوله (ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا) أى ويطلبون لها عيبا وذما . الثانى قوله (ولم يجعل له عوجا قيما) اى ولم يجعل له عيبا كالتناقض والاختلاف وهذا من مجاز تشبيه المعانى بالاجرام وفيه نظر من جهة اختلاف حركتى العين والمجاز أن يستعمل اللفظ الحقيقى بسكناته وحركاته فيما تجوز به عنه انتهى : وقول المصنف الاعواج اى على وزن الافعلال لانه لا يقال معوج على وزن مفعل إلا للشئ الذى يركب فيه العاج (فائدة) العوج بفتح العين مختص بكل شخص مرئى كالاجسام وبالكسر بما ليس بمرأى كالرأى والقول كذا قاله ابن الاثير فى النهاية

غيره من الحواس . . الا ترى ان الانسان اذا رأى شيئا ولم يعرفه شمه فان عرفه والا ذاقه لما يعلم ان للذوق فضلا فى تبين الاشياء : وقوله تعالى (فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عدداً) حقيقته معنى الاحساس (١) باذانهم من غير صمم يبطل آلة السمع كالضرب على الكتاب يمنع من قرآءته ولا يبطله . . والاستعارة ابلغ : لايجازه واخراج ما لا يرى الى ما يرى : وقوله عز اسمه (واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) ليس فى جميع القرآن ابلغ ولا أفصح من هذا . . وحقيقة القرض ها هنا أن الشمس تمسهم وقتا يسيراً ثم تغيب عنهم . . والاستعارة ابلغ : لان القرض أقل فى اللفظ من كل ما يستعمل بدله من الالفاظ وهو دال على سرعة الارتجاع . . والفائدة أن الشمس لو طاولتهم بحرها لصهرتهم (٢) وانما كانت تمسهم قليلا بقدر ما يصلح الهوآء الذى هم فيه لان الشمس اذا لم تقع فى مكان أصلا فسد

فهذه جملة مما فى كتاب الله عز وجل من الاستعارة ولا وجه لاستقصاء جميعه لان الكتاب يخرج عن حده

وأما ما (جاء) فى كلام العرب منه ـ فمثل قولهم ـ هذا رأس الأمر ووجهه وهذا الأمر فى جنب غيره يسير — ويقولون — هذا جناح الحرب وقلبها . . وهؤلاء رؤس القوم وجماجمهم وعيونهم . . وفلان ظهر فلان . . ولسان قومهم ونابهم وعضدهم . . وهذا كلام له ظهر وبطن . . وفى العرب الجماجم . والقبائل . والافخاذ . . والبطون . . وخرج علينا عنق (٣) من الناس . . وله عندى يد بيضاء

(١) قوله حقيقة معنى الاحساس هكذا فى النسخ ولعل العبارة حقيقته منع معنى الاحساس فسقط لفظ المنع كما هو المستفاد من تمام العبارة فليحرر

(٢) الصهر — هنا بمعنى الاذابة من قولهم صهر الشحم ونحوه يصهره صهراً أذابه

(٣) العنق ـ بالضم الجماعة الكثيرة من الناس مذكر والجمع أعناق واليه ذهب اكثر المفسرين فى تأويل قوله تعالى (فظلت اعناقهم لها خاضعين) أى جماعاتهم كذا فى اللسان

وهذه سرة الوادى .. وبابل عين الاقاليم .. وهذا انف الجبل .. وبطن الوادى ويسمون النبات نوءاً قال

وجف أنواءُ السحاب المرتَزِقْ

أى جف البقل — ويقولون — للمطر سماء : قال الشاعر (١)

اذا سقطَ السماءُ بأرض قومٍ رعيناهُ وانْ كانوا غضابا

ويقولون — ضحكت الارض .. اذا انبتت : لانها تبدى عن حسن النبات كما يفتر الضاحك عن الثغر ـ ويقال ـ ضحكت الطلعة .. والنور يضاحك الشمس: قال الاعشى

يضاحك الشمس منها كوكب شرقٌ موزّر بعميم النبتِ مُكتهلُ

ويقولون ـ ضحك السحاب بالبرق .. وحن بالرعد .. وبكى بالقطر ـ ويقولون لقيت من فلان عرق القربة . . أى شـدة ومشقة : واصل هذا أن حامل القربة يتعب من نقلها حتى يعرق ـ ويقولون ايضاً ـ لقيت منه عرق الجبين ـ والعرب تقول ـ بارض فلان شجر قد صاح : وذلك إذا أطال فتبين للناظر بطوله . ودل على نفسه : لان الصائح يدل على نفسه ـ ويقولون ـ هذا شجر واعد .. اذا اقبل بماء ونضرة : كانه يعد بالثمر : قال سويد بن أبى كاهل (٢)

لماعٌ تهاداهُ الدكادكُ واعِدُ

(١) قائله ـ معاوية بن مالك المشهور بمعود الحكماء . . وسمى بذلك لقوله فى هذه القصيدة

اعود مثلها الحكماء بعدى اذا ما الحق فى الحدثان نابا

(٢) اللماع ـ نبات لين من احرار البقول فيه ماء كثير لزج ـ والدكادك ـ واحده دكدك . ودكداك . . قال فى اللسان قال الاصمعى . . وذلك من الرمل ما التبد بعضه على بعض بالارض ولم يرتفع كثيرا .. وقال فى اللسان البيت لسويد بن كراع يصف ثوراً وكلابا . . وصدره (رعى غير مذعور بهن وراقه) الخ

ومثله : قول الشاعر

يريد الرمح صدر أبي براءٍ ويرغبُ عن دماءِ بني عقيل

ومثله قوله تعالى (جداراً يريد أن ينقض) وأنشد الفراء *

انّ دهراً يلفّ شملي بسلمى لزمانٌ يهم بالاحسانِ

ومما فى كلام النبي ﷺ . والصحابة رضى الله عنهم .ونثر الاعراب . ونصول الكتاب من الاستعارة : قوله ﷺ (الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة) . . وقال طفيل

وللخيل أيام فمن يصطبر لها ويعرف لها أيامها الخير تعقب

وقول النبي ﷺ (كلما سمع هيعة طار اليها (١)) وقوله ﷺ (اكثروا من ذكر هادم اللذات) وقال عليه الصلاة والسلام (البلاء موكل بالمنطق) ورأى عليا مع فاطمة رضى الله عنهما فى بيت فرد عليهما الباب وقال (جدع الحلال نف الغيرة) .

وقال على رضى الله عنه ـ السفر ميزان القوم ـ وقوله ـ فأما وقد اتسع نطاق الاسلام فكل امرء وما يختار (٢) وقوله لابن عباس رضى الله عنه ـ ارغب راغبهم واحلل عقدة الخوف عنهم ـ وقوله ـ العلم قفل ومفتاحه المسئلة ـ وقوله . (٣)

---

(١) الهيعة ـ الصوت الذى تفزع منه وتخافه من عدو كذا فى اللسان وصدر الحديث : خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلما الخ الحديث

(٢) قوله وما يختار ـ الذى فى غير أصول الكتاب كل امرىء وما اختار وفى رواية فأمرأ وما اختار . وذلك حين قيل له لم لا تخضب فان رسول الله ﷺ قد خضب فقال انما كان ذلك والدين فى قل فأما الخ وفى رواية والاسلام بدل قوله والدين

(٣) فى غير نسخ الكتاب . سئل على رضى الله عنه بعض كبراء فارس عن احمد ملوكهم عندهم فقال لازدشير فضيلة السبق غير ان احمدهم أنو شروان قال فأى اخلاقه كان أغلب عليه قال الحلم والاناة فقال على رضى الله عنه هما توأمان ينتجهما علو الهمة

الحلم والاناءة توأمان . نتيجتهما علو الهمة — وقوله — لبعض الخوارج والله ما عرفته حتى فغر الباطل فمه . فنجمت نجوم قرن الماعزة (١) وقال فى بعض خطبه يصف الدنيا — ان امرءاً لم يكن منها فى فرحة . الا اعقبته بعدها ترحة . ولم يلق من سرائها بطناً . الا منحته من ضرائها ظهراً . ولم تطله فيها غيابة رخاء . الا هبت عليه مزنة بلاء . ولم يمس منها فى جناح أمن . الا أصبح منها على قوادم خوف .

وقال أبو بكر رضى الله عنه — ان الملك اذا ملك زهده الله فى ماله . ورغبه فيما فى يدى غيره . واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل . ويسخط الكثير جذل الظاهر . حزين الباطن . فاذا وجبت نفسه . ونضب عمره . وضحا ظله . حاسبه الله عز وجل فأشد حسابه . وأقل عفوه .

(وكتب خالد بن الوليد رضى الله عنه *) الى مرازبة فارس — الحمد لله الذى فض خدمتكم . وفرق كلمتكم (٢) (وقالت عائشة رضى الله عنها) كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة (٣) (وقال الحجاج) دلونى على رجل سمين الامانة . اعجف الخيانة (وقال عبد الله بن وهب الراسبى لاصحابه) لا خير فى الرأى الفطير . والكلام العضيب (٤) فلما بايعوه . قال دعوا الرأى يغب فان غبوبه يكشف لكم عن محضه

(١) قوله فنجمت — أى نبعت .. وفلان منجم الباطل والضلالة أى معدنه

(٢) قوله خدمتكم — قال القاضى أبو بكر الباقلانى فى الاعجاز الخدمة الحلقة المستديرة ولذلك قيل للخلاخيل خدام

(٣) قوله ديمة — الديمة المطر الدائم فى سكون شبهت عمله صلى الله عليه وسلم فى دوامه مع الاقتصاد بديمة المطر الدائم واصل الحديث وسئلت رضى الله عنها عن عمل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبادته فقالت (كان عمله ديمة)

(٤) قوله العضيب — على وزن فعيل هكذا فى النسخ وفى بعضها بالصاد المهملة فالاول من العضب وذلك بمعنى القطع وقد جاء فى كلامهم ويريدون به التمدح والثانى من الشدة وكلاهما بعيد عن المعنى وفى غير اصول الاصل اقتصار على الجملة الاولى فليحرر

(وقيل لاعرابى) انك لحسن الكدنة . قال ذاك عنوان نعمة الله عندى (وقال اكثم بن صيفى) الحلم دعامة العقل . وسئل عن البلاغة (فقال) دنوا المأخذ . وقرع الحجة . وقليل من كثير (وقال خالد بن صفوان) لرجل رحم الله اباك فانه كان يقرى العين جمالا . والاذن بيانا (وقيل لاعرابية)) اين بلغت قدرك . . قالت حين قام خطيبها (وقيل لاعرابية) كم أهلك . . قالت أب وأم وثلاثة أولاد أنا سبيل عيشهم (وقيل) لرؤبة كيف تركت ماوراك : قال التراب يابس . والمال عابس (وقال المنصور) لبعضهم بلغنى انك بخيل : فقال : ماجمد فى حق . ولا اذوب فى باطل (وقال ابراهيم الموصلى) قلت للعباس بن الحسن * انى لاحبك قال : رائد ذاك عندى (وقال بعضهم) الاستطالة . لسان الجهالة (وقال يحى بن خالد) الشكر كفء النعمة (وقال أعرابى) خرجت فى ليلة حندس . القت على الارض أكارعها (١) فمحت صورة الابدان . فما كنا نتعارف الا بالاذان (وقال اعرابى لآخر) تسار النفس . خير من يسار المال . ورب شبعان من النعم . غرثان (٢) من الكرم . (وغزت نميراً حنيفة) فاتبعتهم نمير فاتوا عليهم فقيل لرجل كيف كان القوم : فقال . اتبعوهم والله رفدا حقبوا كل جمالية خيفانة فماذا لوا يحصفون اثار المطى بحوافر الخيل . فلما لقوهم جعلوا المران أرشية الموت فاستقوا بها ارواحهم (٣) (وقال آخر) فلان أملس ليس فيه مستقر لخير ولا لشر (وقال احمد بن يوسف) وقد شمه رجل بين يدى المأمون . رأيته يستملى ما يلقانى به من عينيك (وقيل لاعرابى أى الطعام أطيب) . قال الجوع ابصر

---

(١) اكارع ـ الارض اطرافها القاصية . . وقيل الكراع ركن من الجبل يعرض فى الطريق

(٢) الغرث ـ أيسر الجوع وقيل شدته وقيل هو الجوع عامة

(٣) الحقب ـ بالتحريك الحزام الذى يلى حقو البعير ـ والخيفانة ـ الفرس وتقدم تفسيرها والحصف ـ العدو واحصف الرجل والفرس اذا عدا عدواً شديدا والمران — الرمح

(ومدح اعرابى رجلا) فقال كان يفتح من الرأى أبوابا منسدة ويغسل من العار وجوها مسودة (ومدح اعرابى رجلا) فقال كان والله اذا عرضت له زينة الدنيا هجنتها زينة الحمد عنده . وان للصنايع لغارة على أمواله . كغارة سيوفه على أعدائه (ومدح اعرابى قوماً)فقال: اوائك غرر تضىء من ظلم الامور المشكلة . قد صغت آذان المجد اليهم (وقال اعرابى يمدح رجلا) انه ليعطى عطاء من يعلم ان الله مادته (ومدح اعرابى رجلا) فقال : إن أسأت اليه أحسن . وكأنه المسىء . وإن اجرمت اليه غفر . وكأنه المجرم . اشترى بالمعروف عرضه من الاذى . فهو ولو كانت له الدنيا بأسرها فوهبها . أرى بعد ذلك عليه حقوقا . لا يستعذب الخنا . ولا يستحسن غير الوفا

(وذم اعرابى رجلا) فقال . يقطع نهاره بالمنى . ويتوسد ذراع الهم اذا أمسى (وذم اعرابى رجلا) فقال . ان فلانا ليقدم على الذنوب .اقدام رجل قدم فيها نذراً . أو يرى ان فى اتيانها عذرا (وقال إعرابى لرجل) لاتدنس شعرك بعرض فلان . فانه سمين المال . مهزول المعروف قدير عمر المنى . طويل حيات الفقر (وسأل اعرابى) فقيل له عليك بالصيارف . فقال . هناك قرارة اللؤم (وذكر اعرابى قوما) فقال : اولئك قوم قد سلخت اقفاؤهم بالهجا . ودبغت جلودهم باللؤم فلباسهم فى الدنيا الملامة . وزادهم فى الآخرة الندامة (وذم اعرابى قوما) فقال هم أقل دنواً الى اعدائهم . واكثر تجرما على اصدقائهم . يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء . (وذم اعرابى رجلا) فقال ذاك رجل تعدو اليه مواكب الضلالة . ويرجع من عنده ببدور الاثام . معدم مما يحب . مثر مما يكره .

(وقال اعرابى) ما أشد جولة الهوى . وفطام النفس عن الصبى . ولقد تصدعت نفسى للعاشقين . لوم العاذلين قرطة فى آذانهم . ولوعات الحب نيران فى أبدانهم (وقال اعرابى) ما رأيت دمعة ترقرق فى عين . وتجرى على خد . أحسن من عبرة أمطرتها عينها . فأعشب لها قلبى (وقال اعرابى) وذكر قوما زهاداً . فاز قوم ادبتهم الحكمة . واحكمتهم التجارب . ولم تغررهم السلامة المنطوية على

الملكة . ورحل عنهم التسويف الذى قطع به الناس مسافة آجالهم . فأحسنوا المقال . وشفعوه بالفعال . تركوا النعيم ليتنعموا .لهم عبرات متدافقة . لاتراهم إلا فى وجه عند الله وجيها (ووصف اعرابى واليا) فقال : كان اذا ولى طابق من جفونه . وأرسل العيون على عيونه . فهو شاهد معم . فالمحسن آمن . والمسىء خالف (ووصف اعرابى داراً) فقال هى والله معتصرة الدموع . جرت بها الرياح اذيالها . وحلت بها السحاب اثقالها . (وذكر اعرابى رجلا) فقال . كان الفهم منه ذا أذنين . والجواب منه ذا لسانين . لم أر أحداً كان ارتق لخلل الرأى منه كان والله بعيد مسافة الرأى . يرمى بطرفه حيث اشار الكرم . يتحسى مرارة الاخوان . ويسيغهم العذب .. (ووصف اعرابى قومه) فقال : كانوا والله اذا اصطفوا تحت القتام . سفرت بينهم السهام . بوقوف الحمام . وإذا تصافحوا بالسيوف . فغرت المنايا افواهها . فكم من يوم عارم قد أحسنوا ادبه . وحرب عبوس قدضاحكتها اسنتهم . وخطب شئز قدذللوا منا كبه . انما كانوا كالبحر الذى لا ينكش غماره . ولا ينهنه تياره (١) .. (وقيل لاعرابى) يزعم فلان انه كساك ثوبا . فقال : ان المعروف اذا من كدر . وإذا محض أمر . ومن ضاق قلبه اتسع لسانه . (وذكر اعرابى رجلا) فقال . كلامه منقوض آثار القطا . وهو مع ذا رث عقال المودة . مسود وجه الصداقة . ولئن كان لبنى الآدميين سباخ انه لمن سباخ بنى آدم . (وقيل لاعرابى) لم لا تشرب النبيذ . فقال . لا اشرب ما يشرب عقلى .. (وقال معاوية) العيال أرضة المال .. (وقال خالد بن صفوان) اياكم ومجانيق الضعفاء (٢) (وقال) لا تضع معروفك عند فاجر . ولا احمق . ولا لئيم .. فان الفاجر يرى ذلك ضعفا . والاحمق لا يعرف ما اوتى اليه فيشكره

(١) العارم ـ الشديد ـ والشئز ـ الموضع الغليظ الكثير الحجارة — وقوله لاينكش غماره ـ أى لاينزف ماءه

(٢) المجانيق ـ جمع واحده منجنيق بفتح الميم وكسرها القذاف التى ترمى بها الحجارة فارسى معرب من (جى نيك) أى ماأجودنى أورده فى اللسان

على مقدار عقله . والائيم سبخة لاينبت شيئا ولايثمر . ولكن اذا رأيت الثرى الثرى . فازرع المعروف . تحصد الشكر . وأنا الضامن .. (وأهدت امرأة من العجم) الى هوى لها فى يوم نوروز وردا (وكتبت اليه) هذا اليوم أحد فتيان الدهر وشباب أقسامه . والقصف فيه عروس . والورد فى البرد . كالدر فى النحر . وقد بعثت اليك منه مهراً ليومك . فزوج السرور من النفس . والطرب من القلب ولا تستقل براً . فانا لانستكثر على قبوله شكراً .. (وقال آخر) فى رجل: ماذا تثير الخبرة من دفاين كرمه .. (وقال اعرابى) لخصمه : اما والله لئن هملجت إلى الباطل . انك عن الحق لقطوف . ولئن ابطأت عنه . لتسرعن اليه : فاعلم أنه لم يعد لك الحق . عدلك الباطل . والآخرة من ورائك . . (وقال آخر) الخط مركب البيان . (وقال آخر) القلم لسان اليد .. (وسمعت) بعض الاطباء يقول الماء مطية الطعام (وقال) الحسن بن وهب لكاتبه : لاترق ماء معروفى بالمن. فان اعتدادك بالعرف . يعقل لسان الشكر وامثال هذا كثير فى منثور الكلام وفيما أوردته كفاية ان شاء الله

فأما الاستعارة من اشعار المتقدمين .. فمثل قول امرىء القيس (١)

وليل كموج البحر مرخ سدوله ... علىّ بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تمطىّ بصلبه ... واردف أعجازاً وناءَ بكلكل

وقال زهير

صحا القلبُ عن ليلى واقصر باطله ... وعرّى افراس الصبى ورواحله

وقول امرىء القيس

(١) قال الباقلانى . هذه كلها استعارات أتى بها فى ذكر طول الليل — وصلبه فقار ظهره وكل شىء من الظهر فيه فقار فذلك الصلب وجاءت رواية الصلب فى عامة النسخ وكذا أورده قدامة فى النقد والباقلانى فى الاعجاز والتنوخى فى اقصى القريب .. والذى فى رواية ديوانه المطبوع والجمهرة لابى زيد (لما تمطى بجوزه — وجوزه وسطه — والكلكل — الصدر وتقدم تفسيره

فبات عليه سرجه ولجامه وبات بعينى قائما غير مرسل

أى كنت أراه وأحفظه .. وعلى هذا مجاز قوله عز وجل (تجرى بأعيننا) .

وقال زهير

اذا سدّت به لهوات ثغر يُشار اليه جانبه سقيمُ [1]

وقال النابغة

وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همه تضاعف فيه الحزنُ من كلّ جانبِ [2]

وفى هذا البيت ليس مثله فى بيت زهير . . وقال عنترة

جادَتْ عليه كل بكرٍ حرةٍ فتركن كل قرارةٍ كالدرهم [3]

وقال مهلهل

تلقى فوارسَ تغلبَ ابنةِ وائلٍ يستطعمونَ الموت كل همام

---

(١) نسخة — متى تسدد به لهوات ثغر الخ — اللهوات — جمع لهاة بالفتح . . قال فى اللسان ولكل ذى حلق لهاة واللهاة أقصى الفم . . وقال ابن سيده هى اللحمة المشرفة على الحلق

(٢) قال الباقلانى — استعاره من اراحة الابل (أى ردها) الى مواضعها التى تأوى اليها بالليل . . وقال القتيبى يقول رد عليه الليلى ما كان عازبا (أى بعيداً) من همه وذلك ان المهموم يتعلل بالنهار ويشتغل فاذا أمسى الفرد بهمه فتضاعف عليه أى صار ضعفا فوق ضعف

(٣) فى نسخة — كل بكر ثرة . . ويروى هكذا

جادت عليه كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم

البكر — السحابة . . والحرة — السحابة الكثيرة المطر — والقرارة — القاع المستدير ولذا شبهه بالدرهم .. وفى الصحاح — عين ثرة — سحابة تأتى من قبل قبلة أهل العراق وأنشد البيت

وقال زهير

اذا لقحت حرب عوان مضرة ضروس تهر الناس أنيابها عُصل (١)

أخذه من قول اوس (بن حجر)

واني امرؤ أعددتْ للحرب بعد ما رأيت لها نابا من الشر أعصلا

وقال المسيب بن علس

وانهم قد دعوا دعوةً سيتبعها ذنبٌ أهلب

أراد جيشا كثيفا (٢) . . وقال الاسود بن يعفر

فأدّ حقوقَ قومك واجتنبهم ولا يطنح بك العز الفطير (٣)

أراد عزا ليس بالمحكم كفطير العجين . والفطير من الجلد مالم يدبغ . وقال طفيل (الغنوى)

وجعلتُ كوري فوقَ ناجيةٍ يقتاتُ شحم سنامها الرُّحلُ (٤)

---

(١) البيت أنشده فى المختارات (وإن لقحت الخ) وقال فى تفسيره — لقحت — أى هاجت — والحرب العوان — التى كانت قبلها حرب وتقدم تفسير ذلك — والضروس — العضوض (أى السيئة الخلق) — والعصل — المعوج ضربه مثلا لان البعير اذا أسن اعوج نابه .. يقول هذه حرب قديمة قد أسنت

(٢) فسر الجيش الكثيف من قوله ذنب أهلب والاهلب الكثير الشعر كما تقدم

(٣) يطنح — بالحاء المهملة بعد النون وفى نسخة بالخاء المعجمة .. قال فى اللسان طنحت الابل وطخنت بشمت وقيل بالحاء سمنت وبالخاء المعجمة بشمت حكى ذلك الازهرى عن الاصمعى

(٤) الذى فى الاصل هكذا — لعتات شحم الخ — ولم أقف على هذه المادة . . وأنشده فى النقد هكذا

وحملت كورى فوق ناجية يقتات شحم سنامها الرحل

وفى اللسان (يقتات فضل سنامها الرحل) — الكور — الرحل وقيل الرحل

وقال الحرث بن حلزة

حتى اذا التفع الظباءُ بأطرا ... فِ الطلال وقلنَ فى الكنسِ

الالتفاع — لبس اللفاع وهو اللحاف . . ومثله قول الشماخ

اذا الأَرْطى توسدَ أبرَدَيه ... خدودُ جوازىءٍ بالرمل عين[1]

أبرداه — ظل الغداة والعشى — توسدته — جعلته بمنزلة الوساده . وقال آخر

ومهمةٍ فيه السرابُ يسبحُ ... يدأب فيه القومُ حتى يطلحوا

ثم يبيتون كأن لم يبرحوا ... كأنما أمسوا بحيث أصبحوا

وقال عمرو بن كلثوم *

ألا أبلغِ النعمان عنى رسالةً ... فمجدك حولى ولؤمك قارح[2]

وقال الحطيئة ... الا ياقبِ عادم النظراتِ

باداته — وناجية — وصف للناقة اذا كانت تنجو بمن ركبها — وقوله يقتات — قال فى اللسان قال ابن الاعرابى معناه يذهب به شيئاً بعد شىء وقال ابن سيده عندى أن يقتاته هنا يأكله فيجعله قوتا لنفسه ولم أسمع هذا الذى حكاه ابن الاعرابى الا فى هذا البيت وحده فلا أدري أتأول منه أم سماع سمعه

(١) الأرطى — واحدته ارطاة شجر ينبت بالرمل . . قال فى اللسان قال أبو حفيفة هو شبيه بالغضى ينبت عصيا من اصل واحد يطول قدر قامة وله نور مثل نور الخلاف (اى الصفصاف) ورائحته طيبة — والجوازئ — الجازئ الذى يجوز لطلب الجائزة وهى السقية من المـاء سقى أو لم يسق — وعين — جمع عيناء وهى الواسعة العين وأصله فعل بالضم وأراد بذلك بقر الوحش فان ذلك صفة غالبة لهم

(٢) حولى — أى اتى عليه حول — وقارح — القارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من البعير ولا يبزل البعير (أى لا يشق نابه) الا اذا أطعن فى التاسعة . . وأراد أن مجده ابن عام ولكن لؤمه مسن

وقال الجعدى

فان يَطف أُصحابه يَرسبُ

وقال أبو ذؤيب

واذا المنيةُ أنشبتْ أظفارها

وقال أبو خراش (الهذلى) *

أردّ شجاعَ البطنِ لو تعلمينهُ وأوثرغيرى من عيالِك بالطعمِ [1]

وقال لبيد

فبذلك اذ رقصَ اللوامعُ بالضحى واجتنابَ أرْديةَ السرابِ إكامها

وقال ايضا

وغداة ريحٍ قدْ كشفتُ وقرّةٍ اذ أُصبحتْ بيد الشمال ذمامها

وقال أوس بن مغراء (٢)

يشيبُ على لؤم الفعال كبيرها ويُغذى بثدى اللوم منها وليدها

وقال الاخطل

واهجرك هجرانا جميلا وتستحى لنا من ليالينا العوادِم أول

وقال آخر

قوم اذا الشر أبدى ناجذَيه لهم طاروا اليه زرَافات ووحدانا [3]

---

(١) شجاع البطن — شدة الجوع . . حكاه الازهرى عن الاصمعى . . وقال أنشد البيت يخاطب به امرأته

(٢) سماه فى النقد أوس بن معز . . وقال يهجو به بنى عامر

(٣) الزرافات — الجماعات . . قال ابو عبيدة اتونى بزرافتهم بالتشديد أى بجماعتهم قال فى اللسان والتخفيف أجود ولا يحفظ التشديد عن غير ابى عبيدة

وقال

هم ساعد الدهر الذى يُتقي به　　وماخير كفّ لاتنوء بساعدِ

وقال آخر

سأبكيك للدنيا وللدّين انني　　رأيت يدَ المعروف بعدك شلّتِ

وقال المقنع

أسد به ماقد أخلوا وضيعوا　　ثغور حقوق ماأطاقوا الهاسدّا

وقال آخر　　وذابَ للشمس لُعاب فنزل

أخذه من قول النابغة

اذا الشمس مجّتْ ريقها بالـكلا كل

وقال آخر

جاء الشتاء واجثألّ القـبر　　وطلعتْ شمسٌ عليها مغفر [١]

جعل قطعة السحاب الى جانب الشمس معفراً لهـا ـ واجثأل ـ انتفش . .

وقال الحطيئة

وما خلت سلمى قبلها ذاتَ رحلةٍ　　اذا قسوريُّ الليل جيئتْ سرابلهْ [٢]

وقال أيضاً

ولوْ وأعطونا الذى سئلو　　من بعد موتِ ساقطٍ ازره

إنا لنشكوهم وإنْ كرموا　　ضربا يطـير خلاله شرره

(١) نسبه فى اللسان لجندل بن المثنى . . وزاد (وجعلت عين الحرور تسكر) القبر ـ واحده قبرة طائر يشبه الحمرة والعامة تقول القنبرة وهكذا انشد هذا الرجز ابو عبيدة . . وتسكر أى يذهب حرها .

(٢) قسورى الليل ـ نصفه الاول . . وقيل هو من أوله الى السحر

وقال أبو دواد

وقد اغتدى فى بياض الصباح　　　وأعجاز ليـلٍ مولّى الذنبْ

وقال الأفوه

عافوا الأتاوةَ واستقتْ أسلافهم　　　حتى ارتووا عَللا بأذنبة الردَا [1]

وقال ابن مناذر *

بأرشيةٍ إطرافها في الكواكبِ

وقال الاخطل

حتى اذا اقتض ماء المزن عذرتها　　　راحَ الزجاج وفى ألوانه صهب

وقال غيره

وجيشٍ يَطل البلق فى حجراتهِ　　　ترى الأكمَ فيه سجداً للحوافرِ [2]

وقال ذوى الرمة

سقاه الكرى كأس النعاسِ فرأسه　　　لدين الكرى من آخر الليل ساجد

قوله ـ سقاه الكرى ـ جيد وقوله ـ لدين الكرى ـ بعيد عنـدى . .

وقال مضرس بن ربعى *

اذود سوامَ الطرف عنك وماله　　　على أحدٍ الاّ عليك طريق

---

(١) الاتاوة ـ الرشوة . . وخص بعضهم به الرشوة على الماء ـ والاذنبة ـ جمع ذنوب وهى الدلو تذكر وتؤنث وهذا الجمع فى أدنى العدد والكثير ذنائب ـ والردى ـ الزيادة

(٢) حجراته ـ أى نواحيه ـ والاكم ـ جمع أكة . . وقوله فيـه هكذا فى الاصول والذى فى اللسان (ترى الاكم فيها الخ) ـ وسجد ـ أى خضع قاله فى اللسان وأنشد عجز البيت

وقال تأبط شراً (١)

ويسبق وفد الريح من حيث تنتحى　　بمنخرقٍ من شدّه المتداركِ
اذا حاص عينيه كرى النوم لم يزلْ　　له كالىء من قلب شيحان فاتكِ
ويجعلُ عينيه ربيئةَ قلبه　　الى سلةٍ من صارم الغرب باتكِ
اذا هزّه فى عظم قِرن تهللتْ　　نواجذُ أفواه المنايا الضواحكِ

فى كل بيت من هذه الابيات استعارة بديعة .. وقد أخذ رؤبة قوله — ويسبق وفد الريح — فقال

يسبقُ وفدَ الريح من حيثُ انخرَقْ (٢)

وقال الراعى

يدعو أمير المؤمنين ودونهُ　　خرقٌ تجرُّ به الرياحُ ذيولا

وقال اوس

ليسَ الحديث ينهى بينهنّ ولا　　سر يحدثنه فى الحىّ منشورُ

ومما جاء من ذلك فى كلام المحدثين .. قول ابى تمام (٣)

(١) — هكذا فى الاصول .. وفى النقد بدل قوله — حاص — خاط وهما بمعنى واحد يقال حاص الثوب اذا خاطه — والشيحان — الحذر الحازم — وقوله ويجعل عينيه البيت — الذى فى النقد (وان طلعت اولى العداة فنفرة الخ) وفى اللسان

اذا طلعت اولى العدى فنفرة　　الى سلة من صارم الغر باتك

ـ الباتك ـ القاطع ـ وقوله فى عظم قرن ـ نسخة فى وجه قرن وكذا فى النقد
(٢) ـ نسخة ـ يكل وفد الريح الخ
(٣) ـ قوله ـ لدان ـ أى لينات .. والرواية فى ديوانه هكذا

سنبكى بعده غفلات عيش　　كأن الدهر عنها فى وثاق
وأياما لنا ولـه لدانا　　عرينا من حواشيها الرقاق

لياليَ نحن فى غفلاتِ عيش كأنّ الدهرَ عنها فى وثاقِ
وأيامِ لنا ولهم لِدانٍ عرينا من حواشيها الرّقاقِ

وقال العباس بن الاحنف أو الخليع *

قد سحبَ الناسُ أذيالَ الظنون بنا وفرّق الناسُ فينا قولهمْ فرقَا
فكاذبٌ قدرمى بالظنّ غيركم وصادقٌ ليس يدري انه صدقَا

وقال مسلم

شججتها بلعاب المزْن فاعتزلتْ بسجين من بين محلولٍ ومعقودِ

وقوله كأنهُ أجل يسعى الى أملِ

وقوله

يكسوا السيوف نفوسَ النا كثين به ويجعلُ الهامَ تيجان القنا الذُبل

وقوله

اذا مانكحنا الحربَ بالبيض والقنا جعلنا المنايا عند ذاك طلاقها

وقوله

والدهرُ آخذ ما أعطى مكدّر ما أصفاو مفسد ما أهوى له بيدِ
فلا يغرّنك من دهر عطيتهُ فليس يتركُ ما أعطى على أحدِ

وقوله ولم ينطقْ بأسرارِ ها الحجلُ (١)

وقوله

ولما تلاقينا قضى الليلُ نحبهُ بوجه كأنّ الشمس من مائه مثلُ (٢)

---

(١) صدر البيت كما فى ديوانه (خفين على غيب الظنون وغصت البرين فلم الخ
(٢) نسخة ــ بوجه لوجه الشمس من مائة مثل . . وكذا فى ديوانه ومابعده الى اخر البيت الرابع لم يثبتهم جامع ديوانه فى هذه القصيدة

وماء كعين الشمس لا تقبلُ القذى　　اذا درجتْ فيه الصبا خلته يعلو

من الضحكِ الغرّ اللواتي اذا التقت

تحدّثَ عن أسرارها السبلُ المطلُ [٣]

صدعنا به حذّ الشمول وقدطفت　　فألبسها حلماً وفي حلمها جهلُ

تساقط يمناهُ الندى وشماله الردَى　　وعيون القول منطقه الفضلُ [١]

حبىّ لا يطيرُ الجهلُ من عذباتها　　اذاهي حلت لمْ يفتْ حلهاذَحلُ [٢]

بكفّ أبي العباس يستمطرُ الغنى　　ويستنزلُ النعمى ويسترعف النصلُ

متى شئْتَ رفعتَ الستورعن الغني　　اذاأنت زُرْتَ الفضل أوذان الفضلُ

وقال ايضا

كأنها ولسانُ الماء يقلبها　　عقيقة ضحكتْ في عارِض بردِ

دارتْ عليه فزادت في شمائله　　لين القضيب ولحظ الشادنِ الغردِ

وقال ايضا

فأقسمتُ أنسي الدّاعيات الى الصبى　　وقدْ فاجأتها العينُ والستر واقعٌ

(٣) السبل ــ المطر

(١) نسخة ــ هكذا

تساقط يمناه ندى وشماله رد　　ى وعيون القول منطقة الفصل

(٢) الذحل ــ الثأر وقيل طلب مكافأة بجناية جنيت عليك أو عداوة أوتيت اليك . ـ ووجدت البيت في ديوانه هكذا

حبى لا يطير الجهل في عذباتها　　اذا هي حلت لم يفت حلها ذحل

وقال في تفسير معناه ــ حبى ــ جمع حبوة وذلك الالتفاف في رداء يقول انهم يحملون في مجالسهم فاذا غزوا عدوهم وطلبوه بذحل لم يفتهم

فخطت بأيديها ثمار نحورها ... كأيدي الأسارى ثقلتها الجوامع

وقال ايضا

تفضت بك الأحلاس نفض اقامة ... واسترجعت نزاعها الأمصار

أجل ينافسه الحمام وحفرة ... نفست عليها وجهك الاحفار

فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة ... أثنى عليها السهل والأوعار

أخذ — نفست عليها وجهك الاحفار — بعضهم فقال

لو علم القبر ما يوارى ... تاه على كل ما يليه

وقال

ويخطى عذرى وجه جرمي عندها ... فأجنى اليها الذنب من حيث لا أدرى

إذا اذنبت اعددت عذراً لذنبها ... وان سخطت كان اعتذارمن العذر

وقال — يذكرنيك اليأس في خطرة المنى ... وان كنت لم أذكرك الا على ذكرى

وقال — تجري الرياح بها حسرى مولهة ... حيرى تلوذ بأطراف الجلاميد (١)

وقال أبو الشيص

خلع الصبي عن منكبيه مشيب

وقال أبو العتاهية ... أتته الخلافة منقادة ... اليه تجرر أذيالها

وقال أبو النواس (*)

---

(١) نسخة — (تمشي الرياح به حسرى مولهة حيرى تلوذ بأكناف الجلاميد)

(*) تنبيه — لقد أكثر المصنف الاستشهاد فى هذا الباب بكثير من شعر أبى نواس وأبى تمام والبحترى وحيث ان دواوين شعر هؤلاء الثلاثة متيسر الوقوف عليها لكل طالب بل ما يستشهد به من شعرهم محفوظ جله فى صدور الادباء فقد تركنا تطبيق هذه الشواهد على نسخ دواوينهم المنشورة للمطالع إلا النذر القليل منها

فاسقني البكرَ التي اختمرتْ بخمار الشيبِ في الرَّحم

ثمتَ انصاتَ الشباب لها بعدأنْ جازَتْ مدىَ الهرَمِ

فهى لليوم الذى نزلتْ وهي تلو الدهرِ فى القِـدَمِ

ومنها قوله فتمشتْ في مفاصلهـم كتمشى البرءَ في السقمِ

صنعتْ فى البيتِ اذمزجتْ كصنيع الصبح في الظلمِ

قوله ـ انصات الشباب لها ـ كأنها صوتت به فانصات لها أى أجابها .. وقوله

اعطتك ريحانها العقار وحان من ليلك انسفار

أى شربتها فتحول طيبها اليك .. وقوله

لنا روامش ينتخبنَ لنا تظل آذننا مطاياها

الرامشة ـ ورقة آس لها رأسان .. وقال

حتى تخيرت بنتَ دَسكرة قد عاجمتها السنون والحقب(١)

وقوله (٢)

---

(١) ـ الدسكرة ـ بناء كالقصر حوله بيوت للاعاجم يكون فيها الشراب والملاهى . . وانشد الاخطل

فى قباب عند دسكرة حولها الزيتون قد ينعا

(٢) ـ هكذا فى الاصول واورده جامع ديوانه المطبوع فى الخمريات يصف ساقية هكذا . . وأول الابيات

ساع بكأس الى ناش على طرب كلاهما عجب فى منظر عجب

وبعده : حتى إذاما غلى ماء الشباب بهـا وأفعمت فى تمام الجسم والعصب

وجشمت بخفى اللحظ فانجشمت الخ

التجشم بمعنى المتكلف على كره وما فى الاصل أطبق للمعنى لان التجميش بمعنى المغازلة وقد جمشه وهو يجمشها أى يقرصها ويلاعبها

حتى اذا ماعلا ماء الشباب بها وافعمتْ فى تمام الجسم والقصب
وجمشتْ بخفىّ اللحظ فانجمشتْ وجرّت الوعدَ بين الصدق والكذب

وقوله فى السحاب

وجرّتْ على الربا ذنبا

وقال فراح لاعطلته عافيـة وباتَ طرفى من طرفه جنبا

وقول دَعِ الالبان يشربها رجال رقيق العيش بينهم غريب

وقوله ولا عجيب ان جفتْ دمنة عن مستهامٍ نومه قوت

وقوله ـ فقمت والليل يجلوه الصباح كما جلا التبسم عن غرّ الثنياتِ

وقوله ـ من قهوةٍ جاءتك قبل مزاجها عطلا فألبسها المزاج وشاحا

وقوله منها

شكَ النزالُ فؤادها فكأنما اهدت اليك بريحها التفّاحا
صفراء تفترس النفوسُ فلا ترى منها بهنّ سوى السباب جراحا
عمرتْ يكاتمك الزمانُ حديثها حتى اذا بلغ السئآمةَ باحا

وقوله

جريتُ مع الصبيّ طلق الجموح وهانَ عليَّ مأثور القبيحِ
وجدت ألذّ عاريةِ الليالى قران النغم بالوتر الفصيحِ

وقوله منها

تمتع من شباب ليس يبقى وصل بعري الغبوق عرى الصبوح
وخذها من مُشعشعةٍ كميتٍ تنزل درّة الرجل الشحيحِ
فانى عالم ان سوف ينأى مسافة بين جثمانى وروحى

وقوله

فاستنطق العود قد طال السكوت به ـــ لن ينطق اللهو حتى ينطق العود

وقوله ـــ صفرآء تعنق بين الماء والزبد [1]

وقوله ـــ وقد لاحت الجوزاء وانغمس النسرُ

وقوله ـــ تجررْ اذيال الفجور ولا فخرُ

وقوله : لا ينزل الليل حيث حلت ـــ فدهر شرّابها نهار

وقوله: وريان من ماء الشباب كأنما ـــ يظماء من صم الحشا ويجاعُ

وقوله: ـــ وتنح عن طرب وعن قصفِ

وقوله: عين الخليفة بى موكلةٌ ـــ عقد الحذار بطرفها طرْفى

صحت علانيتى له وأرى ـــ دين الضمير له على حرفِ

وقوله: سلبوا قناع الطين عن رمق ـــ حيّ الحياة مشارف الحتفِ

فتنفست فى البيت اذ مزجت ـــ كتنفس الريحان فى الأنفِ

وقوله : نتيجة مزنة من عود كرم ـــ تضىء الليل مضروب الرواق

وقوله: حلبت لأصحابى بها درّة الصبى ـــ بمدفراء من ماء الكروم شمولُ

وقوله : ـــ دعا همه من صدره برحيل

وقوله : ـــ ولما توفى الليل جنحا من الدجى

وقوله : ـــ وقام وزن الزمانِ فاعتدلا

---

(١) قوله تعنق ــ من قولهم عنقت السحابة اذا خرجت من معظم الغيم تراها بيضاء لاشراق الشمس عليها . . فكأنه يقول تشرق

وقوله : فقد أصبح وجه الزمان مقتبلا

وقوله : كأن الشباب مطيّة الجهل

وهو من قول النابغة

فان مطية الجهل الشباب

وقوله : وحططت عن ظهر الصبي رَحْلي

وقوله : ومتصل بأسباب المعالى له فى كل مكرُمةٍ حميم

رفعت له النداء بقمّ فخذها فقد اخذت مطالعها النجوم

وقوله

الا لا ترى مثلي امترى اليوم في رسم[1] تغص به عيني ويلفظه وهمي

وقوله ـ تغص به ـ أى تمتلئ بالدموع ـ ويلفظه وهمى ـ اى ينكره.. وقوله

وكأنما يتلوا طرايدها نجم تواتر فى قفا نجم

وقوله شمولاً تخطته المنون وقد أتت سنونَ لها فى دَنّها وسنون

وقوله فتقربت بصرف عقار نشأت فى حجر أم الزّمانِ

وقوله ـ ترى العين تستعفيك من لمعانها وتحسر حتي ما يقل جفونها

وقوله في مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر

وقول أبى تمام

وحسن منقلب تبدو عواقبه جاءت بشاشته فى سوء منقلب

وقوله رخصت لها المهجات وهى غوال

---

(١) فى ديوانه ـ ألا لا أرى مثل امترائى فى رسم

وقوله ـ وتنظري خبب الركاب ينصه[1] محي القريض الى مميت المال

وقوله ـ تطل الطلول لدمع في كل منزل وتمثل لي بالصبر الديار المواثل

دوارس لم يجف الربيع ربوعها ولا مر في اغفالها وهو غافل

فقد سحبت فيها السحاب ذيولها وقد أخملت بالنور فيها الخمايل

ليالي أضللت العزاء وحولت[2] بعقلك آرام الخدور العقايل

وقوله بسقيم الجفون غير سقيم ومريب الألحاظ غير مريب

وقوله غليلي على خالد خالد وضيف همومي طويل الثواء

ألا أيها الموت فجعتنا بماء الحياة وماء الحياء

أصبنا بكنز الغنى والامام أمسى مصاباً بكنز الغناء[3]

وقوله

ثوى في الثرى من كان يحيي به الثرى ويغمر صرف الدهر نائله الغمر

وقوله سعدت غربة النوى بسعاد

وقوله

اذا سيفه أضحى على الهام حاكماً غدا العفو منه وهو في السيف حاكم

وقوله ـ لئن أصبحت ميدان السوافي لقد أصبحت ميدان الهموم

أظن الدمع في خدي سيبقي رسوماً من بكائي في الرسوم

وليل بت أكلؤه كأني سليم أو سهدت على سليم

---

(١) ينصه ـ أي يرفعه

(٢) نسخة ـ وخذلت

(٣) قوله بكنز الغناء ـ هكذا في سائر الاصول والذي في ديوانه ـ بكنز الفناء

أراعي من كواكبه هجاناً سواماً لا تريع الى المسيم
يكاد نداه يتركه عديماً اذا هطلت يداه على عديم
سفيه الرمح جاهله اذا ما بدا فضل السفيه على الحليم

وقوله

تهدى بهم تستنير الارض ان نزلوا فيها وتجتمع الدنيا اذا اجتمعوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة كأن أيامهم من أنسها جمع

وقوله

وضل بك المرتاد من حيث يهتدى وضرت بك الايام من حيث تنفع

وقوله ترد الظنون به على تصديقها ونحكم الآمال في الأموال

وقوله ـ اذا أحسن الاقوام أن يتطاولوا بلا منة أحسنت ان تتطولا
تعظلت عن ذاك التعظم منهم وأوصاك نبل القدر أن تتنبلا

وقوله ـ فاطلب هدوءاً في التقلقل واستثر بالعيس من تحت السهاد هجودا

وقوله أيامنا مصقولة اطرافها بك والليالي كلها أسحار
بيضاء يعطيك القضيب قوامها ويريك عينيها الغزال الأحور
فحاجب الشمس أحياناً يضاحكها وريق الغيث أحياناً يباكيها

وقوله وللقضيب نصيب من تثنيها

وقوله أصبابة برسوم رامة بعدما عرفت معارفها الصبا والشمال

وقوله ـ صفت مثل ما تصفو المدام خلاله ورقت كما رق النسيم شمايله

وقوله نثرت وردها عليه الخدود

أخذه آخر فقال وحياءٌ نثر الورد على الخدِّ الاسيل

وقوله ـ سحابٌ خطاني جوده وهو مسبل وبحر عداني فيضه وهو مفعم

وقوله ـ أرجنَ عليَّ الليل وهو ممسك وصبحتنا بالصبح وهو محاق (١)

وقوله في مقامٍ تخر في ضنكه البيـ ـض على البيض ركعاً وسجودا

وقوله ـ جارى الجياد فطار عن أوهامها سبقاً وكاد يطيرُ عن أوهامهِ

وقوله ـ فطواهن طيهنَّ الفيافى واكتسينَ الوجيف حتى عرينا

وقوله

فأضللتُ حلمي والتفت الى الصبى سفاها وقد جزتُ الشبابَ مراحلا

وقوله اذا سرايا عطاياه سرَتْ أسرتْ

وقوله ليلٌ يبيتُ الليل فيه غريبا

وقول ابن الرومى

وما تعتريهـا آفةٌ بشرية من النوم الاَّ انهـا تتنحتر

كذلك أنفاس الرياح بسحرةٍ تطيب وأنفاسُ الانام تغـتر

وقوله يارب ريق بات بدرُ الدجى يمجـه بين ثنـاياكـا

يروى ولا ينهاك عن شربه والخمـر يرْويك وينها كا

وقول العتابى

وأشعث مشتاقٍ رَميَ فى جفونه غريب الكرى بين الفجاج السباسب

---

(١) أرجن ـ بالتخفيف أى أثرن عليه الليل وأغرينه عليه .. من قولهم ارجت بالتشديد بين القوم تأريجا إذا أغريت بينهم وأرجت الحرب إذا أثرتها

أماتَ الليالى شوقه غير زفرة   تردّد ما بين الحشى والترائبِ
سحبتُ له ذيل السرى وهو لابسٌ   دجى الليل حتى مجّ ضوء الكواكبِ
ومن فوق أكوار المطايا لبانةٌ   أحلّ لها أكل الذّرَى والغواربِ
اذا ادّرع الليلُ انجلى وكأنه   بقية هنديّ حسام المضاربِ
بركبٍ ترى كسر الكرى فى جفونهم وعهد الفيافى فى وجودٍ شواحبِ
وقول أبى العتاهية   أشرى اليه الرّدى فى حلبة القدرِ

ومن ردىء الاستعارة .. قول علقمة (الفحل)

وكل قومٍ وان عزوا وان كرموا   عريفهم بأثافى الدهر مرجوم (١)

اثافى الدهر — بعيد جداً . . وقول ذى الرمة

تيممن يافوخ الدجى فصدعنهُ   وجوز الفلا صدع السيوف القواطعِ (٢)

وقال تأبط شرا

نحزّ رقابهم حتى نزعنا   وأنف الموتِ منخرهُ رثيم (٣)

(١) هكذا رواية البيت فى الاصول .. وفى ديوانه

بل كل قوم وان عزوا وان كثروا   عريفهم بأثافى الشر مرجوم

وكذا انشده فى اللسان ـ والاثافى ـ جمع اثفية وذلك الحجارة التى تنصب وتجعل القدر عليها .. وقولهم رماه الله بثالثة الأثافى يعنون الجبل لانه يجعل صخرتان الى جانبه وينصب عليه وعليها القدر . . ويريدون بذلك رماه الله بما لايقوم له .. وذهب أبو سعيد الى ان معناه رماه بالشر كله فجعله أثفية بعد أثفية حتى اذا رمى بالثالثة لم يترك منها غاية واستدل على ذلك ببيت علقمة هذا

(٢) قوله الفلا هكذا فى نسخة الموازنة والذى فى الاصل وجوز الفيافى الخ

(٣) الرثم — الكسر .. قال فى اللسان منسم رثيم ادمته الحجارة وحصى رثيم ورثم اذا انكسر

وقول الحطيئة

سقوا جارك العيمان لما جفوته وقلص عن بردِ الشراب مشافره [(١)]

وقول الآخر ـ فمازال قدالوالدان حتى رأيته على البكر يمريه بساقٍ وحافرِ

وقول الاخر قد أفنى أنامله أزْمه فأضحى يعض على الوظيفا [(٢)]

واذا أريد بذلك الذم وَالهجاء كان أقرب الى الصواب .. وأما القبيح الذى لايشك فى قباحته .. فقول الآخر

سأمنعها أوْ سوف أجعل أُمرها الى ملك أظلافه لم تشقق

وقول ذى الرمة

يعز ضِعافَ القوم عزة نفسه ويقطع أنف الكبرياء من الكبرِ

وقول خويلد الهذلى * أو غيره

تخاصم قوْماً لاتلقي جوابهم وقدأخذتْ من أنفِ لحيتك اليد

— أى قبضت بيدك على مقدم لحيتك كما يفعل النادم أو المهموم — وأنف كل شىء مقدمه وأنوف القوم سادتهم .. والأنف فى هذا البيت هجين الموقع كما ترى .. وقد وقع فى غيره أحسن موقع وهو .. قول الشاعر

---

(١) هكذا فى الاصول .. والذى فى ديوانه من رواية أبو سعيد السكرى

قروا جارك العيمان لما تركته وقلص عن بردالشراب مشافره

— العيمان — الرجل الذى ذهبت ابله فاصبح يشتهى اللبن وأصل العيمة شهوة اللبن

(٢) الأزم — شدة العض والقطع بالناب .. وجاء فى نسخة اذمه بالضم وذلك الانياب ـ والوظيف ـ هومستدق الذراع والساق من الخيل والابل ونحوها

اذا شمّ أنف الضيفِ الحق بطنه　　مراس الاواسي وامتحان الكرائمِ[1]

ويقولون — انف الريح .. وانف النهار .. ورعينا انف الربيع: أى أوله.. قال امرؤ القيس

قد غـدا يحملنى فى أنفـه　　لاحقُ الاطلين محبوك ممرْ[2]

وروى بعض الشيوخ الثقات فى انفه مضموم الالف . . قال هو من قوله كأس انف. وروضة انف .. وقال اعرابى يصف البرق

اذا شيمَ انف الليل أومضَ وسطه　　سناً كابتسام العامريّة شاغف

أراد أول الليل .. ومن بعيد الاستعارة . . قول اعرابى . . ما زال مجنوناً على است الدهر . ذا حسد ينمى . وعقل يحرى (أى ينقص) وسئل مسلم بن الوليد عن .. قول أبى نواس

رسم الكرى بين الجفون محيل　　عفي عليه بكا عليك طويل

قال ان كان قول أبى العذافر * ـ باض الهوى فى فؤادى وفرخ التذكار ـ حسناً كان هذا حسناً : ومن عجيب هذا الباب قول بعض شعراء عبد القيس:

ولما رأيتُ الدهر وعراً سبيله　　وأبدي لناظراً أجبّ مُسلعا

---

(١) البيت لذى الرمة رواه الامدى فى الموازنة . . وقال قال أبو العباس عبدالله بن المعتز فى كتاب سرقات الشعراء وهذا البيت غر الطائى حتى أتى بما أتى به وانما أراد ذو الرمة بقوله انف الضيف كقولهم انف النهار أى أوله انتهى قلت وعجز البيت فى احدى نسخ الاصل هكذا (مراس الاوابى وامتحان الكواتم)

(٢) الاطلين ـ مثنى اطل مثال ابل وذلك منقطع الاضلاع من الحجبة وقيل القرب وقيل الخاصرة كلها .. وفى ديوانه ـ لاحق الا يطل ـ أى ضامر الخصر ـ والمحبوك ـ هو الشديد المدمج الخلق ـ وممر ـ شديد فتل اللحم قاله الوزير أبو بكر شارح ديوانه. والايطل. والاطل. واحد وألف الاول أصلية كذا فى اللسان

ومعرفةً حصاه غير مفاضةٍ عليه ولوناً ذا عثانين أنزعا

وما اعرف متى رأى هذا للدهر جبهة كالشراك (١) مع هذا الذى عدده فجاء بما يضحك الشكلى.. وقال الكميت

ولما رأيت الدهر يقلب بطنه على ظهره فعل الممعك فى الرملِ

كما طمنت عنا قضاعة طمنةً هى الجد مادوم النحيزة بالهزل

ومن ذلك .. قول الاخطل

اكسير هذا الخلقِ يُلقى واحدً منه على ألف فيكرم خيمه

وقول أبى تمام حتى أنقته بكيمياءِ السوددِ

فلا ترى شيئاً أبعد من اكسير الخلق وكيمياء السودد .. وقد أكثر أبو تمام من هذا الجنس اغتراراً بما سبق منه فى كلام القدماء مما تقدم ذكره فأسرف فنعى عليه ذلك وعيب به وتلك عاقبة الاسراف فمن ذلك .. قوله

يادهر قوّم من أخدعيك فقدْ اضججتَ هذا الانام من خرقك (٢)

وقوله كانوا رداء زمانهم فتصدّعوا فكأنما لبس الزمان الصوفا

وقوله نزحت به ركيَّ العين انى رأيت الدمع من خير العتاد (٣)

---

(١) قوله كالشراك هكذا وقع فى الاصل وقد سقط البيت الذى ذكر فيه هذا الشاعر الشراك واورده الامدى هكذا

وجبهة قرد كالشراك ضئيلة وصعر خديه وانفا مجدعا

(٢) تنبيه — عقد الامدى فى كتابه الموازنة فصلا اشبع فيه الكلام على بعد هذه الاستعارات وقد رأيت المصنف رحمه الله اقتضب فصله هذا منه فاحببت ان أذكر ذلك للمطالع اتماما للفائدة فليتنبه

(٣) العتاد — الشيء الذى تعده لامر ما وتهيئه له

وقوله ولين أخادع الزمن الأبيّ (١)

وقوله فضربتُ الشتاء في أخدَعيه ضربةً غادرته عوداً ركوبا

وقوله تروح علينا كل يوم وليلة حطوبٌ كأنّ الدهر منهنّ يصرع

وقوله إلا لا يمد الدهر كفاً بسيء الى مجتدى نصر يقطع من الزند (٢)

وقوله والدهر ألأم من شرقت بلؤمه الا اذا أشرقته بكريم

وقوله تحملت ما لو حمل الدهر شطره لفكر دهراً أى عبأيه أثقل

وقوله يصف قصيدة

تحل بقاع المجد حتى كأنها على كل رأس من يد المجد مغفر

لها بين أبواب الملوك مزامر من الذكر لم تنفخ ولا هي تزمر

وقوله به أسلم المعروف بالشام بعدما ثوى منذ أودى خالد وهو مرتد

وقوله كان المجدَ قد خرفا (٣)

وقوله الى ملك فى ايكة المجد لم يزل على كبد المعروف من نيله برد

وقوله فى غلةٍ أوقدت على كبد النايل ناراً أخنت على كبده

وقوله حتى اذا اسودّ الزمان توضحوا فيه فغودر وهو منهم أبلق

---

(١) صدر البيت كما فى ديوانه : سأشكر فرجة الليث الرخى

(٢) الذى فى نسخة ديوانه : الى مجتدى نصر فتقطع للزند : والذى فى الاصل موافق لما فى الموازنة

(٣) اول البيت .. لولم تفت مسن المجد مذزمن بالجود والبأس الخ

وقوله وكمْ ملكتْ منا علي قبح قدّها
صروف النوى من مرهفٍ حسن القدّ [1]

وقوله اذا الغيث غادى نسجه خلت انه مضت حقبة حرس له وهو حايك

وقوله يرثى غلاماً

انزلته الايام عن ظهرها من بعد اثبات رجله فى الركاب

وقوله وكأنّ فارسه يصرف اذغدا فى متنه أبنا للصباح الأبلقِ

وقوله

حتى محضت الامانيّ التى احتلبت عادتْ هموماً وكانت قبلها هِمما

وقوله كلوا الصبر مراً واشربوه فانكم أثرتم بعير الظلم والظلم بارك

وقد جنى أبو تمام على نفسه بالاكثار من هذه الاستعارات واطلق لسان عايبه وأكد له الحجة على نفسه واختيارات الناس مختلفة بحسب اختلاف صورهم وألوانهم .. ومن ردىء الاستعارة أيضاً .. قول بعضهم

انا نافة وليس فى ركبتى دماغ

وأنشد أبو العنبس

ضرامُ الحبّ عشش فى فؤادي وحضن فوقه طير البعادِ

وقد نبذ الهوى فى دن قلبى فعربدت الهموم على فؤادى

ومثله كثير ولاوجه لاستيعابه لان قليله . دال على كثيره . وجملته مبينة عن تفسيره ان شاء الله

---

(١) رواية البيت فى ديوانه هكذا

وكم احرزت منكم على قبح قدها صروف الردى من مرهف حسن القد

الفصل الثانى من الباب التاسع

فى المطابقة

قد أجمع الناس ان المطابقة فى الكلام هو الجمع بين الشىء وضده فى جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد .. والليل والنهار . والحر والبرد . وخالفهم قدامة بن جعفر الكاتب (فقالى) المطابقة ايراد لفظتين متشابهتين فى البناء والصيغة مختلفتين فى المعنى : كقول زياد الاعجم

ونبيتهم يستنصرون بكاهل[1] وللوم فيهم كاهلٌ وسنام

وسمى الجنس الاول التكافوء وأهل الصنعة يسمون النوع الذى سماه المطابقة التعطف . (قال) وهو ان يذكر اللفظ ثم يكرره والمعنى مختلف وستراه فى موضعه ان شاء الله .

والطباق فى اللغة الجمع بين الشيئين يقولون ـ طابق فلان بين ثوبين ـ ثم استعمل فى غير ذلك فقيل ـ طابق البعير فى سيره ـ اذا وضع رجله موضع يده وهو راجع الى الجمع بين الشيئين . قال الجعدى

وخيلٍ تطابق بالدارعين طبا فى الكلابِ يطأنَ الهراسا

وفى القرآن (سبع سماوات طباقا) أى بعضهن فوق بعض كأنه شبه بالطبق يجعل فوق الاناء . قال امرىء القيس

طبق الارضَ تحرُ وتدر

وكل فقرة من فقر الظهر والعنق طبق وذلك ان بعضها منضود على بعض .

فما فى كتاب الله عز وجل من الطباق قوله تعالى (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) وقوله تعالى (ليخرجكم من الظلمات الى النور) أى من الكفر الى الايمان . وقوله عز وجل (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) وقوله سبحانه

(١) هكذا فى الاصل وأنشده الباقلانى فى الاعجاز (ونبأتهم يستنظرون بكاهل) الخ

(لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم) وهذا على غاية التساوى والموازنة وقوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) وقوله جل شأنه (ولا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) وقوله عز اسمه (لايخلقون شيئاً وهم يخلقون) وقوله سبحانه (فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) وقوله جل ذكره (وانه هو أضحك وأبكى وانه هو أمات وأحيى) وقد تنازع الناس هذا المعنى . قال ابن مطير *

تضحك الارض من بكاء السماء

وقال آخر ضحك المزن بها ثم بكى

وقال آخر فله ابتسام في لوامع برقه ولە بكاءٌ في ودقه المنسرب

وقال آخر لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي

فلم يقرب أحد من لفظ القرآن فى اختصاره وصفائه . ورونقه وبهائه . وطلاوته ومائه . وكذلك جميع ما فى القرآن من الطباق .

ومما جاء فى كلام النبى ﷺ من الكلام المطابق قوله للانصار (انكم لتكثرون عند الفزع . وتقلون عند الطمع) وقوله عليه الصلاة والسلام (خير المال عين ساهرة لعين نائمة) يعنى عين الماء ينام صاحبها وهى تسقى أرضه وقوله عليه الصلاة والسلام (اياكم والمشارة فانها تميت الغرة وتحى العره) .

ومن ساير الكلام . قول الحسن ما رأيت يقينا لاشك فيه . أشبه بشك لايقين فيه من الموت . وقال أيضاً رضى الله عنه انمن خوفك حتى تبلغ الأمن خير ممن يؤمنك حتى تلقى الخوف . وقال أبو الدرداً رضى الله عنه معروف زماننا منكر زمان قد فات . ومنكره معروف زمان لم يأت . وقال بعضهم ليت حلمنا عنك لايدعوا جهل غيرنا اليك . وقال عبد الملك ماحمدت نفسى على محبوب ابتدأته بعجز . ولا لمتها على مكروه ابتدأته بحزم . وقالوا الغنى فى الغربة وطن . والفقر فى الوطن غربة . وقال اعرابى لرجل انفلانا وأن ضحك لك . فانه يضحك منك .

فان لم تتخذه عدواً فى علانيتك . فلا تجعله صديقا فى سريرتك . وقال على رضى الله عنه أعظم الذنوب ماصغر عندك . وشتم رجل الشعبى : فقال ان كنت كاذبا فغفر الله لك . وان كنت صادقا فغفر الله لى . وأوصى بعضهم غلاما . فقال ان الظن اذا أخلف فيك . أخلف منك . ونحوه قول الاخر : لا تتكل على عذر منى فقد اتكلت على كفاية منك . وقال الحسن اما تستحيون من طول مالا تستحيون ونحوه قول الاعرابى فلان يستحى من ان يستحى . وقال من خاف الله أخاف الله منه كل شىء . ومن خاف الناس أخافه الله من كل شىء . وقيل لابى داود وابنته تسوس دابته فى ذلك فقال كما أكرمتها بهوانى . معناه انكانت تصوننى عن سياسة دابتى وتتبذل هى فيها انى أصونها وأتبذل دونها بالقيام فى أمر معاشها واصلاح حالها . فأخذ اللفظ بعضهم فقال فى السلطان

اهين لهم نفسى لاكرمها بهم ولن تكرم النفس التى لاتهينها

وقال بعضهم لعليل . ان اعلك الله فى جسمك . فقد اصحك من ذنوبك . وقال بعضهم الكريم واسع المغفرة . اذا ضاقت المعذرة . وقال كثير بن هراسة لابنه يابنى ان من الناس ناسا ينقصونك اذا زدتهم . وتهون عليهم اذا أكرمتهم . ليس لرضاهم موضع فتقصده . ولا لسخطهم موقع فتحذره . فاذا عرفت اولئك باعيانهم فأبدلهم وجه المودة . وأمنعهم موضع الخاصة . ليكون ماأبديت لهم من وجه المودة حاجزا دون شرهم . وما منعتهم من موضع الخاصة قاطعا بحرمتهم . وقال خالد بن صفوان لرجل يصف له رجلا ليس له صديق فى السر . ولا عدو فى العلانية . وقال آخر فى العمل ماهو ترك للعمل ومن ترك العمل ماهو أكبر العمل (١) وقال آخر انا لا نكافىء من عصى الله فينا باكثر من ان نطيع الله فيه . وقال الحسن كثرة النظر الى الباطل . تذهب بمعرفة الحق من القلب . وقال سهل بن هرون من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه فيها . ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه منها . وكتب رجل الى محمد بن عبد الله : ان من النعمة على المثنى عليك

---

(١) هكذا فى الاصل المنقول منه وليحرر

ألايخاف الافراط . ولا يأمن التقصير . ولا يحذر ان تلحقه نقيصة الكذب ولا ينتهى به المدح الى غاية الا وجد فى فضلك عوناً على تجاوزها . وفى الحديث (ماقل وكفى خير مما كثر وألهى) وقال معاوية . ليس بين ان يملك الملك جميع رعيته أو يملكه جميعها . الاحزم . اوتوان . وقال بعضهم اذا شربت النبيذ فاشربه مع من يفتضح بك . ولا تشربه مع من تفتضح به . وقال بعضهم سوداء ولود خير من حسناء عقيم .. وقال ابن السماك . للرشيد ياأمير المؤمنين تواضعك فى شرفك اشرف من شرفك .. وقال ابن المعتز طلاق الدنيا مهر الآخرة . . وقالوا غضب الجاهل فى قوله . وغضب العاقل فى فعله .. وشرب احدهم بحضرة الحسن * بن وهب قدحا وعبس .. فقال له والله ماانصفتها تضحك فى وجهك . . وتعبس فى وجهها .. وقال طاهر بن الحسين لابنه . التبذير فى المال ذمه حسب التقتير فيه فاتق التبذير واياك والتقتير .. وقال اعرابى أتيت بغداد فاذا ثياب أحرار . على اجساد عبيد . اقبال حظهم . ادبار حظ الكرم . شجر فروعه عند اصوله . شغلهم عن المعروف رغبتهم فى المنكر . . وقال اعرابى الله مخلف ماتلف الناس والدهر متلف ماأخلف الله . فكم من منية علتها طلب الحياة .وحياة سببها التعرض للموت .. وهذا مثل قول الشاعر

تأخرتُ استبقى الحياة فلم أجد   لنفسى حياة مثل أنْ أتقدما

وقال آخر كدر الجماعة . خير من صفو الفرقة .. وقال بعضهم وكان اعتدادى بذلك اعتداد من لاتنضب عنه نعمة تغمرك . ولا يمر عليه عيش يحلو لك ..وقال بعضهم وكان سرورى بذلك . سرور من لاتأفل عنه مسرة طلعت عليك . ولا تظلم عليه محلة انارت لك . . وقال المنصور لاتخرجوا من عز الطاعة . الى ذل المعصية .. ووصف اعرابى غلاما : فقال ساع فى الهرب . قطوف فى الحاجة .. وكتب سعيد بن حميد فى كتاب فتح : ظنا كاذبا لله فيه حتم صادق . وأملا خايناً لله فيه قضاء نافذ .. وقال الافوه الاودى سهما تقربه العيون وان كان قليلا خير مما وجلت به القلوب وان كان كثيراً .. ونحوه قول الشاعر

الا كل ما قرّتْ به العين صالح

ومن الاشعار في الطباق قول زهير

ليثَ بعثر يصطادُ الرجال اذا ما الليثُ كذّب عن أقرانه صدَقا[1]

وقول امرئ القيس

مِكرّ مفر مقبلٌ مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقول الطفيل الغنوى (يصف فرسا)

(بساهم الوجه لم تقطع أباجله) يصان وهو ليوم الروع مبذول[2]

وقول الآخر (٣)

رمي الحدْثان نسوة آل حربٍ بمقدار سمدْنَ له سُمودا

فردّ شعورهن السود بيضاً وردّ وجوههن البيض سودا

وقال حسين بن مطير (٤)

ومبتلة الاطراف زانت عقودها بأحسن مما زيّنتها عقودها

---

(١) عثر — على وزن فعل بالتشديد موضع باليمن وقيل هى ارض مأسدة بناحية تبالة

(٢) ساهم الوجه — أى متغير الوجه لحمله على كريهة الجرى — والابجل — عرق وهو من الفرس والبعير بمنزلة الاكحل من الانسان

(٣) شاهد الطباق فى البيت الثانى — والسمد — اللهو وقيل السهو عن الشى. وذكر فى اللسان عن ابن عباس رضى الله عنهما السمود الغناء بلغة حمير . وقيل السمود يكون سرورا وحزناً وانشد البيت

(٤) هكذا فى الاصول . . وأوردها ابو تمام فى الحماسة بهذه الرواية

يسود نواصيها وحمر اكفها وصفر تراقيها وبيض خدودها

مخصرة الاوساط زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها

بصفر تراقيها وحمر اكفها   وسود نواصيها وبيض خدودها

وقال فى وصف السحاب

وله بلا حزن ولا بمسرة   ضحك يراوح بينه وبكاء

وقال آخر

لئن سأنى ان نلتنى بمساءة   لقد سرنى انى خطرتُ ببالك

وقال النابغة

وان هبطا سهلا أثارا عجاجة   وان علوا حزْناً تشظت جنادل (١)

وقال مسافع * (٢)

أبعدَ بني أمىّ أُسرُّ بمقبل   من العيش أو آسي على أثر مدبر

أولاكَ بنو خير وشر كليهما   وأبناء معروف ألمّ ومنكر

وقال اوس بن حجر

أطعنا ربنا وعصاهُ قومٌ   فذقنا طعمَ طاعتنا وذاقوا

وقال الفرزدق

لعن الاله بنى كليبٍ انهم   لايغدرون ولا يفونَ لجارِ

يستيقظون الى نهيق حمارهم   وتنام أعينهم عن الأوتارِ

وقال امرؤ القيس

---

(١) قوله تشظت ـ بالظاء المشالة أى تكسرت .. وفى ديوانه تشطت بالمهملة ولعله غلط وروى ابن الاعرابى انقضت من الانقضاض ـ والجنادل ـ الحجارة

(٢) اوردها صاحب الحماسة ـ برواية بنى عمرو . بدل قوله بنى امى . وبدل قوله وابناه معروف . جميعا ومعروف

بماءِ سحاب زلّ عن ظهر صخرة الى بطن أخرى طيب طعمه خصر [1]

وقال النابغة

ولا تحسبون الخيرَ لاشرَّ بعده ولا تحسبون الشرّ ضربةَ لازب

وقال بهس بن عبد الحرث * يصف الشيب

حتى كأنّ قديمه وحديثه ليلٌ تلفعَ مدبرا بنهار

فطابق ـ بين قديم وحديث . وليل ونهار — فاخذه الفرزدق . . فقال

والشيبُ ينهض فى الشباب كأنه ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهارُ

طابق — بين الشيب والشباب . والليل والنهار — وهذا احسن من قول بهس سبكا ورصفا . وفيه نوع آخر من البديع وهو يصيح بجانبيه نهاره أخذه من . . قول الشماخ

ولاقى بصحراء الاهالة ساطعاً من الصبح لما صاح بالليل نفرا

وقال ابو دواد قبله

تصيح الردْينياتُ فى حجباتهم صياح العوالى في الثقاف المثقب

وقال آخر

تصيح الردينيات فينا وفيهم صياح بنات الماء أصبحن جوعا

وقال آخر فى صفة قوس فى كفه مُعطية منوعُ [2]

وقال آخر مَرَحتْ وصاح المرْوُ من اخفافها [3]

---

(١) الخصر ـ البارد . . وروية البيت فى ديوانه هكذا

بماء سحاب زل عن متن ظهره الى بطن اخرى طيب ماؤها خصر

(٢) القوس المعطية ـ اللينة التى ليست بكزة ولا ممتنعة على من يمد وترها

(٣) المرح ـ النشاط ـ والمرو ـ هى الحجارة التى يقدح منها النار وتقدم تفسيره والاخفاف ـ سرعة السير

وقال آخر في صفة ناقة . خرقاء الا انها صناع [١]

وقال آخر

لجأ ومحمود القرى يستفزه … اليها وداعي الليل بالصبح يصفر

ومما فيه ثلاث تطبيقات . . قول جرير

وباسط خير فيكم بيمينه … وقابض شر عنكم بشماليا

فطابق — بباسط وقابض . وخير وشر . ويمين وشمال — ومثله قول الاخر

فلا الجود يفني المال والجد مقبل … ولا البخل يبقي المال والجد مدبر

ومثله قول الاخر

فسري كاعلاني وتلك سجيتي … وظلمة ليلي مثل ضوء نهاريا

ومما فيه طباقان . . قول الملتمس

واصلاح القليل يزيد فيه … ولا يبقي الكثير على الفساد

وقال أوس بن حجر

فتحدركم عبس الينا وعامر … وترفعنا بكر اليكم وتغلب

اذا ما علوا قالوا أبونا وأمنا … وليس لهم عالين أم ولا أب

وقول قيس بن الحطيم

اذا أنت لم تنفع فضر فانما … يرجى الفتى كيما يضر وينفعا

وهذا تطبيق وتكميل ومثله . . قول عدى * بن الرعلاء

---

(١) الخرقاء — التي لا تتعهد مواضع قوائمها — والصناع — في الاصل وصف للحذق بالعمل فيقال للمرأة اذا كانت حاذقة بالعمل . . امرأة صناع . وللرجل رجل صنع . . وفى شرح القاموس اصنع الاخرق اذا تعلم وأحكم .

ليس من مات فاستراح بميت   انما الميتُ ميتُ الاحياء

فاستوفى المعنى فى قوله ـ ليس من مات فاستراح بميت ـ وكمل فى قوله ـ إنما الميت ميت الاحياء .. وقد طابق جماعة من المتقدمين بالشيء وخلافه على التقريب لا على الحقيقة وذلك.. كقول الحطيئة

وأخذت اطرار الكلام فلم تدع   شتماً يضر ولا مديحاً ينفع

والهجاء ضد المديح فذكر الشتم على وجه التقريب .. وهكذا قول الآخر

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة   ومن اساءة أهل السوء إحسانا

فجعل ضد الظلم المغفرة .. ومن المطابقة فى أشعار المحدثين . . قول أبى تمام

أصمّ بك الناعى وان كان اسمعا   وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

وقالوا هذا أحسن ابتدأ فى مرثية إسلامية .. وقال أبو تمام أيضاً

وضلّ بك المرتادَ من حيث يهتدي   وضرّتْ بك الايام من حيث تنفعُ

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما   فاصبح يدعى حازما حين يجزع

وقال سديف * فى النساء

وأصبح ما رأت العيون جوارحا   ولهن امرض ما رأيت عيونا

وقال عمارة * بن عقيل

وأرى لوحشى فى يمينى اذا   ما كان يوماً عنانه بشمالى

وقال أبو تمام

(فيم الشماته أعلاناً بأشد وغى)   أفناهم الصبرُ إذ أبقاكم الجزعُ

فجأ بتطبيقتين فى مصراع . . وقال البحترى

ان أيامه من البيض بيضُ   ما رأين المفارق السودَ سودا

وقال الخرمي   ومنازل لك بالحمى   وبها الخليط نزول

أيامهنّ قصيرة   وسرورهنّ طويل
وسعودهنّ طوالع   ونحوسهنّ أفول
والمالكية والشبا   ب وقينةٌ وشمول

وقال آخر رأذين ناموا عن المكرما   ت فايقظهن قدرُ لم ينم
فياقبحهم فى الذى خوّلوا   ويا حسنهم في زوالِ النعمْ

وقال آخر

أفاطمَ قدْ زوجتِ من غير خبرةٍ   فتى منْ بنى العباس ليسَ بطائلَ
فأنْ قُلتِ منْ آلِ النبيّ فأنه   وإنْ كانَ حرّ الأصلِ عبدُ الشمائلِ

ونحوه فى معناه لا فى التطبيق .. قول على بن الجهم فى بعض بنى هاشم

ان تكن منهم بلا شك فللعود قتارْ

ومثله   فما خبثُ من فضة بعجيبِ

ومثله   لئيم أتاه اللؤمَ من عند نفسه   ولم يأته من عند أمّ ولا أب

وقول أبى تمام

نثرتُ فريد مدامع لم تنظم   والدمع يحمل بعض ثقل المغرَمِ
وصلتْ نجيعاً بالدموع نخدَها   فى مثل حاشية الرداء المعلمَ

أخذه من قول أبى الشيص

وصلت دما بالدمع حتى كأنما   يذاب بعينى لؤلؤ وعقيق

وقول أبى تمام   جفوفُ البلى أسرعت فى الغصنِ الرّطبِ

وقوله قدينعم الله بالبلوى وان عظمت   ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

وقول الآخر

عجل الفراقُ بما كرهت وطالما ... كان الفراقُ بما كرهت عجولا

وأرى التي هام الفؤاد بذكرها ... أصبحت منها فارغا مشغولا

وقال بكر بن النطاح

وكأنّ اظلام الدروع عليهم ... ليل واشراق الوجوه نهار

وقول أبي تمام

غرّة مرة ألا انما كنـ ... ت أغر أيام كنت بهيما

دقه في الحياة تدعى جلالا ... مثل ماسمي اللديغ سليما

وقول آخر – تخلست منها قبلة ... لما رويت بها عطشت

وقلت اذامعشر في المجد كانوا اهواديا ... فقيسوا به في المجد عادوا تواليا

رأيت جمال الدهر فيك مجددا ... فكن باقيا حتى ترى الدهر فانيا

وقلت قل لمن أدنيه جهدى ... وهو يقصيني جهده

ولمن ترضاه مو ... لاك ولا يرضاك عبده

أمليح بمليح الشـ ... كل ان يخلف وعده

أم جميل بجميل الو ... جه ان ينقض عهده

ما الذي صدك عنى ... ليت ما صدك صده

وقلت فلماذا أبيعه وبنفسي أشتريه

وقلت في كلّ خلقٍ خلةٌ مذمومةٌ ... وورا كلّ محبب مكروه

ومن عيوب التطبيق .. قول الاخطل

قلتُ المقامَ وناعب قالَ النوى ... فعصيت قولي والمطاع غرابه

وهذا من غث الكلام وبارده .. وقال

كم جحفل طارت قدامي خيله — خلفته يوم الوغي منتوفا

اعلمت نابك وهو رأس أنه — سيكون بعدك حافرا ووظيفا

وقال آخر فى القاسم بن عبيدالله

من كان يعلم كيف رقة طبعه — هو مقسم أن الهواء ثخين

وقال أبو تمام

فيا ثلج الفؤاد وكان رضفاً (١) — ويا شبعى بمقدمه وريّ

وقال وإذ الصنع كان وحشاً — فمليت برغم الزمان صنعا ربيبا

وقال قد لان أكثر ما تريد وبعضه — خشن وأنى بالنجاح لواثق

وقوله لعمرى لقد حررت يوم لقيته — لو أن القضاء وحده لم يبرد

وقوله

وإن خفرت أموال قوم أكفهم — من النيل والجدوي فكفاه مقطع

وقوله يوم أفاض جوي أغاض تعزياً — خاض الهوى بحرى حجاه المزبد

فجعل الحجى فى هذا البيت مزبدا ولا أعرف عاقلا يقول ان العقل يزبد وليس المزبد (هاهنا) نعتا للبحرين لانه قال — بحرى حجاه المزبد — فلوجعل المزبد نعتا للبحرين لقال المزبدين وخوض الهوى بحر التعزى أيضاً من أبعد الاستعارة ونحو منه .. قوله أيضاً

يايوم شرد يوم لهوى لهوه — بصبابتى واذل عز تجلدى

---

(١) الرضف — فى الاصل الحجارة المحماة يوغر بها اللبن كالمرضافة ورضفه يرضفه كواه بها

وقوله(١)

غرضَ الظلامُ أو اعترته وحشةٌ — فاستأنستْ رَوَعانه بسهادي

بل ذِكرةٌ طرَقتْ فلما لم أبتْ — باتتْ تفكرُ فى ضروبِ رُقادي

أغرَتْ همومى فاستبنَّ فصولها — نومي ونحن على فضول وِسادِي

وهذه الابيات مع قبح التطبيق الذى فى أولها وهجنة الاستعارة لايعرف معناها على حقيقته

الفصل الثالث

فى ذكر التجنيس

التجنيس ان يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها فى تأليف حروفها على حسب ما الف الاصمعى كتاب الاجناس .. فمنه ما تكون الكلمة تجانس الاخرى لفظا واشتقاق معنى .. كقول الشاعر (٢)

يوماً خلجت على الخليج نفوسهم — (عصبا وانت لمثلها مستامُ)

ـ خلجت ـ أى جذبت ـ والخليج ـ بحر صغير يجذب الماء من بحر كبير فهاتان

---

(١) رواية هذه الابيات فى نسخة ديوانه هكذا

عرض الظلام أم اعترته وحشة — فاستأنست لوعاته بسهادى

بل زفرة طرقت فلما لم أبت — باتت تفكه فى ضروب وقادى

اغرت هموى فاستجبن همومها — نومى وبتن على فضول وسادى

(٢) هو اسحاق بن حسان الخريمى . . هكذا وجدته فى هامش نسخة ـ العصب ـ الطى الشديد .. وعصب الشجرة عصباً ضم ما تفرق منها بحبل ثم خبطها ليسقط ورقها ـ وستام ـ من السوم

اللفظتان متفقتان فى الصيغة (١) واشتقاق المعنى والبناء ،، ومنه ما يجانسه فى تأليف الحروف دون المعنى (٢) كقول الشاعر (٣)

فأرفقْ بهِ ان لَوْمَ العاشقِ اللومُ

وشرط بعض الادباء من هذا الشرط فى التجنيس وخالفه فى الامثلة .. فقال وممن جنس تجنيسين فى بيت زهير .. فى قوله

بِعزمةِ مأمورِ مطيعٍ وآمرٍ مُطاعٍ فلا يلقي لحزمهم مثلُ

وليس المأمور والآمر والمطيع والمطاع من التجنيس .. لان الاختلاف بين هذه الكلمات لاجل أن بعضها فاعل وبعضها مفعول به . وأصلها إنما هو الأمر والطاعة . . وكتاب الاجناس الذى جعلوه لهذا الباب مثالا (٤) لم يصنف على هذا السبيل ويكون المطيع مع المستطيع . والامر مع الامير تجنيسا . . وجعل أيضاً من التجنيس .. قول الاخر

فذو الحلم مناجاهلُ دونَ ضيفهِ وذو الجهل مناعن اذاه حليمُ

ليس بتجنيس . . وكذلك قول خداش * بن زهير

ولكن عايشُ ما عاش حتي إذا ما كادَهُ الأيام كيدا

وقال الشنفرى

وانى لحلو ان أريد حلاوتى ومر اذا النفس العزوف أمرت (٥)

وقال العجير السلولى *

---

(١) نسخة ــ فى الصنعة والبناء واشتقاق المعنى

(٢) هذا النوع ــ مذهب الخليل بن أحمد الفراهيدى حكاه عنه الباقلانى فى الاعجاز

(٣) قائله ــ مسلم بن الوليد .. وصدره (يا صاح إن أخاك الصب مهموم)

(٤) نسخة ــ إنما يصنف على هذه السبيل الخ

(٥) العزوف أى التى تحسن المعرفة بالامور

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما   وكلّ الذى حملته فهو حامله

وقول الآخر

وشاعٍ مَعَ السلطانِ يَسعى عليهم   ومحترس من مثلهِ وهو حارسُ

وقول تأبط شراً

يرى الوحشة الأنس الانيس ويهتدى   بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك (١)

وقول الآخر

صبتْ عليه ولمْ تنصبَّ من كثب   ان الشقاء علىَ الاشقينَ مصبوبُ

ليس فى هذه الالفاظ تجنيس . . وانما اختلفت هذه الكلم للتصريف : فمن التجنيس فى القرآن قول الله تعالى (وأسلمت مع سليمان) وقوله عز وجل (فاقم وجهك للدين القيم) وقوله تعالى (تتقلب فيه القلوب والابصار) وقوله سبحانه وتعالى (والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق) وقوله تعالى (وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض) وقوله عز وجل (فروح وريحان وجنة نعيم) الروح الراحة والريحان الرزق (٢) وقوله سبحانه (ثم كلى من كل الثمرات وقوله تعالى (أزفت الآزفة) (٣) الازفة اسم ليوم القيامة . فهذا كقول امرىء القيس — لقد طمح الطماح — وليس هذا كقولهم — أمر الامر — هذا ليس

(١) أم النجوم — المجرة لانها مجتمع النجوم . . واشتبكت النجوم أى ظهرت جميعها واختلط بعضها ببعض لكثرة ما ظهر منها . . وجاء فى نسخة أَم بالفتح من أم يؤم أى قصد ولا أراه صحيحاً

(٢) تفسير الروح بالراحة هنا محفوظ عن الزجاج والمشهور من تفسير الآية بأن الروح الرحمة وان الريحان الرزق على التشبيه . . وقال الازهرى وجائز أن يكون ريحان هنا تحية لاهل الجنة

(٣) أزف — اقترب وسميت القيامة بالآزفة لقربها وإن استبعد الناس مداها

بتجنيس . . وفى كلام النبى ﷺ (عصية عصت الله ورسوله . وغفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله) وقوله ﷺ (الظلم ظلمات يوم القيمة) أخذه أبو تمام . فقال

جلا ظلمات الظلم عن وجه أمة أضاء لها من كوكب العدل آفله

وقيل له ﷺ من المسلم . . فقال (من سلم المسلمون من لسانه ويده) وقال معاوية لابن عباس رضى الله عنهم ما بالكم يا بنى هاشم تصابون فى ابصاركم . . فقال كما تصابون فى بصايركم (يا بنى أمية) . . وقال صدقة * بن عامر وقد مات له بنون سبعة فرآهم قد سجوا اللهم انى مسلم مسلم . . وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك . . قال خالد بن صفوان بن الاهتم . . فقال الرجل انّ اسمك لكذب ما خلد أحد . وأن اباك اصفوان وهو حجر . وانجدك لاهتم وأن الصحيح خير من الاهتم . . قال خالد من أىّ قريش انت . . قال من بنى عبد الدار . . قال فمثلك يشتم تميا فى عزها وحسبها . وقد هشمتك هاشم . وأمتك أمية . وجمحت بك جمح . وخزمتك مخزوم . وأقصتك قصى . فجعلتك عبددارها وموضع شنارها . تفتح لهم الابواب اذا دخلوا . وتغلقها اذا خرجوا . . وقال رسول الله ﷺ (لا يكون ذو الوجهين عند الله وجيها) وكتب بعض الكتاب العذر مع التعذر واجب . . وقيل لبعضهم ما بقى من نكاحك قال ماتقطع احجتها ولا تبلغ حاجتها . . وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه . . قال هاجروا ولا تهجروا . أى لا تشبهوا بالمهاجرين من غير اخلاص . . وكتب بعض الكتاب قد رخصت الضرورة فى الالحاح . وأرجوا أن يحسن النظر كما حسنت الانتظار وأخبرنا أبو أحمد . . قال حكى لى محمد بن يحي عن عبد الله بن المعتز . . قال قدم فى بعض المجالس الى صديق لنا بخور . . فقال له صاحب المجلس تبخر فانه ند فلما استعمله لم يستطبه فقال هذا ند عن الند . . ومثله ما حكى لنا أبو أحمد عن الصولى ان ابراهيم بن المهدى . . زار صديقا له استدعى زيارته فوجده سكران فكتب فى رقعة جعلها عند رأسه .

رحنا اليك وقد راحت بك الراح

وروى بعضهم أن عبد الله بن * ادريس سئل عن النبيذ . . فقال جل أمره عن المسئلة . أجمع أهل الحرمين على تحريمه . . وذم أعرابى رجلا . . فقال اذا سأل الحف . واذا سئل سوف . يحسد على الفضل . ويزهد فى الافضال . وكتب العتابى الى مالك بن طوق * اما بعد فاكتسب أدبا . تحى نسبا . واعلم أن قريبك من قرب منك خيره . وأن ابن عمك من عمك نعمه . وأن أحب الناس اليك . أجداهم بالمنفعة عليك وقال آخر اللهى تفتح اللها . . وأخبرنا أبو القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم الكاغدى . . قال اخبرنا أبو بكر العقدى . . قال أخبرنا ابو جعفر الخراز . . قال دخل فيروز حصين * على الحجاج وعنده الغضبان بن القبعثرى * فقال له الحجاج يا فيروز اصلح الله الامير اعتبر قومى وقومه باسمائهم . . هذا غضبان غضب الله عليه . والقبعثرى اسم قبيح من بنى ثعلبة شر السباع . ابن بكر شر الابل . ابن وائل له الويل . وأنا فيروز فيروز به . حصين حصن وحرز والعنبر ريح طيبة من بنى عمرو عمارة وخير . من تميم تم وأما قومى خير من قومه وأنا خير منه (١) . . وأخبرنا أبو احمد عن أبى بكر عن أبى حاتم عن الاصمعى . . قال سمعت الحى يتحدثون أن جريرا . . قال لولا ماشغلنى من هذه الكلاب (٢) لشببت تشبيبا تحن منه العجوز إلى شبابها . . ومن اشعار المتقدمين فى التجنيس قول امرىء القيس

---

(١) هكذا وقع لنا ضبط هذه الجملة على ثلاث نسخ . . غير انى وجدت فى احداهم عند قوله من بنى الثعلبة وشر السباع بن بكر وشر الابل ولم يتيسر لى الوقوف على النسخة الرابعة المحفوظة فى دار كتب المرحوم راغب باشا فلتحرر من مظانها

(٢) يعنى بهم — الاخطل . والفرزدق . والبعيث . ممن كان يهاجيهم . . وقوله تشبيبا هكذا فى نسخة وفى اخرى شبابا

لقد طمح الطماح من بعدِ أرضه ليلبسنى من دائه ما تلبسا [١]

(وأخذه الكميت فقال)

(ونحن طمحنا لامرئ القيس بعدما رجا الملك بالطماح نكبا على نكب)

(وقال الفرزدق وذكر واديا)

(خفاف أخفّ الله عنه سحابة وأوسعه من كل ساف وحاصب [٢])

وقال زهير

كأن عينى وقد سال السليل بهم وجيرة ماهم لو أنهم أمم [٣]

وقال الفرزدق

قد سال فى أسلاتنا أو عضه عضب بضربته الملوك تقتل [٤]

وقال النابغة

---

(١) طمح — نظر اليه من بعد — والطماح — رجل من بنى اسد بعثه قيصر إلى امرىء القيس بحلة مسمومة واختلف فى السبب الذى سمه قيصر من اجله واصح ماقيل فى ذلك هجوه له بقوله

لأنت اقلف إلا ماجنى القمر

(٢) الحاصب — السحاب الذى يرمى بالبرد والثلج .. وأورده فى النقد (من كل ساف وصاحب)

(٣) قوله وجيرة — هكذا فى احدى نسخ الاصل ومثله فى النقد وباقى النسخ وعبرة — وقوله السليل أى الوادى

(٤) هكذا فى الاصل . . وفى مناقضاته مع جرير . . قدمات فى اسلاتنا أو عضه عضب برونقه الخ .. وكذا أنشده فى اللسان — والاسلات جمع اسل الرماح وشاهده هذا البيت

واقطع الخرقَ بالخرقاء لاهيةً (١)

وقال غيره

على طرماء فيها أصرماها وخرّيت الفلاة بها مليل (٢)

وقال قيس بن عاصم

ونحن حفزنا الحوفزانَ بطعنةٍ سقته نجيعا من دم الجوف أشكلا (٣)

---

(١) الخرق ـ الفلاة الواسعة ـ والخرقاء ـ الناقة وتقدم تفسيره ولم اقف على هذا الشطر فى المدون من شعر النابغة .. حتى وجدته فى الموازنة وقد نسبه لمسكين الدارمى وعجزه (اذا الكواكب كانت فى الدجى سرجا) وكذا أورده قدامة بن جعفر فى النقد

(٢) قائله ـ مرار الفقعسى ـ والصرماء ـ المفازة التى لاماء فيها ـ والاصرمان الذئب والغراب سميا بذلك لانصرامهما عن الناس — والخريت — المتخرج وفى بعض النسخ بالحاء المهملة ـ وقوله مايل ـ قال ابن برى مليل ملته الشمس أى احرقته

(٣) الحفز ـ الطعن بالرمح ـ والحوفزان ـ اسم الحرث بن شريك الشيبانى لقب بذلك لان بسطام بن قيس طعنه فأعجله حكاه فى اللسان عن الجوهرى .. وقال قال ابن سيده سمى بذلك لان قيس بن عاصم التميمى حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته فعرج من تلك الحفزة فسمى بتلك الحفزة حوفزانا حكاه ابن قتيبة وأنشد البيت منسوبا لجرير يفتخر بذلك . ونازعه فى هذه النسبة الجوهرى وثم تعقبه بن برى .. فقال انما هو لسوار بن حيان المنقرى قاله يوم جدود .. وبعده

وحمران أدته الينا رماحنا ينازع غلا فى ذراعيه مثقلا

ورواه فى الاعجاز لقيس بن عاصم وابدل — سقته — بكسته وكذا فى رواية اللسان

وقال وقاظ أسيرا هانىء وكأنما مفارق مفروق تغشين عندما[1]

وقال أمية بن أبى الصلت

فما أعتبت فى النائبات معتب ولكنها طاشت وضلت حلومها

وقال أوس بن حجر

قد قلت للركب لولا أنهم عجلوا عوجوا على فحيوا الحى اوسيروا

وفيها عر غراير أبكار نشأن معا خشن الخلايق عما يتقى زور

وفيها لكن بفرتاج فالخلصاء أبت بها فحنبل فعلى سراء مسرور[2]

وفيها حتى أشب لهن الثور من كثب فأرسلوهن لم يدروا بما ثيروا

وقال الكميت

فقل لجذام قد جذمتم وسيلة الينا كمختار الرداف على الرحل

وقال طرفة بحسام سيفك أو سنانك والكلم

الاصل كارغب الكلم . وقال القحيف *

بخيل من فوارسها أختيال

---

(١) هكذا فى الاصل منسوبا لقيس بن عاصم .. وقال فى النقد هو من قول العوام فى يوم المظالى وقد جاء فى نسخة من الاصل وقاض اسيرها به الخ وكذا انشده فى النقد ــ وقاظ ــ من قولهم قاظ بالمكان إذا اقام به فى الصيف من القيظ أى الحر

(٢) فرتاج ــ موضع وقيل موضع فى بلاد طىء ــ والخلصاء ــ ماء فى البادية . وقيل موضع . وقيل موضع فيه عين ماء ــ والحنبل ــ موضع بين البصرة ولينة وجاء هذا البيت فى نسخة

لكن بفرناخ فالخلصاء أنت بها فحنبل وعلا سراء مسرور

وقال النعمان * بن بشير (لمعاوية)

ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا (ولبك عما نابَ قومك نائم)

وقال العبسى (١)

(أبلغ لديك بني سعد مغلغلةً ان الذى بينها فدماتَ أوْ دَنفا)

(وذا كان ذلّ الجارحا لفكم) وان آنفكم لاتعرف الأنفا

وقال جايح بن سويد أقبانَ من مضر يبارين البرا (٢)

وقال ذو الرمة

كأنّ البرى والعاج عيجت متونه (على عُشرٍ نهابه السيل أبطح) (٣)

(وقال حيان بن ربيعة الطائى)

(لقد علم القبائل انّ قومى لهمْ حدّ اذا لبس الحديد

وقال القطامى

فلما ردّها في الشولِ شالت بذيالٍ يكون لها لفاعا (٤)

---

(١) فى الموازنة . وقول رجل من عبس (وذلكم ان ذل الجار حالفكم) الخ البيت وأنشده فى النقد هكذا

ان ذل جاركم بالكره حالفكم وان آنفكم لايعرف الانفا

وأنشده فى الاعجاز كما رواه المصنف

(٢) فى الاعجاز (من مصر) بالصاد المهملة

(٣) البرى ـ تقدم تفسيره ـ وقوله نها ـ كذا فى هامش أصح النسخ وقيده باشارة صح وفى الموازنة نهى ـ وفى النقد نهتى بتقديم النون وليحرر

(٤) الشول ـ من النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها ـ والذيال ـ الطويلة الذيل

وقال جرير

وما زال معقولا عقال عن الندى وما زال محبوسا عن الخير حابس (١)

وقال امرئ القيس

بلاد عريضة وأرض أريضة (مدافع غيث في فضاء عريض)

وقال آخر وطيب ثمار في رياض أريضة

وقال حميد الأرقط مرتجز في عارض عريض

ومن أشعار المحدثين . قول الشاعر (٢)

وسميته يحيى ليحيى ولم يكن الى رد أمر الله فيه سبيل

تيممت فيه الفأل حين رزقته ولم أدر ان الفأل فيه يفيل

وقال البحترى

نسيم الروض فى ريح شمال وصوب المزن فى راح شمول

وهذا من أحسن مافى هذا الباب . وقال أبو تمام

سعدت غربة النوى بسعاد نهى طوع الاتهام والانجاد

وهذا من الابتداءات المليحة .. وقال فيها

عاتق معتق من اللوم إلا من معاناة مغرم أو نجاد

ملّيتك الاحساب أى حياة وحيا ازمة وحيّة واد

---

(١) أنشده جامع ديوانه هكذا

فما زال معقولا عقالا عن العلى وما زال محبوساً عن المجد حابس

(٢) أوردها صاحب المعاهد فى قسم الجناس المستوفى ونسبها لمحمد بن عبد الله بن كناسة الاسدى الكوفى وروى البيت الثانى هكذا

تفاءلت لو يغنى التفاؤل باسمه وما خلت فالاقبل ذاك يفيل

لو تراخت يداك عنها فواقا أكلتها الايام أكل الجراد
كادت المكرمات تنهدُّ لولا انها أيدت بيحيى اياد

وقال البحتري

راحت لاربعك الرياح مريضة واصاب مغناك الغمام الصيب

وقال مسلم بن الوليد

لعبت بها حتى محت آثارها ريحان رايحتان باكرتان

وقال آخر

(لاتصغ للوم ان اللوم تضايل وأشرب ففي الشرب للاحزان تحليل)
(فقدمضى القبط واحتثت رواحله) وطابت الراح لما آل أيلول
(لم يبق في الارض نبت يشتكي رمدا الا وناظره بالطل مكحول)

وقال اليزيد * للاصمعي

وما أنت هل أنت الا امرؤ اذا صح أصلك من باهله
وللباهلي على خبزه كتاب لآكله الاءكله

وقال آخر

قد بلغت الاشد لاشدك ا لله وجاوزته وانت مليم (١)

وقال مسلم

يورى بزندك أو يسعى بجدك أو يفرى بحدك كل غير محدود
وقال : وليس يبالى حين يحتك جرها صدود صداء واجتناب بني جنب

وقال البحتري

---

(١) نسخة ـ وأنت مريب

لولا علي بن مرّ لاستمرّ بنا خابٍ من العيش فيه الصاب والصبر
برد الحشى وهجير الروع محتفل ومسعر وشهاب الحرب يستعر
ألوي اذا شابكّ الاعداء كرّهم حتى يروح وفي اظفارهم الظفر
جافي المضاجع ماينفك في لجب يكاد يقمر من لألآئه القمر

وقال

حيا الارض ألقت فوقه الارض ثقلها وهول الاعادى فوقه الترب هايل
ستبكيه عين لاترى الخير بعده اذا فاض منها هامل عاد هامل

وقال الطائى

ورمي بثغرته الثغور فسدها طلق اليدين مؤملا مرهوبا

وانشدني العتبي: دنس القميص غليظه من غر لحيته سداه
وشـاره من شعره فكأنه من مسك شاه[1]

وجنس أبو تمام أربع تجنيسات في بيت واحد ولعله لم يسبق اليه وهو . قوله

بجوافر حفر وصلب صلاب وأشاعر شعر وخلق أخلق

وقوله أيضاً

لسلمي سـلامان وعمرة عامر وهند بني هند وسعدى بنى سعدى

ومما جنس فيه تجنيسين . . قوله

ففصلن منه كل مجمع مفصل وفعلن فاقرة بكل فقار

ومن التجنيس ضرب آخر وهو أن تأتي بكلمتين متجانستى الحروف . . إلا أن في حروفها تقديماً وتأخيراً .. كقول أبى تمام

بيض الصفائح لاسود الصحايف في متونهن جلاء الشك والريب

---

(١) نسخة ــ في مسك شاه

وقلت فى حية

منقوشة تحكى صدور صحايف　　أبانَ يبدوا من صدور صفائح

وقيل لابنة الحس(١) كيف زنيت مع عقلك.. فقالت طول السواد. وقرب الوساد ومن التجنيس نوع آخر يخالف ما تقدم بزيادة حرف أو نقصانه . . وهو مثل قول الله عز وجل (وهم ينهون عنه وينأون عنه) وقوله تعالى (كعرض السماء والارض) وقوله جل ذكره (والليل وما وسق والقمر إذا اتسق) وقوله سبحانه (ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) .. وكتب عبدالحميد الناس أخياف مختلفون . وأطوار متباينون . منهم علق مضنة لا يباع . ومنهم غل مظنة لا يبتاع .. ورفع رجل هاشمى يسمى عبدالصمد صوته فى مجلس المأمون عند مناظرة .. فقال المأمون لا ترفعن صوتك يا عبدالصمد . ان الصواب فى الاسد لا الاشد .. وكتب كافى الكفاة رحمه الله فأنت أدام الله عزك . وان طويت عنا خبرك . وجعلت وطنك وطرك . فأنباؤك تأتينا . كما وشى بالمسك رياه . ودل على الصبح محياه . . وقال على رضى الله عنه كل شىء يعز حين ينزر . والعلم يعز حين يغزر .. وقال بعضهم عليك بالصبر . فانه سبب النصر . ولا تخض الغمر . حتى تعرف الغور .. وقال آخر راش سهامه بالعقوق . ولوى ماله عن الحقوق . وقال النبى صلى الله عليه وسلم (الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيمة) . . ودعا على بن عبدالعزيز الما فروخى * صاعد بن مخلد فى يوم مطير . فتخلف عنه واعتذر اليه .. فكتب اليه على . ماشق طريق . هدى الى صديق . وإنما جعلت المطر . لليوم الماطر . فركب اليه . . ومن المنظوم قول الاعشى

رب حى أشقاهم آخر الدهر　　وحىٍّ أسقاهم بسجال

وقوله　　بلبون المعزابة المعزال (٢)

---

(١) نسخة ـ ابنة الخس بالخاء المعجمة

(٢) المعزابة ـ الناقة الطالبة الكلاء

وقول أوس بن حجر

أقول فأما المنكرات فأتقى ... وأما الشذا عني الملمّ فأشذب (١)

وقال امرئ القيس ... بسام ساهم الوجه حسان

وقال بن مقبل *

يمشين هيل النقا مالت جوانبه ... ينهال حينا وينهاه الثرى حينا

وقال زهير

هم يضربون حبيك البيض إن لحقوا ... لا ينكلون اذا ما استلحموا وحموا

وقال ... فى متناه متناه كوكبه

وقال الحطيئة

وان كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وان أنعموا لا كدّروها ولا كدوا

وقال آخر ... مطاعين فى الهيجا مطاعيم فى القرى

وقال أبو ذوئيب

اذا ما الخلاجيم العلاجيم نكلوا ... وطال عليهم حمئها واستعارها (١)

وقال آخر ... على الهام منها قيضُ بيضٍ مفاقِ (٢)

---

(١) الشذا — بالذال المعجمة من الاذى وشاهده البيت — وأشذب — ألقى

وقال بن مقبل *

(٢) هكذا فى سائر نسخ الاصل . . وأنشده فى اللسان

اذا ما العلاجيم الخلاجيم نكلوا ... وطال عليهم ضرسها وسعارها

قال — العلاجيم — الطوال (أى من الابل) ونقل عن الكلابى بانه شداد الابل وخيارها — والخلاجيم — اراد الخلاجم . . (والخلجم الجسيم العظيم) فأشبع الكسرة فنشأت بعدها ياء

(٣) القيض — قشرة البيضة العليا اليابسة

وقال كفاه مخالفة ومتلفة وعطاؤه متخرق جزل

ومن شعر المحدثين . . قول البحترى

من كل ساجى الطرف أغيد أجيد ومهفهف الكشحين أحوى أحور

وقوله

فقف مسعداً فيهن ان كنت عاذرا وسر مبعدا عنهن ان كنت عاذلا

وقوله سنان أمير المؤمنين وسيفه وسيب أمير المؤمنين ونائله

وقوله هل لما فات من تلاف تلافى أو لشاك من الصبابة شافى

وقول أبي تمام

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

اذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا صدور العوالى فى صدور الكتائب

وقوله ولم أرى كالمعروف تدعى حقوقه مغارم فى الاقوام وهى مغانم

وقول الآخر لله ما صنعت بنا تلك المحاجر فى المعاجر

امضى وانفذ فى القلو ب من الخناجر فى الحناجر

وقلت عذيرى من دهر موار موارب له حسنات كلهن ذنوب

وقلت آفة السر من جفو ن دوام دوامع

كيف يخفى مع الدمو ع الهوامى الهوامع

وقلت أيضا

خليفة شهم كلما اسمحت محت معالم جدب لم يطق محوها المطر

ومما عيب من التجنيس .. قول أبي تمام

أهيس أليس لجاء الى همم يعرف الهيس فى آذيها الليسا (١)

(١) هكذا رواية البيت فى أصح نسخ الاصل . . وفى نسخة

تغرق الاسد فى آذيها الليسا

وكذا جاء فى نسخة ديوانه . . قال فى الموازنة فان ابا تمام كان لعمرى يتتبعه

ومما عيب من التجنيس الاول .. قول أبى تمام أيضاً

خان الصفا أخ خان الزمان أخا عنه فلم تتخون جسمه الكمد

وقوله

قرت بقران عين الدين وانشترت بالاشترين عيون الشرك فاصطلما[1]

فهذا مع غثاثة لفظه وسوء التجنيس فيه يشتمل على عيب آخر وهو أن انشتار العين لا يوجب الاصطلام . . وقوله

ان من عق والديه لملعو ن ومن عق منزلا بالعقيق

وقوله خشنت عليه أختَ بنى خشينِ

وهذا فى غاية الهجانة والشناعة . . وقد جاء فى اشعار المتقدمين من هذا الجنس نبذ يسير .. منه قول امرىء القيس

وسنّ كسنيقٍ سناءٍ وسُنماً ذعرت بمدلاج الهجير نهوض[2]

(أى وحشى الكلام) ويتطلبه ويتعمد ادخاله فى شعره فمن ذلك قوله

اهلس اليس لجاء الى همم تغرق الغيس فى آذيها الليس

ثم قال ويروى — اهيس . اليس ـ والاهيس الجاد وهذه الرواية اجود ـ والهلاس ـ السلال من الهزال فكأن قوله اهلس يريد خفيف اللحم ـ والاليس الشجاع البطل الغاية فى الشجاعة وهو الذى لا يكاد يبرح موضعه فى الحرب حتى يظفر أو يهلك .. وفى هامش احدى النسخ — أهيس — من صفة الاسد وهو المقدام — والاذى — الموج — والليسا — جمع اليس مثل أبيض

(١) قوله وانشترت ـ هكذا فى الاصول . . وفى ديوانه واشتترت أى استرخت عينه وانشقت ـ والاشتران قائدان للمتعصم ابليا ذلك اليوم بلاء حسنا

(٢) قال فى الموازنة ـ ولم يعرف الاصمعى هذا . . وقال ابو عمرو هو بيت مسجدى أى من عمل أهل المسجد . . وقال الاصمعى ـ السن ـ الثور ولم يعرف سنيقا ولا سنما . . ويقال ـ سنيق ـ جبل ويقال اكمة ـ وسنم ههنا البقرة الوحشية

ولم يعرف الاصمعى وأبو عمر معنى هذا البيت .. وقال الاعشى

وقد غدوت الى الحانوت يتبعنى   شاوٍ مشلٌ شلول شلشل شولُ (١)

تبعه مسلم بن الوليد . فقال

سلتْ وسُلتْ ثم سُلَّ سليلها   فأتى سليل سليلها مسلولا (٢)

وقال أبو الغمر * (يصف السحاب)

(نسجته الجنوب وهي صناع   فترقى كأنه حبشى)

وقرى كل قَرْية كان يقروْ   ها قرىً لايجف منه قرى

وهذا مستهجن لايجوز لمتأخر ان يجعله حجة فى اتيان مثله . لان هذا وأمثاله شاذ معيب والعيب من كل أحد معيب . وانما الاقتداء فى الصواب لافى الخطأ . وقد قال بعض المتأخرين ماهو أقبح من جميع مامر فى قوله وليس من التجنيس (٣)

سناء ـ اى ارتفاعا . ويروى سناما ـ اى ارتفاعا أيضا من سنمت الجبل علوته ووجدت فى هامش نسخة ـ السنم ـ نوع من بقر الوحش ـ والسنيق ـ الصخرة وقوله مدلاج ـ من دلج أى مشى ليس من ادلج كما زعم بعضهم قاله الوزير ابو بكر

(١) قال ابو بكر الوزير ـ الشاوى ـ الذى شوى ـ والشلول ـ الخفيف ـ والمشل ـ المطرد ـ والشلشل ـ الخفيف القليل وكذلك الشول والالفاظ متقاربة اريد بذكرها والجمع بينها المبالغة (نادرة) قال الآمدى قرأ هذه القصيدة على أبى الحسن على بن سليمان النحوى قارىء فلما بلغ الى هذا البيت قال ابو الحسن صرع والله الرجل

(٢) نسخة ـ بدل فأتى . فغدا . وفى نسخة ابدل فى سائر حروفها السين المهملة شينا معجمة ولاشك انه من تصحيف النساخ . وفى نسخة ديوانه بدل وسلت . فسلت وقال شارحه يقول رقت بطول القدم ثم رقق رقيقها فاتى رقيق رقيقها مرققا (يعنى الخمر)

(٣) قائلة أبو الطيب المتنبى . وكذا الذى بعده ولم أره فى نسخة ديوانه المطبوع

ولا الضعف حتى يتبعَ الضعف ضعفهُ

ولا ضعفَ ضعفِ الضعفِ بل مثله ألفُ

وقوله فقلقلت بالهمّ الذي قلقلَ الحشى قلاقلَ عيس كلهنّ قلاقل

وقيل لابى القمقام الا تخرج الى الغزاة بالمصيصة . فقال امضى الله اذاً بظرامى

ومن التجنيس المعيب قول بعض المحدثين . أنشده ابن المعتز

أكابد منكم أليم الألمْ وقدا نحلَ الجسم بعد الجسم

وقول الاخر

كم رأسِ رأسٍ بكى من غير مقلته دماً وتحسبه بالقاع مبتسماً

وقول (ابراهيم أبو الفرج *) البندنيجى فى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

هى الجاء آزر الا انها حور كأنها صور لكنها صور

نور الحجال ولكن من معايبها اذا طلبت هواها أنها نور

غيداًء لو بلّ طرف البابلىّ بها لارتدّ وهو بغير السحر مسحور

ان الزواح جلا رَوْحَ العراق لنا أصلا وقد فصلتْ من مكة العير

تشكوا العقوق وقد عق العقيق لها وأرض عروةَ من بطحان فالنير

يحتثها كل زَوْل دأبه دأب من طول شوق وهجيراه تهجير

مقوّرة الآل من خوْض الفلاة اذا ما اعتم بالآل في ارجائها القورَ

هذا البيت قريب من قول أبى تمام (١)

أحطت بالحزم حيز وما أخا همم كشاف طخياء لا ضيقا ولا حرجا

---

(١) هكذا فى نسختين . وفى نسخة . وقال أبو تمام

وقال المخزومى فى طاهر بن الحسين(١)

ولو رأى هرم معشار نائله　　لقيل فى هرم قدجن اوهرما

الفصل الرابع

فى المقابلة

المقابلة ايراد الكلام ثم مقابلته بمثله فى المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة . (٢) فاما ما كان منها فى المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل . مثاله قول الله تعالى (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) فخواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم ونحو قوله تعالى (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا) فالمكر من الله تعالى العذاب جعله الله عزوجل مقابلة لمكرهم بانبيائه وأهل طاعته . وقوله سبحانه (نسوا الله فنسيهم) وقوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) ومن ذلك قول تأبط شرا

أهزّ به فى ندْوَةَ الحى عطفه　　كما هزّ عطفى بالهجان الأوارك

وقول الآخر (٣)

ومن لو أراه صاديا لسقيته　　ومن لو رآنى صاديا لسقانى

ومن لو أراه عانيا لفديته　　ومن لو رآنى عانيا لفدانى

فهذا مقابله باللفظ والمعنى . . وأما ما كان منها بالالفاظ . . فمثل قول عدى بن الرقاع

ولقد تبيت يد الفتاة وسادة　　لى جاعلا احدى يدي وسادها

---

(١) نسخة . وقال المهزمى . وعندها اشارة الصحة

(٢) نسخة ــ بمثله فى المعنى أو اللفظ على جهة الموافقة والمخالفة

(٣) قائلها ــ عروة بن حزام . . ويروى ــ غائبا ــ بدل عانيا

وقال عمرو بن كلثوم

ورثناهن عن آباء صدق ونورثها اذا متنا بنينا

ومن النثر . . قول بعضهم فان أهل الرأى والنصح . لا يساويهم ذو الافن والغش . وليس من جمع الى الكفاية الامانة . كمن أضاف الى العجز الخيانة . . فجعل بازآء الرأى الافن وبازاء الامانة الخيانة فهذا على وجه المخالفة . . وقيل للرشيد ان عبد الملك بن صالح يعد كلامه فانكر ذلك الرشيد .. وقال اذا دخل فقولوا له ولد لامير المؤمنين فى هذه الليلة ابن ومات له ابن ففعلوا . . فقال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك . ولا ساءك فيما سرك . وجعلها واحدة بواحدة ثواب الشاكر . وأجر الصابر . . فعرفوا أن بلاغته طبع . . وكتب جعفر بن محمد بن الاشعث * الى يحى بن خالد يستعفيه من عمل . . شكرى لك على ما أريد الخروج منه . شكر من نال الدخول فيه . . وكتب بعض الكتاب الى رجل فلو أن الاقدار اذا رمت بك فى المراتب الى أعلاها . بلغت بك من أفعال السودد منتهاها . لوازنت مساعيك . مراقيك . وعادلت النعمة عليك . النعمة فيك . ولكنك قابلت رفيع المراتب . بوضيع الشيم . فعاد علوك بالاتفاق . الى حال دونك بالاستحقاق . وصار جناحك فى الانهياض . الى مثل ما عليه قدرك فى الانخفاض . ولا عجب ان القدر أذنب فيك فأناب . وغلط بك فعاد الى الصواب فاكثر هذه الالفاظ مقابلة . . وقال الجعدى (١)

فتى كان فيه ما يسر صديقه على ان فيه ما يسوء الاعاديا

(١) اورده الطائى فى الحماسة . . وأورد بعده

فتى كملت خيراته غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا

قال الخطيب التبريزى فى الشرح موضع ـ فتى ـ فى البيتين جميعا نصب على الاختصاص كانه قال اذكر فتى هذه صفته ولا يمتنع أن يكون موضعه رفعا على انه خبر مبتدا محذوف . . وقوله ـ كان فيه ـ اورده فى الاعجاز فتى تم فيه الخ

وقال آخر

واذا حديث سأنى لم اكتئب واذا حديث سرنى لم آشر [1]

وهذا فى غاية التقابل . . ومن مقابلة المعانى بعضها لبعض وهو من النوع الذى تقدم فى اول الفصل . . قول الاخر

وذى اخوةٍ قطعت أقران بينهم كما تركونى واحدا لا أخا ليا

وقول الاخر (٢)

أسرناهم وانعمنا عليهم وأسقينا دماءهم الترابا

فما صبروا لبأس عند حرب ولا أدوا لحسن يد ثوابا

فجعل بازآء الحرب ان لم يصبروا وبازآء النعمة ان لم يثيبوا فقابل على وجه المخالفة : وقال آخر

جزى الله عنا ذات بعل تصدقت على عزبٍ حتى يكون له أهل

فانا سنجزيها بمثل فعالها [3] اذا ما تزوجنا وليس لها بعل

فجعل حاجته وهو عزب بحاجتها وهى عزب ووصاله اياها فى حال عزبتها كوصالها اياه فى حال عزبته . فقابل من جهة الموافقة . . ومن سؤ المقابلة . . قول امرىء القيس

فلو انها نفس تموت سويةً ولكنها نفس تساقط أنفسا

ليس — سوية — بموافق — لتساقط — ولا مخالف له . ولهذا غيره أهل المعرفة

(١) الاشر — المرح والبطر . . وقد وقعت هنا بمد الالف فى سائر الاصول وكذا فى النقد وخالفهما فى الاعجاز فرواه هكذا (وإذا حديث سرنى لم أسرر) فليحرر

(٢) نسبهما فى النقد للطرماح بن حكيم . . وقول المصنف (إن لم يثيبوا) الذى فى النقد .. وبازاء ان أنعموا عليهم ان يثيبوا . . فتأمل

(٣) فى النقد — فانا سنجديها كما فعلت بنا — والجدا — العطية

فجعلوه جميعة (١) لانه بمقابلة تساقط اليق . . وفساد المقابلة ان تذكر معنى تقتضى الحال ذكرها توافقه أو تخالفه فيؤتى بما لا يوافق ولا يخالف . . مثل أن يقول فلان شديد البأس . نقى الثغر . أو جواد الكف . ابيض الثوب . . أو تقول ما صاحبت خيرا . ولا فاسقا . وما جاءنى احمر . ولا اسمر . . ووجه الكلام أن تقول ما جاءنى احمر ولا اسود . وماصاحبت خيراً ولاشريرا . وفلان شديد البأس . عظيم النكاية . وجواد الكف كثير العرف . . وما يجرى مع ذلك لان السمرة لاتخالف السواد غاية المخالفة . . ونقاء الثغر لايخالف شدة البأس ولا يوافقه فاعلم ذلك وقس عليه ... ومما يقرب من هذا . . قول ابى عدى القرشى

يابن خير الاخيار من عبد شمس　　انت زين الورى وغيث الجنود

فوضع زين الورى مع غيث الجنود فى غاية السماجة . . . وقريب منه ... قول الآخر .

خودٌ تكامل فيها الدلُّ والشنبُ

ومثله قول أبى تمام

وزير حق ووالى شرطة ورحى　　ديوان ملك وشيعى ومحتسب

ومن مختار المقابلة وكان ينبغى تقديمه فلم يتفق . . ما كتب الحسن بن وهب لاترض لى بيسير البر . فانى لم أرض لك بيسير الشكر . ودع عنى مؤونة التقاضى كما وضعت عنك مؤونة الالحاح . واحضر من ذكرى فى قلبك . ماهو اكفى من قعودى بصدرك . فأنى احق من فعلت به . كما انك احق من فعله بى . وحقق الظن . فليس وراك مذهب . ولا عنك مقصر

---

(١) قوله فجعلوه جميعة — هى رواية الاصمعى وقوله — تساقط — قال الوزير أبو بكر بضم التاء ومعناه يموت بموتها بشر كثير

الفصل الخامس

فى صحة التقسيم

التقسيم الصحيح أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من اجناسه .. فمن ذلك قول الله تعالى (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا) وهذا احسن تقسيم لان الناس عند رؤية البرق بين خايف وطامع ليس فيهم ثالث.

ومن القسمة الصحيحة : قول اعرابى لبعضهم النعم ثلاث . نعمة فى حال كونها . ونعمة ترجى مستقبلة . ونعمة تأتى غير محتسبة . فابقى الله عليك ماانت فيه . وحقق ظنك فيما ترتجيه . وتفضل عليك بما لم تحتسبه : فليس فى اقسام النعم التى يقع الانتفاع بها قسم رابع سوى هذه الاقسام .. ووقف اعرابى على مجلس الحسن . فقال رحم الله عبدا اعطى من سعة أو آسى من كفاف . أو آثر من قلة . فقال الحسن ماترك لاحد عذراً : فانصرف الاعرابى بخير كثير ..وقول ابراهيم بن العباس وقسم الله تعالى عدوه اقساما ثلاثة . روحا معجلة الى عذاب الله . وجثة منصوبة لاولياء الله . ورأساً منقولا الى دار خلافة الله .. ليس لهذه الاقسام رابع ايضا فهى فى نهاية الصحة .. ومن المنظوم قول نصيب

فقال فريق القوم لا وفريقهم   نعم وفريق لايمن الله ماندري [1]

---

(١) هكذا فى نسختين من الاصل .. وفى نسخة بحذف الف الوصل من قوله ــ أيمن الله ــ قال فى اللسان ــ وأيمن ــ اسم وضع للقسم هكذا بضم الميم والنون وألفه ألف وصل عند أكثر النحويين ولم يجىء فى الاسماء ألف وصل مفتوحة غيرها .. ثم قال وقد تدخل عليه اللام لتأكيد الابتداء تقول ــ ليمن الله ــ فتذهب الالف فى الوصل وأنشد بيت نصيب هكذا

فقال فريق القوم لما نشدتهم   نعم وفريق ليمن الله ما ندرى

فليس فى أقسام الاجابة عن المطلوب اذا سئل عنه غير هذه الاقسام. قال الشماخ

متى ماتقع أرساغه مطمئنةً   على حجر يرفض او يتدحرج [1]

والوطء الشديد إذا صادف الموطوء رخواً ارفض منه أو صلبا تدحرج عنه . وقول الآخر

ياأسم صبراً على ما كان من حدث   انَّ الحوادثَ ملقى ومنتظرُ

وليس فى الحوادث الا ما لقى أو انتظر لقيه .. وقول الآخر (٢)

والعيش شحٌّ واشفاقٌ وتأميل

وكان عمر رضى الله عنه يتعجب من صحة هذه القسمة .. وقول زهير

فان الحق مقطعهُ ثلاثٌ   يمين أو نفار أو جلاء [3]

(فذلكم مقاطع كلِّ حق   ثلاث كلهن لكم شفاء)

وكان يعجب أيضاً بهذا البيت ويقول لوأدركت زهيراً لوليته القضاء لمعرفته ومن عيوب القسمة . قول بعض العرب

سقاه سقيتين الله سقياً   طهوراً والغمامَ يرى الغماما

فقال ــ سقيتين ــ ثم قال ــ سقيا طهورا ــ ولم يذكر الاخرى وقيل أراد فى

ووجدت قدامة أورده فى الباب المذكور من النقد هكذا

فقال فريق القوم لا وفريقهم   نعم وفريق قال ويحك لا أدرى

(١) فى غير أصول الكتاب ــ متى وقعت أرساغه الخ والبيت يصف فيه صلابة سنابك الحمار وشدة وطئه على الارض

(٢) قائله عبدة بن الطبيب .. وصدره (والمرء ساع لامر ليس يدركه)

(٣) فى هامش نسخة .. قوله يمين الخ ــ أى يحلفون أنهم لم يفعلوا أو يتنافروا الى حاكم يحكم بينهم أو يكشفوا الامر حتى ينجلى أى يضح والجلية الامر البين الواضح ومنه الجلاء كل ما يجلو البصر

الدنيا في الاخرة وهذا مردود لان الكلام لا يدل عليه . وقول عبيد الله بن سليم (١)

فهبطت غيثا ما يُفزّع وحشهُ ... من بين مسربٍ ناوي وكنوسٍ

فقسم قسمة رديئة . لانه جعل الوحش بين سين وداخل في كناسه . وكان ينبغي ان يقول — من بين سمين وهزيل — أو بين كانس وظاهر — ويجوز ان يكون السمين كانساً وراتعاً والكانس سميناً وهزيلا . وما أعرف لهذا شبها الا قول كيسان حين سأل . فقال علقمة بن عبدة . جاهلي أو من بني تميم . ومثله ما كتب بعضهم فمن بين جريح مضرج بدمائه . وهارب يلتفت الى ورائه : فالجريح قد يكون هاربا والهارب قد يكون جريحا . ولو قال فمن قتيل لصح المعنى . ومثله قول قيس بن الخطيم

وسلوا صريحَ الكاهنين ومالكاً ... كم فيهماُ من دارع ونجيبِ

ليس — الدارع من النجيب — بشيء (٢) وقريب منه . قول الاخطل

اذا التقت الابطالُ أبصرت لونه ... مضيئا واعناقُ الكماةِ خضوعُ

كان ينبغي ان يقول وألوان الكماة كاسفة . ومضيئة مع خضوع رديء جدا ومن القسمة الرديئة قول جرير

صارت حنيفة اثلاثا فثلثهم ... من العبيد وثلث من موالينا

فانشده ورجل من حنيفة حاضر . فقيل له من أي قسم أنت . فقال من الثلث الملغى ذكره .

ومن هذا الجنس ماذكره قدامة . ان ابن ميادة كتب الى عامل من عماله هرب من صارفه . انك لا تخلوا في هربك من صارفك . ان يكون قدمت اليه اساءة خفته معها . أو خشيت في عملك خيانة رهبت بكشفه اياك عنها . فان كنت اسأت

---

(١) في نسخة — عبيد الله بن سليمان . وقوله — ناوي — أي سمين . يقال نوى اذا سمن . قاله في النقد وسمى قائله عبد الله بن سليم الغامدي ورواه سربا بدله غيثا وسرب بدل مسرب فليحرر

(٢) نسخة — ليس النجيب من الدارع في شيء

فأول راضي سنه من يسيرها (١)

وان كنت خفت خيانة فلابد من مطالبتك بها . فكتب العامل تحت هـذا التوقيع . فى الاقسام مالم يدخل فيما ذكرته . وهو انى خفت ظلمه اياى بالبعد عنك . وتكثيره على الباطل عندك . فوجدت الهرب الى حيث يمكننى فيه دفع مايتخرصه أنفى للظنة عنى . وبعدى عمن لا يؤمن ظلمه أولى بالاحتياط لنفسى .

ومن القسمة الرديئة أيضاً . قول ابن القرية . الناس ثلاثة عاقل . وأحمق . وفاجر . فالفاجر يجوز أن يكون أحمق ويجوز أن يكون عاقلا . والعاقل يجوز أن يكون فاجرا وكذلك الاحمق وإذا دخل أحـد القسمين فى الآخر فسدت القسمة .. كقول أمية بن أبى الصلت

لله نعمتنا تبارك ربنا رب الانام ورب من يتأبد (٢)

داخل فى الانام من يتأبد . . وكذلك قول الآخر

أبادر أهلاك مستهلك لمالى وان عبث العابث

فعبث العابث داخل فى اهلاك المستهلك . . وكذلك قول الآخر

فما برحت تومي اليك بطرفها وتومض أحيانا اذا طرفها غفل (٣)

فتومى وتومض واحد .. وقول جميل

---

(١) عجز بيت لم أقف على قائله وصـدره (فلا تجز عن من سنة أنت سرتها)

(٢) قال قدامة فى النقـد . . ليس يجوز أن يكون أراد بقوله ـ من يتأبد ـ الوحش لان من لا تقع على الحيوان غير الناطق . . وإذا كان الامر على هذا ـ فمن يتأبد ـ يتوحش داخل فى الانام . . أو يكون أراد بقوله يتأبد أى يتقوت من الابد وذلك داخل فى الانام

(٣) نسخة ـ خصمها . . بدل قوله طرفها .. وكذا رواه فى النقد وروى ـ الى ـ بدل قوله اليك

لو كان فى قلبى كقدر قلامة حب وصلتك أو أتتك رسائلى

فأتيان الرسائل داخل فى الوصل . . ومن ذلك ايضا ما كتب بعضهم ففكرت مرة فى عزلك . ومرة فى صرفك وتقليد غيرك . . وفى فصل آخر كتب هذا الرجل إلى عامل .. فتارة تسرق الاموال وتختزلها . وتارة تقتطعها وتحتجبها . . فمعنى الجزءين واحد

الفصل السادس

فى صحة التفسير

وهو أن يورد معانى فيحتاج الى شرح أحوالها فاذا شرحت تأتى فى الشرح بتلك المعانى (١) من غير عدول عنها أو زيادة تزادفيها . . كقول الله تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) فجعل السكون لليل . وابتغاء الفضل للنهار . فهو فى غاية الحسن . ونهاية التمام . . ومن النثر ما كتب بعضهم . . ان لله عز وجل نعما . لو تعاون خلقه على شكر واحدة منها لافنوا اعمارهم قبل قضاء الحق فيها . ولى ذنوب لو فرقت بين خلقه جميعا . لكان كل واحد منهم عظيم الثقل منها . ولكنه يستر بكرمه ويعود بفضله . ويؤخر العقوبة انتظاراً للمراجعة من عبده . . ولا يخلى المطيع والعاصى من احسانه وبره فذكر جملتين وهما نعم الله تعالى وذنوب عبده ثم فسر كل واحدة منهما مرتين تفسيرا صحيحا . . قوله يستر بكرمه راجع الى الذنوب وقوله يعود بفضله راجع الى النعم فاستوفى .. ثم قال ويؤخر العقوبة فهذا أيضاً راجع إلى الذنوب . . وقوله ـ ولا يخلى المطيع والعاصى من احسانه وبره راجع إلى النعم فهو تفسير صحيح فى تفسير صحيح .. ومن ذلك قول بعض أهل الزمان وقد كتب اليه بعض الاشراف كتاباً

(١) نسخة ـ وهو أن يورد معنى يحتاج الى شرح احواله فاذا شرحت تأتى بتلك المعانى فى الشرح الخ

وسأله أن يصلح مايجد فيه من سقم .. فكتب اليه فاما مارسمه من سد ثلمه وجبر كسره . ولم شعثه . فاى ثلم يوجد فى اديم السماء . وأى كسر يلفى فى حاجب ذكاء . وأى شعث يرى فى الزهرة الزهراء .. ففسر الثلاثة ولم يغادر منها واحدا

ومثاله من المنظوم .. قول الفرزدق

لقد جيئت قوما لو لجأت اليهم　　طريد دم أو حاملا ثقل مغرم

لالفيت فيهم معطيا أو مطاعنا　　وراءك شزرا بالوشيج المقوم

ففسر قوله — حاملا ثقل مغرم — بقوله — تلقى فيهم من يعطيك — وقوله طريد دم بقوله — تلقى فيهم من يطاعن دونك — وقال ابن مطير فى السحاب

وله بلا حزن ولا بمسرة　　ضحك يراوح بينه وبكاء (١)

وقول المقنع

لا تضجرنّ ولا يدخلك معجزة　　فالنجح يهلك بين العجز والضجر

وضرب منه قول صالح بن جناح اللخمى *

لئن كنت محتاجا الى الحلم اننى　　الى الجهل فى بعض الاحايين احوج

ولى فرس للحلم بالحلم ملجم　　ولى فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن رام تقويمى فانى مقوّم　　ومن رام تعويجى فانى معوج

وقول سهل بن هرون (٢)

فواحسرتا حتى متى القلب موجع　　بفقد حبيب أو تعذر افضال

فراق حبيب مثله يورث الأسى　　وخلة حر لايقوم لها مالى

وقال آخر

شبه الغيث فيه والليث والبد　　ر فسمحٌ ومحربٌ وجميل

---

(١) نسخة يؤلف . بدل يراوح

(٢) هكذا وقع اسمه فى سائر الاصول .. وفى النقد سهل بن مروان وانشدهما

وقلت

كيف أسلوا وانت حقف وغصن وغزال لحظاً وردفاً وقدّا [1]

وقال آخر

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت باحسن موصولين كف ومعصم

ومن عيوب هذا الباب ما انشده قدامة

فيا أيها الحيران فى ظلمة الدجى ومن خاف أن يلقاه بغى من العدا

تعال اليه تلق من نور وجهه ضياء ومن كفيه بحرا من الندا

وكان يجب أن يأتى بازاء بغى العدى بالنصرة أو بالعصمة أو بالوزر أو ما يجانس ذلك مما يحتمى به الانسان كما وضع بازاء الظلمة الضياء.. فاما اذا وضع بازاء ما يتخوف من بغى العدا بحراً من الندى فليس ذلك تفسيرا لذلك . ومن فساد التفسير . ما كتب بعضهم من كان لامير المؤمنين كما أنت له من الذب عن ثغوره والمسارعة الى مايهيب به اليه من صغير أمره وكبيره . كان جديرا بنصح أمير المؤمنين فى أعماله . والاجتهاد فى تثمير أمواله . فليس الذى قدم من الحال التى عليها هذا العامل من الذب عن الثغور والمسارعة فى الخطوب ما سبيله أن يفسر بالنصح فى الاعمال وتثمير الاموال ولعله لو أضاف الى ذكر الذب عن الثغور ذكر الحياطة فى الامور لكان بهذا المضاف يجوز ان يفسر بالنصح فى الاعمال والتثمير للاموال

الباب السابع

﴿ فى الاشارة ﴾

الاشارة أن يكون اللفظ القليل مشارا به الى معان كثيرة بايماء اليها . ولمحة تدل عليها (٢) وذلك كقوله تعالى (اذ يغشى السدرة ما يغشى) وقول الناس لو رأيت

---

(١) الاحقف ـ الخميص من الجمال

(٢) فى هامش إحدى النسخ ملحق بغير اشارة الصح هذه العبارة .. كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة فقال هى لمحة دالة . . ثم وجدتها بحروفها فى النقد ومن حيث لها رابطة بالاصل نبهت عليها

عليا بين الصفين . فيه حذف واشارة الى معان كثيرة . وأخبرنا أبو أحمد . قال أخبرنا أبو بكر الصولى . قال أخبرنا الخزنبل قال لماولى المهتدى بالله وزارته سليمان ابن وهب . قام اليه رجل من ذى حرمته . فقال أعز الله الوزير . خادمك المؤمل لدولتك . السعيد بأيامك . المنطوى القلب على مودتك . المبسوط اللسان بمدحتك المرتهن الشكر بنعمتك . وانما أنا كما قال القيسى . مازلت أمتطى النهار اليك . واستدل بفضلك عليك . حتى اذا اجننى الليل . فقبض البصر . ومحا الأثر . قام بدنى . وسافر أملى . والاجتهاد عذر . واذا بلغتك فقط . فقال سليمان لا بأس عليك فانى عارف بوسيلتك محتاج الى كفايتك . ولست أوخر عن يومى هذا توليتك عما يحسن عليك أثره . ويطيب لك خبره إن شاء الله : فقوله ـ وإذا بلغتك فقط ـ اشارة الى معان كثيرة يطول شرحها . . وكتب آخر الى آخر أتعيرنى وأنا أنا . والله لازرن عليك الفضاء . ولا بغضنك لذيذ الحياة . ولا حببن اليك كريه الممات .. ما أظنك تربع على ظلعك . وتقيس شبرك بفترك . حتى تذوق وبال أمرك . فتعتذر حين لا تقبل المعذرة . وتستقيل حين لا تقال العثرة .. فقوله ـ وأنا أنا ـ اشارة الى معان كثيرة وتهديد شديد وإيعاد كثير . . ومن المنظوم قول امرىء القيس

فان تهلكَ شنوْاة أو تبدَّلْ ... فسيري انَّ فى غسان حالا

بعزهِم عززْت وانْ يذلوا ... فذلهم انا أنا لك ما أنالا

فقوله ـ ان فى غسان حالا (١) وأنا لك ما أنالا ـ اشارة الى معان كثيرة

(١) هكذا فى الاصول ـ حالا ـ بالمهملة ولم أجدها فى المطبوع من ديوانه والذى فى النقد حالا بالمعجمة . وعبارته . فبينة هذا الشعر على ان الفاظه مع قصرها قد أشير بها الى معان طوال فمن ذلك قوله تهلك أو تبدل ومنه قوله ان فى غسان حالا ومنه ماتحته معان كثيرة وشرح وهو قوله أنا لك ما أنالا ـ وقوله شنوءة

وضرب منه .. قوله

على سابح يعطيك قبل سؤاله　　　افانين جرى غير كزّ ولا وان

فقوله ـ أفانين جرى ـ مشاربه الى معان لو عدت لكثرت وضم الى ذلك جميع أوصاف الجودة فى قوله ـ يعطيك قبل سؤاله ـ وأنشدنا أبو أحمد لبعضهم

لم آت مطلباً الا لمطلب　　　وهمة بلغت بي أفضل الرتب

أعملت عيسى لى البيت العتيق على　　　ما كان من دأب فيها ومن نصب

حتى اذا ما انقضى حجى ثنيت لها　　　فضل الزمام فأمت سيد العرب

هذا رجائى وهذى مصر معرضة　　　وأنت أنت وقد ناديت من كثب

فقوله ـ أنت أنت ـ مشاربه الى نعوت من المدح كثيرة .. ومن هذا .. قول أبى نواس

أنت الخصيب وهذه مصر

الباب الثامن

فى الارداف والتوابع

الارداف والتوابع أن يريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدال عليه الخاص به ويأتى بلفظ هو ردفه وتابع له فيجعله عبارة عن المعنى الذى أراده وذلك مثل قول الله تعالى (فيهنّ قاصرات الطرف) وقصور الطرف فى الاصل موضوعة للعفاف على جهة التوابع والادراف .. وذلك أن المرأة اذا عفت

قال ابن السكيت أزد شنؤة بالهمز على فعولة ممدودة ولايقال شنوة . وحكى فى اللسان عن أبو عبيد الرجل الشنؤة الذى يتقزز من الشىء قال وأحسب ان أزد شنوءه سمى بهذا ثم حكى عن الليث أن أزد شنؤة أصح الازد أصلا وفرعا

قصرت طرفها على زوجها ، فكان قصور الطرف ردفا للعفاف والعفاف ردف وتابع لقصور الطرف .. وكذلك قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) وذلك أن الناس يتكافون عن الحرب من أجل القصاص فيحيون فكان حياتهم ردف للقصاص الذى يتكافون عن القتل من أجله ونحوه قول الشاعر

وفي العتاب حياة بين أقوام

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ وقد سئل عن الفرع (فقال حق وان تتركه حتى يكون ابن مخاض أو ابن لبون خير من أن تكفىء اناءك وتوله ناقتك وتدعه يلصق لحمه بوبره) — الفرع — أول شئ تنتجه الناقة وكانوا يذبحونه لله عز وجل (١) . فقال هو حق إلا أنه ينبغى أن يترك حتى يكون ابن مخاض أو ابن لبون فيصير للحمه طعم .. وقال هو خير من أن تكفاء اناءك فهذه من الارداف أراد انك إذا ذبحته حين تضعه أمه بقيت الام بلا ولد ترضعه فانقطع لبنها فردف ذلك أن يخلو اناؤك من اللبن فكأنك قد كفاءته ومثله . قول امرىء القيس

وأفلتهن علباء جريضا ولو أدركنه صفر الوطاب

أى لو ادركنه يعنى الخيل قتلنه واستقن ابله فصفرت وطابه ومن ذلك .. قول الاعشى

رب رفد هرقته ذلك اليوم وأسرى من معشر أقيال (٢)

---

(١) هكذا لفظ الحديث فى الاصول . . والذى فى النهاية وغيرها . . خير من أن تذبحه يلصق لحمه بوبره باسقاط لفظة وتدعه . . وقوله — وتوله ناقتك أى تجعلها والهة بذبح ولدها وفى نسخ الاصل وتولد ناقتك ..ولعله تحريف النساخ

(٢) علباء ـ اسم رجل . . وهو علباء بن حارث الكاهلى ـ والجريض الذى يأخذ بريقه من الجرض وهو الغصص بالريق ـ وقوله ادركنه ـ بالنون وهى رواية الاصول ونسخة ديوانه . . وفى اللسان — ادركته — بالتاء مع رفعها فليحرر

الرفد ـ القدح (العظيم) الضخم يقول استقت الابل فخلا الرفد فكانك قد هرقته .. ومن الارداف قول المرأة لمن سألته ا. اشكوا اليك قلة الجرذان . . وذلك أن قلة جرذان البيت ردف لعدم خيره . . ويقول — فلان عظيم الرمار يريدون(أنه) كثير الاطعام للاضياف ..لان كثرة الاطعام يردف كثرة الطبخ ومن المنظوم . قول التغلبي

وكل أناسٍ قاربوا قيدَ فحلهم   ونحنُ خلعنا قيدَهُ فهو ساربُ

أراد أن يذكر عزقومه فذكر تسريح الفحل فى المرعى والتوسيع له فيه . . لان هذه الحال تابعة للعزة رادفة للمنعة .. وذلك أن الاعداء لعزهم لا يقدمون عليهم فيحتاجون إلى تقييد فحلهم مخافة أن يساق فيتبعه السرح . . ومن ذلك قول الآخر .

ومهما فى من عيبٍ فانى   جبان الكلب مهزول الفصيل

يعنى أن كلبه يضرب اذا نبح على الاضياف فيردف ذلك جبنه عن نبحهم وأن اللبن الذى يسمن به الفصيل يجعل للاضياف فيردف ذلك هزال الفصيل .. وقول الآخر

كل أناسٍ سوْفَ تدخلُ بينهم   دويهيةٌ تصفر منها الأنامل

يعنى الموت فعبر عنه باصفرار الانامل لانها تصفر من الميت فكان اصفرارها ردف .. وقول امرىء القيس

ويضحى فتيتَ المسك فوقَ فراشها   نؤم الضحى لم تنتطقْ عن تفضلِ

أراد أنها مكفية ونؤمه الضحى وترك الانتطاق للخدمة يردفان الكفاية فعبر بهما عنها وأراد انها من أهل الترفه والنعمة فتستعمل المسك الكثير فينتثر فى فراشها .. وهذه الحال تردف الترفة والنعمة .. وقول عمر بن أبى ربيعة

بعيدةُ مَهوَى القرط أما لنوفل   أبوها وأما عبدُ شمس وهاشم

فاراد أن يصف طول عنقها فأتى بما دل عليه من طول مهوى القرط وبعد مهوى القرط ردف لطول العنق .. وقول الخنساء (١)

وَمُخَرَّقٍ عنه القميصَ تخالُهُ بين البيوتِ من الحياءِ سقيما

أرادت وصفه بالجود فجعلته مخرق القميص لان العفاة يجذبونه ـ فتمزيق قميصه — ردف لجوده . وقول الشاعر

طويل نجادِ السيف لا متضائل ولا زَهِل لبَّاتُهُ وأبادلُهْ

أراد وصفه بطول القامة فذكر طول نجاده لان طوله ردف لطول القامة. وقد أدخل بعض من صنف فى هذا أمثلة باب الارداف فى باب المماثلة وأمثلة باب المماثلة فى باب الارداف فأفسد البابين جميعا فلخصت ذلك وميزته وجعلت كلا فى موضعه وفيه دقة واشكال

الباب التاسع

﴿فى المماثلة﴾

المماثلة ان يريد المتكلم العبارة فيأتى بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر . الا انه ينبئ اذا أورده عن المعنى الذى أراده . كقولهم ـ فلان نقى الثوب ـ يريدون به انه لاعيب فيه وليس موضوع نقاء الثوب البراء من العيوب وانما استعمل فيه تمثيلا . وقال امرئ القيس

ثيابُ بني عوف طهارُ نقيةٌ وأوجههم غُرّ المشاهد غرانِ (٢)

---

(١) يروى — لليلى الاخيلية .. وهو المعروف وكذا نسبة قدامة وغيره

(٢) هكذا فى الاصول . وفى ديوانه

ثياب بنى عوف طهارى نقية وأوجههم عند المشاهد غران

قال أبو على غران ـ بناء مثل سودان وحمران . والاغر الابيض

وكذلك قولهم ـ فلان طاهر الجيب ـ يريدون انه ليس بخائن ولا غادر وقولهم فلان طيب الحجزة ـ أى عفيف . قال النابغة

رقاقُ النعال طيب حجزاتهمْ يحيونَ بالريحان يومَ السباسبِ

وقال الاصمعى . اذا قالت العرب الثوب والازار . فانهم يريدون البدن. وأنشد

الا أبلغ أبا حفص رسولا فِدىً لك من أخى ثقةٍ أزارِى

وقالوا فى قول ليلى

رموها بأثوابٍ خفافٍ فلا ترى لها شبها الا النعام المنفرا

أى رموها باجسامهم وهى خفاف عليها : ووضع الثوب موضعا آخر . فى قول الشاعر

فتلكَ ثيابُ ابراهيم فينا بواقٍ ماَدُنسنَ ولا بلينا

ويقولون ـ فلان أوسع بنى أبيه ثوبا ـ أى أكثرهم معروفا ـ وفلان غمر الرداء ـ اذا كان كثير المعروف . قال كثير

غمرُ الرداء اذا تبسمَ ضاحكا غلقتْ اضحكته رقابُ المال

وكذلك قولهم ـ فلان رحب الذراع ـ وفلان دنس الثوب ـ اذا كان غادرا فاجرا . قال الشاعر

ولكننى أنقِي عن الذمَّ والدى وبعضهم للذم فى ثوْبهِ دسم

ويقولون ـ دم فلان فى ثوب فلان ـ أى هو صاحبه . قال أبو ذؤيب

تبرّاءُ من دَمّ القتيل وبزهِ وقد علقتْ دَم القتيل إزارَها

هذيل تونث الازار ـ أى علقت دم القتيل هى ورواه أبو عمرو الشيبانى ـ وبزه ـ بالرفع أى وبزة ازارها وقد علقت دمه . ويقولون للفرس ـ انه لطرب العنان ـ وللبعير ـ قد سفه جديله ـ والجديل الزمام : وقال ذو الرمة

وأشقر موشيّ القميص نصبته على خضر مقلات سفيه جديلها

وفي القرآن (كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا) فمثل العمل ثم احباطه بالنقض بعد القتل : وكذلك قوله تعالى (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها) وقوله عز وجل (هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) وقوله سبحانه (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) فمثل البخيل الممتنع من البذل بالمغلول لمعنى يجمعهما وهو ان البخيل لا يمد يده بالعطية فشبهه بالمغلول : ويقولون — عركت هذه الكلمة بجنبي — اذا اغضيت عنها — وفلان قد طوى كشحه عن فلان — اذا ترك مودته وصحبته . ويقولون — كبا زند العدو . وصلف زنده . وأفل نجمه . وذهبت ريحه وطفيئت جمرته . واخلف نوءه . واخلقت جدته . وانكسرت شوكته : وكل حده . وانقطع بطانه وتضعضع ركنه . وضعف عقده . وذلت عضده . وفت في عضده . ورق جانبه . ولانت عريكته — يقال ذلك فيه اذا ولى أمره تمثيلا وتشبيها . وقال النبي ﷺ (اياكم وخضراء الدمن) أراد المرأة الحسناء في منبت السؤ فأتى بغير اللفظ الموضوع لها تمثيلا . . وقال بعضهم كنا في رفقة فضللنا الطريق فاسترشدنا عجوزا . . فقالت . استبطن الوادي . وكن سيلا حتى تبلغ . . وكتب أحمد بن يوسف الى عبد الله ابن طاهر عن المأمون بعزله عن ديار مصر وتسليم العمل الى اسحاق بن ابراهيم .. أما بعد فان أمير المؤمنين قد رأى توليه اسحاق بن ابراهيم ما يتولاه من اعمال المعاون بديار مصر . وإنما هو عملك نقل منك اليك . فسلمه من يدك الى يدك والسلام .. واغتاب رجل رجلا عند سلم بن قتيبة * فقال له (سلم) اسكت فوالله لقد تلمظت مضغة طالما لفظها الكرام . . ومن المنظوم قول طرفة

أبيني أفي يمنى يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني في شمالك

أي أبيني منزلتي عندك أو ضيعة هي أم رفيعة .. فذكر اليمين وجعلها بدلا

من الرفعة والشمال وجعلها عوضاً من الضعة .. وأخذه الرماح بن ميادة .. فقال

أَلَمْ تك فى يمني يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها فى شمالكا

ولو انني أذنبت ما كنت هالكا على خصلة من صالحات خصالكا

وقال آخر (١)

تركت الركاب لأربابها وأكرهت نفسى على ابن الصعق

جعلت يدى وشاحاً له وبعض الفوارس لا تعتنق

فقوله ـ جعلت يدى وشاحاً تمثيل ـ وقول زهير

ومن يعص اطراف الزجاج فأنه يطيع العوالى ركبت كل لهذم

أراد أن يقول ـ من أبى الصلح رضى بالحرب ـ فعدل عن لفظه وأتى بالتمثيل فجعل ـ الزج ـ للصلح لانه مقبل فى الصلح ـ والسنان ـ للحرب لان الحرب به يكون .. وهـذا مثل قولهم ـ من عصى الصوت أطاع السيف ـ ومنه .. قول امرىء القيس

وما ذرفت عيناك الا لتضربى بسهميك فى اعشار قلب مقتل

فقال — بسهميك — وأراد العينين .. وقال العباس بن مرداس

كانوا أمام المؤمنين درية والشمس يومئذ عليهم أشمس

أراد ـ تلألؤ البيض فى الشمس ـ فكأن على كل رأس شمساً .. وقال قدامة من أمثلة هذا الباب .. قول الشاعر

---

(١) لم أقف على قائله ـ وقوله ابن الصعق ـ الصعق أن يغشى على الانسان من صوت شديد يسمعه .. قال سيبويه .. قالوا فلان ابن الصعق والصعق صفة تقع على كل من أصابه الصعق ولكنه غلب عليه حتى صار بمنزلة زيد وعمرو .. قلت ويروى عجز البيت الثانى فى غير الاصول هكذا (فأجزأ ذاك عن المعتنق)

أوردتهم صدور العيس مسنفة   والصبح بالكوكب الدرى منحور

وقال قد أشار الى الفجر اشارة الى طريقه بغير لفظه (١) .. وليس فى هذا البيت اشارة الى الفجر بل قد صرح بذكر الصبح وقال هو منحور بالكوكب الدرى . أى صار فى نحره .. ووضع هذا البيت فى باب الاستعارة أولى منه فى باب المماثلة .. ومما عيب من هذا الباب .. قول أبى تمام

أنت دلو وذو السماح أبو   موسى قليب وأنت دلو القليب

أيها الدلو لاعدمتك دلواً   من جياد الدلاء صاب الصليب

الباب العاشر

فى الغلو

الغلو تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه الى غاية لا يكاد يبلغها . . كقول الله تعالى (وبلغت القلوب الحناجر) وقال تأبط شراً

ويوم كيوم العيكتين وعطفة   عطفت وقد مس القلوب الحناجر (٢)

وقال الله تعالى (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) بمعنى لتكاد تزول منه . .

---

(١) البيت – لعبدالرحمن بن على بن علقمة بن عبدة هكذا نسبه قدامة فى النقد . . وقال . . فقد أشار الى الفجر اشارة ظريفة بغير لفظه . . وهذا غير ما حكاه المصنف فليحرر .. وقوله فى المشاهد – مسنفة – بفتح النون هكذا فى الاصول ويروى بكسرها . . وهى المتقدمة فى السير وفرق الجوهرى . . فقال اذا سمعت فى الشعر مسنفة بكسر النون فهى الفرس تتقدم الخيل فى سيرها وإذا سمعت مسنفة بفتح النون فهى الناقة من السناف أى شد عليها (السناف خيط يشد من حقب البعير الى تصديره ثم يشد فى عنقه اذا ضمر وهو بمنزلة اللبب للدابة)

(٢) العيكتين – تثنية عيكة موضع فى ديار بجيلة

ويقال انها فى مصحف ابن مسعود * مثبتة . . وقد جاءت فى القرآن مثبتة وغير مثبتة . . قال الله تعالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وقال الشاعر

يتقارضونَ اذا التقوا في موْطنٍ نظراً يزيل مواطىء الاقدامِ (١)

وكاد — انما هى للمقاربة . . وهى أيضا مع اثباتها توسع . . لان الجبال لا تقارب البلوغ الى الحناجر وأصحابها احياء . . وقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) وهذا انما هو على البعيد . . ومعناه لا يدخل الجمل فى سم الخياط ولا يدخل هؤلاء الجنة . . ومثله قول الشاعر

اذا زالَ عنكم أسود العين كنتم كراماً وأنتم ما أقام الائم (٢)

وقول الآخر (٣)

فرجى الخير وأنتظرى إيابى اذا ما القارظ العنزِى آبا

وقال النابغة

فأنك سوف تحلم أو تناهى اذاما شِيبتَ أوشابَ الغراب

ومثال الغلو من النثر . . قول امرأة من العجم كانت لا تظهر اذا طلعت الشمس فقيل لها فى ذلك . . فقالت أخاف أن تكسفني . . وقال اعرابى لنا تمرة فطساء

---

(١) يتقارضون — أى ينظر بعضهم الى بعض بالبغضاء والعداوة . . وقيل يتقارضون أى يتضاربون من القراض وهى المضاربة فى لغة أهل الحجاز

(٢) نسخة — اذا زل عنكم الخ . وفى اللسان (اذا ما فقدتم اسود العين كنتم) قال — وأسود العين — جبل . ثم حكى عن الهجرى انه فى الجنوب من شعبى

(٣) قائله — بشر بن أبى خازم من قصيدة أنشدها ابنته وهو يجود بنفسه والقارظ العنزى — رجل من عنزة خرج يطلب القرظ فلم يرجع الى أهله فضربته العرب مثلا لكل شىء يفوت فلا يرجع . . والقرظ شجر أرورق شجر السلم يدبغ به الأدم

جرداء تضع الثمرة فى فيك . فتجد حلاوتها فى كعبك . وقيل لاعرابى ما حضر فرسك . . قال تحضر ما وجد أرضا . . ووصف اعرابى فرسه : فقال ان الوابل ليصيب عجزه . فلا يبلغ الى معرفته حتى أبلغ حاجتى . . وذم أعرابى رجلا : فقال يكاد يعدى لؤمه . من تسمى بأسمه . . وكتب بعضهم يصف رجلا. فقال اما بعد فانك قد كتبت تسئل عن فلان كأنك قد هممت بالقدوم عليه . أوحدثت نفسك بالوفود اليه . فلا تفعل . فان حسن الظن به لا يقع الا بخذلان الله تعالى وان الطمع فيما عنده . لا يخطر على القلب الا بسؤ التوكل على الله تعالى والرجاء لما فى يديه . لا ينبغى الا بعد اليأس من رحمة الله تعالى . لا يرى الا أن الاقتار الذى نهى الله عنه . هو التبذير الذى يعاقب عليه . والاقتصاد الذى أمر به . هو الاسراف الذى يغضب منه. وأن الصنيعة مرفوعة . والصلة موضوعة . والهمة مكروهة . والثقة منسوخة . والتوسع ضلالة . والجود فسوق . والسخاء من همزات الشياطين . وأن مواساة الرجل أخاه من الذنوب الموبقة . وافضاله عليه احدى الكبائر المرهقة . وأن الله تعالى لا يغفر أن يؤثر المرء على نفسه . ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن آثر على نفسه فقد ضل ضلالا بعيداً . وخسر خسرانا مبينا . كانه لم يسمع بالمعروف . الا فى الجاهلية الذين قطع الله دابرهم . ومحا معالمهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم . وحظر عليهم أن يختاروا مثل اختيارهم . يظن أن الرجفة لم تأخذ أهل مدين الا لسخاء كان فيهم . ولم تهلك عاداً بالريح العقيم الا لتوسع كان فيهم . فهو يخشى العقاب على الانفاق . ويرجو الثواب على الامساك . ويعذر نفسه فى العقوق . ويلوى ماله عن الحقوق . خيفة أن ينزل به قوارع العالمين (١) . ويأمرها بالبخل خشية أن يصيبه ما أصاب القرون الاولين فأقم رحمك الله على مكانك . واصطبر على عسرتك . عسى الله أن يبدلنا واياك خيراً منه زكاة وأقرب رحما . . وقالت سكينة * بنت الحسين رضى الله

(١) نسخة ـ قوارع العلمين ـ والقوارع ـ جمع قارعة وذلك الامر العظيم ينزل بالانسان فيهلك والعياذ بالله

عنها : وقد اثقلت ابنتها بالدر . ما البستها اياه الا لتفضحه : ونحوه قول الشاعر

جارية أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر
ووجها أحسن من حليها والحلى فيه الدر والجوهر

وقال بن مطير

مخصرة الأوساط زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها

وقيل لاعرابى : فلان يدعى الفضل على فلان : فقال والله لئن كان أطول من مسيره . ما بلغ فضله . ولو وقع فى ضحضاح معروفه غرق . وقال اعرابى الناس يأكلون اماناتهم لقما . وفلان يحسوها حسواً . ولو نازعت فيه الخنازير لقضى به لها . لقرب شبهه منها . وما ميراثه عن آدم . الا انه سمى ادميا . وذكر اعرابى رجلا . . فقال كيف يدرك بثاره وفى صدره حشو مرفقة من البلغم وهو المرء لو دق بوجهه الحجارة لرضها . ولو خلا بالكعبة لسرقها . . وأخبرنا أبو احمد . قال أخبرنا الصولى قال حدثنا الحسن بن الحسين الازدى قال حدثنا ابن أبى السرى . عن رزين العروضى .. قال لقيت ابا الحرث جميزاً (١) ومعه غلام لمحمد بن يحى البرمكى متعلق به : فقلت له مالهذا متعلق بك : فقال لانى دخلت امس إلى مولاه وبين يديه خوان من نصف خشخاشة فتنفست فطار الخوان فى أنفى فهذا يستعدى على : فقلت له أما تستحى مما تقول : فقال الطلاق له لازم لو أن عصفوراً نقر حبة من طعام بيدره مارضى حتى يؤتى بالعصفور مشويا بين رغيفين والرغيفان من عند العصفور : قلت قبحك الله ماأعظم تعديك : فقال على المشى إلى بيت الله الحرام إن لم يكن صعود السماء على سلم من زيد حتى يأخذ بنات نعش ايسر عليه من أن يطعمك رغيفا فى اليوم ، ، ومن المنظوم ،، قول امرىء القيس

(١) نسخة — حمساً .. وأخرى جمساً

من القاصرات الطرْف لو دَبَّ مُحوِلٌ   من لذرّ فوق الاتب منها لأثّرا [٢]

وقول الاعشى

فتىً لو ينادي الشمس ألقت قناعها   أو القمر السارى لألقى المقالدا

(ينادى — أى يجالس) .. وقول أبى الطمحان

أضاءتْ لهم احسابهم ووجوههم   دجى الليل حتى نظَّم الجزْعَ ثاقبه

ومثله

وجوهٌ لو أن المدلجينَ أعتشوا بها   صدعنَ الدجى حتى ترى الليل ينجلى

وقول الاخر

من البيض الوجوه بني سنان   لو انك تستضيء بهم أضاء [٣]

وقول النابغة الجعدى

بلغنا السماء مجدنا وسناءَنا   وانا لنرجوا فوق ذلك مظهرا

وقول النمر

يظل بحفر عنه إنْ ضربتَ به   بعدَ الذراعين والساقين والهادى

---

(٢) المحول — الذي قد أتى عليه حول .. وقال الوزير أبو بكر والاحسن أن يكون الصغير من الذر — والاتب — قميص غير مخيط الجانبين .. وقال الاصمعى الاءتب البقيره وهو أن يؤخذ برد فيشق المرأة فى عنقها من غير كمين ولا جيب

(٣) قائله ـ الحكم الخضرى .. وبعده

فكن ياجارهم فى خير دار   فلا ظلم عليك ولا جفاء

ثم وجدت قدامة أورد هذا البيت فى النقد .. وقال فقوله فلا ظلم عليك ولا جفاء توكيد ومبالغة

وقول الطرماح

تميمٌ بطرق اللؤْم أهدى من القطا ولو سلكتْ سبلَ المكارم ضلت

ولو أنّ برغوثاً على ظهر قملةٍ يكرُّ على صفيْ تميمُ لولّتِ

ولو أنّ أم العنكبوت بنتْ لها مظالّها يومَ الندى لاستظلتِ

ولو جُمعتْ يوماً تميمُ جموعَها على ذرّةٍ معقولة لاستقلتِ

(ولو أن يربوعاً يُزَقّقُ مسكه اذا نهلت منه تميم وعلت)

(يزقق ـ أي يجعل منه زقاقا) . . (وقال الاخر)

(وتبكي السماوات اذا ما دعي ونستغيث الارض من سجدَته)

(لما اشتهى يوماً لحومَ القطا صرَّعها في الجوّ من نكهته)

ومثله فى الافراط .. قول الخثعمى

يدْلى يديه الى القليب فيستقى في سرْجه بدَل الرشاء المحصد [(١)]

وكما افرطوا فى صفة الطول كذلك افرطوا فى صفة القصر .. قال بعضهم

فاقسم لوْ خرّتْ من أستك بيضةٌ لما انكسرتْ من قرب بعضك من بعض

وقال آخر فى صفة كثير عزة . . وكان قصيرا

قصيرُ القميص فاحش عند بيته يعض القراد بأسته وهو قائم

وقال بعض المحدثين

(وقصيرُ لا تعمل الشمـ ـس ظلاً لقامتهِ)

يعثرُ الناس فى الطريق به من دمامته

(١) نسخة — المكرب . . قال ابن سيده . . كل شديد العقد من حبل أو بناء أو مفصل مكرب — والمحصد — من الحبل ما كان محكم الفتل أيضاً

وقال (أبو عثمان الناجم)

الا يابيدق الشطرنج في القيمة والقامه[1]

وقال أبو نواس .. يصف قدرا

يغص بحيزوم الجرادة صدرها ... وينصح ما فيها بعود خلال

وتغلى بذكر النار من غير حرها ... وتنزلها عفواً بغير جمال

هى القدر قدر الشيخ بكر بن وائل ... ربيع اليتامى عام كل هزال

وقال آخر في خلاف ذلك

بقدر كأن الليل شحمة قعرها ... ترى الفيل فيها طافياً لم يقطع

ومن الافراط .. قول المؤمل*

من رأي مثل حبتى ... تشبه البدر اذ بدا

تدخل اليوم ثم تد ... خل أردافها غدا

ومثله .. قول الآخر

أنت في البيت وعر ... نينك فى الدار يطوف

---

(١) وجدت فى هامش النسخة المحفوظة فى دار كتب الوزير الكبرلى . ـ هذه الابيات الاربعة ملحقة بهذا البيت

ونسب ذلك لابى عثمان الناجم ... وقد تسلطت الارضة على بعض الحروف فكتبت ماتبين لى منهم

لقد صغر منك الـ ... كل غير الدبر والهامه

فما تنفك وجماؤ ... ك للكافر مستامه

وكـ ... كالخال أو الشامه

لقد ضل امرؤ عـ ... ـدك ناطوطو علامه

ومثله لقد مرَّ عبد الله في السوق راكبا | له حاجة من أنفه ومطارق
وعنّت له في جانب السوق مخطةٌ | توهمت ان السوق منها سيغرق
فأقذرْ به أنفا وأقذر بربه | على وجهه منه كنيفٌ معلق

ومثله في الافراط .. قول آخر في امام بطيء القراءة

إنْ قرأ العاديات في رجبٍ | لم تفن آياتها الى رجبِ
بلْ هو لايستطيع في سنةٍ | يختم تبتْ يدا أبي لهب

(وقال ابن مقبل (١))

(يقلقل من ضغم اللجام لهاته | تقلقل عود المرخ في الجعبة الصفر)

(وقال ابراهيم بن العباس)

(يا أخا لم أر في الدهر خلا | مثله اسرع هجرٍ ووصلا)
(كنت لي في صدر يومي صديقا | فعلى عهدك أمسيت أم لا)

وقال ابن الرومي

ياثقيلاً على القلوب خفيفاً | في الموازين دون وزن النقير
طرْ مخيفا أوقع مقيتاً نطو | راً كسفاةٍ وتارةً كثبير
وقبول النفوس اياك عندي | آية فيك للطيف الخبير
ان قوماً أصبحت تنفق فيهم | لعلى غايةٍ من التسخير

ومن الناس من يكره الافراط الشديد ويعيبه . وإذا تحرز المبالغ واستظهر

(١) هذا البيت .. وبيتى ابراهيم بن العباس الآتيان بعده من هامش نسخة الكبرلى غير معلم عليهم بعلامة الصح — وقوله الضغم — هو العض من غير نهش — والجعبة — كنانة السهام — والصفر — الشيء الخالي

فأورد شرطا . أو جاء ـ بكاد ـ وما يجرى مجراها يسلم من العيب : وذلك مثل قول الاول

لو كنت من شيء سوى بشرٍ كنت المنور ليلة البدر

وقول العرجى

لو كان حياً قبلهنّ ظعائنا حيا الحطيم وجوههن وزمزم

وقول الاسدى

فلو قاتل الموت امرؤ عن حميمه لقاتلت جهدى سكرة الموت عن معن

فتىً لا يقول الموت من وقعةٍ به (١) لك ابنك خذه ليس من حاجتي دعني

وقول الآخر

لو كان يخفى على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو أسد

قوم اقام بدار الذلّ أولهمْ كما أقامت عليه جذمة الوتد

وقول البحترى

ولو أن مشتاقا تكلف غير ما في وسعه لسعى اليك المنبر

ومن عيوب هذا الباب .. أن يخرج فيه الى المحال .. و يشوبه بسوء الاستعارة. وقبيح العبارة . . كقول أبى نواس فى الخمر

توهمتها فى كأسها فكأنما توهمت شيئاً ليس يدرك بالعقل

وصفراء أبقى الدهر مكنون روحها وقدمات من مخبورها جوهر الكل

فما يرتقى التكييف منها الى مدى تحدبه الاَّ ومن قبله قبل

فجعلها لاتدرك بالعقل وجعلها لاأول لها . وقوله جوهر الكل والتكييف

(١) نسخة ـ فتى لا يقل للموت الخ

فى غاية التكلف . ونهاية التعسف : ومثل هـذا من الكلام مردود . لا يشتغل بالاحتجاج عنه له . والتحسين لأمره . وهو بترك التداول أولى : الا على وجه التعجب منه ومن قائله : ومن الغلو الغث : قول المتنبى

فتىً ألف جزءٍ رأيهُ في زمانه   أقلّ جزىء بعضه الرأى أجمع

وقوله : تتقاصرُ الافهام عن ادراكه   مثل الذي الافلاك فيه والدّنى

سئل عما فيه ـ الافلاك والدنا ـ فقال علم الله . ونيته لا تدل عليه فأفرط وعمى وجمع دنيا على قول أهل الادوار والتناسخ

الفصل الحادي عشر

فى المبالغة

المبالغة ان تبلغ بالمعنى أقصى غاياته . وأبعد نهاياته . ولا تقتصر فى العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه . ومثاله من القرآن قول الله تعالى (يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى) ولو قال تذهل كل امرأة عن ولدها لـكان بيانا حسنا وبلاغة كاملة . وانما خص المرضعة للمبالغة لان المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته اليها واشغف به لقربه منها ولزومها له لايفارقها ليلا ولا نهارا وعلى حسب القرب تـكون المحبة والالف . ولهذا قال امرىء القيس

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع   فألهيتها عن ذى تمائم محول

لما أراد المبالغة فى وصف محبة المرأة له . قال انى ألهيتها عن ولدها الذى ترضعه لمعرفته بشغفها به وشفقتها عليه فى حال أرضاعها اياه . وقوله تعالى (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) لوقال يحسبه الراءى لـكان جيدا . ولـكن لما أراد المبالغة ذكر الظمآن لان حاجته الى الماء أشد وهو على الماء أحرص : وقد ذكرناه قبل

ومثل ذلك . قول دريد بن الصمة * (١)

متى ماتدع قومك أدع قومي　　وحولي من بني جشم فئام

فوارس بهمة حشد اذا ما　　بدا حضر الحبية والحذام

فالمبالغة الشديدة في قوله ـ الحبية ـ ومن المبالغة نوع آخر . وهو ان يذكر المتكلم حالا لو وقف عليها أجزأته في غرضه منها فيجاوز ذلك حتى يزيد في المعنى زيادة توكده . ويلحق به لاحقة تؤيده . كقول عميرة بن الاهتم التغلبي * (٢)

ونكرم جارنا ما دام فينا　　ونتبعه الكرامة حيث مالا

فاكرامهم الجار مادام فيهم مكرمة واتباعهم اياه الكرامة حيث مال من المبالغة . وقول الحكم الخضري *

واقبح من قرد وابخل بالقرى　　من الكلب أمسى وهو غرثان أعجف

---

(١) انشدها في النقد . هكذا

متى ماتدع قومك ادع قومي　　فيأتي من بني جشم فئام

فوارس بهمة حشداً اذا ما　　بدا حضر الحبية والحذام

الفئام ـ الجماعة من الناس . قال الجوهري لاواحد له من لفظه ـ والبهمة ـ بالضم الشجاع . وقيل هو الفارس الذي لايدري من اين يؤتى له من شدة بأسه وحكى في اللسان عن التهذيب هم جماعة الفرسان ـ والحشد ـ واحده الحاشد . وهو الذي لايدع عند نفسه شيئا من الجهد والنصرة والمال ـ والحضر ـ ارتفاع الفرس في عدوه . ومالم يعده لم اقف على تفسيره

(٢) نسخة ـ عمرو بن الاهتم . وفي اخرى عمير بالتصغير . وسماه في النقد عمير بن الايهم . ورواه حيث سارا بدل ـ مالا . والعجب منه وقد انشد له في باب التتميم . بعده

بها نلنا القرائب من سوانا　　واحرزنا القرائب ان تنالا

فالـكلب بخيل على ماظفر به وهو أشد بخلا اذا كان جايعا أعجف . ومن هاهنا أخذ حماد عجرد * قوله فى بشار

ويا أقبح من قرد   اذا ما عمى القرد

وقول رواس بن تميم (١)

وانا لنعطى النصف منا واننا   لنأخذه من كل أبلخ ظالم

المبالغة فى قوله — أبلخ — وقول أوس بن غلفاء (الهجيمى)

وهم تركوك أسلحَ من حُبارى   رأت صقراً وأشردَ من نعام

فقوله — رأت صقراً — من المبالغة . . وكتبت فى فصل الى بعض أهل الادب .. قربك احب إلى من الحياة . فى ظل اليسر والسعة . ومن طول البقاء فى كنف الخفض والدعة . ومن اقبال الحبيب . مع ادبار الرقيب . ومن شمول الخصب . بعد عموم الجدب . وأقر لعينى من الظفر بالبغية . بعد اشرافى على الخيبة وأسر لنفسى من الامن بعد الخوف . والانصاف بعد الحيف . واسئل الله أن يطيل بقائك . ويديم نعمائك . ويرزقنى عدلك ووفائك . ويكفينى نبوك وجفائك فقولى — الحياة فى ظل اليسر والسعة . والبقاء فى كنف الخفض والدعة — وقولى — اقبال الحبيب . مع ادبار الرقيب — وقولى — الخصب . بعد عموم الجدب — وما بعده الى آخر الفصول مبالغات .. ومن عيوب هذا الباب . . قول بعض المتأخرين.

فلا غيضت بحارك ياجموماً   على علل الغرائب والدخال (٢)

---

(١) سماه فى النقد رواش (بالشين المنقوطة) بن تميم احد الغطاريف الازدى وقوله الابلخ قال ابن سيده البلخ التكبر وهو أبلخ بين البلخ

(٢) قوله الدخال ـ قال ابن سيده وذلك أن تدخل بعيرا قد شرب بين بعيرين لم يشربا

أراد أن يقول ـ انك كثير الجود على كثرة سؤالك فلا نقصت ـ فعبر عنه بهذه العبارة الغثة ـ والجموم ـ البئر الكثيرة الماء .. وقوله

ليس قولي في شمس فعلك كالشمس ولكن في الشمس كالاشراق

على أن حقيقة (معنى) هذا البيت لا يوقف عليها .. ومن رديء المبالغة .. قول أبي تمام

ما زال يهذي بالمكارم والعلى حتى ظننا انه محموم

أراد أن يبالغ في ذكر الممدوح باللهج بذكر الجود فقال ـ مازال يهذي ـ فجاء بلفظ مذموم .. والجيد في معناه .. قول الآخر

ما كان يعطي مثلها في مثله الا كريم الخيم أو مجنونُ

قسم قسمين ممدوحا ومذموما ليخرج الممدوح من المذموم الى الممدوح المحمود .. ومن جيد المبالغة .. قول عمرو بن حاتم (١)

خليلي أمسى حبّ خرقاء قاتلي ففي الحب مني وقدة وصدُوعُ

ولو جاورتنا العام خرقاء لم نبلْ على جدبنا الا يصوبَ ربيعُ

قوله على ـ جدبنا ـ مبالغة جيدة



---

(١) في نسخة ـ هكذا

خليل أمسى حب خرقاء عامدى ففي القلب مني زفرة وصدوع

وقوله — لم نبل — أى لم نعلل . . من قولهم نبل الرجل بالطعام ينبله علله به وناوله الشيء بعد الشيء

الفصل الثانى عشر

فى الكناية والتعريض

وهو أن يكنى عن الشيء ويعرض به (١) ولا يصرح على حسب ماعملوا باللحن والتورية عن الشئ .. كما فعل العنبرى .. اذا بعث إلى قومه بصرة شوك وصرة رمل وحنظلة .. يريد جاءتكم بنو حنظلة فى عدد كثير ككثرة الرمل والشوك ،وفى كتاب الله تعالى عز وجل (أو جاء احد منكم من الغائط أو لامستم النساء) فالغائط كناية عن الحاجة . وملامسة النساء كناية عن الجماع .. وقوله تعالى (وفرش مرفوعة) كناية عن النساء (٢) ومن مليح ماجاء فى هذا الباب قول أبى العيناء وقيل له ماتقول فى ابنى وهب .. قال (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج) سليمان افضل .. قيل وكيف . قال (أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أم من يمشى سوياً على صراط مستقيم). ومن التعريض الجيد ما كتب به عمرو بن مسعدة الى المأمون .. أما بعد فقد استشفع بى فلان إلى أمير المؤمنين ليتطول عليه فى الحاقه بنظرائه من المرتزقين فيما يرتزقون فاعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفع بهم وفى ابتدائه بذلك تعدى طاعته والسلام (٣). فوقع فى كتابه قد عرفنا تصريحك له وتعريضك بنفسك واجبناك اليهما وأوقفناك عليهما .. ومن المنظوم .. قول بشار

واذا ما التقى ابن نهيا وبكر ذاد فى ذا شبر وفى ذاك شبر

---

(١) نسخة ـ فلا يصرح وقوله ـ باللحن ـ أراد به الاشارة والتعريض

(٢) اخذوا معنى الآية .. بأن الفراش كناية عن المرأة لقوله تعالى على اثرها .. انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا .. كذا قاله الثعالبي فى كتابه الكناية والتعريض

(٣) جاء فى نسخة ـ فيما يرزقون .. بدل يرتزقون .. وفى ابتدائى بدل ابتدائه

أراد أنهما يتبادلان . . وقال اخر فى ابن حجام

أبوك أب مازال للناس موجعا   لأعناقهم نقرا كما ينقر الصقر

اذا عوّج الكتاب يوما سطورهم   فليس بعوج له أبدا سطر

وقال بعض المتقدمين

وقد جعل الوسمىّ ينبت بيننا   وبين بني دودان نبعاً وشوحطا

التبع . والشوحط ـ كانه كنى بها عن القسى والسهال . ومثله قول الآخر

وفى البقل مالم يدفع الله شره   شياطين ينزوا بعضهن على بعض

وقول رؤبة

يابن هشام أهلك الناس اللبنْ   فكلهم يعدوا بقوس وقرنْ

وهذه كنايات عن القتال والوقايع بينهم أيام الربيع وهو وقت الغزو عندهم وكتب كافى الكفاة . . أن فلانا طرق بيته وهو الخيف . لا خوف على من دخله ولا يد على من نزله . فصادف فتيانا يعاطون كريعته الكوؤس تارة . والفوؤس مرة . فمن ذى معول يهدم . ومن ذى مغول يثلم . فبايع الرقيق يكتب من بينهم بالغليظ . فوثبت العفيفة خفيفة ذفيفة (١) تحكم يمناها فى اخادعه . وتتقى بيسراها وقع أصابعه . والحاضرون يحرضونها على القتال . ويدعونها الى النزال والشيخ يناديهم

تجمعتم من كل أوْبٍ وبلدة   على واحد لازلتم قرْنَ واحد

ثم علم أن الحرب خدعة . ولكل امرىء فرصة . فتلقاها بالاثاثى طلاقا بتا وفراقا بتلا . وأخذ ينشد

(١) المغول ـ قال ابو عبيد . . هو سوط فى جوفه سيف (اى حديدة تجعل فى السوط فيكون لها غلافا) ـ والذفيفة ـ السريعة الخفيفة

إنى أبىُّ أبىٌّ ذو محافظةٍ وأبن أبىٍّ أبيٍ من أبيين[1]

ولكن بعد ماذا . بعد ما ضموا الخصر . وأموا الحصر . وأدمنوا العصر وأفتتحوا القصر .

وكان ما كان مما لست أذكره فظن شراً ولا تسئل عن الخبر

فاكثر هذا الكلام كنايات . . ومما عيب من هذا الباب ما اخبرنا به أبو أحمد . . قال قال ابو الحسن بن طباطبا الاصبهانى يصف غلاما

منعمُ الجسم يحكى الماء رقته وقلبه قسوة يحكى أبا أوس

أى قلبه حجراً ــ أراد والد أوس بن حجر ــ فابعد التناول . فكتب اليه ابو مسلم . . قال وأنشدنيها أبو مسلم ولم ينسبها الى نفسه

أباحسنٍ حاولت ايراد قافية مصلبة المعنى فجأتك واهيه

وقلت أبا أوس تريد كناية عن الحجر القاسى فأوردت داهيه

فان جاز هذا فاكسرنْ غير صاغر فى بابى القرْم الهمام معاويه

والا أقمنا بيننا لك جدهُ فتصبح ممنونا بصفين ثانيه[2]

أراد ــ فاكسرن فى بصخر والا اقمنا بيننا لك حربا وهو جد معاوية (وقال ابو نواس فى جلد عميره)

(اذا أنت انكحت الكريمة كفؤها فانكح حسيباً راحة بنت ساعدِ)

---

(١) البيت — لذى الاصبع العدوانى .. انشده فى اللسان . . وقال ورجل أبى من قوم أبيين (من أبى يأبى) .. ونون الجمع وقعت فى البيت مشبهة بنون لاصل فجرها

(٢) هذا البيت رواه الثعالبى فى كتابه المقدم ذكره . . هكذا

والا نصبنا بيننا لك جده فتصبح ممنوعا بصفين ثانيه

(وقلْ بالرفا ما نلت من وصل حرَّة لها راحةٌ حفت بخمس ولا يدِ)

ومن شنيع الكناية . . قول بعض المتأخرين

اني علي شغفي بها في خمرها لاعف عما في سراويلاتها

وسمعت بعض الشيوخ .. يقول الفجور أحسن من عفاف يعبر عنه بهذا اللفظ .. قال وقريب من ذلك . . قول الآخر

وما نلت منها محرما غير أنني اذا هي بالت بلت حيث تبول

الفصل الثالث عشر

فى العكس

العكس أن تعكس الكلام فتجعل فى الجزء الاخير منه ما جعلته فى الجزء الاول . وبعضهم يسميه التبديل . وهو مثل قول الله عز وجل (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) وقوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك من خير فلا مرسل له) . وكقول القايل اشكر لمن أنعم عليك وانعم على من شكرك . وقول لآخر اللهم اغننى بالفقر اليك . ولا تفقرنى بالاستغناء عنك . وقول بعض النساء لولدها رزقك الله حظا يخدمك به ذوى العقول . ولا رزقك عقلا تخدم به ذوى الحظوظ . وقال بعضهم لرجل كان يتعهده اسأل الله الذى رحمنى بك . أن يرحمك بى . وقال بعض القدماء . ما أقل منفعة المعرفة مع غلبة الشهوة . وما أكثر قلة المعرفة مع ملك النفس . وقال بعضهم كن من احتيالك على عدوك . أخوف من احتيال عدوك عليك .. وقال آخر ليس معى من فضيلة العلم . الا أنى أعلم انى لا أعلم .. وفى معناه قول الشاعر

جهلت ولم تعلم بانك جاهل فمن لى بأن تدرى بأنك لا تدرى

وعزى رجل أخاه على ولد .. فقال عوضك الله منه ما عوضه منك — يعنى

الجنة — وقال بعضهم .. انى أكره للرجل أن يكون مقدار لسانه . فاضلاً عن مقدار علمه . كما أكره أن يكون مقدار علمه . فاضلا عن مقدار لسانه .. وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : إذا أنا لم أعلم مالم أر فلا علمت ما رأيت .وقيل للحسن بن سهل وكان يكثر العطاء ليس فى السرف خير : فقال ليس فى الخير سرف . فعكس اللفظ واستوفى المعنى : وقال بعضهم كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه ،، ومثله من المنظوم .. قول عدى بن الرقاع

ولقد ثنيت يد الفتاة وسادةً   لى جاعلا إحدى يدى وسادَها

وقال بعض المحدثين

لسانى كتوم لاسراركم   ودمعى نموم لسرى مذيع
فلولا دموعي كتمت الهوي   ولولا الهوى لم تكن لى دموع

وقال آخر

ثنايا الثنايا من عقدها نظمت   أو نظمَ العقد من ثناياها

والعكس أيضاً من وجه آخر .. وهو أن يذكر المعنى ثم يعكسه ايراد خلاف كقول الصاحب وتسمى شمس المعالى وهو كسوفها

الفصل الرابع عشر

فى التذييل

وللتذييل فى الكلام موقع جليل ومكان شريف خطير .. لان المعنى يزداد به انشراحا والمقصد اتضاحا .. وقال بعض البلغاء للبلاغة ثلاثة مواضع : الاشارة. والتذييل . والمساواة . وقد شرحنا الاشارة والمساواة فيما تقدم .. فأما التذييل فهو اعادة الالفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه وهو ضد الاشارة والتعريض .. وينبغى أن يستعمل فى المواطن الجامعة.

والمواقف الحافلة . . لان تلك المواطن تجمع البطئ الفهم . والبعيد الذهن . والثاقب القريحة . والجيد الخاطر . فاذا تكررت الالفاظ على المعنى الواحد تؤكد عند الذهن اللقن . وصح للكليل البليد .. ومثاله من القرآن . قول الله عز وجل (ذلك جزيناهم بما كفروا) (وهل يجازى الا الكفور) ومعناه وهل يجازى بمثل هذا الجزاء الا الكفور) ومعناه وهل يجازى بمثل هذا الجزاء الا الكفور . وقوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفأن مت فهم الخالدون) وإن (كل نفس ذائقة الموت) جميعا تذييل

ومثاله من النثر . قول بعضهم قبول السعاية . شر من السعاية . لان السعاية اخبار ودلالة . والقبول انفاذ واجازة : وهل الدال المخبر . مثل المجيز المنفذ . . فاذا كان كذلك فالحزم ان يمقت الساعى على سعايته إن كان صادقا . للؤمه فى هتك العورة . وإضاعة الحرمة . وأن يجمع له الى المقت العقوبة ان كان كاذبا . لجمعه على اضاعة الحرمة وهتك العورة ومبارزة الرحمن . بقول الزور واختلاق البهتان . فقوله ــ وهل الدال المخبر . مثل المجيز المنفذ ــ تذييل لما تقدم من الكلام . وكتب رجل الى أخ له . اما بعد فقد أصبح لنا من فضل الله تعالى مالا نحصيه . ولسنا نستحى من كثرة مانعصيه . وقد أعيانا شكره . وأعجزنا حمده . فما ندرى مانشكره أجميل مانشر . أم قبيح ماستر . أم عظيم ما ابلى . أم كثير ماعفا . فأستزد الله من حسن بلائه . بشكره على جميع الائه . فقوله ــ فما ندرى مانشكر ــ تذييل لقوله قد أعيانا شكره . وكتب سليمان بن وهب لبعضهم . بلغنى حسن محضرك . فغير بديع من فضلك . ولا غريب عندى من برك . بل قليل اتصل بكثير . وصغير لحق بكبير . حتى اجتمع فى قلب قد وطن لمودتك . وعنق قد ذلت لطاعتك . ونفس قد طبعت على مرضاتك . وليس أكثر سؤلها . وأعظم أربها . الا طول مدتك . وبقاء نعمتك . قوله ــ فغير بديع من فضلك . ولا غريب عندى من برك ــ تذييل لقوله ــ بل قليل اتصل بكثير . وصغير لحق بكبير ــ تأكيدا ماتقدم . ومن المنظوم قول الحطيئة

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يقيس بأنف الناقة الذنبا (١)

فاستوفى المعنى فى النصف الاول وذيل بالنصف الثانى . وقول الآخر

فدعوا نزالِ فكنت أول نازل وعلامَ أركبه اذا لم أنزلِ

وقول طرفة

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى لكالطوَل المرخى وثنياه باليد (٢)

فالنصف الآخر تشبيه وتذييل . وقول أبى نواس

عَرِمَ الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنين وللزمان عرام (٣)

قوله ـ وللزمان عرام ـ تذييل

الفصل الخامس عشر

فى الترصيع

وهو ان يكون حشو البيت مسجوعا . وأصله من قولهم ـ رصعت العقد ـ اذا فصلته . ومثاله . قول امرئ القيس

سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات على الفال

وقوله وأوتاده ماذِيّة وعماده رُدَيْنية فيها أسنةُ قعضبِ

وقوله فتور القيام قطيع الكلام تفتر عن ذى غروبٍ خصر

وضرب منه قوله

(١) نسخة ـ ومن يسوى . وكذا فى المختارات . وفى أخرى ومن يساوى

(٢) الطول ـ الحبل . قاله ابو زيد فى الجمهرة . وقال يروى بدل المرخى المنهى وهو بمعنى المرخى ـ وثنياه ـ ماثنى منه

(٣) العرام ـ الشدة والاذى

مخشّ مجشٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً كتيس ظباء الحلبِ العدَوان[1]

وضرب منه . قوله فى صفة الكلب

ألص الضروس حنى الضلوع تبوعٍ طلوبٍ نشيطٍ أشرْ

فقوله — الضروس مع الضلوع — سجع . وان لم يكن القاطع على حرف واحد وقد احكمنا هذا فى السجع والازدواج . وقال زهير

كبداء مقبلةٍ عجزاء مدبرةٍ عوجاء فيها اذا أستعرضتها خضع[2]

وقال أوس

جشاً حناجرها علما مشافرها تستن أولادها فى قرقرٍ ضاحي[3]

---

(١) هكذا رواية البيت فى الاصول . وفى الاعجاز

محش مخش مقبل مدبر معا كتيس ظباء الحلب فى العدوان

وفى المدون من شعره (مكر مفر) الخ مارواه المصنف . وقال الوزير ابوبكر فى تفسير البيت — الحلب — بقلة تأكلها الوحش فتضمر عليها بطونها . وقال القتيبي هو نبات تعتاده الظباء يخرج منه مايشبه اللبن اذا قطع وانما سمى الحلب لتحلبه وقوله العدوان — أى المسرع . وفى نسخة من الاصل الغدوان

(٢) الكبداء — العظيمة الوسط — والعوجاء — المنعطفة من العوج . وفى نسخة

كبداء مقبلة وركاء مدبرة قوداء فيها اذا استعرضتها خضع

وقال فى هامشها . كذا بخط الخطابى — والوركاء — اذا كانت عظيمة الورك والقوداء — الطويلة . وقوله — اذا استعرضتها خضع — يريد اذا نظرت اليها بغير قصد فاعترضتها علقتها

(٣) الجيش شدة الصوت — . وفى نسخة حشابالمهملة — وقوله علما — هكذا ضبط بأصله بالضم . . والعلم الشق بالشفة العليا وهى من البعير المشفر . . وقوله تستن أولادها — أى تنشط بهم — فى قرقر ضاحى — الضاحى — البارز من كل شيء وتقدم تفسيره — والقرقر — لم أقف على معناه . . وجاء فى هامش نسخة (فى دحض أنضاح) وكتب عليه انه كذا بخط الخطابى

وقال طرفة

بطىء عن الجلى سريع الى الخنا ذَلولٍ بأجماع الرجال ملهدِ [١]

وقال النمر

من صوب سارية علت بغادية تهل حتى يكاد الصبح ينجاب

وقال تأبط شراً

يامن لعذالةٍ حذالةٍ أشبٍ خرقت باللوم جلدى أى تخراقِ [٢]

وقال أيضا

حمال ألوية شهاد أنديه هباط أودية جوال آفاق

وقال النمر

طويل الذراع قصير الكراع يواشك بالسبسب الأغبرِ

وقال الافوه الأودى

سود غدائرها بلج محاجرها كأن اطرافها لما جتلى الطنف [٣]

---

(١) رواية الجمهرة بطىء عن الداعى الخ . . وقال فى تفسيره ـ أجماع ـ جمع جمع وهو الكف ـ والملهد ـ القصى المبعد عن الرجال . . وفى اللسان الملهد ـ من لهده يلهده اذا غمزه . . وقوله ـ ذلول ـ كذا فى الاصول والنقد وانشده فى اللسان ذليل

(٢) العذالة ـ المرأة الكثيرة العذل أى اللوم ـ والحذالة ـ الباكية من الحذل وهو حمرة وانسلاق فى العين وسيلان دمع ـ والاشب ـ الخلط

(٣) قال فى اللسان ـ الطنف ـ بالضم السيور وأنشد البيت ثم قال ومثله ـ الطنف ـ (بالفتح) أيضا ونقل عن ابن سيده . . ان هذه رواية ابوعبيد وقيل الطنف الجلود الحمر التى تكون على الاسفاط وقيل شجر أحمر يشبه العنم . ويروى فى غير الاصول هكذا كان أطرافها فى الجلوة الطنف

وقال العجير

حم الذرى مرسَلة منها العرى ، (وزجلات الرعد فى غير صعق)

وقال سليك

اذا أسهلت خبتْ وان أحزَنتْ مشت (وتمشى بها بين البطون وتقذف)

وقال بشامة بن الغدير *

هو ان الحياة وخزى الممات وكلاً أراه طعاماً وبيلا

وقال الراعي

سود معاصمها خصر معاقمها قد سهامن عقد القار تنصيل [١]

وقالت ليلى (الأخيلية)

وقد كان مرهوبَ السنان وبين اللسان ومجذامَ السري غير فتر

وقال ذو الرمة

كحلاء فى برجٍ صفراء فى نعج [٢] كأنها فضة قد مسها ذهبُ

وقال عامر بن الطفيل

انى وان كنت ابن فارس عامرٍ وفى السر منها والصريح المهذب

فما سوّدتنى عامر عن وراثةٍ أبى الله أن أسموا بأمٍّ ولا أب

ولكننى أحمى حماها واتقى أذاها وأرمى من رماها بمقنب

(المقنب ـ جماعة الخيل) ومثل هذا اذا اتفق فى موضع من القصيدة أو موضعين كان حسنا . فاذا كثر وتوالى دل على التكلف . . وقد ارتكب قوم من القدماء الموالاة بين أبيات كثيرة من هذا الجنس فظهر فيها أثر التكلف .

---

(١) المعاقم ـ فقر بين الفريدة والعجب فى مؤخر الصلب . وملتقى اطراف العظام

(٢) البرج ـ نجل العين وهو سعتها ـ والنعج ـ حسن اللون وخلوص بياضه

وبان عليها سمة التعسف . وسلم بعضها ولم يسلم بعض . . فمن ذلك ما روى أنه للخنساء (١)

حامي الحقيقة محمود الخليقة مهدى الطريقة نفاع وضرار

هذا البيت جيد .. ثم قالت

فعال سامية ورّاد طامية للمجد نامية تعنيه أسفار

هذا البيت ردىء لتبرىء بعض ألفاظه من بعض .. ثم قالت

جواب قاصية جزّار ناصية عقاد ألوية للخيل جرار

آخر هذا البيت لا يجرى مع ما قبله .. وإذا قسته بأوله وجدته فاترا باردا . ثم قالت

حلو حلاوته فصل مقالته فاش حمالته للعظم جبار

وهذا مثل ما قبله . وقول أبى صخر الهذلى

وتلك هيكلة خود مبتلة صفراء رعبلة فى منصب سنم

هذا البيت صالح . . وبعده

عذب مقبلها جذل مخلخلها كالدعص أسفلها مخصورة القدم (٢)

كأن قوله ــ مخصورة القدم ــ ناب عن موضعه غير واقع فى موقعه . وبعده

سود ذوائبها بيض ترائبها محض ضرائبها صيغت كل الكرم

وهذا البيت أيضاً قاق القافية . وبعده

سمح خلائقها درّم مرافقها تروى معانقها من بارد شبم

(١) أورد فى الاعجاز البيت الاول والثالث من شواهد المضارعة . . وروى بدل ــ الحقيقة ــ الحقيبة

(٢) الدعص ــ قوز (أى كوم) من الرمل مجتمع

هذا البيت ردئ .. لبعدما بين الخلايق . والمرافق . وما بين الدرم . والسمح . ولولا أن السجع اضطره لما قال سمح وليس لعظم مرفقها حجم (١) . وهذا مثل قول القايل .. لو قال خلق فلان حسن وشعره جعد . ليس هذا من تأليف البلغاء ونظم الفصحاء . وقول أبى المثلم (٢)

(لو كان للدهر مالاً كان متلده   لكان للدهر صخر مال قنيان

آبى الهضيمة نابٍ بالعظيمة متلافُ   الكريمة بذّ غير ثنيان (٣)

حامى الحقيقة نسال الوريقة معتاق   لوسيقة لا نكس ولاوان (٤)

البيت الثانى أجود من الاول . وقوله

رباء مرقبةٍ مناع مغلبةٍ   وهاب سلهبة قطاعُ أقران

وهذا البيت أيضاً صالح . وبعده

هبــاط أودية حمــال ألوية   شهاد أندية سرحان فتيان (٥)

قوله — سرحان فتيان — ناب قلق . . وبعده

---

(١) هــذا تفسير للدرم . فان الدرم فى الكعب أن يوازيه اللحم حتى لا يكون له حجم

(٢) البيت الاول والاخير من هذه الابيات وجدتهما بهامش نسخة الكبرلى فألحقتهما بالاصل وقد نبهت على ذلك لان المصنف تكلم على البيت الثانى والاخير وقد وقع الثانى ثالثا والاخير سادساً فتنبه

(٣) نسخة — ند غير ثنيان . . وأخرى

آبى الهضيمة ناب العظيمة متـ   لاف الكريمة جلد غير ثنيان

(٤) نسخة — لا سقط ولاوان

(٥) السرحان — السيد والاسد بلغة هذيل . قاله فى اللسان وأنشد البيت

يعطيك بالانكاد النفس ترسله — من التلاد وهوب غير منان

(التارك القرن مصفراً أنامله — كان في ريطتيه نضح إرقان) [1]

هذا البيت جيد وقد سلم من سائر العيوب إذ لم يتكلف فيه السجع ولم يتوخ الموازنة . . ومن جيد الباب . قول ابن الرومى

حوراء في وطف قنواء في دلف — لفاء في هيف عجزاء في قبب

ومن معيب هذا الباب أيضاً . قول بعض المتأخرين (٢)

عجب الوشاة من اللحاة وقولهم — دع ما نراك ضعفت عن إخفائه

هذا ردىء لتعمية معناه

الفصل السادس عشر

فى الايغال

وهو ان يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ الى مقطعه . . ثم يأتى بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا . . وأصل الكلمة من قولهم أوغل فى الأمر إذا أبعد الذهاب فيه . . وأخبرنا أبو احمد قال أخبرنا الصولى عن المبرد عن التوزى . . قال قلت للاصمعى من اشعر الناس . . فقال من يأتى بالمعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا . أو الكبير فيجعله بلفظه خسيسا . أو ينقضى كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها افاد بها معنى . . قال . . قلت نحو من قال قول ذى الرمة حيث يقول

قف العيس فى اطلال مية فاسئل — رسوما كاخلاق الرداء المسلسل

---

(١) الريطة ــ الملاءة. قال الازهرى لا تكون الريطة الا بيضاء ــ والارقان ــ الحناء والزعفران .

(٢) قائله ــ المتنبي

فتم كلامه — بارداء — (قبل المسلسل) ثم قال (المسلسل) فزاد شيئاً بالمسلسل ثم قال

اظن الذى يجدي عليك سوآلها   دموعا كتبذير الجمان المفصل

فتم كلامه — بالجمان — ثم قال المفصل فزاد شيئاً .. قلت ونحو من .. قال الاعشى حيث يقول

كناطح صخرة يوما ليفلقها   فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فتم كلامه — بيضرها — فلما احتاج إلى القافية .. قال — وأوهى قرنه الوعل — فزاد معنى .. قلت وكيف صار الوعل مفضلا على كل ماينطح .. قال لانه ينحط من قلة الجبل على قرنيه فلا يضيره .. وكتب بعض الكتاب نبو الطرف من الوزير. دليل على تغير الحال عنده . ولا صبر على الجفاء ممن عود الله منه البر . وقد استدللت بازالة الوزير اياى عن المحل الذى كان يحلنيه بتطوله على ماسؤت له ظنا بنفسي . وما أخاف عتبا لانى لم أجن ذنبا . فان رأى الوزير أن يقومنى لنفسى . ويدلنى على مايراد منى فعل . تم كلامه عند قوله له ـ يقومنى ثم جاء بالمقطع وهو قوله ـ لنفسى ـ فزاد معنى ... وممن زاد توكيدا ... امرىء القيس حيث يقول

كان عيون الوحش حول خبائنا   وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

قوله ـ لم يثقب ـ يزيد التشبيه توكيداً لان عيون الوحش غير مثقبة .. وزهير حيث يقول

كان فتات العهن فى كل منزل   نزلن به حب القنا لم يحطم

القنا إذا كسر ابيض ـ والقنا ـ شجر الثعلب (١) .. ومن الزيادة قول

(١) قوله القنا شجر الثعلب .. هكذا فى الاصول بالقاف .. وكذا فى الجمهرة وقال شجر له حب احمر فيه نقط سود .. وخالفها فى النقد فانشده بالفاء .. وقال الفنا حب تنبته الارض احمر ثم قال فقد أتى على الوصف قبل القافية لكن حب

امرئ القيس

[إذا ماجرى شأوين وابتل عطفه تقول هزيز الريح مرّت بأثاب

فالتشبيه قد تم عند قوله ـ هزيز الريح ـ وزاد بقوله ـ مرت بأثاب ـ لانه أخبر به عن شدة خفيف الفرس وللريح فى اغصان الأثاب خفيف شديد ـ والأثاب شجر .. وقول أبى نواس

ذاك الوزير الذى طالت علاوته كأنه ناظر فى السيف بالطول

فقوله ـ بالطول ـ أنفا للشبهة .. وقول راشد الكاتب

كأنه ويد الحسناء تغمزه سير الاداوة لما مسه البلبل

فقوله ـ لما مسه البلل ـ تأكيدا .. ويدخل اكثر هذا الباب فى التتميم .. وانما يسمى إيغالا اذا وقع فى الفواصل والمقاطع

الفصل السابع عشر

فى التوشيح

سمى هذا النوع التوشيح .. وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى .. ولو سمى تبيينا لكان اقرب .. وهو أن يكون مبتدأ الكلام ينبئ عن مقطعه . وأوله يخبر بآخره . وصدره يشهد معجزه . حتى لو سمعت شعراً أو عرفت رواية ثم سمعت صدر بيت منه وقفت على عجزه . قبل بلوغ السماع اليه : وخير الشعر ماتسابق صدوره واعجازه . ومعانيه والفاظه . فتراه سلساً فى النظام . جاريا على اللسان . لايتنافى ولا يتنافر . كانه سبيكة مفرغة . أو وشى منمنم

الفنا إذا كسر كان مكسره غير احمر فاستظهر فى القافية لما أن جاء بها قال لم يحطم فكأنه وكد التشبيه بايغاله فى المعنى .. قلت وفى اللسان ..والفنا مقصور الواحدة فناة (بالفاء) عنب الثعلب ويقال نبت آخر وأنشد البيت

أو عقد منظم . من جوهر متشاكل . متمكن القوافى غير قلقة . وثابتة غير مرجة . ألفاظه متطابقة . وقوافيه متوافقة . ومعانيه متعادلة . كل شىء منه موضوع فى موضعه . وواقع فى موقعه . فاذا نقض بناؤه . وحل نظامه . وجعل نثراً . لم يذهب حسنه . ولم تبطل جودته فى معناه ولفظه . فيصلح نقضه لبناء مستأنف . وجوهره لنظام مستقبل

فما فى كتاب الله عز وجل من هـذا النوع قوله تعالى (وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون) فاذا وقفت على قوله تعالى ـ فيما ـ عرف فيه السامع أن بعده ـ يختلفون ـ لما تقدم من الدلالة عليه وهكذا قوله تعالى (قل الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ما تمكرون) اذا وقف على يكتبون ـ عرف أن بعده ـ ما يمكرون ـ لما تقدم من ذكر المكر

وضرب منه آخر . . وهو أن يعرف السامع مقطع الكلام وان لم يجد ذكره فيما تقدم وهو كقوله تعالى (ثم جعلناكم خلايف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون) فاذا وقف على قوله ـ لننظر ـ مع ما تقدم من قوله تعالى جعلناكم خلايف فى الارض علم أن بعده ـ تعملون ـ لان المعنى يقتضيه

ومن الضرب الاول قوله تعالى (ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وهكذا قوله تعالى (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) اذا وقف على ـ أوهن البيوت ـ يعرف أن بعده ـ بيت العنكبوت ـ ومن أمثلة ذلك . . قول الراعى

وإن وزن الحصى فوزنت قومي وجدتُ حصى ضريبتهم رزينا

اذا سمع الانسان أول هذا البيت وقد تقدمت عنده قافية القصيدة استخرج لفظ قافيته . . لانه عرف أن قوله ـ وزن الحصى ـ سيأتى بعده ـ رزين ـ لعلتين : احداهما أن قافية القصيدة توجيه : والاخرى أن نظام البيت يقتضيه .

لان الذى يفاخر برجاحة الحصى ينبغى أن يصفه بالرزانة . . وقول نصيب

وقد أيقنتُ أن ستبينُ ليلى   وتحجبُ عنك لوْ نفع اليقين

وأنشد أبو أحمد . . قول مضرس بن ربعى *

تمنيت أن ألقى سليما ومالكاً   على ساعةٍ تنسى الحليم الأمانيا

ومن عجيب هذا الباب . . وقول البحترى

فليس الذى حللته بمحلل   وليس الذى حرّمته بحرام

وذلك أن من سمع النصف الاول عرف الاخير بكماله . . ونحوه قول الآخر

فأما الذى يُحصيهم فمكثر   وأما الذى يطريهم فمقلل

وقول الآخر

هى الدر منثوراً اذا ماتكلمتَ   وكالدرّ منظوما اذا لم تكلّم

وقول الآخر

ضعايف يقتلن الرجال بلا دمٍ   ويا عجبا للقاتلات الضعايف

وقول الآخر

وقد لان أيام الحمى ثم لم يكد   من العيش شيء بعد ذلك يلين

يقولون ما أبلاكَ والمال عامرٌ   عليك وضاحي الجلد منك كنينِ

فقلت لهم لاتعذلونى وانظروا   الى النازع المقصور كيف يكون

اذا قلت ـ ضاحي الجلد منك ـ فليس شيء سوى ـ الكنين ـ وكذلك اذا قلت ـ الى النازع المقصور كيف ـ فليس شيء سوى ـ يكون ـ ومما عيب من هذا الضرب . . قول أبى تمام

صارت المكرمات نزلاً وكانت   أدخلتْ بينها بنات مخاض

وقول بعض المتأخرين

فقلقلت بالتهم الذي قلقلَ الحشى قلاقل عيس كلهن قلاقل

وإنما أخذه من قول أبي تمام . . فأفسده

طلبتكَ من نسل الجديل وشدقم كومُ عقابل من عقابلَ كوم (١)

الفصل الثامن عشر

في رد الاعجاز على الصدور

فأول ما ينبغي أن تعلمه .. إنك اذا قدمت ألفاظا تقتضي جوابا فالمرضى أن تأتي بتلك الالفاظ بالجواب ولا تنتقل عنها الى غيرها مما هو في معناها .. كقول الله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وكتب بعض الكتاب في خلاف ذلك . . من اقترف ذنباً عامداً . أو اكتسب جرما قاصدا . لزمه ما جناه . وحاق به ما توخاه. والاحسن أن يقول — لزمه ما اقترف . وحاق به ما اكتسب — وهذا يدلك على أن لرد الاعجاز على الصدور موقعا جليلا من البلاغة .. وله في المنظوم خاصة محلا خطيرا .. وهو ينقسم أقساما

منها ما يوافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في النصف الاول .. مثل قول الاول

تلقى اذا ما الأمر كان عرمرماً في جيش رأي لا يفل عرمرم

وقال عنترة فأجبتها إنّ المنيه منهلُ لا بد أن أسقى بذاك المنهل

وقال جرير زعم الفرزدق ان سيقتلُ مربعاً أبشر بطول سلامة يامربع

---

(١) جديل . وشدقم — فحلان كانا للنعمان بن المنذر تنسب اليهما الجدليات والشدقميات من الابل . . وقيل الجديل فحل لمهرة بن حيدان — والكوم — الاولى القطعة من الابل والثانية جمع أكوم وهي في الاصل العظم في كل شيء ثم غلب على السنام والبعير فقيل سنام أكوم وبعير أكوم أي عظيما

وقال المخبل ويَنفس فيما أورثتني أوائلي ويرغب عما أورثته أوائله

ومنها ما يوافق أول كلمة منها آخر كلمة فى النصف الاخير . كقول الشاعر

سريع الى ابن العم يلطم وجهه وليس الى داع الوغى بسريع

وقول ابن الاسلت *

أسعى على جلِّ بني مالكٍ كل امرىءٍ فى شأنه ساعِ

ومنه ما يكون فى حشو الكلام فى فاصلته . كقول الله تعالى (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وقوله تعالى (قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى) وكقول امرىء القيس

اذا المرء لم يخزنْ عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزّان

وقول الآخر كذلك خيمهمْ ولكل قوم اذا مستهمُ الضراء خيم

وقول زهير ولأنت تفرى ما خلقتَ وبعـ ضُ القوم يخلق ثم لا يفرى

وقال جرير

سقى الرملَ جونٌ مستهل ربابه وماذاك الا حبّ من حلّ بالرمل [1]

أخذه من قول النمرى

لعمرك ما أسقى البلاد لحبها ولكنما أسقيك حار بن تولبِ

وقول ابن مقبل

ياحرّ من يعتذر من أنْ يلمّ به ريب المنون فاني لست أعتذرُ

(١) الجون — المطر إذا كان صافيا — والرباب — بالفتح السحاب . . وفى فقه اللغة للثعالبي اذا تعلق سحاب دون السحاب فهو الرباب . وأنشده فى الاعجاز (مستهل غمامه) بدل ربابه

وقول الحطيئه اذا نزل الشتاءُ بدار قوم تجنب جارَ بيتهم الشتاءُ

وقول الاخر

رأت نضو أسفار أميمة واقفا على نضو أسفار فجن جنونها

وقول عمرو بن معدى كرب

اذا لم تستطع شيئا فدعهُ وجاوزه الى ما تستطيع

وقول الاخر

أصدُّ بأيدي العيس عن قصد دارها وقلبي اليها بالمودّة قاصدُ

ومن الضرب الاول . . قول زهير

السترُ دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

وقول الحطيئة

تدرّون ان شدّ العصاب عليكم ونأبى اذا شدّ العصاب فلا ندر (١)

وقول أبي تمام أسائله ما باله حكم البلى عليه وإلا فاتركوني أسائله

وقوله تجشم حمل الفادحات وقلما أقيمت صدور المجد الا تجشما

وقول الآخر — مفيداً أن تزره وأنت مقو تكن من فضل نعمته مفيدا

وقول الآخر — واستبدت مرّةً واحدةً انما العاجز من لا يستبدّ

ومنها مايقع فى حشو النصفين . كقول النمر

يود الفتى طول السلامة والغنى فكيف ترى طول السلامة تفعل

---

(١) العصاب — من قولهم فلان أعطى على العصب أى على القهر . قال شارح ديوانه ضرب هذا مثلا يقول اذا اشتد عليكم بأس قوم وأمرهم أعطيتموهم ماطلبوا من أموالكم قهراً ونحن لا نفعل فلا نعطى على القسر أى القهر . ورواه فى المختارات وأنا — بدل ونأبى

وقلت

الا لا يذم الدهر من كان عاجزا — ولا يعذل لاقدار من كان وانيا

فمن لم تبلغه المعالى نفسه — فغير جدير أن ينال المعاليا

وقفتُ على يحيى رجائى وانما — وقفتَ على صوبَ الربيع رجائيا

اذا ما الليالى ادركت ما سمعتُ له — تمطيت جدواه ففت اللياليا

ومما عيب من هذا الباب . قول ذى نواس البجلى *

يتيمنى برق المباسم بالضحى — ولا بارقُ الاّ الكريم يتيمه

وقال منصور * بن الفرج

ذُرْناك شوقا ولو أن النوي نشرتْ — بسطَ النوى بيننا بعداً لزرناك

وهذا أيضا داخل فى سوء الاستعارة . وقوله أيضاً

اذا احتجب الغيث احتبي في نديه — فيضرب أغيانا له ان تحجبا

وهذا البيت على غاية الغثاثة

الفصل التاسع عشر

فى التتميم والتكميل

وهو ان توفى المعنى حظه من الجودة . وتعطيه نصيبه من الصحة . ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه . الا تورده . أو لفظاً يكون فيه توكيده . الا تذكره . كقول الله تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) فبقوله تعالى — وهو مؤمن — تم المعنى . ونحو قوله سبحانه (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فبقوله تعالى — استقاموا — تم المعنى أيضا . وقد دخل تحته جميع

الطاعات (١) فهو من جوامع الكلم ونحو قوله تعالى (فاستقيموا اليه) . ومن النثر قول اعرابية لرجل . كبت الله كل عدو لك الا نفسك (فبقولها نفسك) تم الدعاء لان نفس الانسان تجرى مجرى العدو له يعنى انها تورطه وتدعوه الى مايوبقه . ومثله قول الاخر — احرس أخاك الا من نفسه — وقريب منه . قول الاخر — من لك أخيك كله — ومن المنظوم . قول عمرو بن براق *

فلا تأمننَ الدهر حراً ظلمته　　　فما ليل مظلوم كريم بنائم

فقوله — كريم تتميم — لان اللئيم يغضى على العار . وينام على الثار . ولا يكون منه دون المظالم تكبر . وقول عمرو بن الايهم

بها نلنا القرايب من سوانا　　　وأحرزنا القرايب أن تنالا

فالذى اكمل جودة المعنى قوله — وأحرزنا القرايب ان تنالا — وقول الاخر

رجال اذا لم تقبلِ الحق منهم　　　ويعطوه عادوا بالسيوف القواضبِ

وقول طرفة

فسقى ديارَكِ غير مفسدها　　　صوبُ الربيع وديمةٌ تهمى

فقوله — غير مفسدها — اتمام المعنى وتحرز من الوقوع نيما وقع فيه ذو الرمة فى قوله

الا ياسلمى يادارميّ على البلى　　　ولازال منهلا بجرعائك القطر

فهذا بالدعاء عليها . أشبه منه بالدعاء لها . لان القطر اذا انهل فيها دايما فسدت . ومن العجب ان ذا الرمة كان يستحسن قول الاعرابية . وقد سألها عن الغيث . فقالت غيثا ماشئنا . وهو يقول خلاف مايستحسن . ومن التتميم قول الراعى

(١) وجدت فى الاعجاز للثعالبى — استقاموا — كلمة واحدة تفصح عن الطاعات كلها فى الائتمار والانزجار وذلك لوان انسانا أطاع الله سبحانه وتعالى مائة سنة ثم سرق حبة واحدة لخرج بسرقتها من الاستقامة

لا خير فى طول الاقامة لامرئ　　إلاّ اذا مالم يجد متحوّلا

ونحوه قول الاخر

اذا كنت فى دار يهينك أهلها　　ولم تك مكبولا بها فتحول

وقول الاخر

ومقام العزيز فى بلد الذ　　ل اذا أمكن الرحيل محالُ

فقوله — اذا أمكن الرحيل — تتميم . وقول النمر

لقد أصبح البيض الغواني كأنما　　يرين اذا ما كنتُ فيهن أجربا

وكنت اذا لاقيتهنّ بـلدة　　يقلن على النكراء أهلاً ومرحباً

فقوله — على النكراء — تتميم . ولو كانت بينه وبينهن معرفة لم ينكر له منهن أهل ومرحب . وقول الاخر

وهل علمت بيتنا الا واه　　شربة من غيره وأكله

فقوله — من غيره — تتميم . لان لكل بيت شربة وأكلة من أهله . وقول الشماخ

جُمالية لو يجعلُ السيف عرضها　　على حده لاستكبرتْ ان تضوّرا (١)

فقوله على — حده — تتميم عجيب . ويدخل فى هذا الباب . قول الاخر

وقلّ من جدّ فى أمرٍ يطالبه　　فاستصحب الصبرَ الافاز بالظفرِ

وقول الخنساء

وانّ صخراً لتأتم الهداةُ به　　كأنه علمٌ فى رأسه نارُ

فقولها — فى رأسه نار — تتميم عجيب . قالوا لم يستوف أحد هذا المعنى استيفائها وهو مأخوذ من . قول الاعشى

---

(١) جمالية — أى تشبه الجمل فى خلقتها وشدتها — والتضور — التضعف .. والبيت هكذا ضبطت حروفه فى أصح نسخ الاصل فليحرر

وتدفنُ منه الصالحاتُ وانْ يسيءْ يكنْ ما أساءَ النارَ فى رأس كبكبا[1]

الا انها أخرجته فى معرض أحسن من معرض الاعشى . فسهر واستفاض . وخمل معها بيت الاعشى ورذل . وهذا دليل على صحة ماقلناه من ان مدار البلاغة على تحسين اللفظ . وتجميل الصورة . وقول الاخر

الاليتَ النهارَ يعودُ ليلاً فان الصبحَ يأتى بالهموم

حوائجَ لاتطيقُ لهاقضاءً ولا رداً ورَوْعات الغريم

فقوله — ولاردا — تتميم

الفصل العشرون

فى الالتفات

الالتفات على ضربين . فواحد ان يفرغ المتكلم من المعنى فاذا ظننت انه يريد ان يجاوزه يلتفت اليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به . أخبرنا أبو أحمد . قال أخبرنى محمد بن يحيي الصولى . قال قال الاصمعى . أتعرف التفاتات جرير . قلت لا فما هى . قال

أتنسى اذْ تودّعنا سليمىَ بعود بشامةٍ سقى البشام[2]

الا تراه مقبلا على شعره . ثم التفت الى البشام فدعا له . وقوله

(١) كبكبا — اسم جبل بمكة . قال فى اللسان وقد ترك الاعشى صرفه وأنشد البيت . وقبله

ومن يغترب عن قومه لايزل يرى مصارع مظلوم مجراً ومسحبا

(٢) هكذا فى الاصل والاعجاز وديوان شعره . . ورواه فى اللسان (أتذكر يوم تصقل عارضيها الخ — وقوله البشام — قال فى اللسان هو شجر ذو ساق وافنان وورق صغاره أكبر من ورق الصعتر ولا ثمر له

طربَ الحمام بذى الأراك فشاقنى   لا زلت فى علل وأيك ناضر

فالتفت الى الحمام فدعا له . ومنه . قول الاخر

لقد قتلتُ بنى بكر بربّهم   حتى بكيت وما يبكى لهم احد

فقوله — وما يبكى لهم أحد — التفات وقول حسان

انّ التى ناولتني فرددتها   قتلتْ قتلتَ فهاتها لم تقتلِ

فقوله ـ قتلت ـ التفات ،، والضرب الاخر أن يكون الشاعر آخذا فى معنى وكأنه يعترضه شك أو ظن ان راداً يرد قوله أو سائلا يسئله عن سببه فيعود راجعاً الى ما قدمه . . فأما أن يؤكده . أو يذكر سببه . أو يزيل الشك عنه . . ومثاله .. قول المعطل الهذلى *

تبين صلاةَ الحرب منا ومنهم   إذا ما التقينا والمسالم بادن

فقوله ـ والمسالم بادن ـ رجوع من المعنى الذى قدمه . حتى بين ان علامة صلاة الحرب من غيرهم أن المسالم بادن والمحارب ضامر . وقول عبدالله بن معاوية ابن عبدالله بن جعفر *

وأجمل اذا ما كنت لابد مانعا   وقد يمنع الشيء الفتى وهو مجمل

وقول طرفة (١)

وتصدعنك مخيلةَ الرجل الـ   ـشروف موضحة عن العظم

بحسام سيفك أو لسانك والـ   ـكلم الأصيل كأرعب الكلم

---

(١) هكذا فى الاصل . وأنشد البيت الاول فى النقد

وتكف عنك مخيلة الرجل الـ   ـعريض موضحـة عن العظم

وقوله — كأرعب الكلم — أى كأشد الجراح وأكثرها اتساعا . كذا فسره فى النقد

فكأنه ظن معترضا يقول له كيف يكون مجرى اللسان والسيف واحداً . .
فقال — والكلم الاصيل كأرغب الكلم — وإنما أخذه من امرىء القيس

وجرح اللسان كجرح اليد

وأخذه آخر . . فقال

والقول ينفذ مالا تنفذ الابر

ومن الالتفات .. قول جدير بن ربعان

معازيل فى الهيجاء ليسوا بزادة ... مجازيع عند البأس والحرّ يصبر

فقوله — والحر يصبر — التفات .. وقول (الرماح) بن ميادة

فلاصرمه يبدو وفى اليأس راحة ... ولا وده يصفو لنا فنكارمه

كانه يقول — وفى اليأس راحة — والتفت الى المعنى لتقديره ان معارضاً يقول له وما تصنع بصرمه .. فيقول لانه يودى الى اليأس وفى اليأس راحة

الفصل الحادي والعشرون

فى الاعتراض

(الاعتراض) وهو اعتراض كلام فى كلام لم يتم . . ثم يرجع اليه فيتمه . . كقول النابغة الجعدى

الا زعمت بنو سعد بأنى ... الا كذبوا كبير السنّ فانى

وقول كثير لو ان الباخلين وأنت منهم ... رأوك تعلموا منك المطالا

وقول الاخر

فظلت بيوم دع أخاك بمثله ... على مشرع يروى ولما يصرّد[1]

(١) يصرد — من الصرد .. قال الجوهرى الصرد البرد فارسى معرب

وقول الاخر

ان الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي الى ترجمان

وكتب آخر . . فانك والله يدفع عنك علق مضنة . ينفس ويتنافس به . فيكون خلفا مما سواه . ولا يكون فى غيره منه . فان رأيت أن تسمع العذر وتقبله . فلو لم تكن شواهده واضحة . وأنواره لايحة . لكان فى الحق أن تهب ذنبي لجزعى . واذلالى لاشفاق . ولا تجمع على لوعة لك وروعة منك . فعلت فقوله — فانك والله يدفع عنك — اعتراض مليح . . وقول البحترى

ولقد علمتُ وللشباب جهالةٌ ان الصبى بعد الشباب تصابى

وقلت

أأسحبُ أذيال الوفاء ولم يكن وحاشاك من فعل الدنية وافيا

الفصل الثانى والعشرون

فى الرجوع

(الرجوع) وهو أن يذكر شيئا ثم يرجع عنه : . كقول القايل . . ليس معك من العقل شيء . بل بمقدار (١) ما يوجب الحجة عليك . . وقال آخر . . قليل العلم كثير . بل ليس من العلم قليل . . وكقول الشاعر

أليس قليلا نظرة ان نظرتها اليك وكلاً ليس منك قليلُ

أخذه بن هرمة . . فقال

(ليت خطى كلحظة العين منها) وكثير منها القليل المهنا (٢)

---

(١) نسخة — بل بمقدار

(٢) نسخة — وقليل منها الكثير المهنا . . على العكس ولعل الذى اخترته هو الموافق

وقال غيره

ان ما قلّ منك يكثر عندى　　　وكثير ممن تحبُّ القليلُ

وقال دريد بن الصمة (١)

عُبر الفوارس معروف بشكته　　　كافٍ اذا لم يكن فى كرْبه كافي

وقد قتلتُ بني عبساً واخوتها　　　حتى شفيت وهل قلبى به شافي

وقول آخر

نُبئتُ فاضح قومه يغتابنى　　　عند الأمير وهلْ على أمير

وقول آخر (٢)

ومالي انتصار انْ غدا الدهر ظالمى　　　عليّ بلى ان كان من عندك النصرُ

وقال آخر

اذا شئتَ ان تلقي القناعة فاستخرْ　　　جُذَامَ بن عمرو ان أجاب جُذَامُ

ومن مذموم هذا الباب .. قول ابى تمام

رضيت وهل أرضى اذا كان مسخطى　　　من الأمر ما فيه رضا من له الأمر

---

(١) العبر ـ بضم العين المهملة هكذا فى ثلاثة نسخ وفى نسخة بالمعجمة المضمومة أيضاً ولم أقف على معناها ـ والكرب ـ من اكرب اذا أسرع .. وفى نسخة ـ من كربه ـ بدل فى كربه .. وقوله بنى عبسا على النصب والتنكير هكذا فى نسختين صحيحتين وفى نسخة بنى عبس فليحرر

(٢) قائله ـ ابو البيداء .. كذا فى الخزانة لابن حجة الحموى وأنشد .. ومالى انتصار أن غدا الدهر جائراً الخ

الفصل الثالث والعشرون

فى تجاهل العارف ومزج الشك باليقين

(تجاهل العارف ومزج الشك باليقين) هو اخراج مايعرف صحته مخرج مايشك فيه ليزيد بذلك تأكيداً . ومثاله من المنثور . ما كتبته الى بعض اهل الادب. سمعت بورود كتابك .فاستفزنى الفرح قبل رؤيته .وهز عطفى المرح أمام مشاهدته. فما أدرى اسمعت بورود كتاب . أم ظفرت برجوع شباب . ولم أدر مارأيت .أخط مسطور . أم روض ممطور . وكلام منثور . أم وشى منشور . ولم أدر ماابصرت فى اثنائه . أأبيات شعر . أم عقود در . ولم أدر ماحملته (١) أغيث حل بوادى ظمآن . أم غوث سيق إلى لهفان .. ونوع منه ماكتب به كافى الكفاة

كتبت اليك والاحشاء تهفوا وقلبي مايقر له قرار

عن سلامة وإن كان فى عدد السالمين .من اتصل سهاده . وطار رقاده. ففؤآده يجف . ودمعه يكف . ونهاره للفكر . وليله للسهر . . ومن المنظوم . . قول بعض العرب(٢)

بالله ياظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكن أم ليلى من البشر

وقول آخر

أأنت ديار الحي أيتها الربى الـ أنيقة أم دار المهى والنعائم

وسرب ظباء الوحش هذا الذى أرى بربعك أم سرب الظباء النواعم

وأدمعنا اللاتى عفاك انسجامها وأبلاك أم صوب الغمام السواجم

وأيامنا فيك اللواتى تصرمت مع الوصل أم اضغاث أحلام نائم

(١) نسخة ـ ماجملته بالجيم

(٢) قائله ـ العرجى

وقال ذو الرمة

أياظبية الوعساء بين جلاجل ٍ وبين النقي أأنت أم أمّ سالم

وقال بعض المتأخرين

أريقكَ أم ماءِ الغمامة أم خمر ٍ

وقلت أغرّة اسمعيل أم سنة البدر وفيض ندى كفيه أم باكر القطر

وقلت أيضا أثمر ما أرى أم اقحوان وقدُ ما بدا أم خيزران

وطرف ما نقلب أم حسام ولفظ ما تساقط أم جمان

وشوق ما أكابد أم حريق وليل ما أقاسي أم زمان

وقال ابن المعتز

كم ليلة عانقت فيها بدرها حتى الصباح موسداً كفيه ِ

وسكرت لا أدري أمن خمر الهوي أم كأسه أم فيه أم عينيه

وقا اعرابى

أيا شبه ليلى ما لليلى مريضة وأنت صحيح انّ ذا لمحال

أقول لظبي مرّ بي وهو راتع أأنت أخو ليلى فقال يقال

الفصل الرابع والعشرون

فى الاستطراد

وهو أن يأخذ المتكلم فى معنى فبينا يمر فيه يأخذ فى معنى آخر .. وقد جعل الاول سببا اليه .. كقول الله عز وجل (ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت) فبينا تدل الله سبحانه على نفسه بانزال الغيث واهتزاز الارض بعد خشوعها .. قال (ان الذى احياها لمحيي الموتى) فأخبر عن

قدرته على اعادة الموتى بعد افنائها واحيائها بعد ارجائها . . وقد جعل ماتقدم من ذكر الغيث والنبات دليلا عليه ولم يكن فى تقدير السامع لأول الكلام .. إلا أنه يريد الدلالة على نفسه بذكر المطردون الدلالة على الاعادة فاستوفى المعنيين جميعا .. ومثاله من المنظوم .. قول حسان

ان كنت كاذبة الذى حدثتني   فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل عنهم   ونجا برأس طمرة ولجام [1]

وذلك أن الحارث بن هشام فر يوم بدر عن أخيه أبى جهل . . وقال يعتذر

الله يعلم ما تركت قتالهم   حتى علوا فرسى بأشقر مزبد
وعلمت إنى ان أقاتل واحداً   أقتل ولا يضرر عدوى مشهدي
وشممت ريح الموت من تلقائهم .   فى مأزق والخيل لم تتبدد
فصددت عنهم والأحبة فيهم   طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد

وهذا أول من اعتذر من هزيمة رويت عن العرب . . ومن الاستطراد . . قول السموأل

وانا أناس لا نرى القتل سبة .   اذا ما رأته عامر وسلول

فقوله — اذا ما رأته عامر وسلول — استطراد .. وقال الاخر

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه   فليس به بأس وإن كان من عكل [2]

وقول زهير

إن البخيل ملوم حيث كان   ولكن الجواد على علاته هرم

ومن ظريف الاستطراد . قول مسلم

---

(١) الطمر — بتشديد الراء الفرس الجواد وقيل المستفز للوثب والانثى طمرة

(٢) نسخة — من جرم

أجدكِ ما تدرين أنْ ربَّ ليلةٍ كأنَّ دجاها من قرونكِ ينشر
لهوت بها حتى تجلت بغرةٍ كغرةِ يحيى حين يذكر جعفر

وقال أبو تمام

وسابحٍ هطلٍ التعداء هتان على الجراء أمين غير خوان
أظمى الفصوص ولم تظمأ عرائكه فخل عينيك فى ظمآن ريان
فلو تراه مُشيحاً والحصى زيم تحت السنابك من مثنى ووحدان
أيقنت ان لم تثبت ان حافره من صخرِ تدمر أو من وجه عثمان (١)

فبينا يصف قوايم الفرس خرج الى هجاء عثمان .. وهو من قول الاعرابى.. لوصك بوجهه الحجارة لرضها . ولو خلا بالكعبة لسرقها .. ومثله قول ابن المعتز

لو كنت من شيء خلافك لم تكنْ لتكون إلا مشجبا في مشجب
ياليت لى من جلد وجهك رقعة فأقد منها حافرا للأشهب

وقول البحترى فى الفرس

ما ان يعاف قذىً ولو أوردته يوما خلايق حمدويهِ الأحول

وقال مسلم (٢)

وأحببت من حبها الباخلين حتى ومقت ابن سلمٍ سعيدا
اذا سيل عرفاً كسا وجهه ثيابا من البخل زرقا وسودا

(١) أراد به عثمان بن ادريس السامى .. وقد أورد هذه الابيات الباقلانى فى إعجازه .. وأبو بكر الصولى فى المجموع من شعره باختلاف فى بعض الحروف

(٢) نسخة ــ حمراً بدل قوله زرقا . . ويغير بدل يغار . . وأخرى من المنع صفراً وسودا . . ويسودا بدل قوله يجودا

يغار على المال فعل الجواد　　وتأبى خلائقه ان يجودا

وقال بشار

خليليّ من كعب أعينا أخاكما　　على دهره ان الكريم معين

فلا تبخلا بخل ابن قزْعة انه　　مخافة أن يرجى نداه حزين

(إذا جئته في الخلق اغلق بابه　　فلم تلقه الا وأنت كمين)

وقوله　فما ذرّ قرن الشمس حتى كأننا　　من العيّ نحكي أحمد بن هشام

وقريب منه . . قول البحترى

اذا عطفته الريح قلت التفاته　　لعلوة في جاديّها المتعصفر

وهذا الباب يقرب من باب حسن الخروج وقد استقصيناه فى آخر الكتاب.

ومن الاستطراد ما قلته

أنظر الى قطر السماء ووبلها　　ودنوّ نائلها وبعد محلها

وشمول ما انشرته من معروفها　　فانبثّ فى حزن البلاد وسهلها

بل ما يروعك من وفور عطائها　　وعلوّ موضعها ولذّة ظلها

أنظر بنى زيد فان محلهم　　من فوقها وعطاؤهم من قبلها

ومن الاستطراد ضرب آخر . وهو ان يجيء بكلام يظن انه يبدأ فيه بزهد وهو يريد غير ذلك . كقول الشاعر

يامن تشاغل بالطلل　　أقصر فقد قرب الأجل

واصل غبوقك بالصبوح　　وعدّ عن وصف الملل

الفصل الخامس والعشرون

فى جمع المؤتلف والمختلف

وهو ان يجمع فى كلام قصير أشياء كثيرة مختلفة أو متفقة . كقول الله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات) وقوله عز اسمه (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) ومثاله من النثر . ما كتب به الشيخ أبو أحمد . فلو عاش حتى يرى ما منينا به من وغد حقير . نقير . نذل . رذل . غث . رث . لئيم . زنيم . أشح من كلب . وأذل من نقد . وأجهل من بغل . سريع الى الشر . بطىء عن الخير . مغلول عن الحمد . مكتوف عن البذل . جواد بشتم الاعراض . سخى بضرب الابشاد . لجوج . حقود . خرق . نزق . عسر . نكد . شكس . شرس دعى . زنيم يعتزى الى انباط سقاط . أهل الؤم اعراق . ودقة أخلاق . وينتمى الى أخبث البقاع ترابا . وأمرها شرابا . وأكدها ثيابا . فهو كما قال الله تعالى (والذى خبث لا يخرج الا نكدا) ثم كما قال الشاعر

نبطى آباؤه لم يلده ذو صلاح ولم يلد ذا صلاح

معشر اشبهوا القرود ولكن خالفوها فى خفة الارواح

ومن المنظوم . قول امرىء القيس

سماحة ذا وبرّ ذا ووفاء ذا ونائل ذا اذا صحاواذا سكرُ

وقوله (وقد جمع فيه جميع أوصاف الدمع من كثرته وقلته)

فدمعها سكبُ وسح وديمه ورش وتوكافُ وتنهملانِ

وما جمع من أنواع المكروه فى بيت كما جمع . ابن أحمر

نقائد برسام وحميّ وحصبة وجوع وطاعون وفقر ومغرم

وقال سويد بن حذاق *

أبى القلب ان يأتى السدير وأهله ... وان قيل عيش بالسدير غزير

به ا البق والحمى وأسدُ خفيةٍ ... وعمرو بن هند يعتدى ويجور

وقال أبو داود

حديد القلب والناظر ... والعرقوب والكعب

عريض الصدر والجبهة ... والصهوة والجنب

جواد الشدّ والتقريب ... والاحضار والعقب

وقال دريد

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا ... طوال القرا نهدٌ أسيلُ المقلد

وقال ابن مطير

بسود نواصيها وحمر اكفها ... وصفر تراقيها وبيض خدودها

وقال اوس بن حجر

يشيعها فى كل هضبٍ ورملة ... قوابم عوج مجمرات مقاذف

توايم الآلافٍ توالٍ لواحق ... سوداه لواهٍ مزبدات خوانف

مزبدات — خفاف — خوانف — تهوى بايديها الى ضبعها . ومن أشعار المحدثين قول أبى تمام

غدا الشيب مختطا بفودىّ خطةً ... سبيل الردى منها الى النفس مهيعُ

هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى ... وذو الالف يقلى والجديد يرقعُ

وقوله : كالغصن فى القد والغزالة فى الـ ... ـبهجة وابن الغزال فى غيده

وقوله: رب خفض تحت السرى وغناء ... من عناء ونضرة من شحوب

وقول ابن المعتز

والله ماأدرى بكنه صفاته ملك القلوب فأوبقت فى أسره
أبو جهه أم شعره أم ثغره أم نحره أم ردفه أم خصره

وقول أبى تمام

فى مطلب أومهرب أو رغبة أو رهبة أو موكب أو فيلق

وقول البحترى

بحلٍ وعقد وحزمٍ وفصل ونيل وبذل وبأس وجود

وقلت : حليف علاء ومجد وفخرٍ وبأس وجود وخيرٍ وخير

وقال أبو تمام (١)

يروعك أن تلقاه فى صدر فيلق وفى نحر أعداء وفي قلب موكب

وقلت : وما هو الا المزن يصفر ظلاله ويملو مبواه ويبكرها طله (٢)

وقلت : انت الربيع الغض رق نسيمه واخضر روضته وطاب غمامه

وقلت : فتى لم نزنه بالقوافي وانما حططنا اليه كى يزين القوافيا

من الغر لاحوا أشمسا ومضوا ظبىً وصالوا اسودا واستهلوا سواريا

وقلت : يسبيك منه مفلج ، مضرج ومقوم ومعوج ومهفهف

---

(١) جاء فى نسخة هكذا

يهولك أن تلقاه صدراً لمحفل ونحراً لاعداء وقلبا لموا كب

(٢) نسخة — بدل مكواه هكذا — مبواه — وأخرى — سواه — فليحرر

الفصل السادس والعشرون

فى السلب والايجاب

وهو أن تبنى الكلام على نفى الشىء من جهة واثباته من جهة اخرى . . او الأمر به فى جهة والنهى عنه فى جهة (١) وما يجرى مجرى ذلك . . كقول الله تعالى (ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً) وقوله تعالى (فلاتخشوا الناس واخشونى) وقوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً) . . ومثاله من النثر . . قول رجل ليزيد بن المهلب . . قد عظم قدرك من أن يستعان بك . أو يستعان عليك . ولست تفعل شيئاً من المعروف . ألا وأنت اكبر منه . وهو اصغر منك . وليس العجب من أن تفعل . وإنما العجب من أن لاتفعل . . وقول الشعبى للحجاج : لانعجب من المخطىء كيف اخطأ . وأعجب من المصيب كيف اصاب . . وأخبرنا أبو احمد . . قال حدثنا ابن الانبارى قال حدثنا أبى عن بعض أصحابه عن العتبى . . قال . . قيل لبعض العلماء ان صاحبنا مات وترك عشرة آلاف : فقال أما العشرة آلاف فلا يترك صاحبكم . . وقال بعض الاوائل . . ليس معى من فضيلة العلم . إلا أنى اعلم إنى لااعلم . . ومن المنظوم قول امرىء القيس

هضيم الحشى لايملأ الكف خصرها ۝ ويملأ منها كل حجل ودملج

وقال السموأل

وننكر ان شئنا على الناس قولهم ۝ ولا ينكرون القول حين نقول

وقال : لايعجبان بقول الناس عن عرض ۝ ويعجبان بما قالا وما سمعا (٢)

---

(١) نسخة ـ أو الأمر به من وجه والنهى عنه من وجه الخ

(٢) نسخة ـ وما صنعا

وقال آخر

خفيف الحاذ تسأل الفيافى　　وعبد للصحابة غير عبد

وقال الاعشى

صرمت ولم اصرمكم وكصارم　　أخ قد طوى كشحا وآب ليذهبا

وقال آخر　　..تى نجا من خوفه وما نجا

ومن شعر المحدثين قول البحترى

فابق عمر الزمان حتى نؤدى　　شكر احسانك الذى لا يؤدا

وقال أبو تمام

الى سالم الاخلاق من كل عايب　　وليس له مال على الجود سالم

وقال آخر

أبلغ أخانا تولى الله صحبته　　أنى وان كنت لا ألقاه ألقاه

الله يعلم انى لست أذكره　　وكيف يذكره من ليس ينساه

وقال آخر

هى الدر منثورا اذا ماتكلمت　　وكالدر منظوما اذا لم تكلم

تبيد احرار القلوب بدلها　　وتملأ عين الناظر المتوسم

وقال اخر

ثقى بجميل الصبر منى على الدهر　　ولا تثقى بالصبر منى على الغدر

ولست بنظار الى جانب الغنى　　اذا كانت العلياء في جانب الفقر

وقال أبو تمام

خليلى من بعد الجوى والاسى قفا　　ولا اتقفا فيض الدموع السواجم

وقلت: انى هذه الايام زدت ولم تزدْ سناءً تعالى فيه قدرك عن قدرى

وقلت : اخو عزايم لاتفنى عجايبها والدهر مابينها تفنى عجايبه

تقضى ماء ربه من كل فائدة لكن من المجد ماتقضى ماءربه

﴿ الفصل السابع والعشرون ﴾

فى لاستثناء

والاستثناء على ضربين . . فالضرب الاول هو أن تأتى معنى تريد توكيده والزيادة فيه فتستثنى بغيره . . فتكون الزيادة التى قصدتها . والتوكيد الذى توخيته . فى استثنائك . . كما أخبرنا أبو أحمد . . قال أخبرنى أبو عمر الزاهد . . قال قال ابو العباس . . قال ابن سلام * لجندل بن جابر الفزارى (١)

فتى كملت أخلاقه غير انه جواد فما يبقى من المال باقيا

فتى كان فيه مايسر صديقه على ان فيه مايسوء الأعاديا

فقال هذا استثناء . . فتبين هذا الاستثناء لهم كما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

ومثله . . قول أبى تمام

تنصل ربها من غير جرمٍ اليك سوي النصيحة فى الوداد

وقلت: ولا عيب فيه غير ان ذوى الندى خساس اذا قيسوا به واللئام

والضرب الاخر استقصاء المعنى والتحرز من دخول النقصان (٢) . . مثل

(١) الشعر للنابغة الجعدى

(٢) قال العلامة نجم الدين الطوفى فى هذا الفصل من كتابه الشعار على مختار الاشعار الذى اختصر فيه كتاب الصناعتين هذا .. بعد أن تكلم على الاستثناء فى الصناعة العربية . الاستثناء فى البديع ضربان . أحدهما (هو الضرب الثانى

كقول طرفة

فسقي ديارك غير مفسدِها   صوْب الربيع وديمةٌ تهمي

وقول الاخر

فلا تبعداً الامن السوء انى   اليك وان شطتْ بك الدار نازع

وقال الربيع بن ضبع *

فنيتُ ولا يفنى صنيعى ومنطقي   وكل امرئ الا أحاديثه فان

وقال اعرابى يصف قوسا

خرقاء إلاَّ انها صناعُ

وقال آخر فى الخيل (١)

منها الدَّجوجى ومنها الأُرْمَكُ   كالليل الاّ انها تحرّكُ

الفصل الثامن والعشرون

فى المذهب الكلامى

جعله عبدالله بن المعتز الباب الخامس من البديع . وقال ما أعلم انى وجدت شيأً منه فى القرآن . وهو ينسب الى التكلف فنسبه الى التكلف وجعله من

من تنوايع المؤلف) يفيد مخالفة ما قبله تخصيصاً للكلام وتحصيناً له من ورود شيء على عمومه .. كقوله عز وجل (فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاما) . والضرب الثانى (هو الاول من ضربى المؤلف) يفيد تقرير ما قبله وتأكيده على تقدير لو كان فى مضمون الجملة السابقة ما يستثنى لكان هذا المستثنى لكن لا فلا . انتهى باختصار

(١) الأُرمك — اللون الذى يخالط غبرته سواد

البديع (١) .. ومن أمثلة هذا الباب .. قول اعرابى لرجل .. انى لم أضر وجهى عن الطلب اليك . قصر نفسك عن ردى . فضعنى من كرمك . بحيث وضعت نفسى من رجائك . وقول أبى الدرداء . أخوف ما أخاف أن يقال لى عملت فما عملت . وقول طاهر بن الحسين للمأمون . يا أمير المؤمنين يحفظ على من قلبك . مالا أستعين على حفظه الا بك . وقال بعض . الاوايل : لولا أن قولى لا أعلم لانى أعلم لقلت لا أعلم . وقال آخر . لولا العمل لم يطلب العلم . ولولا العلم لم يكن عمل . ولان أدع الحق جهلا به . أحب الى أن أدعه زهدا فيه . وأنشد عبد الله قول الفرزدق

لكل امرىء نفسان نفس كريمة وأخرى يعاصيها الهوى فيطيعها

ونفسك من نفسيك تشفع للندى اذا قل من أحرارهن شفيعها

وأنشد لابراهيم بن المهدى * (يعتذر للمأمون)

البرى منك وطا العذر عندك لى فما فعلت فلم تعذل ولم تلم

وقام علمك بى فاحتج عندك لى مقام شاهد عدل غير متهم

وانشد ان هذا يرى ولا رأى للا حمق انى أعده انسانا

ذاك بالظن عنده وهو عندي كالذى لم يكن وان كان كانا

---

(١) قالوا فى تعريفه — هو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام وهو أن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب . وعلى ذلك لم يستشهد على المذهب الكلامى بأعظم من شواهد القرآن . وأوضح الادلة فى شواهد هذا النوع قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) قالوا فى تقرير ذلك وتمام الدليل أن تقول لكنهما لم تفسدا فليس فيهما آلهة غير الله . واعلم ان هذا النوع نسبت تسميته الى الجاحظ . وقالوا ان قيل ابن المعتز لا أعلم ذلك فى القرآن ليس عدم علمه مانعا علم غيره وفوق كل ذى علم عليم

ومثله أما يحسن من يحسنُ أن يغضبَ ان يرضا
أما يرضى بأن صرتُ على الارض له أرضا

الفصل التاسع والعشرون

فى التشطير

وهو أن يتوازن المصراعان والجزآن وتتعادل اقسامهما مع قيام كل واحد منهما بنفسه واستغنائه عن صاحبه .. فمثاله من النثر .. قول بعضهم .. من عتب على الزمان طالت معتبته . ومن رضى عن الزمان طابت معيشته .. وقول الآخر الجود خير من البخل . والمنع خير من المطل .. وقول الآخر .. رأس المداراة ترك المماراة : فالجزآن من هذه الفصول متوازنا الالفاظ والابنية ..وقد أوردت من هذا النوع فى باب الازدواج مافيه كفاية ..وأما مثاله من المنظوم . فكقول اوس بن حجر

فتحدركم عبس الينا وعامر وترفعنا بكرُ اليكم وتغلبُ

وقول ذى الرمة

أستحدثَ الركب عن أشياعهم خبراً أم راجع القلب من أطرابه طرب

وقول الآخر فأما الذى يحصيهم فمكثر وأما الذى يطريهم فمقلل

وقول الآخر فكأنها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلم

ومن شعر المحدثين .. قول البحترى

شوقي اليك تفيض منه الادمع وجوي اليك تضيق عنه الاضلع

وقول أبى تمام

بمصعدٍ من حسنه ومصوبٍ وبجمعٍ من نعته ومفرّقِ

وقوله

تصدّع شمل القلب من كل وجهةٍ ‏ ‏ وتشعبه بالبثّ من كل مشعبِ

بمختبل ساج من الطرف أكحلٍ ‏ ‏ ومقتبل صافٍ من الثغر أشنبِ

وقوله

أحاولت إرشادى فعقلى مرشدى ‏ ‏ أو استمت تأديبي فدهرى مؤدبي

وقول البحترى

فقف مسعداً فيهن ان كنت عاذراً ‏ ‏ وسر مبعداً عنهن ان كنت عاذلا

وقال ومذهب حب لم أجد عنه مذهبا ‏ ‏ وشاغل بث لم أجد عنه شاغلا

وقال طليعتهم ان وجه الجيش غازياً ‏ ‏ وساقتهم ان وجه الجيش قافلا

وقال اذ اسودّ فيه الشك كان كواكبا ‏ ‏ وان سار فيه الخطب كان حبائلا

لا أذكره بالرمح ما كان ناسيا ‏ ‏ وعمله بالسيف ما كان جاهلا

فمن كان منهم ساكتا كنت ناطقاً ‏ ‏ ومن كان منهم قابلا كنت فاعلا

وقال فلا جرينّ الدمع ان لم تجره ‏ ‏ ولا عرفنّ الوجد ان لم تعرف

وقال فى جيش

يسود منه الأفق ان لم ينسدد ‏ ‏ وتموت منه الشمس ان لم تكسف

وقلت وعلى الربى حال وشاهنّ الحيا ‏ ‏ فمسهم ومعصب ومفوّف

والبرق يلمع مثل سيف ينتضى ‏ ‏ والسيل يجرى مثل أفعى تزحف

والقطر يهمي وهو أبيض ناصع ‏ ‏ ويصير سيلا وهو أغبر أكلف

﴿ الفصل الثلاثون ﴾

فى المجاورة

المجاورة تردد لفظتين فى البيت ووقوع كل واحدة منهما بجنب الاخرى أو قريبا منها من غير أن تكون احداهما لغواً لا يحتاج اليها . وذلك كقول علقمة

ومطعم الغنمْ يوم الغنم مطعمه　　　أنى توجَّه والمحروم محروم

فقوله — الغنم يوم الغنم — مجاورة والمحروم محروم مثله . . وقول الآخر

وتندق منها في الصدور صدورها

وقول أوس بن حجر

(كأنها ذو وشومٍ بين مافقةٍ　　　فالقطقطانة) والمذعور مذعور (1)

وقول ابى تمام

انا أتيناكم نصوت مآرباً　　　يستصغر الحدث العظيم عظيمها

وقوله

ردعوا الزمان وهم كهولٌ جلّة　　　وسطوا على أحداثه أحداثا

وقول الآخر　　　أنضاء شوق على أنضاء أسفار

---

(١) الوشوم — العلامات — والقطقطانة — بالضم كما فى اللسان والتاج وغيرهما موضع وقيل هو موضع بقرب الكوفة..وأوردواله شاهدا قول الشاعر

من كان يسأل عنا أين منزلنا　　　فالقطقطانة منا منزل قمن

والنسخة التى ورد فيها البيت كاملا ضبط فيها بالفتح فضبطته كما وجدته وقوله — المافقة — هكذا بالاصل ولم أقف عليه فى غيره . . والطوفى لم يورد منه فى مختصره سوى عجزه فليحرر

وقول الآخر (انما يغفر العظيم العظيم)

وقول أبي تمام

(وما ضيق اقطار البلاد أضافني اليك ولكن مذهبي فيك مذهبي)

وقول أبي الشيص فأتوك أنقاضا على أنقاض

وقول أبي النجم تدنى من الجدول مثل الجدول

وقول رؤبة ترمي الجلاميد بجلمود مدق

وقول الآخر

قم فاسقني من كروم الرند ورد ضحى ماء العناقيد فى ظل العناقيد [1]

وقول اخر . . وقد بعث الى جارية يقال لها راح براح

قل لمن تملك القلوب وان كان قد ملك

قد شربناك فاشربي وبعثنا اليك بك

ومن هذا النوع . . قول الشاعر

فلوني والمدام ولون ثوبي قريب من قريب من قريب

وقلت كأن الكاس فى يده وفيه عقيق فى عقيق فى عقيق

وقلت ايضا

دعونا ناضرة البدر المنير فوافينا على خضر نضير

مطرزة الشوارب بالغوالى مضمخة السوالف بالعبير

ترى ماشئت من قد رشيق وما أحببت من ردف وثير

---

(١) الرند — الآس . . وقيل هو العود الذى يتبخر به . . وفى نسخة — لربد — بالباء الموحدة وفى أخرى — الرود — بدل الورد فليحرر

ألامسها وقد لبست حريرا فأحسبها حريرا فى حرير
فأنس ثم لهـو ثم زهر سرور فى سرور فى سرور

وقلت ايضا

ودار الكاس فى يدذى دلال رشيق القد يعرف بالرشيق

ومنه .. أيضاً قول أبى تمام

دأب عينى البكاء والحزن دأبى فاتركيني وقيت مابى لمابى

وقوله أيضاً

كأن العهد عن عفر لدينا وان كان التلاقى عن تلاق

وقوله طلبت أنفس الكماة فشقت من وراء الجيوب منها الجيوبا

وقوله أيام للايام فيـك غضارة والدهر فى وفيك غير ملوم

وقال ابن الرومى

مشترك الحظ لامحصله محصل المجد غير مشتركه
منتهك المال لاممنعه ممنع العرض غير منتهكه

وقول مسلم

أتتك المطايا تهتدى بمطية عليها فتى كالنصل يونسه النصل

﴿ الفصل الحادي والثلاثون ﴾

فى الاستشهاد والاحتجاج

وهذا الجنس كثير فى كلام القدماء والمحدثين . وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر . ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى . وهو ان تأتى بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجرى مجرى الاستشهاد على الاول والحجة على صحته . فمثاله من النثر ما كتب به كافى الـكفاة فى فصل له . فلا تقس آخر امرك باوله . ولا

تجمع من صدره وعجزه . ولا تحمل خوافي صنعك على قوادمه . فالاناء يملأ ه القطر فيفعم . والصغير يقترن بالصغير فيعظم . والداء يلم ثم يصطلم . والجرح يتباين ثم تنفق . والسيف يمس ثم يقطع . والسهم يرد ثم ينفذ . ومن الاستشهاد . قول الاخر

انما يعشق المنايا من الا   قوام من كان عاشقاً للمعالى

وكذاك الرماح أول ما   يكسر منهن في الحروب العوالى

وقال أبو تمام

هم مزقوا عنه سبايب حلمه   واذا أبو الاشبال أحرج عاثا

وقال أيضاً

عتقت وسيلته وأية قيمة   للمشرقي العضب مالم يعتق

وقال أيضاً

يأخذ الراثرين قسرا ولو   كف دعاهم ربع خصيب

غير إن الرامي المسدد   محتاط مع العلم انه سيصيب

وقال أيضا

فأضمم قواصيهم اليك فانه   لا يزخر الوادى بغير شعاب

والسهم بالريش اللؤام ولن ترى   بيتا بلا عمد ولا أطناب

وقال ابن الرومى

وطايف بأسته على طبق   يبغى لها حربة يشق لها

معاملا كل سفلة سفلت   ولا يرى عليه يعاملها

قلت له لم هواك فى سفل   الناس وشر الامور سافلها

أفرقة وافقتك طاعتها   أم عصبة فضلت غراملها

قال وجدت الكعوب من   قصب السكر مختارها أسافلها

وأست الفتى سفلة فغايتها ووكرها سفلها يشاكلها

وقول بشار

فلا تجعل الشورى عليك غضاضة فان الخوافى قوة للقوادم

وقول الفرزدق

تصرّم مني ود بكر بن وائل وما كاد لولا ظلمهم يتصرّمُ

قوارضُ تأتيني ويحتقرونها وقد يملأ القطرُ الاناء فيفعم

وقال أبو تمام

غدا الشيب مختطاً بفوديّ خطة طريق الردى منها الى النفس مهيع

هو الزور يجفى والمعاشر تجتوى وذو الالف يقلى والجديد يرقع

له منظر في العين أبيض ناصعُ ولكنه فى القلب اسود أسفعُ

ونحن نرجيه على السخط والرضى وأنف الفتى من وجهه وهو أجدعُ

وقال لى حرمة والت سجالكمُ والماء زُرقُ جمامه للاول

وقال آخر

أعلق باخر من كلفتَ بحبه لاخير فى حُب الحبيب الاول

اتشكّ فى أن النبى محمداً خير البرية وهو آخر مرسل

وقال أبو تمام .. فى خلاف ذلك

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل في الارض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

وقال ديك الجن فى المعنى الأول

اشرب على وجه الحبيب المقبل وعلي الفم المتبسم المتقبل

شرباً يذكر كل حبٍّ آخر غضٍ وينسي كل حبٍ أول

نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى كهوي جديدٍ أو كوصل مقبل

ما إن أحن الي خرابٍ مقفرٍ درستْ معالمه كأن لم يؤهل

مقتى لمنزلى الذى استحدثته أما الذي ولى فليس بمنزلى

وقال العلوى الاصبهانى

دَعْ حبَّ أول من كلفتَ بحبه ما الحبَّ إلا للحبيب الاخر

ما قد تولى لارتجاعَ لطيبه هل غايب اللذات مثل الحاضر

ان المشيب وقد وفى بمقامه أوفى لدى من الشباب الغادر

دنياك يومك دون أمسك فاعتبر ما السالف المفقود مثل الغابر

وقال آخر .. فى خلاف القولين

قلبى رهين بالهوى المقتبلِ فالويل لى فى الحب ان لم أعدل

أنا مبتلى ببليتين من الهوى شوقٌ الى الثانى وذكر الأول

فهما حياتى كالطعام المشتهى لابدَّ منه وكالشراب السلسل

قسم الفؤاد لحرمةٍ وللذةٍ فى الحب من ماض ومن مستقبل

انى لأحفظ عهد أول منزل أبداً وآلف طيب آخر منزل

وقال آخر فى خلاف الجميع

الحب للمحبوب ساعة حبه ما الحب فيه لاخر ولأول

وقلت كان لى ركن شديد وقعت فيه الزلازل

ذعزعته نوب الدهر وكرَّاتُ النوازل

ما بقاء الحجر الصلد على وقع المعاول

وتدخل اكثر هذه الامثلة فى التشبيه أيضاً

الفصل الثانى والثلاثون

فى التعطف

والتعطف أن تذكر اللفظ ثم تكرره والمعنى مختلف.. قالوا وأول من ابتدأه امرؤ القيس .. فى قوله

الا انني بالٍ على جملٍ بال يسوق بنا بالٍ ويتبعنا بال

وليس هذا من التعطف على الاصل الذى أصلوه .. وذلك أن الالفاظ المكررة فى هذا البيت على معنى واحد يجمعها البلى فلا اختلاف بينها . . وانما صار كل واحد منها صفة لشئ فاختلفت لهذه الجهة لامن جهة اختلافها فى معانيها وكذلك قول الآخر

عود على عود على عود خلق (١)

وانما التعطف على اصلهم . كقول الشماخ

كادت تساقطني والرحل انطقت حمامة فدعت ساقا على ساق

أى دعت حمامة وهو ذكر القمارى ويسمى ـ الساق ـ عندهم على ساق شجرة وقول الأفوه

واقطع الهوجل مستأنساً بهوجل عيرانة عنتريس (٢)

---

(١) العود ـ الاول رجل .. والثانى جمل .. والثالث طريق . . كذا وجدته فى هامش نسخه

(٢) العيرانة ـ من الابل الناجية فى نشاط شبهت بالعير فى سرعتها ونشاطها وقيل هى الناقة الصلبة تشبيها لها بعير الوحش والالف والنون زائدتان . . قلت وأنشده فى النقد ـ عيدانة ـ بالدال المهملة . . وفسره ابن سيده فقال العيدانة اطول مايكون من النخل .. وفى الاعجاز (بهوجل مستأنس عنتريس) والعنتريس الناقة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم.

فالموجل ـ الاول الارض البعيدة الاطراف ـ والموجل ـ الثانى الناقة العظيمة الخلق .. ومما يدخل فى التعطف ... ماأنشدنا أبو احمد .. قال انشدناأبو عبد الله المفجع .. قال انشدنا أبو العباس ثعلب

أتعرف إطلالا شجونك بالخال وعيش ليال كان فى الزمن الخالى

الخال ـ موضع ـ والخالى ـ من الخلوة (١)

ليالى ريعانُ الشباب مسلطُ علىّ بعصيان الامارة والخالى

يعنى أنه يعصى أمر من يلىأمره وأمر من ينصحه ليصلح حاله وهو من قولهم فلان خال مال إذا كان يقوم به ويصلحه (٢)

واذ أنا خدْن للغوى أخى الصبى وللمرح الذيال واللهو والخال

الخال ـ هاهنا من الخيلاء وهو الكبر

اذا سكنت ربعا رئمت رباعها كما رئم الميثاء ذو الرثية الخالي (٣)

الخالى ـ الذى لاأهل له

ويقتادُني ظبي رخيم دلاله كما اقتاد مهراً حين يألفه الخالى (٤)

---

(١) قوله من الخلوة ـ هكذا فى الاصل .. ولعله من الخلوّ .. وفى اللسان (وعيش زمان كان فى العصّر الخالى) الماضى أى الزمن الماضى .. وكذا فى غير اللسان

(٢) الذى فى اللسان وغيره ـ الخال ـ فى هذا البيت اللواء .. وزادالبلوى الذى يعقد للامير .. وقال بعضهم لايقال له خال حتى يكون ابيض .. ولعل فى عبارة المصنف سقط لان عجز العبارة يدل على أنه يفسر كلاما غير الذىأخذ يفسره ابتداءاً فتأمل

(٣) الذى فى اللسان ـ وللغزل المريح ذى اللهو والخال) .. وكذا انشده البلوى ـ المريح ـ الكثير المراح والنشاط ـ والذيال ـ الطويل الذيل

(٤) الرئم ـ من رئمت الناقة ولدها إذا عطفت عليه ولزمته — والميثاء —

الخالى ـ الذى يقطع الخلا وهو النبات الرطب

ليالى سلمى تستبيك بدلها وبالمنظر الفتان والجيد والخان

(الخالى ـ الذى يرشم على الخد شبيه الشامة)

وقد علمت انى وان ملت للصبا اذا القوم كعوا لست بالرعش الخالى

الخالى ـ الذى لااصحاب معه يعاونونه

ولا أرتدى الا المرؤة حلة اذا ضن بعض القوم بالعصب والخال

الخال ـ ضرب من البرود

وان أنا ابصرت المحول بـلدة تنكبتها واشتمت خالا الى خال

الخال — السحاب المخيلة للمطر

نخالق بخالقي كل حر مهذب والافصارمه وخال اذا خال[1]

المخالاة — قطع الحلف (يقال أخل من فلان وتخل منه أى فارقه) ..
وقال النابغة

قالت بنو عامر خالوا بنى أسد

فانى حليف للسماحة والنـدى اذا احتلفت عبس وذبيان بالخال

الارض اللينة — والرثية — الحمق والفتور والضعف .. وجاء فى نسخة ـ الريبة
وكذا رواه البلوى .

(١) نسخة — كل خرق مهذب . وأخرى كل قرن وكلاهما بمعنى الشجاع ..
وأنشده فى اللسان

نخالف بحلفى كل خرق مهذب والاتحالفنى نخل اذا خال

قلت ولقد تقصيت هذه الابيات واختلاف رواتها ومعانيها فى كراسة
سميتها (وصف الخال من معانى الخال) واستطلت أدراجها هنا تجدها ان شاء
الله فى كتاب الصياغتين من أعلام رجال الصناعتين والله الموفق

الخال — موضع : ومثله

ياطيب نعمة أيام لنا سلفت	وحسن لذة أيام الصبى عودي
أيام أسحب ذيلى فى بطالتها	اذا ترنم صوت الناى والعود
وقهوةٍ من سلاف الخمر صافية	كالمسك والعنبر المندى والعود
تسل عقلك فى لين وفي لطف	اذاجرت منك مجري الماء فى العود

ومن هذا النوع . . قول أبى تمام

(السيف أصدق أنباءً من الكتب) في حده الحد بن الجد واللعب

ولم أجد منه شيئا فى القرآن الاقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة) والله اعلم

﴿ الفصل الثالث والثلاثون ﴾

فى المضاعفة

وهو أن يتضمن الكلام معنيين معنى مصرح به ومعنى كالمشار اليه . . وذلك مثل قول الله تعالى (ومنهم من يستمعون اليك افأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افأنت تهدى العمى ولو كانو لا يبصرون) فالمعنى المصرح فى هذا الكلام أنه لا يقدر أن يهدى من عمى عن الايات . وصم عن الكلم البينات . . بمعنى انه صرف قلبه عنها فلم ينتفع بسماعها ورؤيتها . والمعنى المشار اليه انه فضل السمع على البصر لانه جعل مع الصمم فقدان العقل ومع العمى فقدان النظر فقط . ومن نثر الكتاب ما كتب به الحسن بن وهب . وكتابى اليك وشطر قلبى عندك . والشطر الاخر غيرخلو من تذكرك . والثناء على عهدك فأعطاك الله بركة وجهك . وزاد فى علو قدرك والنعمة عندك وعندنا فيك فقوله بركة وجهك — فيه معنيان . احدها انه دعا له بالبركة . والاخر انه جعل وجهه ذا بركة عظيمة ولعظمها عدل اليها فى الدعاء عن غيرها من بركات المطر وغيره .

ومثله قول ابى العيناء . سئالتك حاجة فرددت بأقبح من وجهك . فتضمن هذا اللفظ قبح وجهه وقبح رده . ومن المنظوم . قول الاخطل

قومٌ اذا استنبح الاضياف كلبهم   قالوا لأمهم بولي على النار

فأخبر عن اطفاء النار فدل به على بخلهم وأشار الى مهانتهم ومهانة امهم عندهم . وقول ابى تمام

يخرج من جسمك السقام كما   أخرج ذم الفعال من عنقك

يسح سحا عليك حتي يري   خلقك فيها أصح من خلقك

فدعا له بالصحة وأخبر بصحة خلقه . فهما معنيان فى كلام واحد وقال جحظة

دعوتَ فأقبلتُ ركضا اليك   وخالفتُ من كنت في دَعوَته

واسرعت نحوك لما أمرت   كأنى نوالك فى سُرعَتهْ

وقال ابن الرومى

بنفس أبت الا ثباتَ عقودها   لمن عاقدته والحلال حقودها

إلا تلكم النفس التى تم فضلها   فما نستزيد الله غير خلودها

فذكر تمام فضلها وأراد خلودها . ومن ذلك قول الاخر (١)

نهبت من الأعمار مالو حويته   لهنئت الدنيا بأنك خالدُ

وكتب بعضهم فأن رأيت صلتى بكتابك العادل عندى رؤية كل حبيب سواك وتضمينه من حوائجك ما أسر بقضائه فعلت ان شاء الله . . فقوله — سواك — مضاعفة . .

ومن هذا الباب نوع آخر . وهو ان تورد الاسم الواحد على وجهين وتضمنه معنيين كل واحد منهما معنى . كقول بعضهم

افدى الذى زارني والسيف يخفره   ولحظ عينيه أمضي من مضاربه

---

(١) قائله — ابو الطيب المتنبي

فما خلعت نجادى فى العناق له حتى لبست نجاداً من ذوايبه

فجعل فى السيف معنيين أحدهما ان يخفره والاخر ان لحظه أمضى من مضاربه وضرب منه آخر . قول ابن الرومى

بجهل كجهل السيف والسيف منتضى وحلم كحلم السيف والسيف مغمد

وضرب منه . قول مسلم

وخال كخال البدر فى وجه مثله لقينا المنى فيه فحاجزنا البذل

﴿الفصل الرابع والثلاثون﴾

فى التطريز

وهو ان يقع فى أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية فى الوزن فيكون فيها كالطراز فى الثوب . وهذا النوع قليل فى الشعر وأحسن ماجاء فيه . قول أحمد ابن أبى طاهر *

اذا ابو قاسم جادت لنا يده لم يحمد الأجودان * البحر والمطر

وان اضاءت لنا أنوار غرته تضائل الأنوران * الشمس والقمر

وان مضي رأيه أو حد عزمته تأخر الماضيان * السيف والقدر

من لم يكن حذراً من حد صولته لم يدر ما المزعجان * الخوف والحذر

فالتطريز فى قوله ـ الاجودان . والانوران . والماضيان . والمزعجان ـ ونحوه قول أبى تمام

أعوام وصل كاد ينسي طولها ذكر النوى * فكأنها أيام

ثم انبرت أيام هجر أردفت نجوي اسى * فكأنها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنهم * وكأنها أحلام

وقلت فى مرثية

اصبحت أوجه القبور وضاء * وغدت ظلمة القبور ضياء

يوم أضحى طريدة للمنايا * فقدنا به الغنى والغناء

يوم ظل الثرى يضم الثريا * فعدمنا منه السنا والسناء

يوم فاتت به بوادر شؤم * فرزينا به الثرى والثراء

يوم ألقي الردى عليه جراناً * فحرمنا منه الجد والجداء

يوم ألوت به هنات الليالى * فلبسنا به البلى والبلاء

ومن ذلك . قول زياد الاعجم

ومتي يوامر نفسه مستلحياً * فى أن يجود لذي الرجاء * يقل جد

او أن يعود له بنفحة نائل * بعد الكرامة والحياء * يقل عد

أو فى الزيادة بعد جزل عطية * للمستزيد من العفاة * يقل زد

﴿ الفصل الخامس والثلاثون ﴾

فى التلطف

وهو ان تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجنه والمعنى الهجين حتى تحسنه . وقد ذكرت طرفا منه فى أول الكتاب الا انى لم اسمه هناك بهذا الاسم فيشهر به ويكون بابا برأسه كاخوانه من أبواب الصنعة . فمن ذلك ان يحى بن خالد البرمكى قال لعبد الملك بن صالح أنت حقود . فقال ان كان الحقد عندك بقاء الخير والشر فانهما عندى لباقيان . فقال يحى ما رأيت أحداً احتج للحقد حتى حسنه غيرك وقد مر هذا الفصل فى أول الكتاب . ورأى الحسن على رجل طيلسان صوف فقال له أيعجبك طيلسانك هذا . قال نعم . قال انه كان على شاة قبلك . فهجنه من وجه قريب . وأخبرنا أبو احمد . قال اخبرنا الصولى قال حدثنا محمد بن القاسم

ابو العيناء . قال لما دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته فاستحسن كلامى . وقال لى يا محمد بلغنى ان فيك شرا . قلت يا أمير المؤمنين ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه . والمسيء باساءته . فقد زكى الله عز وجل وذم • فقال فى التزكية (نعم العبد انه اواب) وقال فى الذم (هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم) فذمه الله تعالى حتى قذفه • وقد قال الشاعر

إذا أنا بالمعروف لم اثن دائما ولم أشتم الجنس اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لى الله المسامع والفما

وفى الخبر بعض طول • وكان عبد الله بن أمية وسم دوابه ـ عدة ـ فلما حازها الحجاج جعل الى جانبه ـ للفرار • وقيل لعبادة ان السودان اسخن • فقال نعم للعيون وقال رجل لرجل كان يراه فيبغضه ما اسمك • فقال سعد • قال على الاعداء • وسمعت والدى رحمه الله • يقول لعن الله الصبر فان مضرته عاجله • ومنفعته آجلة • يتعجل به ألم القلب • بأمثال المنفعة فى العاقبة • ولعلها تفوتك لعارض يعرض فكنت قد تعجلت الغم من غير ان يصل اليك نفع • وما سمعت هذا المعني من غيره فنظمته بعد ذلك • فقلت

الصبر عمن تحبه صبر وفيه من لام في الهوى ضرر

من كان دون المرام مصطبراً فلست دون المرام اصطبر

منفعة الصبر غير عاجلة وربما حال دونها الغير

فقم بنا نلتمس ما ربنا أقام أو لم يقم بنا القدر

ان لنا أنفسا تسودنا أعانهن الزمان أو يذر

وابغ من العيش مما تسر به ان عذل الناس فيه أو عذروا

ومن المنظوم .. قول الحطيئة فى قوم كانو يلقبون بأنف الناقة فيأنفون .. فقال فيهم .

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

فكانوا بعد ذلك يتبجحون بهذا البيت .. ومدح ابن الرومى البخل وعذر البخيل .. فقال

لاتلم المرء على بخله ولمه ياصاح على بذله
لاعجب بالبخل من ذي حجى يكرم مايكرم من أجله

وعذر أبو العتاهية البخيل فى منعه منه .. بقوله

جزى البخيل على صالحة عنى لخفه على ظهرى
اعلي فاكرم عن نداه يدى فعلت ونزه قدره قدرى
ورزقت من جدواه عارفة ان لايضيق بشكره صدرى
وظفرت منه بخير مكرمة من بخله من حيث لايدرى
مافاتنى خير امرئ وضعت عنى يداه مؤونة الشكر

وقال ابن الرومى .. يعذر انسانا فى المنع

أجممت حسري اياديك التي ثقلت على الكواهل حتى أدها ذاكا
وما مللت العطايا فاسترحت الى اغبابهم بل هم ملوا عطاياكا
وما نهتهم عن المرعي وخامته لكنه اسنق الراعين مرعاكا
تدبر الناس ما دبرته فاذا عليهم لاعلى الاموال بقياكا
امسكت سيبك اضراء لرغبتهم وما بخلت ولا امسكت امساكا

وكان شم الورد يضره فكان يذمه ويمدح النرجس . . واحتال فى تشبيهه . حتى هجن فيه امره وطمس حسنه وهو .. قوله

(وقائل لم هجوت الورد معتمداً فقلت من بعضه عندى ومن عبطه)
كأنه سرم بغل حين يخرجه عند الرياث وباقى الروث فى وسطه

(ومثله قول يزيد المهلبي)

(إلا مبلغ عني الأمير محمداً مقالا له فضل على القول بارع)

(لنا حاجة إن امكنتك قضيتها وان هي لم تمكن فعذرك واسع)

وقال ابن الرومى أيضاً

وانى لذو حلف كاذب اذا ما اضطررت وفى الامر ضيق

وما فى اليمين على مدفع يدافع بالله مالا يطيق

وقد فرغنا من شرح أبواب البديع وتبيين وجوهها وإيضاح طرقها . والزيادة التى زدنا فيها ستة فصول وأبرزناها فى قوالبها من الالفاظ من غير اخلال ولا اهذار . وإذا أردت أن تعرف فضلها على ما عمل فى معناها قبلها . فمثل بينها وبينه فانك تقضى لها عليه . ولا تنصرف بالاستحسان عنها اليه . ان شاء الله

وقد عرض لى بعد نظم هـذه الانواع . نوع آخر لم يذكره أحد وسميته المشتق (١) . وهو على وجهين . فوجه منها أن يشتق اللفظ من اللفظ . والآخر أن يشتق المعنى من اللفظ . فاشتقاق اللفظ من اللفظ . هو مثل قول الشاعر فى رجل يقال له ينخاب

وكيف ينجح من نصف اسمه خابا

وقلت (فى البانياس) (٢)

---

(١) فائدة — ذكر ابن حجه فى خزانته عند كلامه على الاشتقاق ما لفظه . الاشتقاق استخرجه الامام أبو هلال العسكرى وذكره فى آخر أنواع البديع من كتابه المعروف بالصناعتين وعرفه بأن قال هو أن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى فى غرض يقصده من مدح أو هجاء أو غيره . كقول ابن دريد فى نفطويه (وأنشد) . قلت وهذا مما يتعجب منه فان الفصل بجمله أمامك وليس فيه مما حكاه سوى ايراده بيتى ابن دريد فتأمل

(٢) نسخة — الياسبان

فى البانياس اذا أوطيئت ساحتها   خوف وحيف وأقلال وأفلاس
وكيف يطمع فى أمن وفي دعة   من حل فى بلد نصف اسمه ياس

واشتقاق المعنى من اللفظ . مثل قول أبى العتاهية

حلقت لحية موسى باسمه   وبهارون اذا ماقلبا

وقال ابن دريد *

لو أوحى النحو الى نفطويه   ماكان هذا النحو يقرا عليه
احرقه الله بنصف أسمه   وصير الباقى صراخا عليه

الباب العاشر

فى ذكر مبادىء الكلام ومقاطعه والقول فى حسن الخروج والفصل والوصل وما يجرى مجرى ذلك

الفصل الاول

فى ذكر المبادى

قال بعض الكتاب .. احسنوا معاشر الكتاب الابتداآت فانهن دلائل البيان .. وقالوا ينبغى للشاعر أن يحترز فى اشعاره . ومفتتح أقواله . مما يتطير منه ويستجفى من الكلام والمخاطبة والبكاء ووصف اقفار الديار وتشتيت الآلاف ونعى الشباب وذم الزمان .. لاسيما فى القصايد التى تتضمن المدايح والتهانى .. ويستعمل ذلك فى المراثى ووصف الخطوب الحادثة .. فان الكلام إذا كان مؤسسا على هذا المثال تطير منه سامعه .. وإن كان يعلم أن الشاعر انما يخاطب نفسه دون الممدوح .. مثل ابتداء ذى الرمة

مابال عينك منها الماء ينسكب (كأنه من كلي مفرية سرب) [1]

وقد انكر الفضل بن يحي البرمكي على أبي نواس .. ابتدائه

أربع البلى أن الخشوع لبادي عليك وأني لم أخنك ودادي

قال فلما انتهى إلى .. قوله

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم بني برمك من رائحين وغاد

وسمعه استحكم تطيره . . وقيل انه لم يمض اسبوع حتى نكبوا . . ومثله ماأخبرنا به أبو احمد .. قال حدثنا الصولى .. قال حدثنا محمد بن العباس اليزيدى قال حدثني عمي عن أخيه أبي محمد .. قال لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان الذي كان للعباسية . جلس فيه وجمع الناس من أهله واصحابه .. وأمر أن يلبس الناس كلهم الديباج وجعل سريره في الايوان المنقوش بالفسافسا الذي كان في صدره صورة العنقاء فجلس على سرير مرصع بانواع الجواهر وجعل على رأسه التاج الذي فيه الدرة اليتيمة وفي الايوان أسرة آبنوس عن يمينه وعن يساره من عند السرير الذي عليه المعتصم الى باب الايوان . فكلما دخل رجل رتبه هو بنفسه في الموضع الذي يراه فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم فاستأذنه اسحاق ابن ابراهيم في النشيد فأذن له . فأنشده شعراً ماسمع الناس أحسن منه في صفته وصفة المجلس . الا ان أوله تشبيب بالديار القديمة وبقية آثارها فكان أول بيت منها

يادار غيرك البلى فمحاك ياليت شعري ماالذي أبلاك

فتطير المعتصم منها وتغامز الناس وعجبوا كيف ذهب على اسحاق مع فهمه

---

(١) قال في الجمهرة ـ الكلى ـ جمع كلية ـ والمفرية ـ المخروزة ـ والسرب الجارى . . قلت والمخاطب بهذا البيت عبد الملك بن مروان وكان بعينه رمش فهي تدمع أبداً فتوهم انه عرض به .. فقال له ماسؤالك عن هذا يابن الفاعلة وأمر باخراجه .

وعلمه وطول خدمته للملوك . قال فاقمنا يومنا هذا وانصرفنا فما عاد منا اثنان الى ذلك المجلس وخرج المعتصم الى سر من رأى وخرب القصر . وأنشد البحترى أبا سعيد قصيدة أولها

لك الويل من ليل تطاول آخره ووشك نوحى ترم أباعره

فقال أبو سعيد . بل الويل والحرب لك . فغيره وجعله ــ له الويل ــ وهو ردىء أيضاً . وأنشد أبو حكيمة * أبادلف

الاذهب الاير الذى كنت تعرف

فقال أبو دلف . أمك تعرف ذلك . وأنشد أبو مقاتل * الداعى

لاتقل بشرى ولكن بشريان غرة الداعى ويوم المهرجان

فأوجعه الداعى ضربا . ثم قال هلا قلت ــ ان تقل بشرى فعندى بشريان فان أراد ان يذكر داراً فليذكرها كما ذكرها الخريمى *

الا يادار دار لك الحبور وساعدك النضارة والسرور

وكما قال أشجع

قصر عليه تحية وسلام نشرت عليه جمالها الأيام

وقالوا أحسن ابتداءات الجاهلية . قول النابغة

كليني لهم ياأمية ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب

وأحسن مرثية جاهلية ابتداء . قول أوس بن حجر

أيتها النفس اجملى جزعا ان الذى تحذرين قد وقعا

قالوا وأحسن مرثية اسلامية ابتداء . قول أبى تمام

أصم بك الناعى وان كان أسمعا واصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

وقول الاخر

انعى فتى الجود الى الجود ماءثل من أنعى بموجود

انى فتى مص الثرى بعده بقية الماء من العود

وقد بكى امرؤ القيس واستبكى . ووقف واستوقف . وذكر الحبيب والمنزل فى نصف بيت . وهو قوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فهو من أجود الابتداءات . ومن أحكم ابتداءات العرب . قول السموأل

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

وقال بعضهم احكم ابتداءاتهم . قول لبيد

الا كل شيء ماخلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل

وبعضهم يجعل ابتداء هذه القصيدة

الاتسألان المرء ماذا يحاول انحب فيقضى أم ضلال وباطل

ومن جياد ابتداءات (أهل) الجاهلية قول . أوس بن حجر

ولقد أبيتُ بليلةٍ كليالى

ومنها . قول النابغة

دعاك الهوى واستجلتك المنازل وكيف تصابى المرء والشيب شامل

ونحوه . قول أمية

يانفس مالك بعد الله من واق وما على حدثان الدهر من راق

وقالوا . وكان عبد الحميد الكاتب لا يبتدىء ـ بلولا ـ ولا ـ ان رأيت ـ وقد جعل الناس . قول أبى تمام

يابعد غاية دمع العين ان بعدوا هى الصبابة طول الدهر والسهد

من جياد الابتداءات . وقوله

سعدت غربة النوى بسعاد   فهى طوع الاتهام والانجاد

وسئل بعضهم عن أحذق الشعراء . فقال من يتفقد الابتداء والمقطع . ولما نظر أبو العميثل فى قصيدة أبى تمام

هنّ عوادى يوسف وصواحبهُ   فعزما فقد ما أدرك الثار طالبه

فاسترذل ابتدائها وأسقط القصيدة كلها . حتى صار اليه أبو تمام . ووقفه على موضع الاحسان منها فراجع عبدالله بن طاهر . فأجازه . ولابى تمام ابتداءات كثيرة تجرى هذا المجرى منها . قوله

قدكَ أتئبْ أربيتَ فى الغلواءِ   كم تعذلون وأنتم سجرائى (١)

وقوله

صدقت لهيا قلبك المستهتر   فبقيت نهب صبابة وتذكر (٢)

ومن الابتداءات . البديعة قول مسلم

اجررتُ ذيل خليع فى الهوى غزلِ   وشمرت همم العذال فى عذلى

وقال أبي العتاهية   نافس فى الدنيا ونحنُ نعيبها

والابتداء أول ما يقع فى السمع من كلامك . والمقطع آخر ما يبقى فى النفس من قولك . فينبغى أن يكونا جميعا مونقين . وقد استحسن لبعض المتأخرين ابتداؤه (٣)

---

(١) قدك — أى حسبك — واتئب — استحى — والسجراء — بالسين قبل الجيم خلافاً للموازنة فقد أنشده بالشين المنقوطة جمع سجير أى صديق

(٢) اللهيا — تصغير اللهو . ولولا الاضافة الى القلب لقال لهياى ولهياك . قال العجاج (دار لهيا قلبك المتيم)

(٣) يعنى به أبو الطيب المتنبي . وقد اختلفت نسخ الاصل وديوانه المطبوع فى بعض الفاظ هذه الابيات فليراجعها من أراد

أريقك أم ماء الغمامة أم خمر　　بفيّ برودٍ وهو في كبد جمر

وله بعد ذلك ابتداءات المصايب . وفراق الحبايب . منها . قوله

كفي أراني ويك لومك ألوما　　هم أقام على فؤادٍ أنجما

وقوله　أبا عبد الاله مُعاذ إني　　خفى عنك في الهيجا مقامي

وقوله

هذي برزت لنا فهجت رسيسا　　ثم انصرفت وماشفيت نسيسا [1]

وقوله　جللا كما بي فليك التبريح　　أغذاء ذا الرشاء الاغن الشيح

وقوله　أحاد أمْ سُداس في أحاد　　لييلتنا المنوطة بالتنادي

وقوله　لجنية أم غادة رفع السجف　　لوحشية لا ما لوحشية شنف

وقوله　بقائي شاء ليس هم ارتحالا　　وحسن الصبر زموا الا الجمالا

وقوله

في الخد إنْ عزم الخليط رحيلا　　مطرٌ يزيد به الخدود محولا

وقال اسمعيل بن عباد * لعمري ان المحول في الخدود . من البديع المردود . وقوله

تهنا بصور أم نهنئها بكا　　وقل الذي صور وأنت له لكا

وقوله: عذيري من عذارى في صدور　　سكن جوانحي بدل الصدور

وقوله: سربٌ محاسنه حرمت ذواتها　　داني الصفات بعيد موصوفاتها

وقوله . أيا لائمي ان كنت وقت اللوائم　　علمت بما بي بين تلك المعالم

(١) هذه — منادى بمعنى يا هذه ـ والرسيس ـ بداية الحب ـ والنسيس ـ بقية الروح الذي به الحياة

وقوله ووقت وفا بالدهر لى عند واحد وفالى بأهليه وزاد كثيرا

وقوله شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند أو طلع النخيل

وقوله اراع كذا كل الانام همام وسح له رسل الملوك غمام

وقوله أوه بديل من قولتى واها لمن نأت والبديل ذكراها

فهذه وما شاكلها ابتدا آت لا خلاق لها . . واذا كان الابتداء حسنا بديعا ومليحا رشيقا . كان داعية الى الاستماع لما يجىء بعده من الكلام : ولهذا المعنى يقول الله عز وجل . . الم . وحم . وطس . وطسم . وكهيعص . فيقرع اسماعهم بشىء بديع ليس لهم بمثله عهد ليكون ذلك داعية لهم الى الاستماع لما بعده والله اعلم بكتابه . . ولهذا جعل اكثر الابتدا آت (بالحمد لله) لان النفوس تتشوف للثناء على الله فهو داعية الى الاستماع . . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل كلام لم يبدأ فيه بحمد الله تعالى فهو أبتر) . . فاما الابتداء البارد . فابتدأ أبى العتاهية

إلا ما لسيدتى مالها أدلت فاحمل إدلالها

الفصل الثانى

فى ذكر المقاطع والقول فى الفصل والوصل

قيل للفارسى ما البلاغة . . فقال معرفة الفصل من الوصل . . وقال المأمون لبعضهم من أبلغ الناس . . فقال من قرب الأمر البعيد المتناول والصعب الدرك بالالفاظ اليسيرة . . فقال ما عدل سهمك عن الغرض . . ولكن البليغ من كان كلامه فى مقدار حاجته ولا يجيل الفكرة فى اختلاس ما صعب عليه من الالفاظ ولا يكره المعانى على انزالها فى غير منازلها ولا يتعمد الغريب الوحشى ولا الساقط السوقى فان البلاغة اذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلى بلا انظام

وقال ابو العباس السفاح لكاتبه قف عند مقاطع الكلام وحدوده . واياك أن تخلط المرعى بالهمل . ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل وقال الاحنف بن قيس ما رأيت رجلا تكلم فاحسن الوقوف عندمقاطع الكلام ولا عرف حدوده . الا عمرو بن العاص (رضى الله عنه) كان اذا تكلم تفقد مقاطع الكلام . وأعطى حق المقام . وغاص فى استخراج المعنى بالطف مخرج حتى كان يقف عند المقطع وقوفا يحول بينه و بين تبيعته من الالفاظ وكان كثيراً ما ينشد

اذا مابدا فوق المنابر قائلا أصاب بما يومى اليه المقاتلا

ولا أعرف فصلا فى كلام منثور أحسن مما أخبرنا به أبو أحمد . . قال حدثنا الصولى قال حدثنا محمد بن زكريا قال حدثنى العتبى عن أبيه . . قال كان شبيب بن شبة يوما قاعداً بباب المهدى . . فأقبل عبد الصمد بن الفضل الرقاشى . . فلما رآه . . قال أتاكم والله كليم الناس فلما جلس قال شبيب تكلم يا أبا العباس . فقال أمعك يا أبا معمر وأنت خطيبنا وسيدنا قال نعم . . فوالله ما رأيت قلبا أقرب من لسان من قلبك من لسانك . . قال فى أى شىء تحب أن اتكلم . . قال وإذا شيخ معه عصا يتوكا عليها . . فقال صف لنا هذه العصا . . فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم ذكر السماء . . فقال رفعها الله بغير عمد وجعل فيها نجوم رجم ونجوم اقتداء وادار فيها سراجا وقمراً منيراً لتعلموا عدد السنين والحساب وأنزل منها ماء مباركا أحيا به الزرع والضرع وأدر به الاقوات وحفظ به الارواح وأنبت به أنواعا مختلفة يصرفها من حال الى حال . . تكون حبة ثم يجعلها عرقا ثم يقيمها على ساق فبينا تراها خضرآء ترف اذ صارت يابسة تتقصف لينتفع بها العباد وتعمر بها البلاد . . وجعل من يبسها هذه العصا . . ثم أقبل على الشيخ . فقال وكان هذا نطفة فى صلب أبيه ثم صار علقة حين خرج منه ثم مضغة ثم لحما وعظما فصار جنينا أوجده الله بعد عدم وأنشاه مريدا ووفقه مكتهلا ونقصه شيخا حتى صار الى هذه الحال من الكبر فاحتاج فى آخر حالاته الى هذه العصا

فتبارك المدبر للعباد . . قال شبيب ما سمعت كلاما على يديه أحسن منه . . وقال معاوية يا أشدق قم عند قروم العرب وجحاجها . فسل لسانك. وجل فى ميادين البلاغة . وليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال . فأنى شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى على على بن أبى طالب (رضى الله عنه) كتابا وكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصرم صريمته

ولما اقام أبو جعفر صالحا * خطيبا بحضرة شبيب ، فقال ياأمير المؤمنين ما رأيت كاليوم ابين بيانا . ولا أربط جنانا . ولا افصح لسانا . ولا ابل ريقا. ولا اغمض عروقا . ولا احسن طريقا .. إلا أن الجواد عسير لم يرض ، فحملته القوة على تعسف الاكام وخبطها وترك الطريق اللاحب ، وأيم الله أن لو عرف فى خطبته مقاطع الكلام لكان افصح من نطق بلسان ، وقال المأمون ما اعجب بكلام احد كاعجابى بكتاب القاسم بن عيسى. فانه يوجز فى غير عجز ويصيب مفاصل الكلام ولا تدعوه المقدرة الى الاطناب ، ولا تميل به الغزارة الى الاسهاب . يجلى عن مراده فى كتبه ، ويصيب المغزى فى الفاظه ، وكان يزيد * بن معاوية ، يقول اياكم أن تجعلوا الفصل وصلا ، فانه اشد وأعيب من اللحن ، ، وكان اكثم بن صيفى اذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه افصلوا بين كل منقضى معنى ، وصلوا إذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض ، وكان الحرث بن أبى شمر الغسانى يقول لكاتبه المرقش اذا نزع بك الكلام الى الابتداء بمعنى غير ماأنت فيه فافصل بينه وبين تبيعته من الالفاظ فانك ان مذقت الفاظك بغير ما يحسن أن يمذق نفرت القلوب عن وعيها وملته الاسماع واستثقلته الرواة ، ، وكان بزرجمهر ، يقول إذا مدحت رجلا وهجوت آخر فاجعل بين القولين فصلا حتى تعرف المدح من الهجاء كما تفعل فى كتبك اذا استأنفت القول واكملت ماسلف من اللفظ ،

وقال الحسن بن سهل لكاتبه الحرانى ، مامنزلة الكاتب فى قوله وفعله ، ، قال أن يكون مطبوعا محتنكا بالتجربة ، عالما بحلال الكتاب والسنة وحرامها

وبالدهور فى تداولها وتصرفها . وبالملوك فى سيرها وأيامها . مع براعة اللفظ وحسن التنسيق . وتأليف الاوصال . بمشاكلة الاستعارة . وشرح المعنى . حتى تنصب صورها بمقاطع الكلام . ومعرفة الفصل من الوصل فاذا كان ذلك كذلك فهو كاتب مجيد . . والقول اذا استكمل آلته واستتم معناه فالفصل عنده ، وكان عبد الحميد الكاتب اذا استخبر الرجل فى كتابه فكتب . خبرك وحالك وسلامتك . فصل بين هذه الاحرف ويقول قد استكمل كل حرف منها آلته ووقع الفصل عليه ، وكان صالح بن عبد الرحمن التميمى الكاتب يفصل بين الآيات كلها وبين تبيعتها من الكتاب كيف وقعت وكان يقول ماستؤنف ان ـ الاوقع الفصل ، وكان جبل بن يزيد يفصل بين الفاآت كلها وقد كره بعض الكتبة ذلك وأحبه بعض ، وفصل المأمون عند ـ حتى ـ كيف وقعت وأمر كتابه بذلك . فغلط احمد بن يوسف ووصل حتى بما بعده من اللفظ . . فلما عرض الكتاب على المأمون امر باحضاره . فقال لعن الله هذه القلوب حين اكنت العلوم بزعمكم . واجتنت ثمر لطايف الحكمة بدعواكم . قد شغلتموها باستظراف ماعزب عنكم علمه . عن تفهم مادونتموه . وتفحص ماجمعتموه وتعرف ماالستقدمتموه . اليس قد تقدمنا اليكم بالفصل عند حتى حيثما وقعت من الالفاظ فقال ياأمير المؤمنين قد ينبوا السيف وهو صميم . ويكبو الجواد وهو كريم . وكان لايمود فى شئ من ذلك . . وكان يأمر كتابه بالفصل بين . . بل . وبلى . وليس . وأمر عبد الملك كتابه بذلك ألا ليس ، وقال المأمون ماتفحص من رجل شيئا كتفحصى عن الفصل والوصل فى كتابه والتخلص من المحلول إلى المعقود.. فان لكل شئ جمالا . وحلية الكتاب وجماله ايقاع الفصل موقعه . وشحذ الفكرة واجالتها فى لطف التخلص من المعقود الى المحلول

وقلنا أن المعقود والمحلول ها هنا . . هو انك اذا ابتدأت مخاطبة . . ثم لم تنته الى موضع التخلص مما عقدت عليه كلامك سمى الكلام معقودا . . وإذا شرحت المستور وأبنت عن الغرض المنزوع اليه سمى الكلام محلولا . . مثال

ذلك ما كتب بعضهم . وجرى لك من ذكر ما خصك الله به . وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدرة . وبعد الهمة والذكر . وكمال الاداة والآلة والتمهد فى السياسة والايالة . وحياطة أهل الدين والادب . وانجاد عظيم الحق بضعيف السبب . مالا يزال يجرى مثله عند كل ذكر يتخذ ذلك . وحديث يؤثر عنك . فالكلام من أول الفصل الى آخر قوله — بضعيف السبب — معقود فلما اتصل بما بعده صار محاولا ٠٠ وما كتب بعضهم ربما كانت مودة السبب . أوكد من مودة النسب . لان المودة التى تدعوا اليها رغبة . أو رهبة . أو شكر نعمة . أو شاكلة فى صناعة . أو مناسبة بمشاكلة مودة معروفة وجوهها . موثوق بخلوصها فتوكدها بحسب السبب الداعى اليها . ودوامها بدوامه واتصالها باتصاله ومودة القربى وان أوجبتها اللحمة . فهى مشوبة بحسد وتفاسة . وبحسب ذلك يقع التقصير فيما يوجبه الحال . والاضاعة لما يلزم من الشكر . والله يعلم أنى أودك مودة خالصة لم تدع اليها رغبة فيزيلها استغناء عنها . ولا اضطرت اليها رهبة . فيقطعها أمن منها . وإن كنت مرجوا للموهبات بحمد الله . ومقصداً من مقاصد الرغبات . وكهفا وحرزا من الموبقات ٠ فهذا الكلام كله معقود الى قوله — مشاكلة مودة — فلما اتصل بما بعده صار محاولا ٠ وقال بعضهم انظر سددك الله أن لا تدعوك مقدرتك على الكلام الى اطالة المعقود فان ذلك فساد ما كنتة فى صدرك وأردت تضمينه كتابك واعلم أن اطالة المعقود يورث نسيان ما عقدت عليه كلامك وأرهبت به فكرتك ٠ وكان شبيب بن شبة ٠ يقول لم أر متكلما قط اذكر لما عقد عليه كلامه ولا أحفظ لما سلف من نطقه من خالد بن صفوان يشبع المعقود بالمعانى التى يصعب الخروج منها الى غيرها ثم يأتى بالمحاول واضحا بينا مشروحا منوراً وكان السامع لا يعرف مغزاه ومقصده فى أول كلامه حتى يصير الى آخره ٠٠ وقال بعضهم ليس يحمد من القائل أن يعمى معرفة مغزاه على السامع لكلامه فى أول ابتدائه حتى ينتهى الى آخره . بل الاحسن أن يكون فى صدر كلامه دليل على حاجته ومبين لمغزاه ومقصده . كما أن خير أبيات الشعر ما إذا سمعت صدره عرفت قافيته ،، وكان شبيب بن شبة .

يقول الناس موكلون بتعظيم جودة الابتداء وبمدح صاحبه . وأنا موكل بتعظيم جودة المقطع وبمدح صاحبه . وخير الكلام ما وقف عند مقاطعه . وبين موقوقع فصوله

قلنا ومما لم يبين موضع الفصل فيه فأشكل الكلام . قول المخبل للزبرقان بن بدر

وأبوك بدر كان ينتهس الحصى　　وأبي الجواد ربيعة بن قبال (١)

فقال الزبرقان . لا بأس شيخان اشتركا فى صنعة . وقلما رأينا بليغاً الا وهو يقطع كلامه على معنى بديع . أو لفظ حسن رشيق . قال لقيط فى آخر قصيدة

لقد محضتُ لكم ودى بلا دخلٍ　　فاستيقظوا ان خير العلم ما نفعا (٢)

فقطعها على كلمة حكمة عظيمة الموقع . ومثله . قول امرىء القيس

إلا ان بعد العدم للمرءِ قنوةً　　وبعد المشيب طول عمرٍ وملبسا (٣)

فقطع القصيدة أيضاً على حكمة بالغة . وقال أبو زيد الطائى *فى آخر قصيدة

كل شيء تحتال فيه الرجال　　غير أن ليس للمنايا احتيال

---

(١) سبق للمصنف الاستشهاد به وذكرنا اختلاف النسخ فيه وتيسر لنا تطبيقه على ثلاث نسخ غير الاوليتان فصح ويكون حينئذ وجه الخطأ فيه موالاته بين اسم أبيه واسم بدر فاشتبه بأن ذلك جمع لهما فى انتهاس الحصى أى خضمه

(٢) الدخل — كالدغل أى الفساد . وقوله خير العلم ما نفعا . هو الحكمة فى البيت وجاء فى نسخة خير القول والبيت من قصيدته التى مطلعها

يا دار عمرة من محتلها الجرعا　　هاجت لى الهم والاحزان والوجعا

وهى من مختار الشعر العربى وبسببها قطع كسرى لسان لقيط

(٣) القنوة — بالكسر وتضم وذلك الكسبة من المال يقتنيه . وقوله بعد المشيب هكذا فى ديوانه وفى الاصل وبعد الشباب فان صحت هذه الرواية فيحتاج لتقدير يقدره ليقيم به المعنى وإلا فتكون الحكمة غير بالغة فتأمل

وقال أبو كبير

فاذ وذلك ليس إلا ذكره وإذا مضي شيء كأن لم يفعل

فينبغي أن يكون آخر بيت قصيدتك أجود بيت فيها وأدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمها . كما فعل ابن الزبعرى في اخر قصيدة يعتذر فيها الى النبي صلى الله عليه وسلم ويستعطفه

فخذ الفضيلة عن ذنوب قد خلت واقبل تضرّع مستضيفٍ تائب

فجعل نفسه مستضيفا ومن حق المستضيف أن يضاف وإذا أضيف فمن حقه أن يصان وذكر تضرعه وتوبته مما سلف وجعل العفو عنه مع هـذه الاحوال فضيلة . فجمع في هذا البيت جميع ما يحتاج اليه في طلب العفو . وقول تأبط شراً في آخر قصيدته

لتقرعنّ على السن من ندم اذا تذكرت يوما بعض أخلاقي

هذا البيت أجود بيت فيها لصفاء لفظه . وحسن معناه . ومثله قول الشنفرى في اخر قصيدة

واني لحلو أن اريد حلاوتي ومر اذا نفس العزوف أمرّت

أبى لما آبى قريب مقادتي الى كل نفس تنتحي في مسرتي

فهذان البيتان أجود ما فخر به من هذه القصيدة . . وقال بشر بن أبي خازم في اخر قصيدته (١)

ولا ينجي من الغمرات الا براكاء القتال او الفرار

فقطعها على مثل سائر والامثال أحب الى النفوس لحاجتها اليها عند المحاضرة والمجالسة . وقال الهذلي

عصاك الاقارب في أمرهم فزايلْ بأمرك أو خالط

(١) البراكاء — الثبات في الحرب والجد وأصله من البروك

ولا تسقطن سقوط النوا ة من كف مرتضخ لاقط

فقطعها على تشبيه مليح ومثل حسن . . وهكذا يفعل الكتاب الحذاق . والمترسلون المبرزون . ألا ترى ما كتب الصاحب في اخر رسالة له . فان حنثت فيما حلفت . فلا خطوت لتحصيل مجد . ولا نهضت لاقتناء حمد . ولا سعيت الى مقام فخر . ولا حرصت على علو ذكر . وهذه اليمين التي لو سمعها عامر بن الظرب لقال هى الغموس. لا القسم باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . فانى بإيمان ظريفة ومعان غريبة . وكتب أيضاً في آخر رسالة .وأنا متوقع لكتابك . توقع الظمآن للماء الزلال .والصوام لهلال شوال . وكتب آخرأخرى . وسئل ان اخلفه في تجشيم مولاى الى هذا الجمع .ليقرب علينا تناول البدر بمشاهدته . ولمس الشمس بغرته . فانظر كيف يقطع كلماته على كل معنى بديع ولفظ شريف

ومن حسن المقطع وجودة الفاصلة وحسن موقعها وتمكنها في موضعها وذلك على ثلاثة أضرب . فضرب منها ان يضيق على الشاعر موضع القافية فيأتى بلفظ قصير قليل الحروف فيتمم به البيت . كقول زهير

واعلم مافى اليوم والامس قبله ولكننى عن علم مافى غد عمى

وقول النابغة

كالاقحوان غداة غب سمائه[1] جفت أعاليه وأسفله ندى

وقال الاعشى

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

وقول امرئ القيس

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقول طرفة

اذا ابتدر القوم السلاح وجدتنى منيعا اذا بلت بقائمه يدى

(١) السماء — المطر أى بعد ان مطر

وقول النابغة

زعم الهمام ولم أذقه أنه — يشفي ببرد لثاتها العطش الصدى

وقال اخر

الا ياغرابي بينها لاتصدعا — فطيرا جميعا بالنوى أو قعا معا

وقول متمم *

فلما تفرقنا كأنى ومالكا — لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقول الاعشى

فظللت ارعاها وظل يحوطها — حتى دنوت اذا الظلام دنا لها

وقول النابغة (١)

لامرحبا بغد ولا أهلا به — ان كان تفرق الأحبة فى غد

أفد الترحل غير أن ركابنا — لما تزل برحالنا وكأن قد

وقول ابن احمر (٢)

وقال عدى بن زيد

فان كانت النعماء عندك لامرئ — فمثلا بها فاجز المطالب أوزد

وقال ابن أبى حية *

فقلن لها سراً فديناك لايرح — صحيحا والا تقتليه فالمى

(١) البيت الثانى فى ديوانه مقدم على البيت الاول . وبينهما قوله

زعم الغداف بان رحلتنا غدا — وبذك خبرنا الغداف الاسود

الغداف ــ الغراب . وقوله ــ أفد ــ أى دنا وقرب ــ والركاب الابل ولا يقال راكب الا لراكب البعير خاصة كذا فى شرح ديوانه

(٢) فى نسختين من الاصل ذكر ابن احمر ولم يذكر الشعر وكتب فى هامش احدها هكذا فى الام وباقى النسخ لم يتعرضوا لذكر ابن احمر

(وألقت قناعا دونه الشمس واتقت بأحسن موصلين كف ومعصم)

وقالت فلما أفرغت فى فوء آده وعينيه منها السحر قلن له قم

فود بجدع الانف لو أن صحبه تنادوا وقالوا فى المناخ له نم

ومن شعر المحدثين . قول ابن أبى عيينة

دنيا دعونك مسمعا فأجيبي وءا اصطفيتك للهوى فأثيبى

دومى أدم لك بالوفاء على الصفا انى بعهدك واثق فثقى بي

وقال آخر اتتني تؤنبني فى البكا فأهلا بها وبتأنيبها

تقول وفى قولها حشمة ترانى بعين وتبكى بها

فقلت اذا استحسنت غيركم أمرت الدموع بتأديبها

فقوله — ترانى بعين وتبكى بها — حسن الوقع جدا . وقالت

سيقضى لى رضاك برد مالى ويمد حسن رأيك كشف مابى

وقالت وذقت مهوى النجم يقاخصرا لوكان من ناجود خمر ماعدا

وقد تنممت بنشر عطر لو كان من فارة مسك كان دا

والضرب الاخر . وهو ان يضيق به المكان ايضا ويعجز عن ايراد كلمة سالمة تحتاج الى اعراب ليتم بها البيت . فيأتى بكلمة معتلة لاتحتاج الى الاعراب فيتمه به . مثل قول امرىء القيس

بعثنا ربيا قبل ذلك مخملا كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي [1]

وقول زهير

صحا القلب عن سلمي وقد كاد لا يسلو (واقفر من سلمى التعاليق فالثقل)

---

(١) مشى الضراء — هى المشى فيما يواريك ممن تكيده وتختله

ثم قال وقد كنت من سلمى سنينا ثمانيا على صير أمر ما يمر وما يحلو (١)

وقال لذى الحلم من ذبيان عندى مودة وحفظ ومن يلحم بى الشر انسج

مخوف كان الطير فى منزلاته على جيف الحسرى مجالس تنتجى

وقوله وأراك تفرى ما خلقت وبعـ ض القوم يخلق ثم لا يفرى

وقول أبى كبير (٢)

(ولقد ربأت اذا الصحاب تواكلوا جمر الظهيرة فى البقاع الأطول)

(فى رأس مشرفة القذال كأنما أطر السحاب بها رياض المجدل)

ومعا بلا صلع الظبات كأنها جمر بمسهكة تشب لمصطلى

(فقوله — لمصطلى — متمكنة فى موضعها) وقول ذى الرمة

أراح فريق جيرتك الجمالا كأنهم يريدون احتمالا

فكدت أموت من حزن عليهم ولم أرى حادى الاظعان بالا

(فقوله — بالا — عجيبة الموقع) أخذه من قول زهير

لقد باليت مظعن أم أوفى ولكن أم أوفى لا تبالى

وقول الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

وقال آخر

---

(١) قوله على صير أمر — أى على اشراف أمر . وضبط هذا الحرف بغير الاصل بكسر الصاد فاليحرر

(٢) ربأت — من ربأ القوم يربأهم اذا اطلع عليهم من شرف — واطر السحاب اعوجاج تراه فيه . والاطر هنا مصدر واقع فى معنى المفعول — والمعابل — بالفتح جمع معبلة بالكسر وهى نصل طويل عريض — والمسهكة — ممر الريح اذا مرت مرا شديدا

وجوه لو ان المدلجين أعتشوا بها صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلى

والضرب الثالث . ان تكون الفاصلة لايقة بما تقدمها من الفاظ الجزء من الرسالة أو البيت من الشعر . وتكون مستقرة فى قرارها . ومتمكنة فى موضعها . حتى لا يسد مسدها غيرها . وان لم تكن قصيرة قليلة الحروف كقول الله تعالى (وانه هو أضحك وأبكى وانه هو أمات وأحى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى) وقوله تعالى (وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى) . فابكى مع اضحك وأحى مع أمات . والانثى مع الذكر . والاولى مع الآخرة . والرضى مع العطية . فى نهاية الجودة . وغاية حسن الموقع . ومن الشعر . قول الحطيئة

هم القوم الذين اذا ألمت من الايام مظلمة أضاؤ

وقول عدى بن الرقاش

صلى الاله على امرئ ودعته وأتم نعمته عليه وزادا

وقول زياد بن جميل *

هم البحور عطاء حين تسئلهم وفى اللقاء اذا تلقي بهم بهم

وهذا مستحسن جدا لما تضمن من التجنيس . ومن ذلك قول البحترى

ظللنا نرجم فيك الظنون أحاجبه أنت أم حاجه

وقول أبى نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

الصديق — هاهنا جيد الموقع . لان معنى البيت يقتضيه وهو محتاج اليه . وقول جميل

ويقلن أنك رضيت بباطل منها فهل لك فى اعتزال الباطل

الباطل — هاهنا جيد الموقع لمطابقته مع الباطل الاول . وقلت

وقد زينت اسواقه بطرايف اذا نصرفت عنها العيون تعود

تعود — هاهنا جيد متمكن الموقع . ومما عيب من القوافى . قول ابن قيس الرقيات . وقد أنشد عبد الملك

ان الحوادث بالمدينة قد   أوجعنني وقرعن مروتيه

وجببنني جب السنام فلم   يتركن ريشا فى مناكبه

فقال له عبد الملك احسنت الا انك تخنثت فى قوافيه . فقال ماعدوت قول الله عز وجل (ماأغنى عني ماليه هلك عنى سلطانيه) وليس كما قال . لان فاصلة الاية حسنة الموقع وفى قوافى شعره لين .

ومن عيوب القوافى . ان تكون القافية مستدعاة لا تفيد معني وانما اوردت ليستوى الروى فقط مثل . قول ابى تمام

كالظبية الادماء صافت فارتعت   زهر العرار الغض والجثجاثا

ليس فى وصف الظبية انها ترتعى ـ الجثجاث ـ فايدة وسواء رعت الجثجاث أوالقلام أوغير ذلك من النبت . واذا قصد لنعت الظبية بزيادة حسن قيل انها تعطوا الشجر لانها حينئذ ترفع رأسها فيطول جيدها وتظهر محاسنها . كما قال الطرماح (١)

مثل ماعاينت مخروقه   نصها ذاعر روع مؤام

يصف انها مذعورة تفتح عينيها وتمد جيدها فيبدو للعين محاسنها . وقال زهير وقريب منه قول الاخر (٢)

وسابغة الاذيال زغف مفاضة   تكنفها مني بجاد مخطط

وليس لتخطيط البجاد معني يرجع الى الدرع ولا الى السيف . ومثله قول الاخر

أأنشر البر فيمن ليس يعرفه   وانثر الدر بين العمى فى الغلس

ليس لذكر الغلس مع العمى معنى . لان الاعمى يستوى عنده الغلس والهاجرة

(١) هنا بياض فى الاصل وكذا عند قوله قال زهير وحرر فى هامش نسخة كتبت فى المائة الخامسة كذا فى الام . وقد ظفرت ببيت الطرماح فى فصل عيوب ائتلاف المعنى والقافية من النقد فانزلته مكانه والله الموفق

(٢) قائلة على بن محمد البصرى ـ والزغف ـ بحرك ويسكن الدرع المحكمة وفى غير الاصل ـ البجاد المخطط ـ بأل التعريف

ولو قال العمش لكان اقرب من العمى على ان الجميع لا خير فيه . ومن هذا النوع قول القرشي

ووقيت الحتوف من وارث وال　　وأبقاك صالحا رب هود

ليس نسبة الله تعالى الى انه رب هود باولى من نسبته اياه عز اسمه الى انه رب نوح أوغيره . وقول ابن الرومي

الا ربما سؤت الغيور وساءني　　وبات كلانا من أخيه على وحر

وقبلت أفواها عذابا كأنها　　ينابيع خمر حصبت لؤلؤ البحر

فقوله ـ لؤلؤ البحر ـ أفسد البيت واطفأ نور المعنى لان اللؤلؤ لا يكون في غير البحر فنسبته الى البحر لا فائدة فيه الا اقامة الروى على ما قدمناه (ورأيت المعنى جيداً فقلت)

(مر بنا يستميله السكر　　وكيف يصحو او ريقه خمر)

(قبلت فيه على مراقبة　　ينبوع خمر حصباؤه در)

ومن القوافي الردئية قول رؤبة

يُكسين من لين الشباب نيماَ

النيم ـ الفرو وأى حسن للفرو فيشبه به شباب النساء . وما قال أحد عليه من الشباب أو من الحسن فرو . . وإنما يقال ـ رداء الشاب . وبرد الشباب . وثوب الشباب ـ ولم يقولوا ـ قميص الشباب ـ وهو أقرب من الفرو ولو قاله قائل لم يحسن لانه لم يستعمل وإنما احتاج الى الميم فوقع فى هذه الرذيلة

وهذا باب لو اطلقت العنان فيه لطال فيشغل الاوراق الكثيرة ويصرم فيه الزمان الطويل وفيما ذكرناه كفاية ان شاء الله تعالى

الفصل الثالث

في الخروج من النسيب الى المدح وغيره

كانت العرب في اكثر شعرها تبتديء بذكر الديار والبكاء عليها والوجد

بفراق ساكنيها . . ثم إذا أرادت الخروج الى معنى آخر . . قالت — فدع ذا وسل الهم عنك بكذا — كما قال

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة　　ذمول إذا صام النهار وهجرا

وكما قال النابغة

فسليت ماعندى بروحة عرمس [1]　　تخب برجلى مرة وتناقل

وربما تركوا المعنى الاول وقالوا — وعيس أو وهوجاء — وما أشبه ذلك . .
كما قال علقمة

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله　　فليس له فى ودهن نصيب

وعيس بريناها كأن عيونها　　قوارير فى أدهانهن نضوب

فاذا أرادوا ذكر الممدوح . . قالوا — الى فلان — ثم أخذوا فى مديحه . .
كما قال علقمة

وناجيه أفنى ركيب ضلوعها　　وحاركها تهجر ودؤب

وتصبح من غب السرى كأنها　　مولعة تخشى القنيص شبوب

فوصفها ثم قال

الى الحارث الوهاب أعملت ناقتي　　لكلكلها والقصريين وجيب

وقال الحرث بن حلزة

أنمى الى حرف مذكرة　　تهض الحصى بمناسم ملس

ثم قال افلا نعديها الى ملك　　شهم المقادة حازم النفس

ثم أخذ فى مديحه . . وربما تركوا المعنى الاول وأخذوا فى الثانى من غير أن يستعملوا ماذكرناه . . قال النابغة

تقاعس حتى قلت ليس بمنقض　　وليس الذي يرعى النجوم بآيب

(١) العرمس — الصخرة وشبهت بها الناقة اذا كانت صلبة شديدة

علي لعمرو نعمة بعـد نعـة　　لو لدة ليست بذات عقارب

وقال أيضا (١)

على حين عاتبت الفؤاد على الصبى　　وقلت ألما أصح والشيب وازع

وقد حال هم دون ذلك داخل　　ولوج الشغاف تبتغيه الأصابع

وعيد أبي قابوس في غير كنهه　　أتاني ودوني راكس والضواجع

والبحتري يسلك هذه الطريقة في اكثر شعره . . فاما الخروج المتصل بما قبله فقليل في اشعارهم . فمن القليل . قول دجانة بن عبد قيس التيمي

وقال الغواني قد تضمر جلده　　وكان قديما ناعم المتبذل

فلا تأس اني قد تلافيت شيبتي　　وهزالغواني من شميط مرجل

بمشرفة الهادي نبذ عنانها　　بعين الغلام الملجم المتدلل

فوصل وصف الفرس بما تقدم من وصفه الشيب وصلا . وقال تأبط شراً

اني اذا خلة ضنت بنائلها　　وامسكت بضعيف الحبل احذاق

نجوت منها نجائي من بجيلة اذ　　القيت ليلة حث الرهط اوراقي

وقريب منه . قول أوس بن حجر في وصف السحاب

دان مسف فويق الارض هيدبه　　يكاد يدفعه من قام بالراح

ثم قال

سقى دياري بني عوف وساكنها　　ودار علقمة الخير ابن صباح

وقال زهير

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ　　كن الجواد على علاته هرم

واما المحدثون . فقد اكثروا في هذا النوع . قال مسلم بن الوليد

---

(١) راكس ــ واد ــ والضواجع ــ جمع ضاجعة وهي منحنى الوادي

اذا شئتما ان تسقياني مدامة　　فلا تقتلاها كل ميت محرم
خلطنا دما من كرمة بدمائنا　　فأثر فى الالوان منا لدم الدم
ويقظى ثنيت النوم فيها بسكرة　　لصهباء صرعاها من السكر نوم
فمن لامنى فى اللهو أو لام في الندي　　أبا حسن زيد الندى فهو ألوم

وقال منصور النمرى فى الرشيد

اذا امتنع المقال عليك فامدح　　امير المؤمنين تجد مقالا
فتى ماأن تزال به ركاب　　وضعن مدائحا وحملن مالا

وقال أبو الشيص

اكل الوجيف لحومها ولحومهم　　فأتوك انقاضا على انقاض
ولقد أتتك على الزمان سواخطا　　ورجعن عنك وهن عنه رواض

وقال ابن وهيب *

مازال يلثمنى مراشفه　　ويعلني الابريق والقدح
حتى استرد الليل خاتمه　　ونشا خلال سواده وضح
وبدا الصباح كان غرته　　وجه الخليفة حين تمتدح

وقال　　لبس البلى فكأنما وجدا　　بعد الاحبة مثل ما اجد

وقال الطائى

صب الفراق علينا صب من كثب　　عليه اسحاق يوم الروع منتقما
اساءة الحادثات استبطنى نفقا　　فقد اظلك احسان بن حسان

وقال عبدالصمد بن المعذل

ولاح الصباح فشبهته　　على بن عيسى على المنبر

وقال البحترى

كأنها حين لجت فى تدفقها … يد الخليفة لما سال واديها
شقايق يحملن الندي فكأنها … دموع التصابى فى خدود الخرايد
كان يد الفتح بن خاقان اقبلت … تليها بتلك البارقات الرواعد

وقال مسلم

اجدك هل تدرين أنْ رب ليلة … كأن دجاها من قرونك ينشر
لهوت بها حتي تجلت بغرة … كغرة يحى حين يذكر جعفر

وقال آخر

وكلانا قد احدث الراح فيه … زهو يحى بن خالد بن الوليد

وقال (ابو) البصير *

فقلت لها عبيد الله بيني … وبين الحادثات فلا تراعي
أأصبح منه معتصما بحبل … وتقصر نعمتي ويضيق باعى
كفرت اذا صنايعه وظلت … تعاتبه المروءة في اصطناعى

وقال البحترى فى ياقوتة

اذا التهبت فى اللحظ ضاهى ضياؤها … جبينك عند الجود إذ يتألق
وجر علي الدجن هداب مزنه … او آخره فيه وأوله عندى
تأخر عن ميقاته فكأنه … أبو صالح قد بت منه علي وعد

وقال بكر بن النطاح

ودوية خلقت للسراب … فامواجه بينها تزخر
تري جنها بين أضعافها … حلولا كانهم البربر
كان حنيفة تحميهم … فالينهم خشن أزور

وقال دعبل

ومیثاء خضراء موشیة | بها النور يزهر من كل فن
ضحوك اذ لاعبتـه الرياح | تأود كالشارب المرجحن
فشبه صحبي نواره | بديباج كسرى وعصب اليمن
فقلت بعـد تم ولـكنني | اشبهه بجناب الحسن
فتى لا يرى المال الا العطا | ولا الكنز الا اعتقاد المنن

قالت وقد ذكرتها عهد الصبي | باليأس تقطع عادة المعتاد
الا الامام فان عادة جوده | موصولة بزيادة المزداد

وقال غيره

وكأن الرسوم اثنى عليها | بعض غاراتنا على الاعداء

وقال البحترى

بين السقيفة فاللوى فالاجرع | دمن حبسن بلى لرياح الاربع
فكأنما ضمنت معالمها الذى | ضمنته أحشاء المحب الموجع

اقول لثجاج الغمام وقد سرى | لمحتفل الشؤبوب صاب فعمما
أقل أو اكثر لست تبلغ غاية | تبين بها حتى تضارع حيثما
فتى لبست منه الليالى محاسنا | اضاء له الافق الذى كان مظلما

قد قلت للغيث الركام ولج فى | إبراقه والح فى ارعاده
لا تعرضن لجعفر متشبها | بندى يديه فلست من انداده

لعمرك ما الدنيا بناقصة الجدى | اذا بقى الفتح بن خاقان والقطر

أبرق تجلى ثم بدا ابن مدبر | بغرة مسئول رأى البشر سائله

أدارهم الاولى بدارة جلجل | سقاك الحيا روحاته وبواكره

حيائك يحكي يوسف بن محمد فروتك رياه وجادك ماطره

كأن سناها بالعشي لشربها تباج عيسى حين يلفظ بالوعد

آليت لا أجعل الاعدام حادثة تخشى وعيسى بن ابراهيم لي سند

أيام غصن الشباب يهتز كالا أسمر في راحة بن حماد

لا والذي سن للمدامة وأا مـاء نكاحا بغير تطليق

مارمقت مقلتاي أسمح في الا عالم من راحة احمد بن سروق

وقال علي بن جبلة

وغيث تأنقه نوؤه فالبسه عللا أربدا

تظل الرياح تهادى به اذا ماتحيز أوغردا

كأن تواليه بالعرا ء تهوى الى جلمد جلمدا

تداعي تميم غداة الجـ فار تدعوازرارة أو معبدا

وقال علي بن الجهم

وسارية ترتاد أرضا تجودها شغلت بها عينا قليلا هجودها

أتتنا بها ريح الصبا فكأنها فتاة تزجيها عجوز تقودها

فما برحت بغداد حتى تفجرت بأودية ما تستفيق مدودها

فلما قضت حق العراق وأهلها أتاها من الريح الشمال بريدها

فرت تفوت الطرف سعيا كأنها جنود عبيد الله ولت بنودها

دبرن وللصباح معقبات تقاص عنه أعجاز الظلام

وقال ايضا فلما أن تجلى قال صحبي اضوء الصبح أم وجه الامام

وقال البحتري

سقيت رباك بكل نوء جاعل　　من وبله حقا لها معلوما

فلو انني أعطيت فيهن المنى　　لسقيتهن بكف ابراهيما

قل لداعى الغمام لبيك وأحال　　دقل العيس كى يجيب الدعاء

وقال أبو تمام

ياصاحبي تقصيا نظريكما　　تريا وجوه الارض كيف تصور

تريا نهاراً مشرقا قد شابه　　زهر لربى فكأنما هو مقمر

خلق اطل من الربيع كأنه　　خلق الامام وهديه المتنشر

فالارض معروف السماء قرى لها　　وبنوا الرجاء لهم بنو العباس

نجاهد الشوق طورا ثم نتبعه　　مجاهدات القوافى فى أبى دلفا

اذا العيش لاقت بى أبادلف فقد　　تقطع مابينى وبين النوائب

تداو من شوقك الاقصى بما فعلت　　خليل ابن يوسف والابطال تطرد

لم يجتمع قط فى مصر ولا طرف　　محمد بن أبى مروان والنوب

ولقد بلون خلايقي فوجدتني　　سمح اليدين ببذل ود مضمر

يعجبن منى اذ سمحت بمهجتى　　وكذاك أعجب من سماحة جعفر

ملك اذا الحاجات لذن ببابه　　صافحن كف نواله المتيسر

لا والذى هو عالم ان النوى　　صبر وان أبا الحسين كريم

وقال اخر سقيات أرجاء العيون تركتني　　أكابد أسقاما ولست اعاد

فيا عجبا ان الظباء بطرفها　　تصيد رجالا والظباء تصاد

وللبحر مابين الفرات ودجلة　　أؤمل منه الرى وهو جماد

وقلت اذكر الشيب

أراني منهاج الهدى فسلكته ولم تتشعب في الضلال مذاهبي
وخبر ان الجهل ليس بآيب الى وان الحلم ليس بعازب
فأفصح من بعد العجومة مادحي وأعجم من بعد الفصاحة عائبي
ورد إلى خير الانام مدائحي لخلت محل العقد من جيد كاعب

وأنجم كرب برب في سرب يحكين غرا في جلال خطب
والحور ترنو من خلال الحجب وعزمكم ورأيكم في الخطب
وبيضكم وبيضكم في الحرب

ومن لم يوسع للنوائب صدره افادته ضيقا في مرام ومذهب
وانى إذا القيت بيدي وبينها أبا طاهر لم تدر كيف تضربي

نازعته غلس الظلام مدامة تتعلم الاسكار من لحظاته

وكأنها معصورة من خده مغصوبة بالدر من كلماته
تشكوا الزمان وذاك من لذاته وبقاء اسمعيل من حسناته
هذا تعد في الشكاية ظاهر ولرب شاك معتدى بشكاته
كافي الكفاة برأيه وعزيمة كزمانه بخطوبه وهباته

عادة الايام لا أنكرها فرح تقرنه لي بترح
إن تكن تفسد ما تصلحه فكذا الدهر إذا در رمح
وإذا قام على النهج انثنى وإذا سار على القصد جنح
ويربيك فلا تفرح به فهو كالجازر ربى فذبح
غير أن النهى منه كلما جمح الدهر بوادى كبح

ومد علينا الليل ثوبا منمقا وأشعل فيه الفجر فهو يحرق
وصبحنا صبح كأن ضياءه تعلم منا كيف يبهى ويشرق

تولت به الايام وانجردت بحسنه ولمات البين فانجردا

غدى له المزن منهلا بوادره كأن فيه ليحى أصبعاً ويدا
تصعد فيـه وهو زرق جمامه فتحسب انا فى السماء نصعد
أطفنا بمحمود السجية ماجـد رضاه لما نرجوا من الخير موعد
بممتثل فعل السحاب اذا غدا يصفق فيهـا رعـدها ويغرد

ومر بأكناف اللوى خاطر الصبا فحرض شوقا لا يزال يحرض
بليـل كما ترنو الغزالة أسـود على أنه من نور وجهك أبيض

يريدون ان أخشى وأخشع للاذى وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخشع

وطهارة الاخلاق لم تظفر بهـا الا بحيث طهارة الاعراق
كخلائق الاستاذ ان جاوزتهـا تجد الخلايق غير ذات خلاق

مهرية ألوى السفار بنحضها فتخالها تحت الرحال رحالا
أمنت بساحة أحمد بن محمـد من أن يذل عزيزها ويذالا

وقد دلت الدنيا على عيب نفسها اذ التفت للؤم بعد التكرم
فما نولت حتى استردت نوالهـا وشنت علينا ابؤسا بعد أنعم
ولـكن سيعديني عليها ابن احمد نبي الهدى وابن الوصى المـكرم
واني متى أعلق بسالف وده تبدلت من أمرى سناما بمنسم

صرف العنان الى التناصف فى الهوى صرفى الرجاء الى نوال أبى على

وهذا ميدان لو جرينا فيه الى أقصاه . أتعبنا الناسخ . وأملنا السامع والناظر وفى ما ذكرناه كفاية . انتهى

وقد فرغت من تأليفه ورصفه وتصنيفه فى شهر رمضان سنة اربع وتسعين وثلاثماية والحمد لله رب العالمين وصلواته على رسوله محمد النبي الامي وآله اجمعين

تم الكتاب

فهرس كتاب الصناعتين

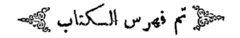
صحيفة

٢ افتتاح المؤلف (رحمه الله) ومقدمة الكتاب
٥ وذكر سبب تأليفه وأبوابه وفصوله
٦ (الباب الاول) فى الابانة عن موضوع البلاغة لغة (ثلاثة فصول)
٧ (الفصل الاول) منه في موضوع البلاغة والفصاحة لغة
١١ (الفصل الثانى) منه فى الابانة عن حد البلاغة
١٤ (الفصل الثالث) منه فى تفسير ما جاء عن الحكماء والعلماء فى حدود البلاغة
٥٢ (الباب الثانى) فى تمييز الكلام جيده من رديئه والكلام فى المعانى (فصلان)
٥٢ (الفصل الاول) منه فى تمييز الكلام
٦٦ (الفصل الثانى) منه فى التنبيه على خطأ المعانى وصوابها
١٢٨ (الباب الثالث) فى معرفة صنعة الكلام و ترتيب الالفاظ (فصلان)
٠٠٠ (الفصل الاول) منه فى كيفية نظم الكلام وفضيلة الشعر وما ينبغى لتأليفه
١٤٦ (الفصل الثانى) منه فيما يحتاج اليه الكاتب الى ارتسامه وامتثاله فى مكاتباته
١٥٣ (الباب الرابع) فى البيان عن حسن النظم وجودة الرصف والسبك وخلاف ذلك
١٦٦ (الباب الخامس) فى ذكر الايجاز والاطناب فصلان)
٠٠٠ (الفصل الاول) منه فى ذكر الايجاز
١٨١ (الفصل الثانى) منه فى ذكر الاطناب
١٨٦ (الباب السادس) فى حسن الاخذ وحل المنظوم (فصلان)
٠٠٠ (الفصل الاول) منه فى حسن الاخذ
٢١٧ (الفصل الثانى) منه فى قبح الاخذ
٠٠٠ (الباب السابع) فى التشبيه (فصلان)
(الفصل الاول) منه فى حد التشبيه وما يستحسن من منثور الكلام ومنظومه

٢٤٨ (الفصل الثانى) منه فى البيان عن قبح التشبيه وعيوبه
٢٤٩ (الباب الثامن) فى ذكر السجع والازدواج
٢٥٥ (الباب التاسع) فى شرح البديع وهو خمسة وثلاثون فصلا
٢٥٨ (الفصل الاول)منه فى الاستعارة والمجاز
٢٩٦ (الفصل الثانى) منه فى المطابقة
٣٠٨ (الفصل الثالث) منه فى ذكر التجنيس
٣٢٦ (الفصل الرابع) منه فى المقابلة
٣٣٠ (الفصل الخامس) منه فى صحة التقسيم
٣٣٤ (الفصل السادس) منه فى صحة التفسير
٣٣٦ (الفصل السابع) منه فى الاشارة
٣٣٨ (الفصل الثامن) منه فى الارداف والتوابع
٣٤١ (الفصل التاسع) منه فى المماثلة
٣٤٥ (الفصل العاشر) منه فى الغلو
٣٥٤ (الفصل الحادى عشر) منه فى المبالغة
٣٥٨ (الفصل الثانى عشر) منه فى الكناية والتعريض
٣٦١ (الفصل الثالث عشر) منه فى العكس
٣٦٢ (الفصل الرابع عشر) منه فى التبذيل
٣٦٤ (الفصل الخامس) منه فى الترصيع
٣٧٠ (الفصل السادس)منه فى الايغال
٣٧٢ (الفصل السابع عشر) منه فى التوشيح
٣٧٥ (الفصل الثامن عشر) منه فى رد الاعجاز على الصدور
٣٧٨ (الفصل التاسع عشر) منه فى التتميم والتكميل
٣٨١ (الفصل العشرون) منه فى الالتفات
٣٨٣ (الفصل الحادى والعشرون) منه فى الاعتراض

٣٨٤ (الفصل الثانى والعشرون) منه فى الرجوع
٣٨٦ (الفصل الثالث والعشرون) منه فى تجاهل العارف ومزج الشك باليقين
٣٨٧ (الفصل الرابع والعشرون) منه فى الاستطراد
٣٩١ (الفصل الخامس والعشرون) منه فى جمع المؤتلف والمختلف
٣٩٤ (الفصل السادس والعشرون) منه فى السلب والايجاب
٣٩٦ (الفصل السابع والعشرون) منه فى الاستثناء
٣٩٧ (الفصل الثامن والعشرون) منه فى المذهب الكلامى
٣٩٩ (الفصل التاسع والعشرون) منه فى التشطير
٤٠١ (الفصل الثلاثون) منه فى المجاورة
٤٠٣ (الفصل الحادى والثلاثون) منه فى الاستشهاد والاحتجاج
٤٠٧ (الفصل الثانى والثلاثون) منه فى التعطف
٤١٠ (الفصل الثالث والثلاثون) منه فى المضاعفة
٤١٢ (الفصل الرابع والثلاثون) منه فى التطريز
٤١٣ (الفصل الخامس والثلاثون) منه فى التلطف
٤١٧ (الباب العاشر) فى ذكر مبادى الكلام ومقاطعه والخروج (ثلاثة فصول)
٠٠٠ (الفصل الاول) منه فى ذكر المبادى
٤٢٣ (الفصل الثانى) منه فى ذكر المقاطع والقول فى الفصل والوصل
٠٠٠ (الفصل الثالث) منه فى الخروج من النسيب الى المدح وغيره

تم فهرس الكتاب




Bibliotheca Alexandrina
04402698